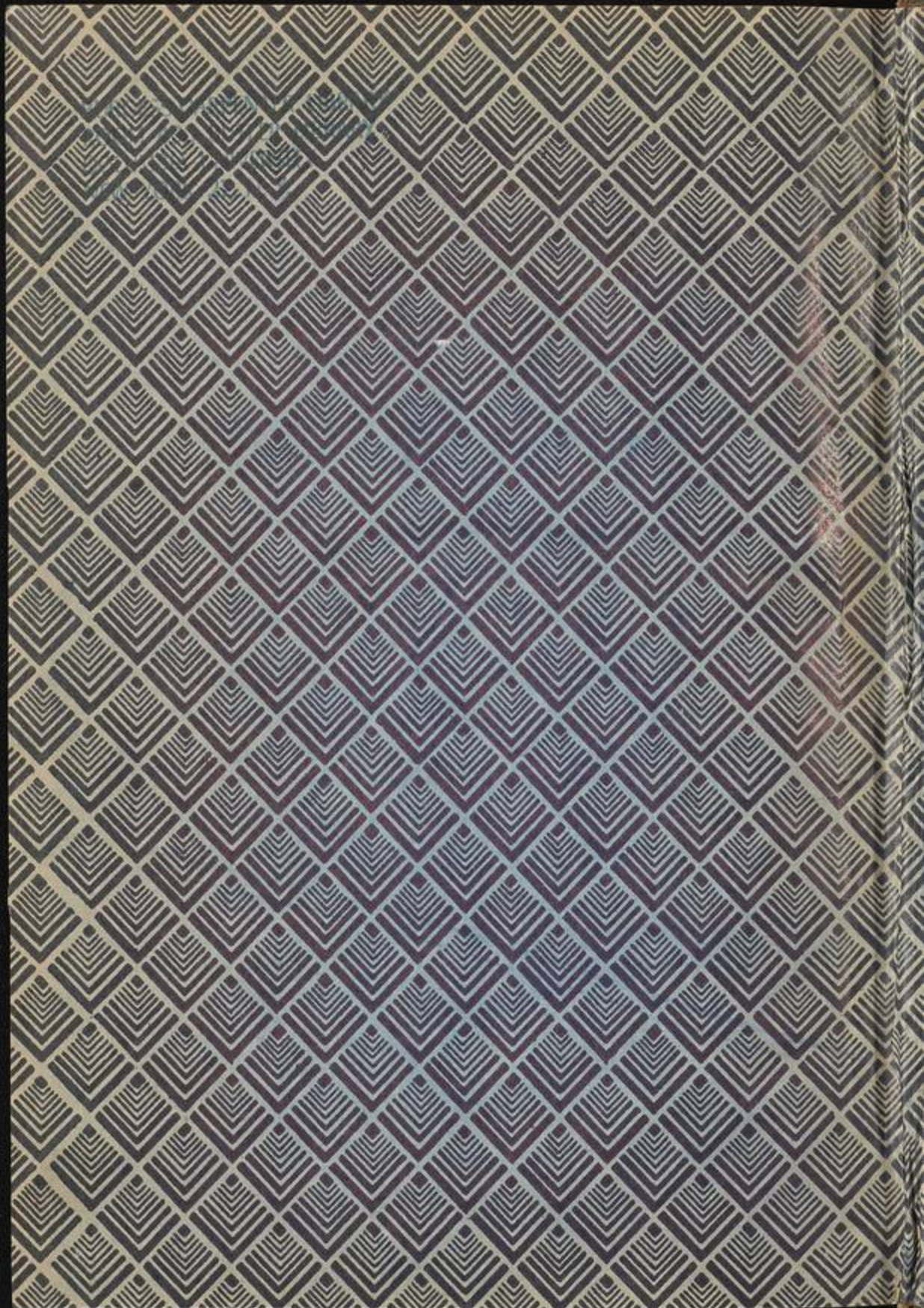
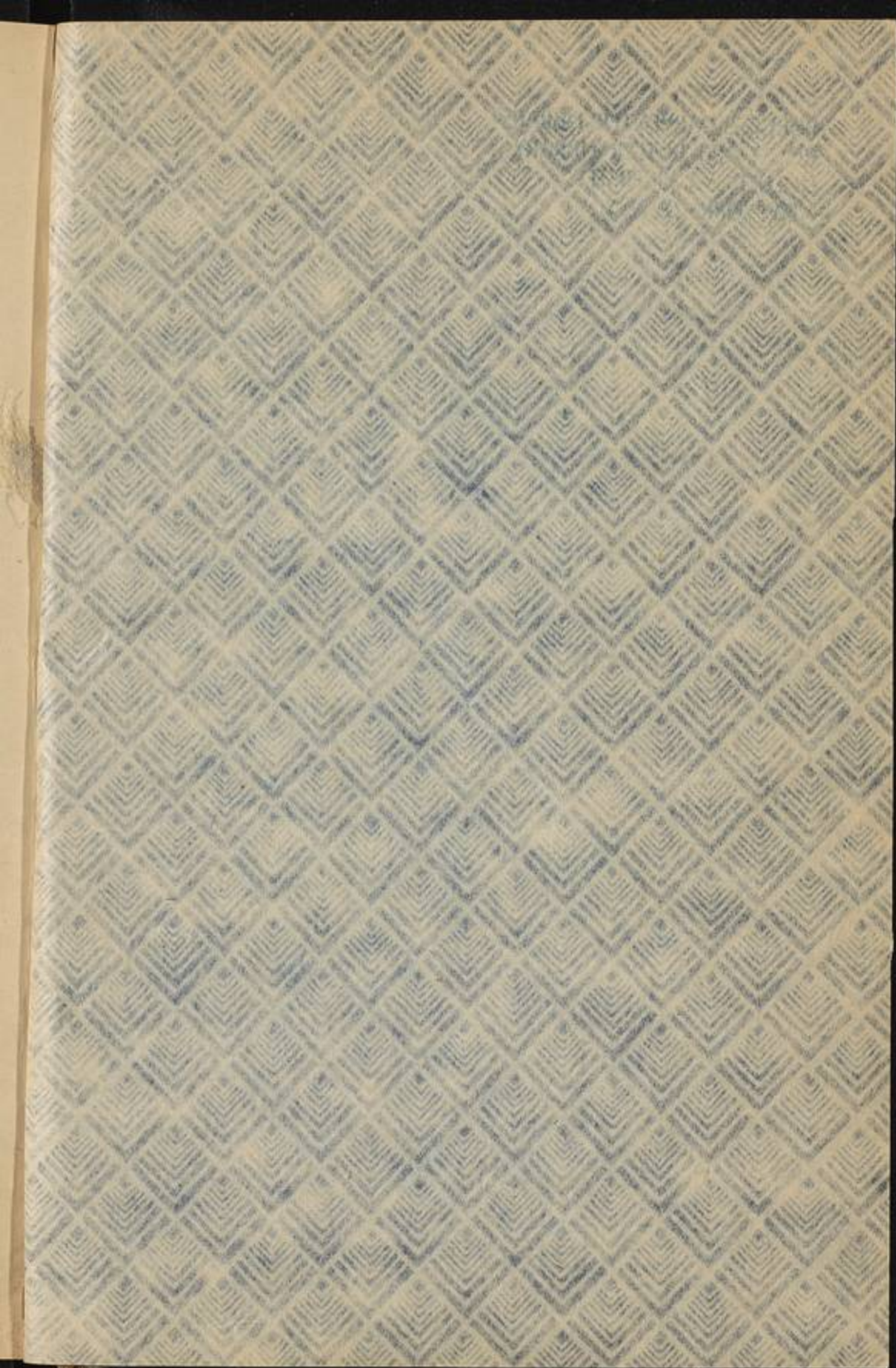




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

BURGESS-CARPENTER
&
CLASSICS
LIBRARY





Col 970

أَخْبَارُ الْمُبْرَكَاتِ

~~Surgens~~

~~D 893.741~~

~~M 8813~~

~~v.1~~

~~BurHStax~~

~~PJ~~

~~7510~~

~~.M8~~

~~1936g~~

~~v.1~~

31797H

v.1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين .
أما بعد فقد قضيت شهوراً طويلاً في تحقيق الجزء الأول من كتاب
الكامل ، وكان لابد أن أصدر هذا الجزء بمقدمة أتحدث فيها عن شخصية
المبرّد مؤلف الكتاب ، فكنت أتصيّد الفرص للتعرف إلى روح ذلك
المؤلف العظيم ، ولكن الحظ لم يكن يسعفني بما أريد .

ثم اتفق أن تفضلت وزارة المعارف العراقية فدعتني لتدريس الأدب
العربي في دار المعلمين العالية في بغداد ، المدينة التاريخية التي تعلم فيها المبرّد ،
فأحسست وأنا أتأهب للسفر إلى وطن ذلك المؤلف أن صورته اقتربت
مني كل الاقتراب ، وما هي إلا ليال راجعت فيها ما كتبه عنه السيوطي
وياقوت ، حتى رأيتني قادراً على تقديم أخباره إلى القراء في صورة تشوق
الناظرين .

31797H NOV 2 1962



ولد أبو العباس المبرد - محمد بن يزيد - بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وكان في صباه رائع الجمال^(١) ، ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني . وما زالت همته تسمو به حتى صار إمام العربية في بغداد .

وكان مع شهرته باللغة والنحو والتصريف شاعراً أديباً ، على نُدرة ما يتفق ذلك للنحاة واللغويين .

حكى جعفر بن محمد قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري : لم يَأْبَى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال لأن المبرد حَسَنُ العبارة ، حُلُوُ الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، و ثعلب مَذْهَبُهُ مذهبُ المعلمين ، فإذا اجتمعا في مُحْفَلِ حُكْمٍ للمبرد على الظاهر إلى أن يُعْرَفَ بالباطن^(٢)

وقد حفظت للمبرد أشعار منها هذه الأبيات :

جَبَّذَا مَاءَ الْعِنَاكِ بِرِيقِ الْغَائِيَاتِ
بِهِمَا يَنْبُتُ لِحْمِي وَدَمِي أَيَّ نَبَاتِ
أَيُّهَا الطَّالِبُ شَيْئًا مِنْ لَدِيدِ الشَّهَوَاتِ
كُلُّ بِنَاءِ الْمُزْنِ تَقَا حَ خُدُودِ الْغَائِيَاتِ

وقد أثر عن مجالسه كثير من طريف الأحاديث . حدث محمد بن عبد الله الكاتب قال : كنت يوماً عند المبرد فأنشدنا :

(١) انظر بنية الوعاة ص ١١٦ وزهر الآداب ج ٣ ص ١٤٦ (٢) ياقوت ج ٧ ص ١٤١

جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ
فَلْيَعَجَبِ النَّاسُ مِنِّي أَنْ لِي بَدَنًا لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنٍ

ثم قال : ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا ، قلت : ولا قول الأخرق ؟
قال : هيه ! قلت الذي يقول :

فَارْقُتْكُمْ وَحَيْثُ بَعْدَكُمْ مَا هَكَذَا كَانَ الَّذِي يَجِبُ
فَالآنَ أَلْقَى النَّاسَ مُعْتَذِرًا مِنْ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْتُمْ غُيْبُ

قال : ولا هذا . قلت ولا قول خالد الكاتب :

رُوحَانِي لِي رُوحٌ تَضَمَّنَهَا بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدٌ
وَأُظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجِدُ

قال : ولا هذا . قلت : أنت إذا هويت شيئاً ملت إليه ، ولم تعدل إلى غيره ،
قال : لا ، ولكنه الحق ، فأتيت ثعلباً فأخبرته ، فقال ثعلب : ألا أنشدته :

غَابُوا فَصَارَ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ لَهُ فِيَا
يَأْتِي وَجْهَهُ أَتَلَقَاهُمْ إِذَا رَأَوْنِي بَعْدَهُمْ أَحْيَا
يَا خَجَلْتِي مِنْهُمْ وَمِنْ قَوْلِهِمْ مَا ضَرَّكَ الْفَقْدُ لَنَا شَيْئًا

قال : وأتيت إبراهيم الحربي فأخبرته فقال ألا أنشدته :

يَا حَيَائِي مِمَّنْ أَحِبُّ إِذَا مَا قُلْتُ بَعْدَ الْفِرَاقِ إِنِّي حَيْثُ
لَوْ صَدَقْتُ الْهُوسَى حَيِّبًا عَلَى الصَّحَّةِ لَمَا نَأَى لَكُنْتُ أَمُوتُ

قال فرجعت إلى المبرد فقال : أستغفر الله ! إلا هذين البيتين ! يعني بيتي
إبراهيم^(١) ، وحدث الرواة أن المبرد كان يستجيد هذين البيتين :

وَلِي كَبِدٌ مَّقْرُوحَةٌ مِّنْ يَبِيْعِي
بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا
وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ

قال صاحب البدائع : وسأقضى بقية عمري في التنغى بهذين البيتين !
وحدث المبرد قال : لما وصل المأمون إلى بغداد، قال ليحيى بن أكرم :
وددت لو أتى وجدت رجلا مثل الأصمعي ممن عرف أخبار العرب وأيامها
وأشعارها، فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد ! فقال له يحيى : ههنا شيخ
يعرف هذه الأخبار يقال له عتاب بن ورقاء من بني شيبان، قال : فابعث لنا فيه،
فحضر ، فقال له يحيى : إن أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه ومحادثته ،
فقال : أنا شيخ كبير ، ولا طاقة لي ، لأنه ذهب مني الأطيبان ، فقال له
المأمون : لا بد من ذلك ! فقال الشيخ : فاسمع ما حضرني ، وقال اقتضابا :

أَبْعَدَ سِتِّينَ أَصْبُو وَالشَّيْبُ لِلْمَرْءِ حَرْبُ
شَيْبٌ وَسِنٌَّ وَإِثْمٌ أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا أَبْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا أَيَّامَ عُودِي رَطْبُ
وَإِذْ مَشِيْبِي قَلِيْلٌ وَمَنْهَلُ الْعَيْشِ عَذْبُ
فَالآنَ لَمَّا رَأَى بِي عَوَاذِلِي مَا أَحْبَبُوا
آلَيْتُ أَشْرَبُ رَاحًا مَا حَبِجَّ لِيهِ رَكْبُ

فقال المأمون: ينبغي أن تكتب هذه الأبيات بالذهب ، وأعنى الشيخ وأمر له
بجائزة^(١) .

ورواية هذا الحديث تشهد بما كان عند المبرد من أدب النفس .

ومن الشواهد على إحساس المبرد بمعاني الأدب والحياة، ما حدثت به فقال: قال لي المازني بلغني أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين، فما معنى ذلك؟ فقلت: أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام، قال: فأخبرني بأعجب ما رأيت من المجانين، [قال] فقلت: صرت يوماً إليهم، فررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب، فجاوزته إلى غيره، فقال: سبحان الله! أين السلام؟ من المجنون؟ أنا أو أنت؟ فاستحييت منه، وقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته! فقال: لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد، على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر، لأنه كان يقال إن للداخل على القوم دَهْشَةً، اجلس أعزك الله تعالى عندنا! وأوماً إلى موضع من الحصير، فجلست إلى ناحية منه أسترعي مخاطبته، فقال لي وقد رأى محبرتي: أرى معك آلة رجلين أرجو أن لا تكون أحدهما أصحاب الحديث الأغثاء، أو الأدباء أصحاب النحو والشعر! قلت: الأدباء! قال: أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت: نعم! قال: أتعرف الذي يقول فيه

وَفَتَى مِنْ مَازِنٍ أُسْتَاذِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ
أُمُّهُ مَعْرِفَةٌ وَأَبُوهُ نَكْرَةٌ

فقلت: لأعرفه! فقال: أتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر معه، له ذهنٌ وحفظٌ وقد برز في النحو يعرف بالمبرد؟ فقلت: أنا والله الخبير به! قال فهل

أنشدك شيئاً من شعره؟ قلت: لأحسبه يحسن قول الشعر! فقال: ياسبحان الله! أليس هو القائل:

حَبْدًا مَاءُ الْعِنَاقِ بِرِيقِ الْغَائِيَاتِ
بِهِمَا يَنْبُتُ لَحْمِي وَدَمِي أَيَّ نَبَاتِ
أَيْهَا الطَّالِبُ شَيْئًا مِنْ لَدِيدِ الشَّهَوَاتِ
كُلُّ بِمَاءِ الْمَزْنِ تَفًّا حَ خُدُودِ الْغَائِيَاتِ

قلت سمعته ينشد هذا في مجلس أنس! فقال ياسبحان الله! ألا تستحي أن ينشد مثله هذا حول الكعبة! إلى آخر الحديث^(١).

فهذه القصة تبين بعض خصائص المبرد في فهم العقلية الأدبية وتفصح عن رأيه في أهل الحديث!

ومما يدل على التفات المبرد إلى الأدب ما حدث به فقال: سمعت المازني يقول: قرأ الرياشي على كتاب سيبويه، فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني. يعني أنه أفاده لغته وشعره وأفاده هو النحو^(٢).

(١) ارجع إليه ص ١٤١ ج ٧ ياقوت

(٢) ص ٢٨٥ ج ٤



وشهرة المبرد باللغة أضافت إليه طائفة من النوادر ، فقد حدثوا أنه ورد
الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له
عيسى : أيها الشيخ ! ما الشاة المجثمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل
لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال : هل من شاهد ؟ فقال :
نعم قول الراجز :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ الْحَمِيدِ نَسَمَةٌ إِلَّا عُنِيزٌ لَجْبَةٌ مُجْثَمَةٌ

فاذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينورى ، فلما دخل قال له : أيها
الشيخ ! ما الشاة المجثمة التي نهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هي التي جثمت على
ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ العراق -
يعنى المبرد - يقول هي مثل اللجبة وهي القليلة اللبن ، وأنشده البيت ، فقال
الدينورى : أَيْمَانُ البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ
أوقراه ، وإن كان البيت إلا لساعته هذه ! فقال المبرد : صدق الشيخ أبو حنيفة !
فإِنِّي أَنْفَتُ أَنْ أُرِدَ عَلَيْكَ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَذِكْرِي مَا قَدْ شَاعَ فَأَوْلُ مَا تَسَأَلُنِي عَنْهُ
لَا أَعْرِفُهُ (١) !!

ونظير هذا ما حدثت المفتح البصرى قال : كان المبرد لكثرة حفظه
للغة وغريبها يُتَّهَمُ بالوضع فيها ، فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها
لننظر ماذا يجيب ، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبِقِ بَعْضَنَا
حَنَا نَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فقال البعض : هو من البحر الفلاني ، وقال آخرون : هو من البحر الفلاني ، وتردد على أفواها من تقطيعه « ق بعضا » ثم ذهبنا إلى المبرد فقلنا له : أيدك الله تعالى ، ما القِبْعُ عند العرب ؟ فقال : هو القطن ، وفي ذلك يقول الشاعر :

* كَأَنَّ سِنَامَهَا حُسْبَى الْقِبْعِضَا *

قال فقلت لأصحابي : ترون الجواب والشاهد ، فإن كان صحيحا فهو عجب وإن كان مُخْتَلَقًا على البديهة فهو أعجب ^(١) !!



والظاهر أن الخصومة بينه وبين ثعلب كان لها دَخْلٌ في افتعال مثل هذه الأقاويل ، وهي خصومة لم تكن بين شخصين ، وإنما كانت بين فرقتين فرقة البصريين وفرقة الكوفيين .

ومن شواهد هذه الخصومة ما حدث العجوزي قال : صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابني عميد الله بن سليمان بن وهب ، فقال لي القاسم : سَلُّهُ عن شيء من الشعر ، فقلت ما تقول أعزك الله في قول أوس :

وَعَيْرَهَا عَنْ وَصْلِهَا الشَّيْبُ إِنَّهُ شَفِيعٌ إِلَى بِيضِ الخُدُورِ مُدْرَبٌ
فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق : يريد أن النساء أنسن به فصرن لا يستترن منه . ثم صرنا إلى أبي العباس ثعلب ، فلما غص المجلس سألته عن البيت ،

(١) ص ١٣٨ ج ٧ ياقوت .

فقال قال لنا ابن الأعرابي إن الهاء في « إنه » للشباب ، وإن لم يجر له ذكر
لأنه عليم . والتفت إلى الحسن والقاسم وقلت أين صاحبنا من صاحبكم^(١) !
وحدث علي بن سليمان الأخفش قال : كنت يوما بمحضرة ثعلب
فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس
الخلدي ! يعني المبرد ، فقلت له : لي حاجة ! فقال لي : إني أراه يقدم البحتری
على أبي تمام ، فاذا أتته فقل له ما معنى قول أبي تمام :

أَأَلِفَةَ النَّحِيبِ كَمْ أَفْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

فقال أبو الحسن فلما صرت إلى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال : معنى هذا
أن المتحابين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إذلالاً لأعزماً على القطيعة ،
فاذا حان الرحيل وأحسنا بالفراق تراجعا إلى الود ، وتلاقيا خوف الفراق ،
وأن يطول المهمل بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع ، كما
قال الآخر :

مُتَمًّا بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُسْتَجِيرِينَ بِالْبُكَاءِ وَالْعِنَاقِ

كَمْ أَسْرًا هَوَاهُمَا حَذَرَ النَّاسِ وَكَمْ كَاتِمًا غَلِيلَ اشْتِيَاقِ

فَأَظَلَّ الْفِرَاقُ فَالْتَقِيًا فِيهِ فِرَاقًا أَتَاهُمَا بِاتِّفَاقِ

كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحَتْفِ وَغَدَاةِ الْفِرَاقِ كَانَ التَّلَاقِ

قال فلما عدت إلى ثعلب سألتني عنه ، فأعدت عليه الجواب والأبيات
فقال : ما أشدَّ تمويهه ! ما صنع شيئا ، إنما معنى البيت أن الانسان قد

يفارق محبوبه رجاء أن ينعم في سفره فيعود إلى محبوبه مستغنيا عن التصرف
فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول في البيت الثاني :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لَمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ .

وهذا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

وَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمَدَا^(١)

والخصومة بين المبرد وثلعب كانت عنيفة جدا ، حدث الخطيب قال : كان
بين المبرد وثلعب منافرات كثيرة ، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد
منهما على صاحبه ، قال : وجاء رجل إلى ثلعب فقال له : يا أبا العباس ، قد
هجاك المبرد ، فقال بماذا ؟ فأنشده :

أَقْسِمُ يَا لِمُبْتَسِمِ الْعَذْبِ وَمُشْتَكِي الصَّبِّ إِلَى الصَّبِّ
لَوْ أَخَذَ النَّحْوُ عَنِ الرَّبِّ مَا زَادَهُ إِلَّا عَمَى الْقَلْبِ

فقال أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء :

يَشْتَمُنِي عَبْدٌ بَنِي مِسْمَعٍ فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعَرِضَا
وَلَمْ أَجِبْهُ لِأَحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعْضُ الْكَلْبَ إِنْ عَضَا^(٢)

وبلغ المبرد أن ثلعبا يهجوهم فقال :

رُبَّ مَنْ يَعْينِهِ حَالِي وَهُوَ لَا يَجْرِي بِيَالِي
قَلْبُهُ مَلَانٌ مِنِّي وَقُوَادِي مِنْهُ خَالِي^(٣)

وتعصّب أحمد بن عبد السلام للمبرد فقال يفضله على ثلعب :

(١) ياقوت ج ٢ ص ١٤٧ ، ١٤٨ (٢) ياقوت ج ٢ ص ١٤٩

(٣) ج ٧ ص ١٤٣

رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي جَاهٍ وَقَدِرِ
جَلِيسُ خَلَائِفٍ وَغَدِيٌّ مُلْكِ وَأَعْلَمُ مَنْ رَأَيْتُ بِكُلِّ أَمْرِ
وَفَتْيَانِيَّةُ الظُّرْفَاءِ فِيهِ وَأَبْهَةٌ الْكَبِيرِ بغيرِ كِبَرِ
فَيَنْتُرُ إِنْ أَجَالَ الْفِكْرَ دُرًّا وَيَنْتُرُ لَوْلَا مِنْ غَيْرِ فِكْرِ
وَكَانَ الشَّعْرُ قَدْ أَوْدَى فَأَحْيَا أَبُو الْعَبَّاسِ دَاثِرَ كُلِّ شِعْرِ
وَقَالُوا ثَعْلَبَ رَجُلٌ عَلِيمٌ وَأَيْنَ النَّجْمُ مِنْ شَمْسٍ وَبَدْرِ
وَقَالُوا ثَعْلَبٌ يُفْتِي وَيُمْلِي وَأَيْنَ الثَّعْلَبَانُ مِنَ الْهَزْبِ

وما زالت الخصومة تشد بين هذين الرجلين حتى ضربت بها الأمثال فقال
بعض الشعراء :

كَفَى حَزَنًا أَنَا جَمِيعًا بِلَدَّةِ وَيَجْمَعُنَا فِي أَرْضِهَا شَرٌّ مَشْهَدِ
وَكُلُّ لِكُلِّ مُخْلِصِ الْوِدِّ وَامِقِ وَلَكِنَّهُ فِي جَانِبِ عَنْهُ مُفْرِدِ
تَرْمُوحُ وَنَعْدُو لَا تَرَاوِرَ بَيْنَنَا وَلَيْسَ بِمَضْرُوبٍ لَنَا يَوْمَ مَوْعِدِ
فَأَبْدَانَنَا فِي بِلَدَةٍ وَالتَّقَاوُنَا عَسِيرٌ كَلْقِيَا ثَعْلَبِ وَالْمُبْرِدِ

ومع ذلك كان مفهوما أنهما من الآيات في الأدب والبيان، فقال بعض الشعراء :

أَيَا طَالِبِ الْعِلْمِ لَا تَجْهَلَنَّ رَعْدُ الْمُبْرِدِ أَوْ ثَعْلَبِ
تَجِدُ عِنْدَ هَذَيْنِ عِلْمَ الْوَرَى فَلَا تَكُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
عُلُومُ الْخَلَائِقِ مَقْرُونَةٌ يَهْدِيْنَ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ

ولما مات المبرد قال ابن العلاف :

ذَهَبَ الْمُبْرَدُ وَأَنْقَضَتْ أَيَّامُهُ وَلِيَذْهَبَنَّ إِثْرَ الْمُبْرَدِ تُعَلَّبُ
يَبْتُ مِنَ الْآدَابِ أَصْبَحَ نِصْفُهُ خَرِبًا وَبَاقِي نِصْفِهِ سَيُخْرَبُ
فَابْكُوا مِاسَلَبَ الزَّمَانِ وَوَطَنُوا لِلدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا يَسْلِبُ
وَتَرَوْدُوا مِنْ تُعَلَّبِ فَبِكَأْسِ مَا شَرِبَ الْمُبْرَدُ عَنْ قَرِيبٍ يَشْرَبُ
أَوْصِيكُمْ أَنْ تَكْتُبُوا أَنْفَاسَهُ إِنْ كَانَتْ الْأَنْفَاسُ مِمَّا يُكْتَبُ



هذا وقد كان في النية أن نستقصى أخبار المبرد، وتحدث بالتفصيل عن أخباره اللغوية والأدبية ومنزلة « الكامل » بين كتب الآداب ، ولكن المكان المخصص لهذه المقدمة ضاق عن المراد ، فلم يبق إلا أن نقول كلمة قصيرة عن شرح الجزء الأول .

تلقينا شرح كتاب الكامل عن أستاذنا وصاحب الفضل علينا سيد بن علي المرصفي ، وهو أفضل رجل عرفناه في الأزهر الشريف ، وقد سمعنا عنه شرح الكامل مرتين ، مرة في دروسه التي واطبنا عليها سبع سنين ، ومرة عند طبع (رغبة الآمل من كتاب الكامل) وكنا نعاوناه على التصحيح .

وقد اعتمدنا على شرحه كل الاعتماد ، فليس لنا من فضل إلا اختصار ما في شرحه المطول ، ولم يتفق لنا الابتكار إلا في مواطن قليلة جدًا ، فإن رأنا القارئ نصحح بعض أغلاط الشيخ المرصفي رحمه الله فليذكر أننا لم نصل إلى مؤاخذته إلا بفضل ما أخذنا عنه من أصول اللغة والبيان .

وكنت أحب أن أتحدث هنا عن الشيخ المرصفي، ولكنني فصلت أخباره
في الطبعة الثانية من كتاب البدائع، ومثلي يكره الحديث المعاد .

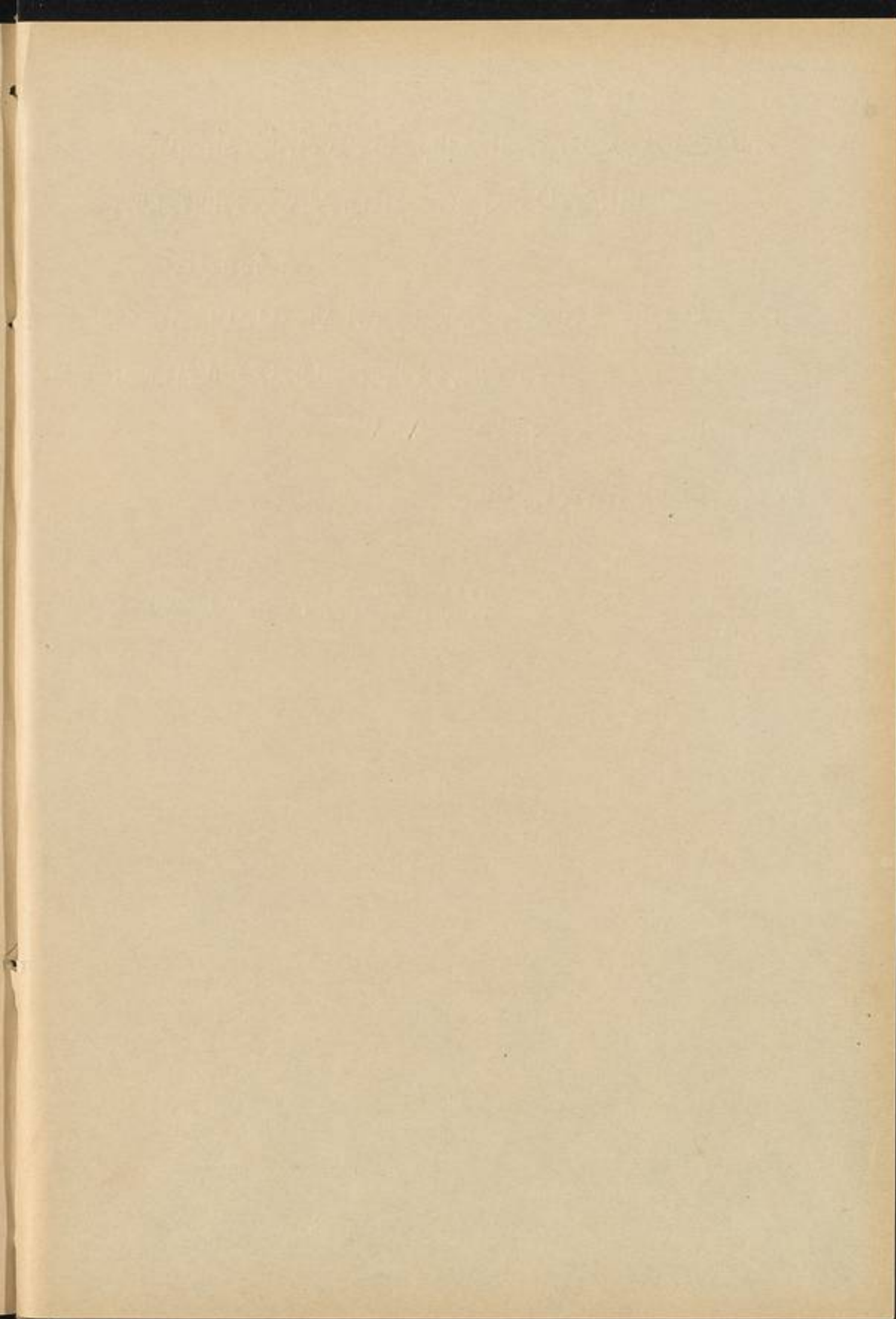
أيها القارئ !

أقدم إليك الجزء الأول من السكامل، راجيا أن تذكرني بالخير حين
تشهد ما تمتاز به هذه الطبعة من الرونق والرواء .

محمد زكي عبد السلام مبارك

المفتش في وزارة المعارف

مصر الجديدة في ٩ شعبان سنة ١٣٥٦
١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧



الْكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

بتحقيق

الدكتور زكي مبارك

الطبعة الأولى

١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة

لناشره

مكتبة دار الفنون والعلوم والآداب

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدثنا أبو بكر^(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر^(٢) قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش^(٣) قراءة عليه قال قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد : الحمد لله حمداً كثيراً يبلغُ رضاه ، ويوجب مزيده ، ويُجيزُ من سَخَطِهِ ، وصلى الله على محمد خاتم النبیین ، ورسول رب العالمين ، صلاة تامة زاكية ، تُؤدِّي حقه ، وتزلفه عند ربه^(٤) .

قال أبو العباس : هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ، ما بين كلام مثور ، وشعر مرصوف^(٥) ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خُطبة شريفة ، ورسالة بليغة .

وَالنِّيَّةُ أَنْ نُفَسِّرَ كُلَّ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامٍ غَرِيبٍ ، أَوْ مَعْنَى

(١) هو ابن الفوطية الأندلسي المتوفى سنة ٣٦٧ . (٢) توفي سنة ٢٢٧ .

(٣) هو الأخفش الأصغر المتوفى سنة ٣١٥ ، أما الأخفش الأكبر فهو عبد الحميد بن عبد الحميد أحد أساتذة سيبويه ، وأول من فسر الشعر بيتاً بيتاً وكان الناس من قبله يسوقون القصيدة ثم يفسرونها بعد ذلك ، كما في بقية الوعاة ، وأما الأخفش الأوسط ، فهو سعيد بن مسعدة أحد تلامذة سيبويه .

(٤) تزلفه : تقريبه . (٥) مرصوف : وصل بعضه ببعض كما ترصف الحجارة .

مُسْتَعْلِقٍ ، وَأَنْ نَشْرَحَ مَا يَعْزِضُ فِيهِ مِنَ الْإِعْرَابِ شَرْحاً شَافِئاً ، حَتَّى
يَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ بِنَفْسِهِ مَكْتَفِئاً ، وَعَنْ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى أَحَدٍ فِي تَفْسِيرِهِ
مُسْتَعْنِئاً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ ، وَإِلَيْهِ مَفْرَعُنَا فِي دَرْكِ كُلِّ طَلِبَةٍ^(١)
والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته ، وعقد يرضاه^(٢) ، وقول
صَادِقٍ يَرْفَعُهُ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ فِي كَلَامِ جَرِي :
« إِنَّكُمْ لَتَسْكُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » .

الفزع في كلام العرب على وجهين : أحدهما ما تستعمله العامة تريد به
الدُّعْرَ ، والآخر الاستنجد والاستصراخ^(٣) ، من ذلك قول سَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ :
كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَزِعٌ كَانِ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعِ الظَّنَائِبِ^(٤)
يقول : إِذَا أَتَانَا مُسْتَعْنِئْتُ كَانَتْ إِغَاثَتُهُ الْجِدَّ فِي نُصْرَتِهِ ، يُقَالُ قَرَعَ لَذَاكَ
الْأَمْرَ ظُنُبُوبُهُ إِذَا جَدَّ فِيهِ وَلَمْ يَقْتَرِ ، وَيُسْتَقُّ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يَقَعَ « فَزِعٌ »
فِي مَعْنَى أَغَاثَ ، كَمَا قَالَ الْكَلْحَبَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

(قال أبو الحسن : الكَلْحَبَةُ^(٥) لقبه ، واسمه هَيْبَةُ ، وهو من بني عَرِينِ

(١) الفزع : الملجأ ، والطلبه الغرض المطلوب . (٢) وعقد يرضاه : العقد الضمير ، وقراء
الشيخ الرضوي : وعقد يرضاه ، والمعنى عنده : ضمير معقود برضاه . (٣) الاستصراخ : طلب
الإغاثة . (٤) قصيدة سلامة بن جندل هي إحدى الفضليات ، والمطلع :
أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأؤ غير مطلوب
(٥) الكَلْحَبَةُ فِي الْأَصْلِ : صَوْتُ النَّارِ .

ابن يَرْبُوع ، والنسب إليه عَرِينِي ، وكثير من الناس يقول عُرْنِي ، ولا
يَدْرِي ^(١) ، وعُرَيْنَةُ من اليَمَنِ . قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع :
عَرِينٌ مِنْ عُرَيْنَةٍ لَيْسَ مِنَّا بَرَّتُ إِلَى عُرَيْنَةٍ مِنْ عَرِينٍ ^(٢)
فَقُلْتُ لَكَاسٍ أَجْمِيهَا فَإِنَّمَا حَلَّتْ الكَثِيبَ مِنْ زُرُودٍ لِأَفْرَعَا
يقول لأغيث ، وَكَأْسٌ اسم جارية ، وإنما أمرها بألجام فرسه لينغيث ،
والظنُّبُوبُ مُقَدَّمُ عَظْمِ السَّاقِ .



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ
وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ أَحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمَوْطِنُونَ أَوْ كِنَافًا
الَّذِينَ يَأْتُونَ وَيُؤْتُونَ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفَهِّقُونَ » .

قوله صلى الله عليه وسلم الموطعون أكنافا مثل ، وحقيقته أن الترطنة هي
التذليل والتمهيد ، يقال دابة وطيء يافتي ، وهو الذي لا يُحْرَكُ رَاكِبُهُ فِي
مَسِيرِهِ ، وَفِرَاشٌ وَطِيءٌ إِذَا كَانَ وَثِيرًا لَا يُؤْذِي جَنْبَ النَّائِمِ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَ
الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ مَوْطَأًا الْأَكْنَافَ أَنَّ نَاحِيَتَهُ يَتِمَكَّنُ فِيهَا صَاحِبُهَا غَيْرَ مُؤْذِي ،
وَلَا نَابٍ بِهِ مَوْضِعُهُ .

قال أبو العباس : حدثني العباس بن الفرَجِ الرِّيَاشِي ^(٣) قال حدثني

(١) بيان ذلك أن ياء فعل ثبتت في النسب إذا صحت لامه .
(٢) هذا آخر الكلام المعترض الذي ساقه الأخصس .
(٣) مات مقتولا سنة ٢٥٧ يوم دخل الزنج البصرة .

الأصمعي^(١) قال قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان : ما السَّمِيدَعُ ؟
فقال : السيد الموطأ الأكناف .

وتأويل الأكناف الجوانب . يقال في المثل : فلان في كنف فلان كما
يقال فلان في ظل فلان ، وفي ذرى فلان ، وفي ناحية فلان ، وفي حيز
فلان . وقوله صلى الله عليه وسلم « الثرثارون » يعنى الذين يُكثِرُونَ الكلام
تَكَلُفًا وَتَجَاوُزًا ، وخروجًا عن الحق . وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة
من عيون الماء يقال عَيْنٌ ثَرَّةٌ ، وكان يقال لنهر بعينه الثَّرَّارُ ، وإنما
سمى به لكثرة مائه . قال الأخطلُ (واسمه غِيَاثُ بنِ غَوْثٍ يُكْنَى أبا مالك ،
ويلقب بدوَّبلٍ ، والدَّوْبَلُ الخنزير^(٢)) :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَّارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ
قوله « راغية البكر » أراد أن بَكَرَ ثمود رغا فيهم فأهْلِكُوا ، فضرَبته
العرب مَثَلًا ، وأكثرت فيه ، قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ الْفَحْلُ :

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ^(٣)
(قال أبو الحسن الداحض الساقط ، والداحض أيضاً الزالق) وكذلك إذا
لم تُضَعَّفِ الثاء فقلتَ عَيْنٌ ثَرَّةٌ فَإِنَّمَا مَعْنَاهَا غَزِيرَةٌ وَاسِعَةٌ ، قال عَنَتْرَةُ :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٌ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ

(١) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريش المتوفى بالبصرة سنة ٢١٦ . (٢) وفيه قال جرير :

بكي دويل لا يرق الله دمه إلا إنما يبكي من النل دويل

وكانت وفاة الأخطل سنة ٩٠ . (٣) الشكة : اسم لما يلبس من السلاح .

قال أبو العباس : وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة
الثَّرَاءِ ، ولكنها في معناها ، ويجب أن يكون من الثَّرَاءِ ثَرَاءَةً . وقوله صلى
الله عليه وسلم « المتفهبون » إنما هو بمنزلة قوله الثرثارون تؤكد له ،
وَمُتَفَهِّقٌ مُتَفَهِّعٌ ، من قولهم فَهَقَ الْغَدِيرُ يَهْقُ إِذَا امْتَلَأَ مَاءً فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ
مَوْضِعٌ مَزِيدٌ ، كما قال الأعشى :

نَفَى الدَّمَّ عَنْ رَهْطِ المَحَلَّقِ جَفَنَةً كَجَايِبَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفَهَّقُ
كَذَا يُنَشِدُهُ أَهْلُ البَصْرَةِ ، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تَمَكَّنَ من الماء
مَلَأَ جَايِبَتَهُ لِأَنَّهُ حَضَرِيٌّ فَلَا يَعْرِفُ مَوَاقِعَ المَاءِ وَلَا مَحَالَّهُ .

قال أبو العباس : وسمعت أعرابية تُنَشِدُ (قال أبو الحسن هي أم الهيثم
الكلابية من ولد المحلق وهي راوية أهل الكوفة) كجايبة السبيح تريد النهر
الذي يجري على جايبته ، فإؤها لا ينقطع ، لأن النهر يَمُدُّهُ .

ومثل قول البصريين فيما ذكروا به « العراقي الشيخ » قول الشاعر
(قال أبو الحسن هو ذو الرمة^(١)) .

لَهَا ذَنْبٌ ضَافٍ وَذِفْرِيٌّ أُسَيْلَةٌ وَخَدٌّ كَمَرَاةِ الغَرِيْبَةِ أُسَجِحٌ^(٢)
يقول إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها ، لبعدها عن أهلها ، فَرَأَتْهَا أَبْدًا مَجْلُوءَةً ،
لفرط حاجتها إليها .

وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد

(١) توفي ذو الرمة سنة ١١٧ . (٢) الذفري : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن .
والأسيلة الرقيقة ، والأسجح من السجحة وهي اللين .

الصدق في المنطق ، والقصد ، وترك ما لا يُحتاج إليه ، قوله لجري بن عبد الله البجلي^(١) (يا جري إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك فلا تكلف) .



قال أبو العباس : ومما يؤثر من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف^(٢) وهو أنه قال : دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في عتبه التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إنني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ، إنني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله لتتخذن نصائد الديباج ، وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأذري^(٣) كما يالم أحدكم النوم على حسك السعدان ، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله الفجر ، أو البجر . فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يبيضك إلى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ، لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخللت بالأمر وحدثك فأريت إلا خيراً .

(١) صحابي جليل كان يقر به رسول الله . وكان فائق الجمال ، ومن أجل ذلك كان يسميه عمر ابن الخطاب يوسف هذه الأمة . وكان يقول ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم .
(٢) عبد الرحمن بن عوف أحد أغنياء الصحابة ، وله حديث طويل فصلناه في الجزء الثاني من كتاب (التصوف الإسلامي) . (٣) هذا يدل على أن الصوف اللين المصقول عرفه الناس منذ زمن بعيد ، وهو غير الصوف الحشن الذي كان يلبسه الرهبان والنسك والذي نسب إليه الصوفية .

قوله نضائد الدياج واحدها نضيدة ، وهى الوسادة ، وما يُنضدُ من
المتاع ، قال الراجز :

وَقَرَّبْتُ خُدَامَهَا الْوَسَائِدَا حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا النَّضَائِدَا

* سَبَّحْتُ رَبِّي قَائِمًا وَقَاعِدًا *

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد ، والمعنى واحد ، إنما هو ما نُضِدُ في
البيت من متاع ، قال النابغة :

* وَرَفَعْتُهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالنَّضِدِ *

ويقال نَضَدْتُ المتاع إذا ضمنت بعضه إلى بعض فهذا أصله ، قال الله تبارك
وتعالى «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» وقال عز وجل « فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ »
ويقال نَضَدْتُ اللَّبَنَ عَلَى الْمَيْتِ . وقوله على الصوف الأذريبي فهذا منسوب
إلى أَذْرِيْبِيَّانَ ، وكذلك تقول العرب ، قال الشماخُ :

تَذَكَّرْتَهَا وَهَنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذْرِيْبِيَّانَ الْمَسَاحِ وَالْجَالِ (١)
وقوله « عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ » فالسعدان نبتٌ كثير الحسك تأكله الإبل
فتسمن عليه ، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره ، فمن أمثال العرب
« مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ » تفضيلاً له ، قال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمِائَةِ الْأَبْكَارَ زَيْنَهَا سَعْدَانٌ تُوْضِحُ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدُ
ويروى في بعض الحديث أنه يُؤْمَرُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُسْحَبُ عَلَى
السَّعْدَانِ ، والله أعلم بذلك .

(١) المساح : مواضع الخفاة وهى الثغور ، والمفرد مسلحة ، والجال : موضع بأذربيجان ، وهذا
البيت من كلمة قالها الشاعر في وصف غارة شهدها بسنجال من قرى أذربيجان .

(قال أبو الحسن: السَّعدان نبت كثير الشوك ، كما ذكر أبو العباس ، ولا ساق له ، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض . حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيى الشَّيباني عن ابن الأعرابي قال: قيل لرجل من أهل البادية ، وخرج عنها: أترجع إلى البادية؟ فقال: أمّا مادام السَّعدانُ مُسْتَلْقِيًا فلا ، يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبدًا كما أن السمدان لا يزول عن الاستلقاء أبدًا ، وقال أبو علي البصير واسمه الفضل بن جعفر - وإن لم يكن بِحُجَّةٍ ، ولكنه أجاد فذكرنا شعره هَذَا جَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عبید الله بن يحيى ابن خاقان و له فقال :

يا وُزراءَ السلطان أتم وآل خاقان

كبعض ما رَوَيْنَا في سالفات الأزمان

ماء ولا كصداء مرعى ولا كالسعدان

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان ، وفى ولا كالك ، وماء ولا كصداء ، تُضربُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فضلٌ وغيره أفضلٌ منه كقولهم مامن طامةٍ إلا فوقها طامةٌ ، أى مامن داهيةٍ إلا فوقها داهيةٌ ، ويقال : طما الماء وطمَّ إذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك ابن نويرة أخو متمم بن نويرة^(١) ، وصداءٌ مُمدٌ ، وبعضهم يقول صدئى ،

(١) متمم بن نويرة هو أشهر الناس جميعاً فى الرثاء ، وأبياته فى أخيه مالك لم يقل مثلها أحد فى مشرق ولا مغرب :

لقد لامنى عند القبور على البكا
فقال أتبكي كل قبر رأيتَه
رفيق لتذراف الدموع السوافك
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الشجى يبعث الشجى
فدعنى فهذا كله قبر مالك

فيضم أوله وَيَقْصُرُ ، فأما أبو العباس محمد بن يزيد ، فإنه قال لم أسمع من
من أصحابنا إلا صَدَاءَ يَأْفِي ، وهو اسم لماء ، معرفة ، وهما همزتان بينهما ألف ،
والألف لا تكون إلا ساكنة ، كأنك قلت صَدَاعِ يا هذا .

وقوله إنما هو والله الفجر أو البَجْرُ^(١) يقول إن انتظرت حتى يُضِيءَ لك
الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَكَ ، وإن خَبَطْتَ الظَّمَاءَ ، وركبتَ العَشْوَاءَ ،
هَجَمًا بك على المكروه ، ووضربَ ذلكَ مَثَلًا لَعَمْرَاتِ الدنيا ، وتحجيرها أهلها .
وقوله يَهِيضُكَ مأخوذ من قولهم هِيضَ العَظْمُ إذا جَبِرَ ثم أصابه شيء يُعْنِتُهُ
فآذاه فكسره ثانية ، أو لم يَكْسِرْهُ ، وأكثر ما يستعمل في كَسْرِهِ ثانية ،
ويقال عظم مَهِيضٌ ، وَجَنَاحٌ مَهِيضٌ في هذا المعنى ، ثم يشتق لغير ذلك ،
وأصله ما ذكرت لك ، فمن ذلك قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد
ابن المَهَلَّبِ سِجْنَهُ وَهَرَبَ ، فكتب إليه : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْتَقِي مَا فَعَلْتُ
وَأَكِنُّكَ مَسْمُومٌ وَلَمْ أَكُنْ لِأَضْعَ يَدِي فِي يَدِ ابْنِ عَاتِكَةَ (هو يزيد
ابن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ولي الملك بعد عمر
ابن عبد العزيز ، ولا يُعْلَمُ أَحَدٌ أَعْرَقَ فِي الخِلافةِ منه) فقال عمر « اللَّهُمَّ إِنَّهُ
قَدْ هَاضَنِي فَهِيضُهُ » فهذا معناه .

وقوله فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُهُ ، يقول امتلأ من ذلك غَضَبًا ، وذكر أنفه
دون السائر كما يقال فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه ، وهذا يكون من
الغضب كما قال الشاعر :

* ولا يُهَاجُ إِذَا مَا أَنْفُهُ وَرِمَا *

(١) البجر هو الشر أو الأمر العظيم .

أى لا يُكَلِّمُ عند الغضب ، ويقال للمائل برأسه كِبْرًا : مُتَشَاوِسٌ ، وَثَانِي عِطْفِهِ وَثَانِي جِيدِهِ ، إِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » وَقَالَ الشَّامِيُّ (يَهْجُو الرُّبَيْعَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ السَّامِيِّ) :
نُبِّئْتُ أَنْ رُبَيْعًا أَنْ رَعَى إِبِلًا يَهْدِي إِلَى خَنَاهُ ثَانِي الْجِيدِ
وقوله أراك بارئًا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من بَرَأْتُ من المرض و بَرَأْتُ ، كلاهما يقال ، فمن قال بَرَأْتُ قال أَبْرَأُ يَأْفَتِي لا غير ، ومن قال بَرَأْتُ . قال في المضارع أَبْرَأُ وَأَبْرُؤُ يَأْفَتِي ، مِثْلَ فَرَعٍ يَفْرَعُ وَيَفْرَعُ ، والآية تُقْرَأُ عَلَى وَجْهَيْنِ « سَنَفْرَعُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » وَسَنَفْرَعُ وَالْمصدر فِيهِمَا الْبُرءُ يَأْفَتِي .



ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عهدَ عند موته وهو :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا عَهَدَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالْدُنْيَا ، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ ، فِي الْحَالِ الَّتِي يُؤْمِنُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيَتَّقِي فِيهَا الْفَاجِرُ ، إِنِّي أَسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَإِنْ بَرَّ وَعَدَلَ فَذَلِكَ عَلَمِي بِهِ ، وَإِنْ جَارَ وَبَدَّلَ فَلَا عَلَمَ لِي بِالْغَيْبِ وَالْخَيْرِ أَرَدْتُ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا أَكْتَسَبَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

نُصِبَ أَيُّ بِقَوْلِهِ يَنْقَلِبُونَ وَلَا يَكُونُ نَصْبًا بِسِعْلَمَ لِأَنَّ حُرُوفَ الاسْتِفْهَامِ إِذَا كَانَتْ أَسْمَاءً أَمْتَمْتِ مِمَّا قَبْلَهَا كَمَا يَمْتَنِعُ مَا بَعْدَ الْأَلْفِ مِنْ أَنْ يَمَعَلَ فِيهِ

ما قبله ، وذلك نحو قولك « علمتُ زيداً منطلقاً » فإن أدخلت الألف قلت « علمتُ أزيداً منطلقاً أم لا » فأى بمنزلة زيدٍ الواقع بعد الألف ، ألا ترى أن معناها : إذا أم ذا . وقال الله عز وجل « لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » لأن معناها : أهذا أم هذا ؟ وقال تعالى : « فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا » على ما فسرتُ لك ، وتقولُ أَعْلَمُ أَيُّهُمْ ضَرَبَ زَيْدًا ، وَأَعْلَمُ أَيُّهُمْ ضَرَبَ زَيْدًا ، تنصب أياً بِضَرَبَ لأن زيدا فاعل ، فإنما هذا لما بعده ، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المُستفهم بها نحو « قد علمتُ غلامٌ أَيُّهُمْ في الدار ، وقد عرفتُ غلامٌ مَنْ في الدار ، وقد علمتُ غلامٌ مَنْ ضربت » فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب .



ومما يُؤثرُ من هذه الآداب ويُقدِّم قولُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها ، حدثنا العُشْبِيُّ قال لم أرَ أقلَّ منها في اللفظ ، ولا أكثر في المعنى ، حمّد الله وأثنى عليه وهو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَىٰ عِنْدِي مِنَ الضَّعِيفِ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَلَا أضعفُ عِنْدِي مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ » .

ثم نزل . وإنما حسنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قبْلِ الاختيار بما عَضَدَهُ به من الفعل المشا كل له .

(قال أبو الحسن: قد رَوَيْنَا هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي عَزَاهَا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ).



قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري
وهي التي جَمَعَ فِيهَا جُمَلَ الْأَحْكَامِ، وَاخْتَصَرَهَا بِأَجُودِ الْكَلَامِ، وَجَعَلَ النَّاسَ
بَعْدَهُ يَتَّخِذُونَهَا إِمَامًا، وَلَا يَجِدُ مُحِقًّا عَنْهَا مَعْدِلًا، وَلَا ظَالِمًا عَنْ حَدُودِهَا
مُحِصًّا، وَهِيَ:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ
مُتَّبَعَةٌ ، فَافْتَهُمُ إِذَا أَدْبَى إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بِحَقِّ لَا نَفَاذَ لَهُ ، أَسِيبٌ بَيْنَ
النَّاسِ فِي وَجْهِكَ ، وَعَدْلُكَ ، وَمَجْلِسُكَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعُ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ،
وَلَا يَيْئَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ ، الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ أَدْعَى ، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ
أَنْكَرَ ، وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صَلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ،
لَا يَمْنَعَنَّكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ فَرَأَجَعْتَ فِيهِ عَقْلَكَ ، وَهُدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ ،
أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمَرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادَى فِي
الْبَاطِلِ ، الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا تَلَجَّجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، ثُمَّ
اعْرِفِ الْأَشْبَاءَ وَالْأَمْثَالَ ، فَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْتَمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى
اللَّهِ ، وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ ، وَأَجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهَى إِلَيْهِ ،
فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةَ فَإِنَّهُ أَنْفَى

للسك ، وأجلى للعمى . المسامون عُذُولٌ بعضهم على بعض إلاَّ مجلُودًا في حدِّ
أو مجرَّبًا عليه شهادة زورٍ ، أو ظنينًا في ولاءٍ ، أو نسبٍ ، فإنَّ الله تولى منكم
السرائرَ ، ودرأ بالبينات والأيمان ، وإياك والغلقَ ، والضجرَ ، والتأذَى
بالخصوم ، والتتكُّرَ عند الخصومات ، فإنَّ الحقَّ في مواطن الحقِّ يُعْظِمُ الله
به الأجرَ ، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ ، فمن صَحَّتْ نَيْتُهُ ، وأُقْبِلَ على نفسه كفاه الله
ما بينه وبين الناس ، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه
شأنه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عزَّ وجلَّ في عاجلِ رزقه وخزائنه ،
رحمته ، والسلام . »

قال أبو العباس : قوله آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ،
يقول : سَوٌّ بينهم ، وتقديره اجعل بعضهم أسوةً بعضٍ ، والتأسيُّ من ذَا أن
يرى ذو البلاء مَنْ به مثلُ بلائه ، فيكون قدساواه فيه فيُسَكَّنَ ذلك من
وَجْدِهِ ، قالت الخنساء :

فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَغْزَى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
تقول أذكره في أوَّلِ النهار للغارة ، وفي آخره للضيَّفان . وتمثَّلَ مُصْعَبُ
ابن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِلَ بهذا البيت :

وإنَّ الألى بالطفِّ من آلِ هاشمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا^(١)

وقوله حتى لا يَطْمَعَ شريفٌ في حَيْفِكَ يقول في مَيْلِكَ معه لشرفه ، وقوله فيما تَلَجَّلَجَ في صدرك يقول تَرَدَّدَ ، وأصل ذلك المَضْعَةُ والأَكْلَةُ يُرَدِّدُهَا الرجلُ في فِيهِ فلا تزال تتردد إلى أن يُسَيِّعَهَا أو يَقْذِفَهَا ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَهَا بأخرى ، يقال لِلْعَيِّ جَلَّاجٌ ، وقد يكون من الآفة تَعْتَرِي اللسان . قال زُهَيْرٌ :

تَلَجَّلِجُ مَضْعَةً فِيهَا أَيْضٌ أَصَلَّتْ فِيهِ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءٌ

وقوله أَيْضٌ أى لم تَنْصَبْ ، ومن أمثال العرب « الحقُّ أْبْلَجُ والباطلُ جَلْبِجٌ » أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَحْرَجًا ، وقوله أَوْظَيْنَا في وِلاءٍ ، أو نسب ، فهو الْمُتَهَمُّ وأصله مَظْنُونٌ ، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول ظننت يزيد ، وظننت زيدًا أى اتَّهَمْتُ ، ومن ذلك قول الشاعر ، وأحْسِبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان :

فَلَا وَيَمِينِ اللَّهِ مَا عَن جِنَايَةٍ هُجِرْتُ وَلَكِنَّ الظَّنِّينَ ظَنِينُ

وفى بعض المصاحف « وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِظَنِينٍ » وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ من انْتَمَى إلى غير أبيه ، أو ادَّعَى إلى غير مَوَالِيهِ » فلما كانت معه الإقامة على هذا لم يره للشهادة موضعًا ، وقوله وَدَرَأَ بالبينات والأيمان إنما هو دَفَعَ ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْرَأْ وَالْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » وقال الله عز وجل « قُلْ فَادْرَأْ وَا عَن أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » وقال « فَادَارَأْتُمْ فِيهَا » أى تَدَافَعْتُمْ .

وأما قوله وإياك والغلق والصَّجَرُ فإنه ضيقُ الصدر ، وقلة الصبر ، يقال في سوء الخلقِ رجلٌ غَلِقُ ، وأصل ذلك من قولهم أَغْلِقَ عليه أمرُهُ إذا لم يَتَّضِحْ ولم ينفتح ، من ذلك قولهم غَلِقَ : الرَّهْنُ أى لم يوجد له تَخَلُّصٌ ، وأغْلَقْتُ البابَ من هذا ، قال زهيرٌ :

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لَا فَكَاكَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله ومن تَخَلَّقَ للناس يقول أَظْهَرَ للناس في خُلُقِهِ خلافَ نيته ، وقوله تَخَلَّقَ يريد أَظْهَرَ خُلُقًا مثل تَجَمَّلَ يريد أَظْهَرَ جَمَالًا وَتَصَنَّعَ ، وكذلك تَجَبَّرَ إنما تأويله الاظهار أى أَظْهَرَ جَبَرِيَّةً (وإن شئت جَبَرُوتَةً ، وإن شئت جَبَرُوتًا ، وإن شئت جَبَرُوتِي ، ومن كلام العرب على هذا الوزن رَهْبُوتِي خير لك من رَهْمُوتِي ، أى لَأَنْ تُرْهَبَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُرْهَمَ ^(١)) . قال أبو العباس وأنشدونا عن أبي زيد (الشعر لسالم بن وابصة الأَسَدِيُّ) :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيُّ غَيْرِ شَيْمَتِهِ (وَمِنْ سَجِيَّتِهِ الْإِدْفَالُ وَالْمَلْقُ

دَعِ التَّخَلُّقَ يَبْعُدُ عَنْكَ أَوَّاهُ) إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ

وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ فَأَنْظِرْ بَيْنَ تَثِقُ

قال وأنشدتني أم الهيثم الكلابية :

وَمَنْ يَتَّخِذُ خَيْمًا سِوَى خَيْمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خَيْمَهَا

(١) تذكر دائماً أن ما يقع بين قوسين هو في الأغلب من كلام الأخص .

وقال ذو الإصبع العَدَوَانِي (ذو الإصبع اسمه حُرثَانُ بن الحَارِثِ بنِ مُحَرَّتِ ،
وقيل له ذو الإصبع لأن أفعَى نَهَشَتْ إصبعه) :

كُلُّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَمَتَّعَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ
وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب إذا رجع وتأويله ما يثوب إليك
من مكافأة الله وفضله .



وكتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنهما حين
أُحِيطَ بِهِ :

« أما بعد : فإنه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ الحزام الطيبين ، وتجاوز
الأمر بي قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه :

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرًا كَلِّ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَمَا أَمَزَقِ »
قوله قد جاوز الماء الزبي ، فالزبيّة مصيدة الأسد ، ولا تُتَّخَذُ إِلَّا فِي قُلَّةٍ ، أَوْ
رَآيَةٍ ، أَوْ هَضْبَةٍ . قال الراجز :

(فَأَنْتَ وَالْأَمْرُ الَّذِي قَدْ كِيدَا) كَالَّذِ تَرَبَّى زُبِيَّةً فَأَصْطِيدَا

وقال الطرّ ماحُ :

يَاطِيءُ السَّهْلَ وَالْأَجْبَالَ مَوْعِدُكُمْ كَمَبْتَغِي الصَّيْدِ أَعْلَى زُبِيَّةِ الْأَسَدِ
(ويروى : فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ) وتقول العرب قد علا الماء الزبي ، وقد

بَلَغَ السُّكَيْنُ الْعَظْمَ ، وَبَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ ، وَقَدْ انْقَطَعَ السَّلَى فِي الْبَطْنِ ،
فالسَّلَى مِنَ الْمَرَاةِ وَالشَّاةِ مَا يَلْتَفُّ فِيهِ الْوَلَدُ فِي الْبَطْنِ . قال العجاجُ :

* فَقَدَ عَلَا الْمَاءُ الزُّبِّيَ فَلَا غَيْرَ * *

أى قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغَيَّرَ وَيُصْلَحَ . وقوله: وبلغ الحزام الطيبين ، فإن السَّبَاعَ والخَيْلَ يقال لمواضع الأَخْلَافِ مِنْهَا أَطْبَاءُ يَأْفَتِي ، واحدها طُبِيٌّ كما يقال في الظَّنِّ والخُفِّ خَيْبٌ ، هذا مكانٌ هذا ، فإذا بلغ الحزامُ الطيبين فقد انتهى في المكروه ، ومثل هذا من أمثالهم : التَّقَتْ حَلَقَتَا البِطَانِ ، ويقولون التَّقَتْ حَلَقَتَا البِطَانِ والْحَقَبُ ، ويقال حَقَبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ في الحَقَبِ . قال الشاعر : (قال أبو بكر هو الوليدُ بن يزيدَ بن عبد الملك ، وأوله :

سَلِيمِي تَلَكَّ فِي العَبْرِ	قِنِي إِنْ شِئْتِ أَوْ سِيرِي
فَلَمَّا أَنْ بَدَأَ الصُّبْحُ	بِأَصْوَاتِ العَصَافِيرِ
خَرَجْنَا نَبْتَمِي الصَّيْدَ	بِأَسْئَالِ اليَعَافِيرِ
إِذَا مَا حَقَبُ جَالَ	شَدَدَ ذَنَاهُ بِتَصْدِيرِ
(زَجَرْنَا العَيْسَ فَأَزَمَدَّتْ)	بِإِهْدَابِ وَتَشْمِيرِ)

وقال أوس بن حَجْرٍ :

وَأَزْدَمَّتْ حَلَقَتَا البِطَانِ بِأَقْوَا	مِ وَطَارَتْ نُفُوسُهُمْ جَزَعَا
وَتَمَثَّلُهُ بِالْبَيْتِ يَشَا كِلُ قَوْلِ القَائِلِ :	
فَإِنْ أَلُ مَقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي	فَبَعْضُ مَنَايَا القَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ



ويروى عن قنبر مولى علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلت مع علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فأحببا الخلوّة ، فأومأ إليّ عليّ بالتّنجي فتنجيت غير بعيد ، فجعل عثمان يعاتب عليّاً وعلى مطرق ، فأقبل عليه عثمان فقال : ما بالك لا تقول ؟ فقال : إن قلت لم أقل إلا ما تكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب .

تأويل ذلك : إن قلت اعتدّدت عليك بمثل ما اعتدّدت به عليّ فلذّعتك عتابي ، وعقدى الألفعل - وإن كنت عاتباً - إلا ما تحب .



وتحدّث ابن عائشة في إسناد ذكره أن علياً رضى الله عنه انتهى إليه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسّان بن حسان ، فخرج مغضباً يجرّ ثوبه حتى أتى النخيلة ، وأتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض ، فحمّد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه البسه الله الذلّ ، وسيما الخسف ، ودُيِّت بالصغار ، وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزّوهم من قبل أن يغزّوكم ، فوالذى نفسى بيده ما غزّى قوم قطّ في عقر دارهم إلا ذلّوا ، فتخاذلتم ، وتواكلتم ، وثقل عليكم قولى ، واتخذتموه وراءكم ظهريّاً ، حتى شنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، وقتلوا حسّان بن حسان ،

ورجالاً منهم كثيراً ونساءً ، والذي نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على
 المرأة المسلمة والمأهدة ، فَمُنْتَرَعُ أحجابهما ورُعُوثُهُمَا ، ثم انصرفوا مَوْفُورِينَ
 لم يُكَلِّمْ منهم أحداً كَلِّمًا ، فلو أن أُمْرَأً مساماً مات من دون هذا أسفًا
 ما كان عندي فيه مَلُومًا ، بل كان به عندي جَدِيرًا ، يا عَجَبًا كلَّ الْعَجَبِ ،
 عَجَبٌ يُمِيتُ القلبَ ، وَيَشْغَلُ الفَهْمَ ، وَيُكْثِرُ الأَحْزَانَ ، من تَصَافُرِ هَؤُلَاءِ القومِ
 على باطلهم ، وَفَشَلِكُمْ عن حَقِّكم ، حتى أَصْبَحْتُمْ غَرَضًا تَرْمُونَ وَلَا تَرْمُونَ ،
 وَيَفَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُقِيرُونَ ، وَيُعْصَى اللهُ عزَّ وجلَّ فيكم وَتَرَضُونَ . إذا قلتُ
 لكم أغزؤم في الشتاء قلتم هذا أَوَانُ قُرٍّ وَصِرٍّ ، وإن قلتُ لكم أغزؤم في
 الصيف قلتُ هذه حَمَارَةٌ القَيْظِ أَنْظِرْنَا يَنْصَرِمِ الحَرُّ عَنَا ، فإذا كُنتُمْ من الحرِّ
 والبرد تَفَرِّثُونَ ، فَأَنْتُمْ والله من السَّيْفِ أَفْرُ يا أَشْبَاهَ الرجالِ ولا رجالِ ،
 وَيَا طَعَامَ الأَحْلَامِ ، وَيَا عُقُولَ رَبَّاتِ الحِجَالِ ، والله لقد أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي
 بالعِصْيَانِ ، ولقد مَلَأْتُمْ جَوْفِي غَيْظًا حتى قالت قُرَيْشٌ : ابنُ أَبِي طالبٍ رجلٌ
 شجاعٌ ، ولكن لا رَأْيَ له في الحربِ . لله دَرَهُمْ وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمَ بِهَا
 مِنِّي ، أو أَشَدَّ لها مِرَاسًا ، فوالله لقد نَهَضْتُ فيها ، وما بَلَغْتُ العِشْرِينَ ،
 ولقد نَيْفَتُ اليومَ على السَّتينِ ، ولكن لا رَأْيَ لمن لا يُطَاعُ - يقولها ثلاثًا -
 فقام إليه رجلٌ ومعه أخوه (الرجلُ وأخوه يُعرفانِ بِأَبْنِي عَفِيفٍ من
 الأنصارِ) ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخي هذا كما قال اللهُ تعالى « رَبِّ إِنِّي
 لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي » فَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فوالله لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، ولو حال بيننا
 وبينه جَبْرُ الغَضَى ، وشَوْكُ القِتَادِ ، فدَعَا لهما بِخَيْرِ ، ثم قال لهما : وأين
 تَقَعَانِ مما أريدُ . ثم نَزَلَ .

قال أبو العباس قوله سِيما الخَسْفِ . قال هكذا حدّثونا ، وأظنه سِيَمِ الخَسْفِ يا هذا ، من قول الله عزّ وجل « يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ » ومعنى قوله سِيما الخَسْفِ تأويله عَلامَةٌ ، هذا أصلُ ذا . قال الله عزّ وجل : « سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » ، وقال عزّ وجل : « يُعَرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ » .

وقال أبو عبيدة في قوله عزّ وجل « مُسَوِّمِينَ » قال : مُعَمِّينَ واشتقاقه من السِيما التي ذكرنا ، ومن قال : مُسَوِّمِينَ ، فإنما أراد مُرْسَلِينَ : من الإبل السائمة : أي المُرْسَلَةَ في مراعيها ، وإنما أخذ هذا من التفسير ، وقال المفسرون في قوله تعالى : (وَالخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ) القولين جميعاً من العَلامَةِ والارسال ، وأما قوله عزّ وجل : (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً . قالوا : مُعَمِّمَةٌ ، وكان عليها أمثالُ الخَوَاتِيمِ ، ومن قال سِيما قَصَرَ ، ويقال في هذا المعنى سِيَمِياء ، ممدود ، قال الشاعر : (وهو ابن عَنقَاء الفَزَارِيُّ فِي عَمِيَلَةَ الفَزَارِيِّ) :

عُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً لَهُ سِيَمِياءُ لَا تَشْقُ عَلَى البَصَرِ
(كَأَنَّ التُّرْبَ يا عُلُقَّتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي جِيدِهِ القَمَرُ)
وقوله : وَقَتَلُوا حَسَّانَ بنَ حَسَّانٍ مِنْ أَخْذِ حَسَّاناً مِنْ الحُسْنِ صَرَفَهُ لِأَنَّ وَزَنَهُ فَعَالَ فالنون منه في موضع الدال من حَمَادٍ ، ومن أَخَذَهُ مِنَ الحَسِّ لَمْ يَصْرِفَهُ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ فَعَلانٌ فلا ينصرف في المعرفة ، وينصرف في النكرة ، لِأَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ فَعَلَى فهو بمنزلة سَعْدانٍ وسَرْحانٍ .

وقوله : دَيْتَ بالصَّغَارِ ، تأويله ذُلٌّ ، يقال للبعير إذا ذَلَّتْهُ الرِّيَاضَةُ بعير مُدَيِّتٌ أى مذلل .

وقوله : فى عُقْر دَارِهِمْ ، أى فى أصل دارهم والعُقْرُ الأصل ، ومن مَمَّ قِيل : لفلان عَقَارٌ ، أى أصل مال ، ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَنْ بَاعَ دَارًا أَوْ عَقَارًا فَلَمْ يَرُدُّ ثَمَنَهُ فى مثله فذلك مال قَنْ أَلَّا يُبَارَكَ لَهُ فِيهِ ، وقوله قَنْ يُرِيدُ خَلِيقٌ ، ويقال أيضاً قَيْنٌ وَقَيْنٌ (قال أبو الحسن : من قال قَنْ لَمْ يُبَيِّنْ وَلَمْ يَجْمَعْ^(١) ، وَمَنْ قَالَ قَنْ وَقَيْنٌ نَبَى وَجَمَعَ) ويقال للرجل إذا اتخَذَ صَنِيعَةً ، أَوْ دَارًا تَأَمَّلَ فَلانٌ أى اتخَذَ أصلَ مالٍ .

وقوله وتَوَا كَلْتُمْ : إنما هو مشتق من وكَلْتُ الأَمْرَ إِلَيْكَ وَوَكَلْتُهُ أَنْتَ إِلَى أَى لَمْ يَتَوَلَّهُ وَاحِدٌ مَنَا دُونَ صَاحِبِهِ وَلَكِنْ أَحَالَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا عَلَى الآخِرِ ، وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ الحُطَيْئَةِ :

فَلَأَيًّا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ أُمُومٍ إِذَا وَاكَلْتَهَا لَأَثُوا كِلُ
وقوله : « وَاتَّخَذُوا ثَمُوهُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرِيًّا » أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا إليه ، ويقال فى المَثَلِ : لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ ، أى لا تَطْرَحْهَا غير ناظر إليها .

وقوله : حَتَّى سُدَّتْ عَلَيْكُمْ الغاراتُ يَقُولُ صُبَّتْ ، يقال سَدَّنْتُ المَاءَ عَلَى رَأْسِهِ : أى صَبَبْتُهُ ، وَسَدَّنْتُ الشَّرَابَ فى الإِنَاءِ أى صَبَبْتُهُ ، وَمَنْ كَلَامُ العَرَبِ : فَلَمَّا لَقِيَ فُلانٌ فُلانًا سَدَّنَهُ السَّيْفَ ، أى صَبَّهُ عَلَيْهِ صَبًّا .

وقوله : هَذَا أَخُو غامِدٍ ، فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بنى

(١) أى لأنه أراد المصدر ، فيقال : حا قن ، وم قن .

غامد بن نصر بن الأزدي بن العوث ، وفي هذه القبيلة يقول القائل :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ
تَمَنِّيْتُمْ مَائِي فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاحِدُ

(هُوَ رَيْبَعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ)

فَلَيْتَ لَنَا بِأَرْتِبَاطِ الْخَيْوِ لِي ضَانًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

وقوله : فَمَنْ تَزَعُ أَحْجَاهُمَا ، يعني الخلائيل ، واحدها حَجَل ، ومن هذا قيل للدابة مُحَجَّلٌ ، ويقال للقيد حَجَلٌ لأنه يقع في ذلك الموضع ، قال جرير :
يُعَيِّرُ الْفَرَزْدَقَ حِينَ قَيَّدَ نَفْسَهُ ، وَأَقْسَمَ أَلَا يُحْلِلُهَا حَتَّى يُحْفَظَ الْقُرْآنَ ، فلما
هاجى جرير البعيث هجا الفرزدق جريراً مَعُونَةً لِلْبَيْعِثِ وَذَبَابًا عَنْ عَشِيرَتِهِ ،
فقال جرير :

وَمَا أَتَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِيَّ بِأَسْتِهِ فَرَعَتْهُ إِلَى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحُجْلِ

(يعني بقوله : ولما أتى القين العراقى بأسته البعيث ، وسماه القين لأنه من
رَهْطِ الْفَرَزْدَقِ) ومعنى فرغت عمدت . قال الله عز وجل : سَنَفْرُغُ لَكُمْ
أَيُّهَا الثَّقَلَانِ . أى سَنَعْمِدُ (تميمٌ تقول فرغ فرغاً ، وأهل المالية وهم
قُرَيْشٌ ، وَمَنْ وَالَاهَا يَقُولُونَ فَرَعٌ يَفْرُغُ فُرُوعًا) وقوله : وَرُعُومُهُمَا الْوَاحِدَةُ
رُعْمَةٌ ، وجمعها رِعَاثٌ ، وجمع الجمع رُعُوثٌ ، وهى الشنوف .

وقوله : ثم انصرفوا موفورين من الوفر ، أى لم ينل أحدٌ منهم بأن
يُرْزَأَ فِي بَدَنِ وَلَا مَالٍ ، يقال فلانٌ مَوْفُورٌ ، وفلان ذو وِفْرِ : أى ذو مال ،
ويكون مَوْفُورًا فِي بَدَنِهِ إِذَا ذَكَرَ مَا أُصِيبَ بِهِ غَيْرُهُ فِي بَدَنِهِ . قال حاتم الطائي :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفَرُّ
ويروى: أمسى له وفر.

وقوله: لم يكلم أحد منهم كلمة: يقول لم يحدث أحد منهم خدشاً،
وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فَهُوَ كَلْمٌ. قال جرير:

تَوَاصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ بِرِدِّ الْخَيْلِ دَامِيَةَ الْكُلُومِ

وقوله: مات من دون هذا أسفاً، يقول تحسراً، فهذا موضع ذا، وقد
يكون الْأَسْفُ الْغَضَبُ. قال الله عز وجل: « فَأَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ »
وَالْأَسِيفُ يَكُونُ الْأَجِيرَ، وَيَكُونُ الْأَسِيرَ، فَقَدْ قِيلَ فِي بَيْتِ الْأَعَشَى:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده، وقيل بل هو أسير قد كبلت يده،
ويقال قد جرحها الغل، والقول الأول هو المجمع عليه، ويقال في معنى
أَسِيفٍ عَسِيفٌ أَيضًا.

وقوله من تصافر هؤلاء القوم على باطلهم، يقول من تعاؤنهم وتظاهروا بهم

وقوله: وفشلكم عن حكم، يقال: فشل فلان عن كذا إذا هابه
فَنَكَلَ عَنْهُ، وَاِمْتَنَعَ مِنَ الْمَضِيِّ فِيهِ.

وقوله قلم هذا أوان قرٍ وصرٍ فالصرُّ شدة البرد، قال الله عز وجل:

« كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ».

وقوله: هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف، وحمارته اشتداد حره

واحتدائه، وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه بيت شعر لأن كل ما كان

فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضربٍ منه
يقال له المتقاربُ فإنه جَوُوزٌ فيه على بُعدِ التقاء الساكنين ، وهو قوله :

فَذَاكَ الْقِصَاصُ وَكَانَ التَّقَا صُ فَرَضًا وَحَتْمًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ

ولو قال وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في
في هذه العروض ، ولا نظير له في غيرها من الأعراب .

وقوله : ويا طَعَامَ الْأَحْلَامِ فَجَازُ الطَّعَامِ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ،
ولا معرفة عنده ، وكانوا يقولون طَعَامُ أَهْلِ الشَّامِ كما قال :

(إِذَا مَا كَانَ مِثْلَهُمْ رِجَامًا) فَمَا فَضْلُ اللَّيْبِ عَلَى الطَّعَامِ

وقوله : ويا عقولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ يَنْسَبُهُنَّ إِلَى ضَعْفِ النِّسَاءِ وَهُوَ السَّائِرُ
في كلام العرب . قال الله تعالى يذكر البنات : (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) .



باب

قال أبو العباس : من كلام العرب : الاختصار المفهم ، والاطناب المفخم
وقد يقع الايماء إلى الشيء فيغني عن ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لمحة
دالة ، وقد يضطر الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ ،
فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإن انعطفت عليه
جنبتا الكلام غطتا على عواريه ، وسترتا من شينه ، وإن شاء قائل أن يقول
بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كأن ذلك له ،
ولكن يغتفر السيئ للحسن ، والبعيد للقريب .

فمن أفاض العرب البيئة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف
قول الحطيئة :

وَذَاكَ فَتَىٰ إِن تَأْتِيهِ فِي صَنِيعَةٍ إِلَىٰ مَالِهِ لَا تَأْتِيهِ بِشَفِيعِ
وكذلك قول عنترة :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي أَغْشَى الْوَعْيَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وكما قال زهير :

عَلَىٰ مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مِّنْ يَّعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ
ومما وقع كالايماء قول الفرزدق :

ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا وَقَضَىٰ عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف ، فقال وقضى
عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى « وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ
لَيَبُتُّ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

ومن كلامه المُستَحْسَنِ قوله لجرير :

فَهَلْ ضَرَبَتْهُ الرُّومِيَّ جَاعِلَةً لَكُمْ أَبَاعَنْ كَلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة ، وأهجن الألفاظ ، وأبعد المعاني قوله :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَ أَبُو أُمَّهِ حَىُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد
الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثله في الناس
إلا مُمَلَّكَ يعني بالمُملَكِ هشامًا ، أبو أمّ ذلك المُملَكِ أبو هذا المدوح ، ولو
كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا ، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ في
مَوْضِعِهِ أن يقول : وما مثله في الناس حَىُّ يُقَارِبُهُ إِلَّا مُمَلَّكَ أَبُو أُمَّ هذا المُملَكِ
أبو هذا المدوح ، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهَجَنَهُ بِمَا أَوْقَعَ فِيهِ
من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع
قوله حيث يقول :

تَصَرَّمَ مَنِيَّ وَدُّ بَكَرِ بْنِ وَائِلٍ وَمَا كَادَ مَنِيَّ وَدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُّونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيَفْعَمُ

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ
فهذا أوضح معنى ، وأعرب لفظ ، وأقرب مأخذ .

وليس لقدم العهدِ فضلُ القائل ، ولا لحدنانِ عهدٍ يُهْتَمُّ المصيب ،
ولكن يُعطى كلُّ ما يستحق ، ألا ترى كيف يفضل قول عُمارةَ على
قرب عهده :

تَبَحَّثْتُمْ سُخْطِي فَغَيَّرَ بَحْثَكُمْ نَحِيلَةُ نَفْسٍ كَأَنَّ نُصْحًا ضَمِيرُهَا
وَلَنْ يُلَبِّثَ التَّحْشِينَ نَفْسًا كَرِيمَةً عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا نُظْفَةٌ بِقَرَارَةٍ إِذَا لَمْ تُكَدِّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

فهذا كلام واضح ، وقول عذب ، وكذلك قوله أيضاً :

بَنِي دَارِمٍ إِنْ يَفْنُ عُمُرِي فَقَدْ مَضَى حَيَاتِي لَكُمْ مِثْنِي ثَنَاءٌ مُخَلَّدٌ
بَدَائِمٌ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا وَإِنْ عُذْتُكُمْ أُنْتَيْتُ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ



ومما يُفَضَّلُ لِتَخْلُصِهِ مِنَ التَّكْلُفِ ، وسلامته من التزَيُّدِ ، وبُعده من

الاستعانة قولُ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ يَنِينِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ أَرْآمِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ
(قيل في سِتْرِ اللَّهِ الإِسْلَامُ ، وقيل فيه إنه الشَّيْبُ ، وقيل ماحَرَّمَ اللَّهُ عليهما) .

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيئَهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ
(يَرَى النَّاسُ أَنِّي قَدَسَلَوْتُ وَإِنِّي لَمَرْمِيُّ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمٌ

يقول رَمَتْنِي بطرفها وأصابني بمحاسنها ولو كنتُ شاباً لَرَمَيْتُ كما رُميتُ ،

وَفَتَنْتُ كَمَا فُتِنْتُ ، وَلَكِنْ قَدْ تَطَاوَلَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ ، فَهَذَا كَلَامٌ وَاضِحٌ
(قَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبَيْتَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ شَيْبٍ وَرَوَى * عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ * وَزَادَ فِيهِ :
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ جِازَاتٍ يَيْتَهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ
الْكِنَاسُ وَالْمَكْنَسُ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الظُّبَاءُ ، وَجَمَعَ الْكِنَاسُ كُنُسًا
وَجَمَعَ الْمَكْنَسُ مَكَالِسَ ، وَرَمِيمٌ اسْمٌ جَارِيَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعِظَامِ الرَّمِيمِ ، وَهِيَ
الْبَالِيَةُ ، وَكَذَلِكَ الرَّمَّةُ وَالرَّمَّةُ الْقِطْعَةُ الْبَالِيَةُ مِنَ الْحَبْلِ ، وَكُلُّ مَا اشْتَقَّ مِنْ
هَذَا فَالِيهِ يَرْجِعُ) .



قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْاسْتِعَانَةِ ، فَهُوَ أَنْ يُدْخَلَ فِي
الْكَلَامِ مَا لِحَاجَةٍ بِالْمَسْتَمِعِ إِلَيْهِ لِيُصَحَّحَ بِهِ نَظْمًا أَوْ وَزْنًا إِنْ كَانَ فِي شِعْرِ ،
أَوْ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ مَا بَعْدَهُ إِنْ كَانَ فِي كَلَامٍ مَشْهُورٍ ، كَنَحْوِ مَا تَسَمَّعُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ
كَلَامِ الْعَامَةِ مِثْلَ قَوْلِهِمْ : أَلَسْتَ تَسْمَعُ ؟ أَفَهَمْتَ ؟ أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَمَا أَشْبَهَ هَذَا ،
وَرَبْمَا تَشَاغَلَ الْعَيْثُ بِفِتْلِ إِصْبَعِهِ ، وَمَسَّ لِحْيَتِهِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ بَدَنِهِ ، وَرَبْمَا
تَنَحَّجَّحَ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ يَعِيبُ بَعْضَ الْخُطَبَاءِ فِي شِعْرِ :
مَلِي بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسُؤْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُشُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَصِفُ خَطِيئًا مِنْهُمْ بِالْجُبْنِ ، وَأَنَّهُ مُجِيدٌ لَوْلَا أَنْ
الرُّعْبَ أَذْهَلَهُ :

تَحَنَّجَّحَ زَيْدٌ وَسَمِعَ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلَ

وَيَأْمُهُ إِذَا أُرْتَجَلَ ثُمَّ أَطَالَ وَأُخْفَلَ

(وقال رجل يصف رجلا من إباد بالعمي ، وكان أبوه خطيباً وخاله :

جَمَعْتَ صُنُوفَ الْعَمِيِّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَكُنْتَ مَلِيئًا بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثَبِ
أَبِيكَ مَعَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوَّلٌ^(١) وَخَالَكَ وَثَابُ الْجَرَائِمِ^(٢) فِي الْخُطْبِ)

ومما يشاكل هذا المعنى ، ويُجَانِسُ هذا المذهب ، ما كان من خالد بن عبد
الله القسري فإنه كان متقدماً في الخطابة ومُتَنَاهِيًا في البلاغة ، فخرج عليه
المغيرة بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلاً فَعَطَّطُوا به^(٣) ، فقال خالد :

أَطْعِمُونِي مَاءً ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَعَيَّرَ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ بِهِ هِشَامٌ إِلَيْهِ فِي رِسَالَةٍ
يُؤَبِّحُهُ فِيهَا ، وَسَنَدَكُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَعَيْرُهُ يَحْيَى بْنُ تَوْفَلٍ فَقَالَ :

لِأَعْلَاجٍ^(٤) ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ لَثِيمِ الْأَصْلِ فِي عَدَدِ يَسِيرِ
هَتَفَتْ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

فهذا عارض^(٥) ، وقال آخر يعيره :

بَلِّ الْمَنَابِرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ^(٦) وَأَسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لِمَا جَدَّ فِي الْهَرْبِ
وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُوَلِّعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ
ومما يُسْتَحْسَنُ لَفْظُهُ ، وَيُسْتَعْرَبُ معناه ، وَيُحْمَدُ اخْتِصَارُهُ ، قولُ أعرابيٍّ

مِنْ بَنِي كِلَابٍ :

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي بِحَجْرٍ إِلَى أَهْلِ الْجَمَى غَرِضَانَ

(١) معم ومخول : كريم الأعمام والأخوال . (٢) الجرائم : الأماكن العالية ، والمراد شريفات
المعاني . (٣) عططوا : من العططة ، وهي اختلاف الأصوات واختلاطها في الحرب .
(٤) الأعلاج : من غلظت أبدانهم من الكفار . (٥) أي طارىء عليه لا يقدره في اقتداره
الحلى عطابة . (٦) الوهل : الفزع .

(هَوَى نَاقِي خَلْفِي وَقُدَّامِي الْهُوَى وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَاتِ)
تَحْنُ فِتْبُدِي مَا بَهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي
(أنشد صاعِدٌ بعدهما زيادةً فيهما :

فِيَا كَبِدَيْنَا أَجْمَلًا قَدْ وَجَدْتُمَا بِأَهْلِ الْحِمَى مَالِمَ يَجِدُ كَبِدَانَ
إِذَا كَبِدَانَا خَافَتَا وَشَكَ نِيَّةً وَعَاجِلَ بَيْنِ ظَلَّتَا تَجِبَانَ (١)

يريد لقضى على ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج .
قال الله عز وجل : « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » والمعنى إذا كالوا
لهم أو وزنوا لهم ، ألا ترى أن أول الآية : « الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى
النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ » فهو لاء أخذوا منهم ثم أعطوهم ، وقال الله تبارك وتعالى :
« وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا » أي من قومه ، وقال الشاعر
(هُوَ أَعْشَى طَرُودٍ وَاسْمُهُ إِيَّاسُ بْنُ عَامِرٍ) :

أَمْرَتِكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتِكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ
أى أَمْرَتِكَ بِالْخَيْرِ ، وَمِنْ ذَا قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمِنَّا الَّذِي أَخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَازِرُ
أى من الرجال ، فهذا الكلام الفصيح .

وتقول العرب : أَمَرْتُ ثَلَاثًا مَا أَذَوْفُهُنَّ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا : أى ما أذوقُ

فيهنَّ ، وقال الشاعر :

(١) تجبان : تخفنان ، والمصدر الوجيب .

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا^(١) قَلِيلًا سِوَى الطَّعْنِ النَّهَالِ نَوَافِهِ^(٢)
قال أبو الحسن قوله: لم يفرض، أى لم يشتق، يقال: غرّضت إلى لقاءك،
وحنّنت إلى لقاءك، وعطّشت إلى لقاءك، وجعّمت إلى لقاءك: أى اشتقت،
أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، وأنشدنا عنه:

مَنْ ذَا رَسُولٍ نَاصِحٍ فَبُلِّغْ عَنِّي عُلْيَةَ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ
أَنْنِي غَرَضْتُ إِزْوَاجًا تَنَاصُفَ وَجْهَيْهَا غَرَضَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ
التنصيف الحسن. وأما قوله: لقضاني فإنما يريد لقضى على الموت، كما قال
الله تبارك وتعالى: « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ » فالموت في النية وهو معلوم
بمنزلة ما نطقت به، فهذا ناسب هذا قوله عز وجل: « وَأَخْتَارَ مُوسَى
قَوْمَهُ » وكذلك قوله تعالى: « كَالْوَهْمِ » فالشئ المكيل معلوم، فهو
بمنزلة ما ذكر في اللفظ، ولا يجوز مررت زيدا، وأنت تريد مررت بزید،
لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر، وذلك أنه فعل الفاعل في نفسه، وليس فيه
دليل على المفعول، وليس هذا بمنزلة ما يتعدى إلى مفعولين، فيتعدى إلى
أحدهما بحرف جر، وإلى الآخر بنفسه، لأن قولك اخترت الرجال زيدا،
قد علمت بذكر زيدا أن حرف الجر محذوف من الأول، فأما قول الشاعر،
وهو جرير، وإنشاد أهل الكوفة له، وهو قوله:

تَمْرُونَ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامُ

(١) شهدناه: أى شهدنا فيه. (٢) برى الشيخ المرصفي أن صواب الرواية (سوى طعن النهال) بمحذوف الألف واللام، والنهال الرماح العطاش تروى بالبناء، والنوافل الغنائم وهي مرفوعة بتليلا.

ورواية بعضهم له «أَتَمُّونَ الدِّيَارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك ، والسمع الصحيح ، والقياس المُطَرِّدُ ، لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوَايَةُ الشَّاذَّةُ . أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عُمَارَةَ بن عَقِيلِ بن بلال بن جَرِيرِ :

* مَرَزْتُمْ بِالْدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يَدُلُّكَ على أن الرواية مُعَيَّرَةٌ ، فأما قولهم : أقت ثلاثاً ما أذوقهن

طعاماً ولا شراباً ، وقولُ الراجز :

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلَامُ^(١) بِكَيْدِ خَالِطَهَا سَسَامُ

* فِي سَاعَةِ يُحِبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد في ساعة يُحِبُّ فيها الطَّعَامُ ، وكذلك الأوَّلُ معناه ما أذوقُ فيهنَّ ، فليس هذا عندي من باب قوله جَلَّ وَعَلَا « وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ » إلا في الحذف فقط ، وذلك أن ضمير الظرف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَةِ ، كقولهم يَوْمُ الْجُمُعَةِ سِرُّهُ ، ومكانُكُمْ قِتُّهُ ، وشَهْرُ رَمَضَانَ صُمَّتُهُ ، فهذا يُشَبِّهُ في السَّعَةِ بقولك زيدٌ ضربتُهُ وما أشبهه ، فهذا يَبِينُ^(٢) .

قال أبو العباس : ومما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُّ قولُ أعرابيٍّ من بني سَعْدِ ابن زيد مَنَاءَ بن تميم ، وكان مُمْلَكًا^(٣) ، فنزل به أضياف ، فقام إلى الرحى فطحن لهم ، فَرَرَتْ به زوجته في نِسْوَةٍ ، فقالت لهنَّ : أهذا بَعْلِي ؟ فَأَعْلِمَ بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي مُحَلِّمٍ له يعني السَّعْدِيُّ) :

(١) صبحت أنت بالتصبيح وهو الفطور . (٢) هذا نهاية كلام ابن القوطية .

(٣) مملكا : اسم مفعول من أملكه المرأة : زوّجه إياها .

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا يَمِينَهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي وَتَبَيَّنِي بَلَاءِي إِذَا التَّفَتَّ عَلَى الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانُ ذُو غِرَارَيْنِ يَا بَسُ
إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ مُحَيَّاهُ الْأَلْدُ الْمُدَاعِسُ
لَعَمْرُؤِ أَبِيكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لِيُضَيِّقِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله المتقاعس إنما هو الذي يُخْرِجُ صَدْرَهُ وَيُدْخِلُ ظَهْرَهُ ، ويقال عِزَّةُ قَعَسَاءَ ، وإنما هذا مثلٌ ، أى لا تَضَعُ ظَهْرَهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذى يَتَقَاعَسُ بِالرَّحَى لم يَجُزْ ، لأن قوله بالرحى من صلة الذى ، والصلة من تمام الموصول ، فلو قدمها قبله لكان لحنًا وخطأً فاحشًا ، وكان كَمَنْ جَعَلَ آخِرَ الْأَسْمِ قَبْلَ أَوَّلِهِ ، ولكنه جَعَلَ الْمُتَقَاعَسَ اسْمًا عَلَى وَجْهِهِ ، وجعل قوله بالرحى تَبَيَّنَا بِمَنْزِلَةِ لَكَ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ قَوْلِكَ سَقِيَا ، وبمنزلة بِكَ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ مَرْحَبَا ، فَإِنْ قَدَّمْتَهَا قَبْلَ سَقِيَا وَمَرْحَبَا فَذَلِكَ جَيِّدٌ بَالِغٌ ، تقول بك مرحبًا وأهلاً ، وتقول لك حمدًا ، ولزيدٍ سَقِيَا ، فأما قولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » وكذلك « وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَ النَّاصِحِينَ » فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون : وأنا ناصحٌ لكما ، وأنا شاهدٌ على ذلكم ، ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيراً لشاهدي وناصح ، ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل فى الصلة ، ويكون على مذهب المازنى . وقال أبو العباس : وهو الذى أختار ، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى ، ألا ترى أنك تقول نِعَمَ الْقَائِمِ زَيْدٌ ، ولا يجوز نِعَمَ الذى قام زيد ، وإنما هو بمنزلة قولك نِعَمَ الرَّجُلِ زَيْدٌ ، وهذا الذى

شرحناه متصلٌ في هذا الباب كُله مُطَرِّدٌ على القياس ، وقوله :
* أَسْتُ أَرْدُ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ * فإنما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع
السهم إذا رجع النَّصْلُ متأخراً في السِّنْجِ^(١) ، ويقال ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا
سقط ، فدخلت عُتْقُهُ في جوفه ، فالكلام مُشْتَقٌّ بعضُه من بعض ، ومُبَيَّنٌ
بعضُه بعضاً ، فيقال من هذا في المثل ذهب فلانٌ في حاجتي فارتدع عنها أي
رجع ، وكذلك : فلان لا يَرْتَدِعُ عن قبيح ، والأصل ما ذكرت لك أولاً .
ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدابة ، وعلى الجبل ، أي فوق كل واحد
منهما ، ثم تقول فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً ، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ ، وإنما يريد أن
الدَيْنَ علاه وقهره ، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها ،
وكذلك : علا فلانُ القومَ ، إذا علام بأمره وقهرهم ، أو جُعِلَ في هذا الموضع .
وقوله : * وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسٌ * فالغِرَارُ هاهنا الحَدُّ
وللغِرَارُ مواضع .

قال أبو العباس : وحدثني الرِّيَاشِيُّ في إسناده قال قال جَبْرُ بن حبيب ،
وذكر الراعي أخطأ الأَعْوَرَ قال ولم يَعْلَمْ الحَاكِي عنه أن الراعي كان أَعْوَرَ
إلا من هذا الخبر في قوله :

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ^(٢) كَسَرَنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغِرَارَ^(٣)

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ لأن الغرار ههنا هو الحد ، وذهب جَبْرُ إلى أنه
المثال ، وقد يكون المثال وليس ذلك بما نعه من أن يَحْتَمِلَ مَعَانِي ، يقال بَنَوْنَا

(١) السنج : الأصل ، وهو هنا طرف الريح . (٢) القف : حجارة غاص بعضها ببعض .

(٣) العير : ما تنأى في وسط النصل .

يوتهم على غرار واحد أى على مثال واحد ، كما قال عمرو بن أحمـر الباهلي :
وَضَعْنَ وَكُلَّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ ^(١) قَدْ وَسَقَتْ جَنِينًا ^(٢)
(الرواية عن أبي العباس وَضَعْنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعْنَ بضم
الواو وكسر الضاد) .

ويقال لِسُوقِنَا دِرَّةً وَغِرَارٌ أَى نَفَاقٌ وَكَسَادٌ ، فهذا معنى آخر ، وإنما
تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء ، ومن هذا غار الطائر
فَرَخُهُ ، لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شىء ، وكذلك غارتِ الناقةُ فى الحلبِ ،
ويقال من هذا ما نمتُ إلا غراراً ^(٣) . قال الشاعر :

ما أذوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءِ التَّمَادِ ^(٤)

فَكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه .

وقوله : * يَهَابُ مَحْمِيَاهُ الْأَلْدُ الْمُدَاعِسُ * فأصل الحُمَيَّا إنما هى
صَدْمَةٌ الشىء ، يقال فلان حامى الحُمَيَّا ، ويقال صَدَمْتُهُ مَحْمِيَا الكَأْسِ ، يراد
بذلك سَوْرَتُهَا .

وقوله الألد فأصله الشديد الخصومة ، يقال خَصَمَ اللهُ : أى لا يثنى عن
خصمه . قال الله عزّ وجل : « وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا » كما قال « بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ » وقال مهلهل :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَخَصِيًّا أَلْدًا ذَا مِعْلَاقٍ
فيروى مِعْلَاقٌ ، فمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُفْلِقُ الحُجَّةَ على الخصم ، ومن

(١) هجان اللون : المراد بيش اللون . (٢) وسقت : حملت . (٣) أى قليلا .

(٤) حسا الطائر الماء : أخذه بفيه ، والتَّمَاد : اسم للماء القليل .

قال ذا مِعْلَاقٍ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّهُ إِذَا عَلِقَ خَصْمًا لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهُ ، وَجَعَلَ
السَّعْدِيُّ الْأَلَدَّ الَّذِي لَا يَنْتَنِي عَنِ الْحَرْبِ تَشْبِيهَا بِذَلِكَ ، وَالْمُدَاعِسُ الْمُطَاعِنُ
يُقَالُ دَعَسَهُ بِالرَّمْحِ إِذَا طَعَنَهُ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُبَابِ السَّلْمِيُّ :

أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمُغَلَّسِ وَبِالْقِنَاةِ مَا زِنِي مِدْعَسُ

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدى: * أبعلي هذا بالرحى المتقاعس *
بالرحى تبين ولم يوضحه ، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: أبعلي
هذا بالرحى المتقاعس ، فإن المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع ، فكأنه قال وقع
التقاعس بالرحى ، ولم يرد أن يُعْمَلَ المتقاعس في قوله بالرحى ، لأنه في الصلّة ،
والصلّة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء ، فكما لا يجوز أن يتقدم
حروف الاسم بعضها على بعض ، لم يجوز أن تتقدم الصلّة على الموصول ، فأما
قول الله عزّ وجل « وَقاسمهما إني لَكُمْ مِنَ النَّاصِحِينَ » وكذلك « وَأَنَا عَلَى
ذِكْرِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » فإنه يكون على التبيين الذي قدّمنا ذكره وهو قول
البرصيين أجمعين ، إلا أن أبا محمد الجرّمي^(١) أجاز أن يُجْعَلَ لكما ، وعلى ذلكم
مُعَلِّقِينَ بشيئين محذوفين دلّ عليهما من الناصحين ومن الشاهدين ، لأن من
مُبَعَّضَةٌ ، فكأنه قال والله أعلم : وَقاسمهما إني ناصح لكما من الناصحين ،
وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين ، وأما اختياره وذكّره أنه قول المازني ،
وجعله الألف واللام للعهد مثلهما في الرجل وما أشبهه ، فإن هذا القول غير
مرضيّ عندي ، لأنك إذا قلت نِعَمَ الْقَائِمُ زَيْدٌ ، فجعلت الألف واللام كالألف
واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه ، فإنه

(١) نسبة إلى بني جرم لأنه مولاهم ، وهو من نخاة البصرة مات سنة ٢٢٥

إذا كان هكذا دخل في باب الأسماء الجامدة ، وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل ، وامتنع من أن يعمل مؤخرًا إلا على حيلة ووجهٍ بعيدٍ من التبيين الذي ذكرنا ، وإذا كان في التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل إذا تقدم عليه الظرف ؟ وهذا مستحيل لا وجه له ، وأما إنشاده :

* لَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا * فَإِنَّ هَذِهِ آيَاتُ أَرْبَعَةٍ أُنْشِدْنَاهَا عَنِ الزِّيَادِيِّ^(١) ، وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَحْسِنُهَا ، وَهِيَ لِأَعْرَابِيٍّ قَالَ :

مَا لِعَيْنِي كَجِلَّتْ بِالشَّهَادِ وَجَنِّي نَائِبًا عَنِّ وَسَادِي
لَا أَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءِ التَّمَادِي
أَبْتَنِي إِصْلَاحَ سَعْدِي بِجُهْدِي وَهِيَ تَسْمَى جُهْدَهَا فِي فَسَادِي
فَتَتَارَكْنَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ رُبَّمَا أَفْسَدَ طَوْلُ التَّمَادِي

وأما إنشاده : * وَضَعْنَ وَكُلَّهِنَّ عَلَى غِرَارٍ * فَإِنَّ الْبَيْتَ لِعَمْرٍو بْنِ أَحْمَرَ
ابْنِ الْعَمَرِّدِ الْبَاهِلِيِّ .

قال أبو العباس : ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبي الطخماء
الأسدي يمدح قوما من أهل الحيرة^(٢) من بني امرئ القيس بن زيد مناة
ابن تميم ثم من رهط عدى بن زيد العبادي^(٣) قال :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمَ بُزُورَةَ صَاحِبًا^(٤) وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ وَصَدِيقُ

(١) نسبة إلى زياد الذي استلقه معاوية بن أبي سفيان ، مات سنة ٢٤٩ .

(٢) الحيرة : بلد قديم بظاهر الكوفة ، وللشريف الرضي قصيدة رائية في بكاء سكانه القدماء .

(٣) نسبة إلى العباد ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٤) زورة : موضع بين الكوفة والشام .

وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاءَ يَمْزُجُ مَاءَهَا شَرَابٌ مِنَ الْبُرُوقَتَيْنِ عَتِيقٌ^(١)
مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيْقُ
بَنُو السَّمْطِ وَالْحَدَّاءِ كُلُّ سَمِيْدَعٍ لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقٌ^(٢)
وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أَحِبَّهُمْ وَيَرْتَاخُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتَوَقُّ

قال أبو العباس : أنشدني هذا الشعر أبو محمّل ، ثم أنشدني رجل نصراني يُكنى أبا يحيى ، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مدحوا به ، وذَكَرَ أَنَّهُ يَذْكَرُ طَخِيماً وَهُوَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ وَيَظَلُّ عِنْدَهُمْ ، قَالَ هَذَا النَّصْرَانِي وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَدَّاءِ ، قَالَ أَذْكَرُهُ وَأَنَا صَغِيرٌ جَدًّا ، وَالسُّلْطَانُ يُطْلِبُهُ لِقَوْلِهِ :

* له في العروق الصالحات عروق *

يقول : أتقول هذا لقومٍ من النصارى ؟ وكان هذا النصراني قد قاربَ مائة سنة فيما ذَكَرَ .

وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فضولٍ ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء ، كما قال زهير :

يَجْرُونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ مُمِيًّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ
ويقال إن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَضْلُ الْإِزَارِ فِي النَّارِ)
إنما أراد معنى الخيلاء ، وقال الشاعر :

وَلَا يُنْسِنِي الْحَدَّانُ عِرْضِي وَلَا أُرْخِي مِنَ الْمَرَجِ الْإِزَارَ^(٣)
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي تميمَةَ الْهُجَيْمِيِّ

(١) في ياقوت : بروقتين ، بواوين ، وهو موضع قرب الكوفة .

(٢) بنو السمط والحذاء : رهطان من النصارى . (٣) المرح : التبخر والاختيال ..

(إِيَّاكَ وَالْمَخِيلَةَ) فقال: يا رسول الله نحن قومٌ عَرَبٌ، فما المَخِيلَةُ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: سَبَلُ الإِزَارِ. والحديثُ يَعْرِضُ لما يَجْرِي في الحديثِ قَبْلَهُ، وإن لم يكن من بابهِ، ولكن يُذَكِّرُ بِهِ.

قال أبو العباس: رُوِيَ لنا أَنَّ رَجُلًا من الصالحين كَانَ عند إبراهيم ابن هشام^(١)، فأنشِدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر:

إِذْ أَنْتِ فِينَا لِمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسْتِي^(٢)

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبي عتيق) فَرَمَى بِشِقِّ رِدَائِهِ، وَأَقْبَلَ يَسْتَجِبُهُ حتى خرج من المجلس، ثم رجع على تلك الحال فجلس، فقال له إبراهيم ابن هشام: ما بك؟ فقال: إِنِّي كُنْتُ سَمِعْتُ هَذَا الشَّعْرَ فَاسْتَحْسَنْتَهُ فَأَلَيْتُ أَلَّا أَسْمَعَهُ إِلَّا جَرَرْتُ رِدَائِي كَمَا تَرَى كَمَا سَجَبَ هَذَا الرَّجُلَ رَسْنَهُ.

وأما الفينيقُ فإنه الفحل^(٣)، وإنما أراد^(٤) خَطَرَ أَنَّهُ بِذَنْبِهِ من الخِيَلَاءِ، فَشَبَّهَ الرَّجُلَ من هَوْلِهِ، إِذَا انْتَشَى بِالفحل، وهو إِذَا خَطَرَ ضَرْبَ بِذَنْبِهِ يَمَنَةً وَشَامَةً، قال ذو الرُّمَّة:

وَقَرَّبَنَ بِالزُّرْقِ^(٥) الْجَمَائِلَ بَعْدَ مَا^(٦) تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانَ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرَ^(٧)

(١) خال هشام بن عبد الملك . (٢) قبل هذا البيت .

سقياً لربيعك من ربيع بنى سلم وللزمان به إذ ذاك من زمن

(٣) الفحل المودع للفحلة لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله .

(٤) الضمير طائد على طنيم صاحب الأبيات الفافية . (٥) الزرق: رمال بالدهناء .

(٦) الجمائل: جمع جل . وقيل جمع جمالة، وهي جماعة الابل إذا كانت كلها ذكورا .

(٧) يريد تقوبت غربان أوراكها عن الخطر . ففي البيت قلب، والمتقوب: من تقلع عن جلده الحرب

**

وَمِنْ حَسَنِ الشَّعْرِ وَمَا يَقْرُبُ مَاخِذُهُ قَوْلُ مُخَيِّسِ بْنِ أَرْطَاةَ الْأَعْرَجِيِّ،
وَالْأَعْرَجُ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي
حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ يَحْيَى، وَكَانَ يَصِيرُ إِلَى امْرَأَةٍ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَامَةِ يُقَالُ
لَهَا بَقْعَاءُ: (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: أَنْشِدْنَاهُ عَنِ الرَّيَّاشِيِّ بَقْعَاءُ، وَسَأَلْتُ رَجُلًا مِنْ
أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَصِيحًا مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ مَا أَعْرَفَهُ إِلَّا بَقْعَاءُ بِالْبَاءِ):

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِّي لِيَحْيَى فَقَالَ غَشَشْتَنِي وَالنَّضْحُ مَرُّ
وَمَا بِي أَنْ أَكُونَ أَعِيبٌ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرُّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيَى يُقَالُ عَلَيْهِ فِي بَقْعَاءَ شَرُّ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنْ الْحُرُّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه .

وقوله: إن الحر حر إنما تأويله أن الحرَّ على الأخلاق التي عهدت في
الأحرار، ومثل ذلك: * أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي *
أَيُّ شِعْرِي كَمَا بَلَغَكَ وَكَمَا كُنْتَ تَعْهَدُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: النَّاسُ النَّاسُ
أَيُّ النَّاسِ كَمَا كُنْتَ تَعْهَدُهُمْ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
« فَفَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ »).

وقوله: فقلت له تجنَّب كل شيء يعاب عليك كقول عمرو بن العاص
لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال: آخِذْ بثلاث، تاركٌ لثلاث،
آخِذْ بقلوب الرجال إذا حدَّثَ، وبِحُسنِ الاستماع إذا حدَّثَ، وبأيسرِ

الأميرين عليه إذا خولف ، تارك للمراء ، تارك لمقاربة اللئيم ، تارك لما
يُعتذر منه ، كقوله :

..... تَجَنَّبَ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ

ومما يُستحسنُ إنشاده من الشعر لصحة معناه ، وجزالة لفظه ،
وكثرة تردُّدِ ضَرْبِهِ من المعاني بين الناس ، قولُ ابنِ مِيَادَةَ لرياحِ بنِ عثمانِ
ابنِ حَيَّانِ المُرِّيِّ ، من مُرَّةِ غَطَفَانَ ، وكلاهما من مُرَّةِ غَطَفَانَ ، يقوله في فتنة
محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم
يفعل فقتل ، فقال ابن مِيَادَةَ :

أَمْرُكَ يَا رِيَّاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فَقُلْتَ هَشِيمَةً مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ
نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدٍ
وَوَجِدًا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا غَيْرَ وَجْدِي

فقوله : (فقلت هَشِيمَةً من أهل نجد) تأويله ضَعْفَةٌ ، وأصل الهشيم
النَّبْتُ إذا ولى وَجَفَّ وتكسَّر ، فَذَرْتَهُ الرِّيَّاحُ يَمِينًا وَشِمَالًا . قال الله تعالى :
« فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ » والنَّجْدُ أعلى الأرض .

وقوله : * عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدٍ * فالمحبوك الذي فيه
طرائق^(١) واحدها حِبَاكُ ، والجماعة حُبُوك^(٢) يقال لطرائق الماء حُبُوك^(٣) ،

(١) قال الشيخ الرصني : والصواب أن يقول : فالمحبوك الذي أحكم خلقه من حبكت الثوب إذا
أحكمت نسجه ، يريد أن أصلاب الخيل موهبة مدحجة ، ثم يقول : والمحبوك أيضا الذي فيه طرائق ،
فيكون معنى ثانياً للكلمة .

(٢) ويقال أيضا للواحد : حبيكة والجمع حباتك . (٣) أي الماء الساكن حين تحركة الريح .

وَكذلك الطرائق التي على جَنَاحِ الطائر^(١) من ذلك قول الله تبارك وتعالى :
« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ » .

قال أبو الحسن : ابن مِيَادَةَ اسمه الرَّمَّاحُ وأمه مِيَادَةَ وأبوه أَبْرَدُ ، وكان
صَاقًا بأمه ، ولها يقول :

أَعْرَزِي مِيَادَ لِلْقَوَافِي وَأَسْتَمِعِينِ وَلَا تَخَافِي
* سَتَجِدِينَ أَبْنَكِ ذَا قِدَافِ *

وأصل الإِعْرَازِ نَزَامِ : التَّجْمَعُ والتَّقْبُضُ ، يقول : أَسْتَعِدِّي لها وتَهَيَّئِي .
وَأُنشَدَنَا أبو العباس محمد بن يزيد له :

وَنَوَاعِمِ قَدْ قُلْنَ يَوْمَ تَرَحُّلِي قَوْلَ الْمَجْدِ وَهَنْ كَالْمَزَاجِ
يَا لَيْتَنَا مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ فَادِجِ طَلَمَتِ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ

في أبيات له يعني نفسه . قال أبو الحسن ، وتتمام الأبيات :

يَبْنَا كَذَلِكَ رَأَيْتَنِي مُتَمَصِّبًا بِالخَزِّ فَوْقَ جُلَالَةِ^(٢) سِرْدَاجِ^(٣)
فِيهِنَّ صَفْرَاءُ الْمَعَاصِمِ^(٤) طِفْلَةٌ^(٥) يَبِيضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ الثَّفَاجِ^(٦)
رَيْشِنَ حِينَ أَرْدُنَ أَنْ يَرْمِينِي نَبْلًا بِلَا رَيْشٍ وَلَا بِقِدَاجِ
وَنَظَرَنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بَاعِينَ مَرَضَى مُخَالِطَهَا السَّقَامُ صِحَاجِ

قال أبو العباس : ثم نَدَّ كُرُّ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا ،
ثم نَعُودُ إِلَى الْمُقَطَّعَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يعنون بها الخطوط السود التي على الجناح .

(٢) الجلالة : الناقة الصخمة . (٣) السرداج والسرداحة : الناقة الطويلة .

(٤) من التضمخ بالزعفران . (٥) الطفلة بفتح الطاء : الناعمة . (٦) الفريض : الطرى .

يروى عن ابن عمر أنه كان يقول : **إِنَّا مَعَشَرَ قَرِيشٍ كُنَّا نَعُدُّ الْجُودَ
وَالْحِلْمَ السُّوْدَدَ ، وَنَعُدُّ الْعَفَافَ وَإِصْلَاحَ الْمَالِ الْمُرُوءَةَ .**

قال الأحنف بن قيس : **كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُذْهِبُ الْهَيْبَةَ ، وَكَثْرَةُ الْمَرْحِ
تُذْهِبُ الْمُرُوءَةَ ، وَمَنْ لَزِمَ شَيْئًا عَرِفَ بِهِ .**

وقيل لعبد الملك بن مروان : **مَا الْمُرُوءَةُ ، فَقَالَ مُؤَالَاةُ الْأَكْفَاءِ ،
وَمَدَاجَاةُ الْأَعْدَاءِ .**

وتأويل المداجاة : **المدارة .** أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة ،
وأصله من الدجى ، وهو ما ألبسك الليل من ظلمته .

وقيل لمعاوية : **مَا الْمُرُوءَةُ ؟** فقال : **احْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ ، وَإِصْلَاحُ أَمْرِ
الْعَشِيرَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَا التُّبْلُ ؟** فقال : **الْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ .**

وكان أبو سفيان إذا نزل به جاراً قال له : **يَا هَذَا ، إِنَّكَ قَدْ أَخْتَرْتَنِي جَاراً ،
وَأَخْتَرْتَنِي دَارِي دَاراً ، فَجِنَايَةُ يَدِكَ عَلَيَّ دُونَكَ ، وَإِنْ جَنَّتْ عَلَيْكَ يَدُ
فَأَخْتَكُمْ عَلَيَّ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .**

وذلك أن الصبي قد يطلب ما لا يوجد إلا بعيداً ، ويطلب ما لا يكون
ألبتة ، قال الشاعر (هو الأعرج المعني) :

**وَلَا تَحْكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُهُ^(١)
ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعدته في قبة
حمراء ، فجعل الناس يُسأَمُونَ على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء**

(١) المجاهل : كالمحسن والملاح ، جمع ليس له واحد .

رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تُولَ هذا أمرَ المسلمين لَأَضَعْتَهَا - وَالْأَحْنَفُ جالس - فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بَجْرٍ ، فقال : أخاف الله إن كذبتُ ، وأخافُكُمْ إن صدقتُ . فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمرَ له بألوفٍ ، فلما خرج الأحنفُ لقيه الرجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بَجْرٍ ، إني لأعلمُ أن شرَّ مَنْ خَلَقَ اللهُ هذا وابنهُ ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفالِ ، فلَسْنَا نَطْمَعُ في استخراجها إلا بما سمعتَ ، فقال له الأحنفُ : يا هذا أمْسِكْ ، فإن ذا الوجهين خَلِيقٌ ألا يكونَ عند الله وجيهاً .

وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي (الشاعر الرماح بن ميادة) :
يقولون أبناء البعير وما له سنًا ولا في ذروة المجد غاربُ
أرادت وذاكم من سفاهة رأيها لأهجوها لما هجنتي محاربُ^(١)
معاذ إلهي إنني بعشيري ونفسي عن ذلك المقام لراغبُ
وقال أبو الطمخاني القيني (اسمه حنظلة بن الشرق ، والطمخاني فعلان من طمخ بآنفه وبصره إذا تكبر ، والقين الحداد ، وكل صنيع قين ، والقين أيضاً موضع القيد من البعير) :

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

(١) وفي رواية أخرى :

أظنت سفاها من سفاهة رأيها أن اهجوها لما هجنتي محارب

أَصْنَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ
دُجِيَ اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَابِتُهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوِّدٌ
تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ

وقال إياس بن الوليد يمدح قومه :

إِنِّي وَجَدْتُكَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا طَلَبُوا
بَعْدَ النَّسِيبَةِ دِينًا أَحْسَنُوا الطَّلِبَا^(١)
لَا تَحْسَبُوا هَجْمَ أَيَاتِي عَلَانِيَةً
وَلَا أُسْتَلَابَ سِلَاحِي ذَاهِبًا لِعِبَا
تَبَقَى الْمَعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِيَةً
وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيهَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

وقال آخر :

لَيْسُوا لِعَمْرٍ وَغَيْرِ تَأْسِيبِ نِسْبَةٍ^(٢)
وَلَكِنَّ عَمْرًا غَيْبَتُهُ الْمَقَابِرُ^(٣)
إِذَا غَيْرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ
وَمَا الْعَارُ إِلَّا مَا تَجْرُهُ الْمَقَادِيرُ

وقال رجل من بني نهشل بن دارم :

إِذَا مَوْلَاكَ كَانَ عَلَيْكَ عَوْنًا^(٤)
أَتَاكَ الْقَوْمُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ
فَلَا تَخْشَعُ إِلَيْهِ وَلَا تُرْذَهُ
وَرَامَ بِرَأْسِهِ عَرْضَ الْجُبُوبِ
فَمَا لِشَافَةِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
إِذَا وَلَّى صَدِيقَكَ مِنْ طَيْبِ

قوله : ورام برأسه عرض الجبوب ، يريد الأرض ، وهو اسم من أسماءها ،
أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه :

بُنِيَ عَلَى عَيْنِي وَقَلْبِي مَكَانَهُ
ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَرَهْنِ جَبُوبِ
وقوله فما لشافة يقول لبغض ، يقال شثفت الرجل أشافه شافة وشافا مثل

(١) النسبئة : تأخير الدين .

(٢) التأسيب : أصله من الأشب ، وهو شدة النفاق الشجر .

(٣) أي لو كان حيا لفي نسبتهم إليه . (٤) مولاك : ابن عمك .

شَعْفًا، وقد يقال في هذا المعنى شَنْفُهُ . قال الراجز :
لَمَّا رَأَيْتَنِي أُمُّ عَمْرٍو صَدَفَتْ وَمَنْعَتَنِي خَـ يَرْهَا وَشَنْفَتْ
وقال آخر : * وَلَمْ تَدَاوِ غُلَّةَ الْقَلْبِ الشَّنْفِ *
وقال نَبَهَانُ بن عَكْبِيَّ العَبْسَمِيُّ :

يُقِرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَائِهِ ذُرًّا عَقِدَاتِ الْأَبْرَقِ الْمُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَرِبْتَ بِهِ سُلَيْمِي وَقَدْ مَلَّ السَّرَى كُلُّ وَاجِدِ
وَالصِّقَ أَحْشَائِي يَبْرِدُ ثَرَابِهِ وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسَمِّ الْأَسَاوِدِ
قوله ذُرًّا عَقِدَاتِ، فالذَّرْوَةُ من كل شيء أعلاه، فَذِرْوَةُ السَّنامِ أعلاه، وَذِرْوَةُ
المَجْدِ أَرْفَعُهُ وَأَسْنَاهُ، ويقال فلان في ذِرْوَةِ قَوْمِهِ إذا كان في الموضع الرفيع
منهم، وأما قول لبيد :

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا دَلَسَ الْأَسْوِوقِ عَنِ عَضْبِ أَفْلٍ
فإنما يقول هذا رجل يُعْرَقُ الإِبِلَ لِيَنْحَرَهَا ثم يمسح ذُرًّا أَسْنِمَتِهَا بسيفه،
لِيَجْلُو مَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْوِوقِ .

وقوله عَضْبُ أَى قاطع، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللِّسانِ، وجعله أَفْلٌ
لكثرة ما يَقَارِعُ به الحُرُوبَ كما قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ
وقوله عَقِدَاتِ فهو ما انْعَقَدَ وَصَلَبَ مِنَ الرَّمْلِ، الواحدة عَقِدَةٌ، والجمع عَقْدٌ
وأَعْقَادٌ أَيْضًا وَعَقِدَاتٌ، قال ذو الرُّمَّةِ لِهَلَالِ بن أَحْوَزَ المَازِنِيِّ يمدحه :
رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يَا هَلَالَ لَهَا رَفَعَ الطَّرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ

حَتَّى نِسَاءِ تَمِيمٍ وَهِيَ نَارِزِحَةٌ بِقَلَّةِ الْحَزَنِ فَالَصَّمَانِ فَالْعَقِدِ
 لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ وَقَيْنَكَ الْمَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَالِدِ
 وقوله الأبرق فالأبرق حجارة يخلطها رمل وطين، يقال لتلك برقة،
 وأبرق، وبرقاء، يافتى، كما يقال الأمعز والمعزاء، وهي الأرض الكثيرة الحصباء،
 ومثل ذلك الأبطح والبطحاء، وهو ما انبطح من الأرض، فمن قال أبرق
 فإنما أراد المكان، ومن قال برقاء فإنما أراد البقعة.

وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم، ومن ذلك قولهم قُدُّتُهُ أَي جَرَزْتُهُ
 على استقامة، وكذلك طريق مُنْقَاد، وفلان قائد الجيش، قال حاتم بن عبد
 الله الطائي يضرب هذا مثلاً:

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَقَّتْ حَوْلَهُ وَإِنَّ اللَّيْمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ^(١)
 وقوله: ولو كان مخلوطاً بسم الأسود يريد جمع أسود صالح^(٢)، وجمعه على
 أسود، لأنه يجري مجرى الأسماء، وما كان من باب أفعال أسماً فجمعه على
 أفعال، نحو أفكل وأفاكل^(٣)، والأكبر والأكبر، وكذلك كل ما سميت
 به رجلاً، تقول أحمد وأحمد، وأسلم وأسلم، فإن كان نعتاً فجمعه على فعل
 نحو أحمَر وأحمَر، وأصفر وأصفر، ولكن أسود إذا عنيت به الحية، وأذهم
 إذا عنيت به القيء، وأبطح إذا عنيت به المكان المنبسط، وأبرق إذا عنيت

(١) رواية الديوان:

فمنهم جواد قد تلقت حوله ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

(٢) الخ: لأنه يسلخ جلده كل عام، وهو من أحب الحيات.

(٣) الأفكل: اسم لرعدة من برد أو خوف.

به المكان ، مُضَارِعَةٌ لِلأَسْمَاءِ ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ الشَّيْءِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي
الأَصْلِ نَعْتًا ، تَقُولُ فِي جَمْعِهَا الأَبَاطِحُ والأَبَارِقُ والأَدَاهِمُ والأَسَاوِدُ ، فَإِنْ
أَرَدْتَ نَعْتًا مَحْضًا يَتَّبَعُ المَنْعُوتُ قُلْتَ مَرَرْتُ بِثِيَابِ سُودٍ ، وَبِحَيْلٍ ذُهُمٍ ، وَكُلُّ
مَا أَشْبَهَ هَذَا فَهَذَا مَجْرَاهُ ، قَالَ جَرِيرٌ :

هُوَ القَيْنُ وَابْنُ القَيْنِ لَأَقَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِي أَوْ لَجِدْلِ الأَدَاهِمِ (١)
وَقَالَ الأَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ (قَالَ أَبُو الحَسَنِ رُمَيْلَةُ اسْمُ أُمِّهِ) :

أُسُودٌ شَرِيٌّ لَأَقْتَ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءِ الأَسَاوِدِ

قَوْلُهُ عَلَى حَرْدٍ يَقُولُ عَلَى قَصْدٍ ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

« وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ » ، فَإِنْ فِيهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا مَا ذَكَرْنَا مِنْ

القَصْدِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَجْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المَغْلَّةِ

(قَالَ أَبُو حَاتِمٍ هَذِهِ صِنْعَةٌ (٢) مَنْ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ ذِكْرَهُ - يَعْنِي قَطْرًا يَا (٣))

وَقَالُوا عَلَى حَرْدٍ : أَي عَلَى مَنَعٍ مِنْ قَوْلِهِمْ حَارَدَتِ السَّنَةُ إِذَا مَنَعَتْ قَطْرَهَا ،

وَحَارَدَتِ النَّاقَةُ إِذَا مَنَعَتْ دَرَّهَا .

(قَالَ أَبُو الحَسَنِ رَوَايَةُ أَبِي العَبَّاسِ يُقْرَأُ بِعَيْنِي يُرِيدُ يُقْرَأُ عَيْنِي ثُمَّ أَتَى

بِالبَاءِ توكِيدًا ، وَقَالَ لَنَا هَكَذَا سَمِعْتُهُ ، وَيُقَالُ أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ يُقْرَأُ بِهَا ، وَقَرَّتْ

عَيْنُهُ تَقَرَّرْتُ ، وَقَرَّرْتُ بِالمَكَانِ أَقَرُّ ، وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : قَرَّتْ عَيْنُهُ مِنَ القَرِّ وَهُوَ

البَرْدُ : أَي جَمَدَتْ فَلَمْ تَدْمَعْ ، وَهُوَ بِجِذَاءِ سَخِنَتْ عَيْنُهُ ، وَأَجُودٌ مِمَّا رَوَى

(١) المساحي : واحدها مسحة ، وهي الحفرة من حديد يسحق بها الطين عن وجه الأرض .

(٢) يريد حذف الألف في لفظ الجلالة . (٣) قطري بن الفجاءة أحد شعراء الخوارج .

عندى يَقْرُ بعينى ، وهو الأصل ، والباء فى موضعها غير مؤكدة ، وقال أبو العباس : الذى رَوَيْتُ: وقد مَلَ الشَّرَى كُلُّ واحدٍ ، وهو المنفرد فى السير المُتَوَخِّدُ به ، وروى غيره كُلُّ وَاجِدٍ ، أى عاشق وروى أيضاً كل واحدٍ ، وهو من الوَخْدِ والوَخْدَانِ ، وهو السير الشديد ، والوَخْدُ المصدرُ ، والوَخْدَانُ الأسم .

قال أبو العباس : وقال القَتَّالُ الكِلَابِيُّ ، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَجِيَّ :

أَنَا ابنُ أَسْمَاءِ أَعْمَامِي لَهَا وَأَبِي ^(١) إِذَا تَرَامَى بَنُو الإِمْوَانِ بِالْعَارِ

لَا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا تَدَى وَاضِحَةٍ لِيُوضِحَ الخَدَّ يَحْمِي حَوَازَةَ الجَارِ

مِنْ آلِ سُفْيَانَ أَوْ وَرَقَاءَ يَمْنَعُهَا تَحْتَ العَجَابَةِ ضَرْبُ غَيْرِ عَوَارِ

يَا لَيْتَنِي وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارِ

طَوَالِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

قوله إذا ترامي بنو الإيموان بالعار ، فالإيموان جمع أمةٍ ، وأصل أمةٍ فَعَلَةٌ

متحركة العين ، وليس شىء من الأسماء على حرفين إلا وقد سقط منه حرف

يُسْتَدَلُّ عليه بجمعه ، أو بتثنيته أو بفعل إن كان مشتقاً منه ، لأن أقل الأصول

ثلاثة أحرف ، ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها ، فأمةٌ قد علمنا أن الناهب

منها واو بقولهم إِمْوَان ، كما علمنا أن الناهب من أبٍ وأخ الواو بقولهم

أَبْوَانٍ وَأَخْوَانٍ ، وعلمنا أن أمة فَعَلَةٌ متحركة بقولهم فى الجميع آمٍ ، فوزن

هذا أَفْعُلٌ ^(٢) ، كما قالوا أَكَمَةٌ وآكُمُ ، ولا تكون فَعَلَةٌ على أَفْعُلٍ ، ثم قالوا

(١) أسماء أصلها وسماء ، من الوسامة ، فعى على وزن فعلاء . (٢) فيكون الأصل : أَمُو ،

قلبت الضمة كسرة ، وقلبت الواو ياء ، وأعلت لإعلال قاض ، وقلبت الهمزة الثانية مدة .

إِمْوَانٌ كَمَا قَالُوا فِي الْمَذَكَّرِ الَّذِي هُوَ مَنْقُوصٌ مِثْلُهُ إِخْوَانٌ ، وَاسْتَوَى الْمَذَكَّرُ
وَالْمُؤَنَّثُ لِأَنَّ الْهَاءَ زَائِدَةٌ كَمَا اسْتَوَى فِي فَعَلِ السَّاكِنِ الْعَيْنِ ، تَقُولُ كَلْبٌ
وَكَيْلَابٌ ، وَكَعْبٌ وَكَعَابٌ ، كَمَا تَقُولُ فِي الْمُؤَنَّثِ طَلْحَةٌ وَطِلَاحٌ ، وَجَفْنَةٌ وَجِفَانٌ
وَصَحْفَةٌ وَصَحَافٌ ، وَنَظِيرَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْمَعْتَلِ وَرَلٌ^(١) وَوَزِلَانٌ ، وَبَرَقٌ ، وَبِرْقَانٌ
وَخَرَبٌ ، وَخَرِبَانٌ ، وَهُوَ ذَكَرُ الْحَبَارَى وَالْبَرَقُ الْحَمَلُ ، وَمَنْ أَنْشَدَ ائِمَّوَانٌ
فَقَدْ غَلَطَ ، لِأَنَّهُ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِمْ حَمَلٌ وَمُحْلَانٌ ، وَفَلَقٌ وَفُلْقَانٌ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَحْمَلُ
عَلَى مَا كَانَ مَعْتَلًا مِثْلَهُ نَحْوِ أَخٍ وَإِخْوَانٍ ، وَقَدْ رَوَى أَبُو زَيْدٍ أُخْوَانٌ ، فإِلَى هَذَا
ذَهَبُوا ، وَالْقِيَاسُ الْمَطْرُودُ لَا تَعْتَرِضُ عَلَيْهِ الرَّوَايَةُ الضَّعِيفَةُ .

وقوله : لَا أَرْضِعُ الدَّهْرَ فِهَذَا عَلَى لُغَتِهِ ، لِأَنَّ قِيَاسًا تَقُولُ رَضَعَ يَرْضَعُ ،
وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ رَضَعَ يَرْضَعُ ، وَيَنْشُدُونَ بَيْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيِّ
عَلَى ، وَجُهَيْنٌ وَهُوَ :

إِذَا نَصَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا وَلَكِنْ حُسْنُ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
وَذَمُّوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَأَوَيْقَ حَسَى مَا يَدْرُ لَهَا تَعْلُ^(٢)
وبعضهم يقول يَرْضَعُونَهَا ، وَقَوْلُهُ لَا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا نَدَى وَاضِحَةٌ يَقُولُ إِنَّمَا
تَرْضَعُنِي أُمِّي ، وَلَيْسَتْ غَيْرَ كَرِيمَةٍ ، كَمَا قَالَ الْأَعَشِيُّ :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفٍّ مَنْ بَخِلَا
يقول إِنَّمَا تَشْرَبُ بِكَفِّكَ ، وَلَسْتَ بِيخِيلٍ ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ التَّمِيمِيِّ لِنَجْدَةَ
ابْنِ عَامِرٍ الْحَنْفِيِّ الْخَارِجِيِّ :

(١) الورل : دابة طويلة الذنب على خلفه الضب .

(٢) التعل : خلف زائد صغير في أخلاف الناقة ، وضرع الناقة لا يدر من اللبن شيئا .

مَتَى تَلَقَّ الْحَرِيشَ حَرِيشَ سَعْدٍ وَعَبَادًا يَقُودُ الدَّارِعِينَا
تَبَيَّنَ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تَوَزَّكَ^(١) وَلَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وقوله واضحة أى خالصة فى نَسَبِهَا ، وليست بأمة وهذا تؤكد لبيته الأول ،
وقد أنشد بعضهم (لواضح الجد) والمعنى قريب .

وقوله : يَحْمَى حَوْزَةَ الْجَارِ أَى مَا يَحْوِزُهُ ، يقال فلان مانع لحوزته : أى
لما صار فى حَيْثِهِ ، وَيُرْوَى عن علي بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه
قال : لِلأَزْدِ أَرْبَعٌ لَيْسَتْ لِحَيٍّ : بَدَلُ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَمَنْعُ حَوْزَتِهِمْ ،
وَحَيٌّ عِمَارَةٌ^(٢) لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَشُجْعَانٌ لَا يَجْبُنُونَ .

(وقوله : لِمَالِكٍ ، أَوْ لِحَصْنٍ ، أَوْ لِسَيَّارٍ ، فَهؤلاء بيت فزارة ، ويؤتات
العرب فى الجاهلية ثلاثة ، فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ، ومرزكوه بنو
زرارة ، وبيت قيس بنو فزارة ومرزكوه بنو بدر ، وبيت بكر بن وائل بنو
شيبان ومرزكوه بنو ذى الجدين .

(وقوله : طَوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ فَالَنْضِيُّ مُرْكَبُ النَّصْلِ فى السِّنْخِ ،
وَضَرْبَةٌ مَثَلًا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ طَوَالَ الْأَعْنَاقِ ، كَمَا قَالَ الْأَعشى :

الْوِطَائِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ يَعْشُونَ فى الدَّفْعِيِّ وَالْأَبْرَادِ^(٣)
يريد الشوَدَدَ والنَّعْمَةَ وَلَمْ يَخْصُصِ الصُّدُورَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النِّعَالَ كُلَّهَا ، وَقَالَ
الشاعر (هُوَ الشَّمْرُ ذَلُّ بْنُ شُرَيْكٍ الْيَرْبُوعِيُّ عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ) :
يُشَبَّهُونَ مُلُوكًا فى تَجَلَّتِهِمْ وَطَوَّلِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللَّمَمِ

(١) أى لم تحملك على وركها . (٢) عمارة بفتح العين وكسرهما : أى يقومون بأمرهم .

(٣) الدفئى : نوع من الأبراد .

إِذَا بَدَأَ الْمِسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرْضَى مِنَ الْكُرْمِ

(قال أبو الحسن : وغيره يَرْوَى يُشَبَّهُونَ قُرَيْشًا فِي تَجَلُّهِمْ) .

وقوله بأزفار : فالزُّفْرُ الْحِمْلُ وَيُضْرَبُ مَثَلًا لِرَجُلٍ يُقَالُ إِنَّهُ لَزُفْرٌ . أَيْ

حَمَالٌ لِلْإِتْقَالِ ، وَيُقَالُ أَيْ حَمَلُهُ فَازْدَفَرَهُ ، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ أَغْشَى بِأَهْلَةٍ :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْتَلُّهَا يَا بِي الظَّلَامَةَ مِنْهُ التَّوْفَلَ الزُّفْرُ

وَإِنَّمَا يَرِيدُهُ بَعِينَهُ كَقَوْلِكَ لَأَنَّ لَقَيْتَ فَلَنَا لِيَلْقَيْنَكَ مِنْهُ الْأَسَدُ .

وقوله التَّوْفَلَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهُ لَدَوْ فَضْلٍ وَتَوَافَلَ .

وقال رجل من بني عَبْسٍ (قال أبو الحسن يقول له لَمُرُوءَةَ بِنِ الْوَرْدِ) .

لَا تَشْتَمْنِي يَا بِنِ وَرْدٍ فَإِنِّي تَعَوَّدُ عَلَى مَالِي الْحُقُوقُ الْعَوَائِدُ

وَمَنْ يُؤْتِرِ الْحَقَّ النَّوْؤُوبَ تَكُنْ بِهِ خِصَاصَةٌ جِسْمٍ وَهُوَ طَيَّانٌ مَا جِدُ

وَإِنِّي امْرُؤٌ عَافٍ إِنَانِي شِرْكَةٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافٍ إِنَانِكَ وَاحِدُ

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ

قوله النَّوْؤُوبَ يَرِيدُ الَّذِي يَنْوُبُهُ وَكُلُّ وَاوٍ انْضَمَّتْ لغيرِ عِلَّةٍ فَأَنْتَ فِي هَمْزِهَا

وَتَرَكِهَا بِالْخِيَارِ ، تَقُولُ فِي جَمْعِ دَارٍ أَدُورُ ، وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَهْمَزْ ، وَكَذَلِكَ النَّوْؤُوبُ

وَالْقَوُولُ لِانْضِمَامِ الْوَاوِ ، فَأَمَّا الْوَاوُ الثَّانِيَةُ فَإِنَّهَا سَاكِنَةٌ وَقَبْلُهَا ضَمَّةٌ ، وَهِيَ

مَدَّةٌ فَلَا يُعْتَدُّ بِهَا ، وَلَوْ التَّقَتْ وَاوَانٍ فِي أَوَّلِ كَلِمَةٍ ، وَلَيْسَتْ إِحْدَاهُمَا مَدَّةٌ لَمْ

يَكُنْ بُدْءٌ مِنْ هَمْزِ الْأُولَى ، تَقُولُ فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ وَوَاقِدٍ أَوْيَصِلُ وَأَوْيَقِدُ

لَا بُدْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمَّا وَجُوهٌ فَإِنْ شِئْتَ هَمَزْتَ فَقُلْتَ أَجُوهٌ ، وَإِنْ شِئْتَ

لَمْ تَهْمَزْ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتِتَتْ» وَالْأَصْلُ وَقَّتَتْ ، وَلَوْ كَانَ فِي

غير القرآن لجاز إظهار الواو ان شئت^(١) . وقوله تعالى : « مَا وُورِيَ عَنْهُمَا »
الواو الثانية مَدَّةٌ فَلَا يُعْتَدُّ بِهَا ، ولو كان في غير القرآن لجاز الهمز
لا نضمام الواو .

وقولى إذا انضمت من غير علة ، فالعلة أن تكون ضمتها إعراباً نحو هذا
غَزَوْا يَافَتَى وَدَلُّوا كَمَا تَرَى ، فهذا مما لا يجوز همزه لأن الضمة للإعراب
فليست بلازمة ، أو تَنْضَمُ لِالتقاء الساكنين ، فذلك أيضاً غير لازم ، فلا
يجوز همزه نحو اخشوا الرجل « وَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَتَتَرَوْنَ
الْجَحِيمَ » وَمَنْ هَمَزَ مِنْ هَذَا شَيْئاً فَقَدْ أَخْطَأَ .



وقال رجل من بنى تميم :

مَادَامَ يَمْلِكُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ	الْبَانُ إِبْلِ تَعَلَّةَ بِنِ مُسَافِرٍ
مَادَامَ يَسْلُكُ فِي الْبُطُونِ طَعَامٌ	وَطَعَامُ عِمْرَانَ بِنِ أَوْفَى مِثْلَهَا
زَادَ يُعْنُ عَلَيْهِمُ لِلثَّامِ	إِنَّ الَّذِينَ يَسُوعُغُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
لَعَنَّا يُشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَامِ	لَعَنَ الْإِلَهُ تَعَلَّةَ بِنِ مُسَافِرٍ

وهذا كلام فصيح جداً .

قوله يسوعغ في أعناقهم يريد حُلُوقَهُمْ لأنَّ العُنُقَ يحيطُ بِالْحَلْقِ ، وَيُشْبِهُ
هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القُطَامِيِّ^(٢) :

(١) قال الشيخ المرصني : بها قرأ أبو عمرو فضم الواو وشدد القاف ، وبها قرأ عمرو بن عبيد أيضا

(٢) بضم القاف وفتحها .

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِأَنُوتِهِمْ مِثًا عَشِيَّةَ يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي
نَقْرِيهِمْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ
لأن الخياطة تَضُمُّ خِرْقَ القَمِيصِ ، وَالسَّرْدَ يَضُمُّ حَلَقَ الدَّرْعِ ، فَضَرَبَهُ ، مَثَلًا
فَجَعَلَهُ خِيَاطَةً (قال أبو الحسن رَوَى أبو العباس :

* وطعام عمران بن أوفى مثلها *

رَدَّ الهَاءِ وَالْأَنْفَ عَلَى الْأَلْبَانِ ، وَهَذَا لَا نَظَرَ فِيهِ ، وَرَوَى أَيْضًا مِثْلَهُ
لأن الألبان تجرى تجرى اللبن ، فَحَمَلَهُ عَلَى الْمَعْنَى ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْأَلْبَانُ
جَمْعًا فَتُدْكَرُ لِتَذْكَيرِ الْجَمْعِ ، وَرَوَى أَيْضًا .

* مَا دَامَ يَسْتَلِكُ فِي الْخَاطِقِ طَعَامًا *

وَرَوَى الْفَرَّاءُ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

* إِنْ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَخْلَاقِهِمْ *

وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي أَخْلَاقِهِمْ كَقَوْلِكَ فَلَسْتُ وَأَفْلَسْتُ ، وَمَا
أَشْبَهَهُ ، وَلَكِنَّهُ شَبَّهَ بِابِ فَعَلٍ بِبَابِ فَعَلٍ ، كَمَا قَالُوا زَنْدٌ وَأَزْنَادٌ ، وَفَرَّخٌ
وَأَفْرَاحٌ ، قَالَ الْحُطَيْئَةُ لِعُمَرَ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِّخٍ مُحْمَرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٍ
فَفَعَلُوا هَذَا تَشْبِيهًا بِبَابِ فَعَلٍ كَمَا شَبَّهُوا فَعَلًا بِفَعَلٍ فِي الْجَمْعِ ، فَقَالُوا : جَبَلٌ
وَأَجْبَلٌ ، وَزَمَنْ وَأَزْمَنْ ، كَمَا قَالَ :

إِنِّي لَا كُنِي بِأَجْبَالٍ عَنَ أَجْبَلِهَا وَبِأَسْمِ أَوْدِيَةِ حُبًّا لَوَادِيهَا

(١) وكان هجا الزبرقان بن بدر فاستعدى عليه عمر بن الخطاب فحبسه .

فَأَتَى بِهِ عَلَى الْأَصْلِ ، وَتَشْبِيهًا بغيره عَلَى مَا أَخْبَرْتِكَ ، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :
أَمَنْزَلْتَنِي مِيَّ سَلَامٍ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ
والباب أزمان كما قال رؤبة :

أَزْمَانَ لَا أَدْرِي وَإِنْ سَأَلْتِ مَا فَرَقُ بَيْنَ جُمُعَةٍ وَسَبْتِ

وَرَوَى أَبُو العباس : البيت الأخير مُقَوَّى ، وَجَعَلَهُ نَكْرَةً ، وَهُوَ قَوْلُهُ مِنْ
قُدَّامٍ ، كَمَا تَقُولُ جِئْتُكَ مِنْ قَبْلٍ ، وَمِنْ بَعْدٍ ، وَمِنْ عَلِيٍّ ، وَمَا أَشْبَهَهُ ، كَمَا قَرَأَ
بَعْضُهُمْ «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ» ، كَمَا تَقُولُ أَوْلًا وَآخِرًا ، وَرَوَاهُ الفراء
مِنْ قُدَّامٍ ، وَجَعَلَهُ مَعْرِفَةً^(١) ، وَأَجْرَاهُ مُجْرَى الغَايَاتِ^(٢) ، نَحْوُ قَبْلٌ وَبَعْدٌ ، كَمَا
قَالَ طَرَفَةُ بْنُ العَبْدِ :

ثُمَّ تَقْرَى اللُّجْمَ مِنْ تَعْدَائِهَا فَهِيَ مِنْ تَحْتِ مُشِيحَاتِ الحَزْمِ

وَمَا قَالَ عُمِّي^(٣) بِنِ مَالِكِ العَقِيلِيِّ ، أَنشده الفراء أيضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أُوْمَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِقَاؤُكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف ، وَجِهَةُ التعريف أن
يكون مُعَرَّفًا بِنَفْسِهِ ، كَرِيدٌ وَعَمْرُو ، أَوْ يَكُونُ مُعَرَّفًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ ، أَوْ
بِالإِضَافَةِ ، فهذه جهة التعريف ، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بِالْمَعْنَى ، فَذَلِكَ
مُبْنَى إِذْ خَرَجَ مِنَ البَابِ ، وَيُرْوَى لَعْنًا يُسْنُّ عَلَيْهِ بِالسَّيْنِ ، وَيُسْنُّ وَيُسْنُّ
وَاحِدٌ ، أَيْ يُصَبُّ إِلَّا أَنْ بَعْضُهُمْ قَالَ : السَّنُّ الصَّبُّ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَالُوا

(١) بإضافته إلى محذوف يعلمه الخاطب .

(٢) أي الكلمات التي جعلت غاية بعد حذف المضاف إليه . (٣) شاعر جاهلي .

يقال: شَنَنْتُ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَسَنَنْتُهُ ، وَسَنَنْتُ عَلَيْهِ الدَّرْعَ لِأَغِير ، وَقَالُوا شَنَنْتُ عَلَيْهِ الْفَارَةَ لِأَغِير (١) .



قال أبو العباس وقال القطامي :

فَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبْتُهُ فَأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةِ تَرَانَا
وَمَنْ رَبَطَ الْجَحَاشِ فَإِنَّ فِينَا قَنَا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا (٢)
وَكَنَّ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى قَبِيلِ (٣) فَأَعْوَزَهُنَّ نَهَبٌ حَيْثُ كَانَا
أَعْرَنَ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حِلَالِ (٤) وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا
وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أُخِينَا (٥)

قوله الْحَضَارَةُ يريد الأُمصارَ ، وتقول العرب فلانٌ بادٍ وفلانٌ حاضرٌ ، وفي الحديث : ولا يبيعنَّ حاضرٌ لبادٍ ، وتأويلُ ذلك أن البادي يتقدم وقد عرف أسعار مأمعته وما مقدار ربحه ، فإذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد ، فأغلى على الناس ، ومثل ذلك النهي عن تلقى الجلب (٦) ، ومثله : دَعُوا عِبَادَ اللَّهِ يُصِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، ويقال حتى حلالٌ إذا كانوا مُتَجَاوِرِينَ مُقِيمِينَ ، وأنشد الأصمعي :

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ تَجْرًا أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمَّ حَتَّى حِلَالُ

(١) انتهى كلام ابن الفوطية .

(٢) القنا السلب : الرماح الطوال . (٣) القبيل : الجماعة من الناس .

(٤) اسم علم ، وكذلك ضبة . (٥) بكر بن وائل .

(٦) أي المجابوب .

باب

قيل لمعاوية: ما التُّبْلُ؟ فقال: الحِلْمُ عند الغضب، والعَفْوُ عند القدرة.
ويُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قالوا
بلى. قال: من أَكَلَ وَحَدَّةً، وَمَنَعَ رِفْدَةً، وَضَرَبَ عَبْدَهُ؛ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ
مِنْ ذَلِكَ؟ مَنْ لَا يُقِيلُ عَثْرَةَ، وَلَا يَقْبَلُ مَعْدِرَةً، وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا؛ أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ. وَيُرْوَى عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال: المُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْمَعِي بِدِمَتِهِمْ أذْنَاهُمْ،
وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ.

قوله صلى الله عليه وسلم: تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، من قولك فلان كُفٌّ
لفلان، أى عَدِيلُهُ، وموضوع بحدائه. قال الله عز وجل: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ» ويقال: فلان كِفَاءُ فلانٍ، وكَفِيٌّ فلانٍ، وكُفٌّ فلانٍ.
ويروى أن الفرزدقَ بَلَّغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْحَبِطَاتِ بْنِ صَمْرُو بْنِ تَيْمٍ
خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمٍ،
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتَنْكِحُ فِي أَكْفَاءِهَا الْحَبِطَاتُ
فَالَ مِسْمَعٌ بَيْتَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ

ابن عُكَّابَةَ بنَ صَعْبِ بنِ عَلِيٍّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، والحَبَطَاتُ ^(١) هم بنو الحَارِثِ
ابن عمرو بن تميم ، فقوله أ كفاؤهم إنما هو جمع كُفٍّ يافتي ، فقال رجل من
الحَبَطَاتِ يُجَيِّبُهُ :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِينًا لِدارِمٍ بَلَى وَلِأَيَّاتٍ بِهَا الحُجْرَاتُ
يعني بنى هاشم ^(٢) ، من قول الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ
وَرَاءِ الحُجْرَاتِ » .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَّتْ
مَحَبَّتُهُ . وقال : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثَلَاثٌ يُثَبِّتَنَّ لَكَ الوُدَّ فِي صَدْرِ
أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ ، وَتُوسِّعَ لَهُ فِي المَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الأَسْمَاءِ إِلَيْهِ .

وقال : كَفَى بِالمرءِ غِيًّا أَنْ تَكُونَ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ ثَلَاثٍ : أَنْ يَمِيبَ شَيْئًا
ثُمَّ يَأْتِي مِثْلَهُ ، أَوْ يَبْدُو لَهُ مِنْ أَخِيهِ مَا يَحْتَقِقُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، أَوْ يُؤْذِي
جَلِيسَهُ فِيما لَا يَعْنيهِ .

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية : لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمُهَا ، وَمِنْ
الكَعْبَةِ رُكْنُهَا ، وَمِنْ الشُّيُوفِ صَمِيمُهَا ، يَعْنِي سُهَيْلًا مِنَ النُّجُومِ ، وَالرُّكْنَ
اليماني ، وَصَمَّصَامَةَ عمرو بن معدى كَرِبَ .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً : مَنْ أَجْوَدُ العَرَبِ ؟

(١) تفتح الباء عند النسب إلى الحبط بكسرهما ، وهو الحارث أكل شيئاً انتفخت به بطنه فسمى بذلك .

(٢) يريد أن الأبيات أبيات بنى هاشم ، أما الحجرات فهي بيوت الرسول .

فقيل له : حاتم . قال : فمن شاعرها ؟ قيل : امرؤ القيس بن حُجْر . قال :
فمن فارسها ؟ قيل : عمرو بن معدى كرب . قال : فأى سؤوفها أمضى ؟
قيل : الصمصامة .

وقال معاوية بن أبي سفيان للأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ،
ورجال من بني سعدٍ معهما كلامًا أحفظهم ، فردوا عليه جوابًا مُقَدِّعًا ، وابنةُ
قرظة في بنتٍ يقربُ منه ، فسَمِعَتْ ذلك ، فلما خرجوا قالت : يا أمير
المؤمنين ، لقد سمعتُ من هؤلاء الأجلافِ كلامًا تلقواك به فلم تُنكر ،
فكِدْتُ أخرجُ إليهم فأسطوبهم ، فقال لها معاوية : إن مُضَرَ كاهلُ
العرب ، وتيمًا كاهلُ مُضَرَ ، وسعدًا كاهلُ تميم ، وهؤلاء كاهلُ سعدٍ .
وكان معاوية يقول : إنني لا أجهلُ السيفَ على من لا سيفَ معه ، وإن
لم تكن إلا كلمةٌ يشتيقُّ بها مُشتَفٍ جعلتها تحتَ قدمي ، ودبرُ أذني^(١)
(المُقدِّعُ الذي فيه إقذاعٌ ، وهو السيء من القول) .



(١) دبر أذن : أى خاب أذن ، والدبر هنا بفتح الدال .

باب

قال أبو العباس : قال رجل أحسبُهُ من بني سعد يرثي رجلاً :
وَمُحْتَضِرِ الْمَنَافِعِ أَرْيَحِي^(١) نَبِيْلٍ فِي مَعَاوِزَةٍ طَوَالِ
عَزِيْرٍ عِزَّةٍ فِي غَيْرِ فُحْشٍ ذَلِيْلٍ لِلذَّلِيْلِ مِنَ الْمَوَالِي
جَعَلْتُمْ وَسَادَهُ إِحْدَى يَدَيْهِ وَتَحْتِ جَمَائِهِ خَشَبَاتُ ضَالِ^(٢)
وَرِثْتُمْ سِلَاحَهُ وَوَرِثْتُمْ ذَوْدًا وَحُزْنَا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِي

قوله أَرْيَحِي : هو الذي يَرْتاح للمعروف أى يَخْفُ له ، ويقال أَخَذْتُ فُلَانًا
أَرْيَحِيَّةً أى خِفَّةً وحركةً لفعل المعروف ، والمعاوزُ الشياب التي يَتَبَدَّلُ فيها
الرجل ، وهي دون الشياب التي يَتَجَمَّلُ بها ، واحدها مِعْوِزٌ ، قال الشَّامُخُ في
نعت القومس :

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ صَيَنْتُ وَأَشْعِرْتُ^(٣) حَبِيْرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ
وقوله في مَعَاوِزَةٍ : فزاد الهاء فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيت ، لأن كل
جَمْعٍ مُؤنثٌ ، كما تقول في جمع صَيْقَلٍ صَيَاقِلٍ وَصَيَاقِلَةٌ ، وكذلك جَوَارِبِ
وَجَوَارِبَةٍ ، إلا أن أكثر الأعمام يختص بالهاء ، وهو في العربيَّ جَيِّدٌ ، وفي
العجميِّ أكثر استعمالاً نحو المَوَازِجَةِ ، فإن كَانَ منسوباً كان البابُ فيه
إثبات الهاء ، وترَكُّها جائزٌ نحو : المَهَالِبَةِ ، والمَسَامِعَةِ ، والمِنَازِرَةِ ، والأَحَامِرَةِ ،

(١) محتضر المنافع : يقدم الحاضر ولا يتكلف شيئاً ، كذلك فسرهُ الشيخ المرصفي ، وقد يكون
المراد أنه حاضر النفع فلا ينبغي سائلوه . (٢) يرى الشيخ المرصفي أن الصواب « وفوق جمائه »
(٣) أشعرت : ألبست الشعار ، وهو الثوب الذي يلبى الجسد .

وقالوا السَّبَّابِيَّةُ^(١) لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَةُ ، وقوله تحت جَمَّاهُ يعني شخصه ، والضال السُّدْرُ البَرِّيُّ ، وما كان من السُّدْرِ على الأنهار فليس بضالٍ ، ولكن يقال له عُبْرِيٌّ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

قَطَعْتُ إِذَا تَجَوَّبَتِ العَوَاطِي^(٢) ضُرُوبَ السُّدْرِ عُبْرِيًّا وضالًا
وقوله : وَرِثْتُ سِلَاحَهُ وَوَرِثْتُ ذُوْدًا ، يصف قُرْبَ نَسَبِهِ مِنْهُ ، وَالذُّوْدُ :
القطعة من الإبل ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الإِنَاثِ ، وَيَجُوزُ فِي السَّائِرِ ،
ومنه قولهم : الذُّوْدُ إِلَى الذُّوْدِ إِبِلٌ ، ثم قال :

* وَحَزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِي *

كما قال الأول ، وَغُبَطَ بَعِيرَاتٍ وَرِثْتُهُ مِنْ أَحَدِ أَهْلِهِ :

يَقُولُ جَزْءُهُ وَلَمْ يَقُلْ جَلَالًا إِنِّي تَرَوَّحْتُ نَاعِمًا جَدِيلاً
إِنْ كُنْتُ أَرْتَنَنْتَنِي بِهَا كَذِبًا جَزْءُهُ فَلَا قِيَّتَ مِثْلَهَا مَجَالًا
أَغْبَطُ أَنْ أَرِزَأَ الكِرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ ذُوْدًا شَصَائِصًا نَبَلًا

قوله : ولم يقل جلالاً : أى صغيراً ، والجَلَلُ يكون للصغير ، ويكون للكبير ،
من ذلك قوله : * كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ جَلَلًا *
أى صغير ، وقال لبيدٌ في الكبير :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي وَمِنَ الأَرْزَاءِ رُزْءُ ذُو جَلَلٍ

وقوله شصائصاً : يعني حقيرةً دَمِيمَةً^(٣) ، وزعم التَّوْزِيُّ أَنَّ النَّبْلَ مِنَ الأَضْدَادِ ،
يكون للجليل والحقير ، واحتجَّ بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة

(١) هم قوم من السند نزلوا البصرة فكانوا بها شرطة وحراس سجون .

(٢) العواطي : الظباء تمد أعناقها إلى الشجر (٣) الشصائص جمع شصوم وهي النايبة التي قل لبنها

وقوله أَرَنْتَنِي : أَى قَرَفْتَنِي وَنَسَبْتَنِي إِلَيْهِ ^(١) ، يقال فلان يُرَنُّ بكذا .
وكذا . أَى يُسَمَّى بِهِ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، قال امرؤ القيس بن حُجْر :
كَذَّبْتَ لَقَدْ أُصِيبَ عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُرَنَّ بِهَا الْخَالِي
وفي معنى قوله ورثت سلاحه قولُ الشاعر :

يَفْرَحُ الْوَارِثُ بِالْمَالِ إِذَا وَرِثَ الْمَالَ وَيَبْكِي إِنْ غَضِبَ
ومثله قول نعامَةَ الْفَزَارِيِّ :

* يَا حَبْدًا التَّرَاثُ لَوْلَا الذَّلَّةُ *

وقال جميل بن معمر :

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَدَفَتْ بِهِ ^(٢) يَدٌ وَمُمَرُّ الْعُقَدَتَيْنِ وَثِيْقُ
لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرُ
عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أَيَّمَا خِطَامِهَا
بِأَوْشَكِ قِتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي
كَأَنَّ لَمْ تُحَارِبْ يَا بَشِيرُ لَوَأْتَهَا
وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِيِ فَتِيْقُ
فَتَنٌ وَأَيَّمَا عُوْدُهَا فَعْتِيْقُ
نَوَافِدَ لَمْ تُعْلَمَ لَهُنَّ خُرُوقُ
تَكْشَفُ غُمَّهَا وَأَنْتَ صَدِيْقُ

قوله ما صائب يريد قاصداً يقال : صاب يصوب إذا قصد ، ومن ذلك قوله
تعالى : « أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ » وقد قالوا النازل ^(٣) والقصدُ أحكم ، كما
قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

(١) من قولهم : فلان يرَنُّ بكذا ، أى يتهم به .

(٢) النابِل : صاحب النبل ، كما يقال تامر ولابن ، لصاحب التمر والابن . (٣) أى فى تفسير الصائب .

ثُمَّ مَلُّ أَنْ أُؤُوبَ لَهَا بِغُنْمٍ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صَابًا

(صَدْرُ الْبَيْتِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ) وَقَوْلُهُ وَمُمَرُّ الْعُقَدَتَيْنِ يَعْنِي وَتَرًا ، وَالْمُمَرُّ الشَّدِيدُ الْفَتْلِ ، وَقَوْلُهُ مِنْ (خَوَافِي النَّسْرِ حُمُّ نَظَارٌ) يَرِيدُ رِيْشَ السَّهْمِ ، وَالْحُمُّ : السُّوْدُ ، وَذَلِكَ أَخْلَصُهُ وَأَجْوَدُهُ ، وَجَعَلَهَا نَظَارًا فِي مَقَادِيرِهَا ، لِأَنَّهُ أَقْصَدُ لِلْسَّهْمِ ، وَإِذَا كَانَتِ الرِّيْشَاتُ بَطْنُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا إِلَى ظَهْرِ الْآخَرَى فَهُوَ الَّذِي يُخْتَارُ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْلُؤَامُ ، وَإِنَّمَا أُخِذَ مِنْ قَوْلِهِمْ مُلْتَمَسٌ ، وَإِنْ كَانَ ظَهْرُ الْوَاحِدَةِ إِلَى ظَهْرِ الْآخَرَى ، وَبَطْنُهَا إِلَى بَطْنِ الْآخَرَى ، فَذَلِكَ مَكْرُوهٌ ، يُقَالُ لَهُ الْلُغَابُ .

وَقَوْلُهُ : كَنْصَلُ الزَّاعِي ، شَبَّهَ نَصَلَ السَّهْمِ بِنَصَلِ الرُّمُوحِ الزَّاعِي ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْخَزْرَجِ يُقَالُ لَهُ زَاعِبٌ كَانَ يَعْمَلُ الْأَسِنَّةَ ، هَذَا قَوْلُ قَوْمٍ ، وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَكَانَ يَقُولُ : الزَّاعِيُّ هُوَ الَّذِي إِذَا هَزَّ فَكَانَ كُؤُوبَهُ يَجْرِي بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، لِلْبَيْنَةِ وَتَشْبِيهِهِ^(١) ، يُقَالُ مَرَّ يَزْعَبُ بِجَمَلِهِ إِذَا مَرَّ بِهِ مَرًّا سَهْلًا .

وَقَوْلُهُ فَتِيْقٌ : يَعْنِي إِذَا رَقِيْقًا ، يُقَالُ فَتِيْقُ الشَّفَرَتَيْنِ ، وَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ يَفْتُقُ مَا مَحَمَدٌ بِهِ لَهُ ، وَفَعِيلٌ يَقَعُ أَسْمًا لِلْفَاعِلِ ، وَيَقَعُ لِلْمَفْعُولِ ، فَأَمَّا الْفَاعِلُ فَمِثْلُ رَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَحَكِيمٍ وَشَهِيدٍ ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِلْمَفْعُولِ فَنَحْوُ جَرِيْحٍ وَقَتِيلٍ وَصَرِيْعٍ . وَقَوْلُهُ زَوْرَاءٌ : يَرِيدُ مُعْوَجَّةً ، وَكَلِمًا كَانَتِ الْقَوْمُ أَشَدَّ انْعِطَافًا كَانَتْ سَهْمُهَا أَمْضَى .

(١) وعلى ذلك تكون الياء فيه للبانة لا للذنب .

وقوله على نَبَعَةٍ : يعنى قَوْسًا ، وأَكْرَمُ الْقِسِيِّ ما كان من النَّبْعِ .
وقوله أَيْمًا : يريد أَمًا ، واستثقل التضعيف فأبدل الياء من إحدى اليمين ،
وَيُنشَدُ بيتُ ابنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

رَأَتْ رَجُلًا أَيْمًا إِذَا الشَّمْسُ حَارَصَتْ فَيَضْحَى وَأَيْمًا بِالْعَشِيِّ فَيَحْصِرُ
وهذا يقع ، وإنما بابه^(١) أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فِعَالٍ
فيكروهون التضعيف والكسرة ، فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة ،
وذلك قولهم دِينَارٌ وَقِيرَاطٌ وَدِيوانٌ وما أشبه ذلك ، فإن زالت الكسرة
وانفصل أحد الحرفين من الآخر رَجَعَ التضعيفُ ، فقلت دَنانيرٌ وَقَرَارِيطُ
وَدَوَاوِينُ ، وكذلك إن صَعُرَتْ قلت قُرَيْرِيطٌ وَدُنَيْنِيرٌ .

وقوله وَأَيْمًا عَوْدُهَا فَعَتِيقُ : يصف كَرَمَ هذه القوس وعِتْقَها ، ويُحَمَّدُ
منها أن تُتْرَكَ وَجِلَاوُهاَ عليها بعد القِطْعِ حتى تشرب ماءه ، كما قال الشَّماخُ :
فَطَعَّها حَوَالِينَ مَاءِ جِلْأِها وَبَنَظَرُها مِنْها أَيُّها هُوَ غَاوِرُ
مَظْمَها : شَرِبَها (قوله فطمعها حوالين أى ترَكها في الظل حوالين حتى تشرب
ماء اللحاء ، يقال تَطَمَعَ الرَّجُلُ الظلَّ : إِذا تَحَوَّلَ مِنْ مَكَانٍ إِلى مَكَانٍ) .

وقوله : بأَوْشِكَ قَتْلًا مِنْكَ ، يقول بأسرع ، يقال أَمْرٌ وَشِيكٌ أى سريع ،
ويقال : يُوَشِّكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا : أى يقاربُ ذلك ، ويُوَشِّكُ يفعل
كذا بطرح أن ، كل ذلك جَيِّدٌ^(٢) . قال الشاعر (هو أَمِيَّةُ بنِ أَبِي النُّصَلْتِ) :

يُوَشِّكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُواْفِقُها
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ فَاْلرَّاءِ ذَاتِقُها

(١) أى قياسه المطرود . (٢) والأجود إثبات أن .

(قال أبو الحسن : هذه الأبيات أربعة ، وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج ، أولها :

مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ عَاشَتْ قَلِيلًا فَلَمَوْتُ لَاحِقُهَا
وَأَيَقَنَتْ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا كَانَ بَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا)

قوله : عَبْطَة ، أى شاباً ، يقال اعتبَطَ الرجلُ : إذا مات شاباً من غير مرض ^(١) ، وأصل العيبط : الطرى من كل شيء .

وقوله : نَوَافِذٌ لَمْ تُعَلِّمْ لَهْنَ خُرُوقٌ : معنى طريف ، وقد أخذه أبو حية منه فكشفه في أبيات مختارة ، وهي : (أسم أبي حية : الهيثم بن الربيع) :

وَإِنَّ دَمًا - لَوْ تَعَامَيْنِ - جَنَيْتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ
أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ ^(٢)
وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَمُرِّ الشَّنَايَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاعِمِ
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سَيْلِكَ نَاطِمِ
رَمَيْنَ فَأَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ يُجِدْ ^(٣) دَمًا مَأْرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ

(الكاف في قوله : كَمُرِّ فاعلة بقوله طل ^(٤) ، ومنه قول الأعشى :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّمَنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفَتْلُ
وقول امرئ القيس :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

(١) وذلك مجاز من قولهم عبط الناقة إذا نحرها وهي سمينة فتية ليس بها داء ولا كسر .

(٢) اللهاذم : الفواطع ، والمفرد لهدم على وزن جعفر .

(٣) من قولهم : قصد الرجل أى طعنه فلم يخطى مقالة .

(٤) وعلى ذلك تكون الكاف اسما .

(قال أبو الحسن : وأول هذه الآيات المختارة أنشدناه غيره :

خَبَرَكَ الْوَأَشُونَ أَنْ لَنْ أَحْبِبُكُمْ بَلَى وَسُئِرَ اللَّهُ ذَاتِ الْمَحَارِمِ
أُصِدُّ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِيئُهُ شِفَاءَهُ لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعُ الْعَلَاقِمِ^(١)
حَيَاءٌ وَبُقْيَاءٌ أَنْ تَشِيْعَ نَمِيْمَةٌ بِنَا وَبِكُمْ أَفٍ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ

قال أبو العباس : فهذا مأخوذ من ذلك .

وقوله : ولكن لعمرك الله ما طلل مساماً ، يقول ما طلل دمه ، يقال دم

مطلول : إذا مضى هدراً ، كما قال الراجز :

* بَغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولٍ *

وحدثني التوزي قال : قال يحيى بن يعمر رجل نازعته امرأته عنده

« أَنْ طَالِبَتِكَ بِشَمَنِ شَكْرَهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَاتَ تَطْلُهَا وَتَضَهْلُهَا؟ » قوله : ثمن

شكرها ، فإنما يعني الرضاع ، والشبر : النكاح ، والشكر الفرج ، وقوله

أنشأت تطلها ، أى تسعى فى بطلان حقها ، وقوله تضهلها : أى تعطىها الشيء

بعىء ، يقدر الشال برضهول إذا كان ماؤها يخرج من جرابها شيئاً بعد شيء ،

وجرابها جوائبها ، وإنما يغزرها ماؤها إذا خرج من قرارتها فتعظم جنتها .

وقوله : واضحات الملاغم ، يريد العوارض^(٢) . قال الفرزدق :

سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عَلَاطًا وَلَا مَحْبُوطَةً فِي الْمَلَاعِمِ

يقول : علم أرباب الماء لمن هي فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لعزهم

ومنتهم ، ولم تحتج أن تكون بها سمة ، والعلاط : وسم في المنق ، والخباط

فى الوجه .

(١) الاجتراع : الابتلاع ، والملاقم : واحدها الملقم جمع العلقمة ، وهى القطعة من الخنظل .

(٢) وهى مايدوم من القم عد الضحك .

باب

قال بعض الحكماء: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرَّ بِهِ كَبِيرًا .
وكان يقال: مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ أَرْغَمَ حَاسِدَهُ .

وقال رجل لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ: إني أريد أن أُسِرَّ إِلَيْكَ شَيْئًا، فقال
عبد المَلِكِ لأصحابه: إِذَا شِئْتُمْ، فَتَهَضُّوْا، فَأَرَادَ الرَّجُلُ السِّكْرَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ
الْمَلِكِ: قِفْ لَا تَمْدَحْنِي، فَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ، وَلَا تَكْذِبْنِي، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ
لِالْمَكْذُوبِ^(١)، وَلَا تَغْتَبْ عِنْدِي أَحَدًا .

فقال الرجل: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَأْذَنُ لِي فِي الْأَنْصِرَافِ؟ قَالَ لَهُ:
إِذَا شِئْتَ .

وقال بعض الحكماء: ثَلَاثٌ لَا غُرْبَةَ مَعَهُنَّ: مَجَانِبَةُ الرَّيِّبِ، وَحُسْنُ
الْأَدَبِ، وَكَفُّ الْأَذَى .

وقال عمرو بن العاصِ لِلدِّهْقَانِ^(٢) نَهْرَ تِيرِي^(٣): بِمِ يَنْبَلُ الرَّجُلُ عِنْدَكُمْ؟
فقال: بِتَرْكِ الْكُذْبِ: فَإِنَّهُ لَا يَشْرَفُ إِلَّا مَنْ يُوثِقُ بِقَوْلِهِ، وَبِقِيَامِهِ بِأَمْرِ
أَهْلِهِ: فَإِنَّهُ لَا يَنْبَلُ مَنْ يَحْتَاجُ أَهْلَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَبِمَجَانِبَةِ الرَّيِّبِ: فَإِنَّهُ لَا يَعْزُ
مَنْ لَا يُؤْمِنُ أَنْ لَا يُصَادَفَ عَلَى سَوْأَةٍ، وَبِالْقِيَامِ بِحَاجَاتِ النَّاسِ: فَإِنَّهُ مَنْ رُجِيَ
الْفَرْجُ لَدَيْهِ كَثُرَتْ غَاشِيَتُهُ^(٤) .

(١) أصل المثل: ليس لمكذوب رأي . (٢) الدهقان - بكسر الدال وضمها - زعيم فلاحى
العجم، ويطلق على رئيس الإقليم، والجمع دهقائن ودهاقنة .
(٣) نهر تيرى: بلد بناحية الأهواز . (٤) الغاشية: هم الذين يفشون أبواب الكرماء .

وقال بَرَزَ مُجْمِرٌ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ وَضِعًا ،
وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ، وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا ، وَكَثُرَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ
وَإِنْ كَانَ مُقْتَرًا .

وكان يقال : عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ ، فَإِنَّهُ صَاحِبٌ فِي السَّفَرِ ، وَمُوْنِسٌ فِي
الوَحْدَةِ ، وَجَمَالٌ فِي الْمَحْفَلِ ، وَسَبَبٌ إِلَى طَلَبِ الْحَاجَةِ .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أفضل ما أعطيتهُ العربُ
الآياتُ يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ أَمَامَ حَاجَتِهِ : فَيَسْتَعْطِفُ بِهَا الْكَرِيمَ ، وَيَسْتَنْزِلُ
بِهَا اللَّئِيمَ .

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج ، أَوْ سِمَاكُ بن حَرْبٍ (قال أبو الحسن هو
سِمَاكُ بلا شك) إِذَا كَانَتْ لَهُ إِلَى أَمِيرٍ حَاجَةٌ أَسْتَنْزِلُهُ بِآيَاتٍ يَقُولُهَا فِيهِ .

وقال بعض المملوك لبعض وُزَرَائِهِ - وَأَرَادَ مِحْنَتَهُ - : مَا خَيْرٌ مَا يُرْزَقُهُ
الْعَبْدُ ؟ قَالَ : عَقْلٌ يَعْيشُ بِهِ . قَالَ : فَإِنْ عَدِمَهُ ؟ قَالَ : فَأَدَبٌ يَتَحَلَّى بِهِ . قَالَ :
فَإِنْ عَدِمَهُ ؟ قَالَ : فَالِئِيسْتِرَهُ . قَالَ : فَإِنْ عَدِمَهُ ؟ قَالَ : فَصَاعِقَةٌ تُنْحَرِقُهُ ،
فُتْرِيحٌ مِنْهُ الْعِبَادَةُ وَالْبِلَادُ .

وقيل لرجل من ملوك العجم : متى يكونُ الْعِلْمُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إِذَا
كَثُرَ الْأَدَبُ ، وَتَقَصَّتِ الْقَرِيحَةُ .

وقال أَرْدَشِيرٌ : مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِلَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ، كَانَ حَتْمُهُ
فِي أَغْلَبِ خِلَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وذكر رجلاً من أهله : إِنِّي

لأكره أن يكون لعلمه فضلٌ على عقله ، كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه .

وقال محمد بن علي بن الحسين : جميع التعائش والتناصف والتعاشر في ملء مكيالٍ ثلثاه فطنةٌ ، وثلث تغافلٌ . فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً في الصلاح ، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن به ^(١) .

باب

قال رجل ^(٢) من بني عبد الله بن غطفان ، وجاور في طيء وهو خائف :

جزى الله خيراً طيئاً من عشيرة
ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطوني بالنفوس ودافعوا
ورائي بركن ذي منأ كب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك إن يصب
نقدك وإن تحبس تزرك وتشفع

وقال رجل من بني سلامان بن سعد هذيم من قضاة ، وجاور في طيء :

كان الجار في شمجي بن جرم
له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويدب عنه ^(٣)
ويحني سرحة أنف غضوب ^(٤)
ألفت مساكين الجبلين إنني
رأيت الغوث يأنفها الغريب

(الجبلان : سلمى وأجأ ، وهما لطيء ، والغوث قبيلة من طيء .

(١) ويقال أيضاً : فطن إليه ، وفطن له .

(٢) نسبة أبو تمام في حماسه الصغرى إلى ابن دارة ، وهو سالم بن مسافع .

(٣) النمار : ما لزمك حفظه من أهل ومال . (٤) السرح : ما يسام في الرعي من الأنعام .



وأشدني عبد الوهاب بن جَنبَةَ الغنويُّ لعبيد بن العرنَدَسِ الكِلَابِيِّ
يصف قوماً نزل بهم :

هَيْنُونَ لَيْتُونَ^(١) أَيَسَارُ ذَوُو يَسَرٍ سُوسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيَسَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَلَى الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُعَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلٌ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي



(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثتُ عن أبي
الفضل العباس بن الفرج الرياشي قال : قصَدَ رجل من الشعراء ثلاثة إخوة
من غني ، وكانوا مُقلين ، فامتدحهم ، فجعلوا له عليهم في كل سنة ذودًا ، فكان
يأتي فيأخذ الذودَ ، والشعرُ الذي امتدحهم به قوله :

يَا دَارُ بَيْنِ كُليَاتٍ^(٢) وَأَظْفَارِ وَالْحَمَتَيْنِ سَقَاكَ اللهُ مِنْ دَارِ
عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدَّمَ مِنْ عَضْرِ مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ
عَنَّاغْنِيَتْ بِذَاتِ الرُّمْتِ مِنْ أَجَلِي وَالْعَهْدُ مِنْكَ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ
أراد أني فقلب الهمزة عينا :

وَقَدَّ نَرَى بِكَ وَالْأَيَّامُ جَامِعَةٌ بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عَيْنٍ وَأَبْكَارِ
فِيهِنَّ عَثْمَةٌ لَا يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا وَلَا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ

(١) يرى بن الأعرابي أن العرب تمدح بهاتين الكامتين مخفتين وتدم بهما مشدتين ، وغيره
يجعلهما بمعنى واحد . (٢) جمع كلية مصغر كلوة ، وهي : اسم واد قريب من نجد وأظفار
موضع لبني فزارة بنجد ، والحمتين هما حمات الثوير ، وذكر بعض الناس أنهما جبلان .

إِذْ يَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ قَدَنْلَتْ نَائِلَهُمَا قَدَمَا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِي^(١)
 بَلْ أَيُّهَا الرَّا كِبُ الْمُفْنِي سَبِيَّتَهُ يَبْكِي عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ
 خَبْرٌ ثَنَاءُ بَنِي عَمْرٍو فَاتِّمُّهُمْ أُولُو فُضُولٍ^(٢) وَأَنْفَالٍ^(٣) وَأَخْطَارِ^(٤)
 هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذُوو كَرَمٍ سُوَّاسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
 فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْمَجْدُ مُتَلَدًا^(٥) وَلَا يُعَدُّ نَتَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
 لَا يَظْعَنُونَ عَلَى الْعَمِيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا^(٦) وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِ كَثَارِ
 وَإِنْ تَلَيْتَهُمْ^(٧) لَا تَوْأَ وَإِنْ شَهَمُوا^(٨) كَشَفَتْ أَدْمَارَ حَرْبٍ غَيْرِ أَغْمَارِ
 إِنْ يُسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَأَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

قال أبو العباس : وكان قوم نزلوا بيني العنبر بن عمرو بن تميم ، والقوم
 من بني ضبة ، فأغبر عليهم ، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُعِيثُوهُمْ ، وجعلوا يَدْفَعُونَهُمْ
 حتى خافوا قوتها ، فاستغاثوا بيني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، فَرَكَبُوا
 فَرْدُوها عليهم ، فقال المُكْعَبِرُ الضُّبِّيُّ في ذلك (اسمه حُرَيْثُ بن عَفُوظِ) .
 أَبْلِغْ طَرِيفًا حَيْثُ شَطَطَتْ بِهَا النَّوَى فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ
 كَسَالِي إِذَا لَأَقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنطِقِ يُلْهَى بِهِ الْمَحْرُوبُ وَهُوَ عَنَاءُ

(١) من زرى عليه : إذا عابه .

(٢) الفضول : جمع فضل ، وهو ضد النقص . (٣) والأفقال : جمع فقل بالتحريك ، وهو العظيمة .

(٤) جمع خطر بالتحريك ، وهو رفعة المنزلة . (٥) المتلد : القديم .

(٦) المراد أنهم لا يسرون في ضلال . (٧) أي تليت لهم . (٨) شهموا : ذعروا وخافوا .

وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ كما فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاهُ
أَخْبِرُ مَنْ لَأَقِيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءَ وَ
فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى أُسْرَةِ مَالِكِ وَهَلْ كَفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ
لَهُمْ أَذْرُعُ بَادٍ نَوَاسِرُ لَحْمِهَا وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ عُثَاءُ
قوله : حيث شطت بها النوى ، معنى شطت : تباعدت ، يقال اشط فلان في
الحكم : إذا عدل عنه متباعداً ، قال الله تعالى : فاحكمم بيننا بالحق ولا
تشطط ، وقال الأحوص (١) :

أَلَا يَا قَوِي قَدْ أَشْطَّتْ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي
وَيَلْحَيْنِي فِي اللَّهِوِ إِلَّا أَحِبَّهُ وَلِلَّهِوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِي
والنوى : البعد ، ويقال شطت بهم نية قذف ، أى رحلة بعيدة ، قال الشاعر :
* وَصَحَّحَانِ قَذْفِ كَالْتَرْسِ * وليس بأخوذ من نأيت في اللفظ
ولكنه مثله في المعنى .

وقوله : * فَلَيْسَ لِدهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ * يقول : الطالب في إثر
طلبته أبداً .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ بَعَثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَكَانَ أَخَذَ لَهُ غَلَامًا :
يا هذا ، إن الرجل ينام على الثكل ، ولا ينام على الحرب ، فإما رددته ، وإما
عرصت أسماك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات (٢) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن شعراء العصر الأموي ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينه ،
وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ . (٢) المعنى أنه يدعو عليه في أعقاب الصلوات .

ومن أمثال العرب لا ينام إلا من أثار ، ويقال لمن أدرك ثاراً نبيلاً
أصاب ثاراً مُنيماً ، وأنشد :

تَقُولُ لِي ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍو لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّارِ الْمُنِيمِ
وقوله :

وَإِنِّي لِأَرْجُوكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
يقول : هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه ، كما أن هذه الحوامل
لا يعلم ما في بطونها وليس بميتوس منه ، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم
أن سعيهم غير كائن ، ألا تراه يقول :

أَخْبِرْ مَنْ لَا قَيْتُ أَنْ قَدْ وَقَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُوا
وقوله : « كَانَ دَنَابِرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ » زعم أبو عبيدة أن القسَمَاتِ مجازي
الدموع ، واحدها قسمة ، وقال الأصمعي : القسَمَاتُ أعلى الوجه ولم يدينه بأكثر
من هذا ، وقول أبي عبيدة مشروخ ، ويقال من هذا رجل قسيم ، ورجل
مقسّم ، ووجه قسيم ومقسّم ، قال الشاعر :

وَيَوْمًا ثَوَّافِينَا بَوَجْهِهِ مُقْسَمٌ كَأَنَّ ظَنِيَّةً تَمْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ
قوله : تمطو أي تناول ، يقال عطا يعطو : إذا تناول ، وأعطيته أنا أي
ناولته ، قال امرؤ القيس :

وَتَعْطُو بِرِخْصٍ (١) غَيْرِ شَتْنٍ (٢) كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَنِي (٣) أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ (٤)

(١) الرخس : اللبن الناعم . (٢) الشتن : الغليظ الحشن .

(٣) ظني : اسم رملة ، والأساريع دود مفصل الألوان يابضاً وحمرة تشبه به أصابع النساء .

(٤) الاسجل : شجر يستاك بعيدانه ، والمفرد إسجلة .

والسَّلْمُ شجر بعينه كثير الشوك، فإذا أرادوا أن يَحْتَطِبُوهُ شَدَّوه، ثم قطعوه،
فن ذلك قولُ الْحَجَّاجِ : « وَاللَّهِ لَأَحْزَمَةُ بَنِيكُمْ حَزَمَ السَّامَةِ ، وَلَاضِرِّ بَنِيكُمْ
ضَرَبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ ^(١) » .

قال : وحدثني التَّوْزِيُّ عن أبي زيد قال : سمعت العرب تُنْشِدُ هذا البيتَ
فتنصب الظَّيْبَةَ وترفعها وتخفضها ، قال أبو العباس : أما رفعها فعلى الضمير
يريد كأنها ظَبْيَةٌ ، وهذا شرط أن وكان إذا خُفِّفَتْ إنما هو على حذف الضمير
وعلى هذا قوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى » وهذا الباب
قد شرحناه في الكتاب المُقْتَضَبِ في باب إنَّ وإنَّ بجميعِ عِلَلِهِ ، ومن نَصَبَ
فعلى غير ضمير ، وعَمَلُهَا مَخْفِفةٌ عَمَلُهَا مُثَقَلَةٌ لأنها تَعْمَلُ لَشَبَهِهَا بالفعل ، فإذا
خُفِّفَتْ عَمِلَتْ عَمَلِ الفعل المحذوف ^(٢) ، كقولك : لم يَكُ زيدٌ منطلقاً ، فالفعل
إذا حذف يَعْمَلُ عَمَلَهُ تَامًا ، فيصير التقدير : كأنَّ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى وارقِ السَّلْمَ
هذه المرأة ، وحذفت الخبر لما تقدم من ذكره ، ومن قال كأنَّ ظَبْيَةً جَعَلَ
أن زائدةً ، وأَعْمَلَ الكاف أراد كظبية، وزاد أن كما تزيدها في قولك : لما أن
جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ ، والله أن لو جئتنى لأعطيتك ، وقوله :

* لَهُمْ أَذْرَعٌ بَادٍ نَوَاشِرٌ حَمِيهَا * فكلُّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى فِعَالٍ مِنَ الْمُؤَنَّثِ
جَمْعُهُ أَفْعُلٌ ، وكذلك فَعَالٌ ، تقول : ذِرَاعٌ وَأَذْرَعٌ ، وَكِرَاعٌ وَأَكْرَمَعٌ ، لأنهما
مؤنثتان ، ومن أنتَ اللسانَ قال الأُسْنُ ، ومن ذَكَرَهُ قال الأُسْنَةُ ، وشِمَالٌ
وَأَشْمَلٌ ، كما قال (هو أبو النَّجْمِ العَجَلِيُّ) * يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلٍ *

(١) أى الابل الغربية التي تدخل مع الابل عند ورود الماء فيطردعا الرعاة .

(٢) أى الذى حذف منه حرف .

فأما المذكر فعلى أفعلة في أدنى المدد وفعل في الكثير، يقال حمارٌ وأهمرةٌ
ومحرٌ، وفراشٌ وأفرشةٌ وفرشٌ، والنواشيرُ: ما يظهر من العروق في ظهرِ
الذراع مما يُداني المعصمَ، وذلك الموضع يقال له أسلةُ الذراع، قال زهيرٌ:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ

وقوله: * وَبَعْضُ الرَّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءٌ * فالغُثَاءُ: ما يبس من البقل
حتى يصير حُطامًا، وينتهي في اليبس فيَسْوَدُّ، فيقال له: غُثَاءٌ وَهَشِيمٌ وَدِنْدِنٌ
وثنٌ، على قدر اختلاف أجناسه، ويقال له الدرينُ، قال الله عز وجل: «
بَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى» وقال «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ»، وقال
الشاعر يصف سحبابا (هو ابن ميادة، وقبه:

سَحَابِبُ لَا مِنْ صَيْفٍ^(١) ذِي صَوَائِقٍ وَلَا مُرِقَاتٍ مَأْوُهُنَّ حَمِيمٌ
إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدَّمَاتٌ غَوْدُهُمَا بَكَينَ بِهَا حَسَى يَعْيشَ هَشِيمٌ
وقال الراجز: * تَكْفِي الْفَصِيلَ أَكْلَةً مِنْ ثَنٍ * وقد يقال للشيء الذي
لا خير فيه: هذا غُثَاءٌ، أي قد صار كذلك الذي وصفناه، ويضربُ هذا مثلاً
للكلام الذي لا وجه له، وقال رجل أحسبه تميمياً (هو الفرزدقُ):

لَوْ لَمْ يَفَارِقْنِي عَطِيَّةُ لَمْ أَهِنْ وَلَمْ أَعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ
شُجَاعُ إِذَا لَأَقَى وَرَامٍ إِذَا رَمَى وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ
سَأَبُكِيكَ حَتَّى تُفِدَ إِلَيْنِ مَاءَهَا وَيَشْفِي مِنِّي الدَّمْعُ مَا أَوْجَعُ
أَحْسَنُ الْإِنشَادِينَ عِنْدِي لَمْ أَهِنْ، يأخذه مِنْ وَهْنٍ يَهِنْ، لأنه إذا قال لم

(١) الصيف: المطر الذي يأتي في الصيف، وفي رواية «صيب» .

أَهْنُ فَهُوَ مِنَ الْهَوَانِ ، وَمَنْ قَالَ : لَمْ أَهِنْ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الضَّعْفِ ، وَهُوَ أَشْبَهُ
بِقَوْلِهِ : * وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ * وَالْآخِرُ غَيْرُ بَعِيدٍ ،
يَقُولُ لَمْ أَهِنْ عَلَى أَعْدَائِي ، وَإِذَا قَالَ لَمْ أَهِنْ فَالْأَصْلُ لَمْ أَوْهِنْ ، وَلَكِنَّ الْوَاوَ
إِذَا كَانَتْ فِي مَوْضِعِ الْفَاءِ مِنَ الْفِعْلِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ عَلَى يَفْعَلٍ ، فَالْوَاوُ
مَحذُوفَةٌ ، وَإِنَّمَا تُحْذَفُ الْوَاوُ لَوْقُوعِهَا بَيْنَ يَاءٍ وَكَسْرَةٍ ، وَتَصِيرُ حُرُوفَ
الْمُضَارَعَةِ الْبَاقِيَةَ تَابِعَةً لِلْيَاءِ ، لِثَلَاثِ مَخْتَلِفِ الْبَابِ ، وَهِيَ التَّاءُ مِنْ قَوْلِكَ تَفْعَلُ إِذَا
عَنَيْتَ مَخَاطَبًا أَوْ مَوْتِنًا غَائِبًا ، نَحْوُ أَنْتَ تَعْدُ وَهِيَ تَعْدُ ، وَالْهَمْزَةُ إِذَا عَنَيْتَ
نَفْسَكَ نَحْوَ أَنَا أَعِدُ ، وَالنُّونُ إِذَا أَخْبَرْتَ عَنِ نَفْسِكَ وَمَعَكَ غَيْرُكَ ، نَحْوُ نَحْنُ
نَعِدُ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا هَذَا لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُتَعَدِيَ تَحْذِفُ مِنْهُ الْوَاوُ ، فَإِنْ كَانَ
غَيْرَ مُتَعَدٍّ ثَبَتَتْ ، فَقَدْ قَالَ أَقْبَحُ قَوْلٍ ، لِأَنَّ التَّعَدِّيَّ أَوْ غَيْرَ التَّعَدِّيَّ لَا يُحْدِثُ
فِي أَنْفُسِ الْأَفْعَالِ شَيْئًا ، وَلَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ لِأَنَّ الْوَاوَ فِي وَهِنْ يَهِنْ ، لِأَنَّكَ
لَا تَقُولُ : وَهَنْتُ زَيْدًا ، وَكَذَلِكَ وَرِمَ يَرِمُ ، وَوَكَفَ الْبَيْتُ يَكِفُ ،
وَوَسَمَ الذُّبَابُ يَنْمُ ، وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَعْدَ الْوَاوِ كَسْرَةٌ
لَمْ تُحْذَفْ ، نَحْوُ وَجَلَّ يَوْجَلُّ ، وَوَجَلَّ يَوْجَلُّ ، وَوَجِعَ الرَّجُلُ يَوْجَعُ ، وَقَدْ يَجُوزُ
يَجْعُ وَيَجْعُ وَيَجْعُ لِمَا نَذَرَ إِذَا جَرَى ذِكْرُهُ هَذِهِ الْمَفْتُوحَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَأَمَّا الْحَذْفُ فَلَا يَكُونُ فِيهَا ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا بِالْ يَطَأُ وَيَسْعُ حَذَفَتْ مِنْهُمَا
الْوَاوُ ، وَمِثْلُهُمَا ثَبَّتَتْ فِيهِ الْوَاوُ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ فَعِلٌ يَفْعَلُ مِثْلَ وَلِيَّ يَلِي ،
وَوَرِمَ يَرِمُ ، فَفَتَحَتْهُ الْهَمْزَةُ وَالْعَيْنُ ، وَالْأَصْلُ الْكَسْرُ ، فَإِنَّمَا حَذَفَتْ الْوَاوُ مِمَّا
يَلْزَمُ فِي الْأَصْلِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : وَلَغَّ السَّبْعُ يَلْغُ فَهَذَا فَعَلٌ يَفْعَلُ

والأصل يَفْعِلُ ، ولكن فَتَحَّتْهُ النِّينُ ، لأن حروف الحَلْقِ تَفْتَحُ ما كَانَ على يَفْعِلُ وَيَفْعَلُ ، ولولا ذلك لم تَقَعْ فَعَلٌ يَفْعَلُ . وحروف الحَلْقِ ستة : الهمزة والهَاءُ ، والعين والنِّينُ ، والحاء والخاء ، وهُنَّ يُفْتَحْنَ إِذَا كُنَّ في موضع العين واللام ، فأما المِينُ فنحو سَأَلَ يَسْأَلُ وَذَهَبَ يَذْهَبُ ، وأما اللام فمثل قَرَأَ يَقْرَأُ ، وَصَنَعَ يَصْنَعُ ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْتُ لَكَ .

وقوله : * وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعٌ * فتأويل مِصْدَعُ أَي ماضٍ في الأمر ، قال الله عز وجل : « فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ » ويقال : أَخْزَمُ الناسَ مَنْ إِذَا وَضَحَ لَهُ الأَمْرُ صَدَعَهُ بِهِ ، وقال أعرابي يمدح سَوَّارَ بن عبد الله القاضي ، وَسَوَّارٌ أَحَدُ بَنِي العَنْبَرِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ : وَأَوْقَفٌ عِنْدَ الأَمْرِ مَالِمٌ يَضِخُ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا فَاسْتَجْمَعَ في هذا المَدْحِ رِكَائَةُ الحَزْمِ ، وإمضاء العزمِ ، ومثله قول النابغة الجعدي :

أَبِي لِي البَلَاءُ وَأَنِّي امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَزْتَبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة « رَوَّحْزَمٌ ، فَإِذَا اسْتَوْضِحْتَ فَأَعْزِمِ » ومن أمثالهم « قَدْ أَحْزَمُ لَوْ أَعْزِمُ » وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّيَبُّنِ ، فقد قال الشَّعْبِيُّ : أَصَابَ مُتَأَمِّلٌ أَوْ كَادٌ ، وَأَخْطَأَ مُسْتَمَجِلٌ أَوْ كَادٌ . ومثل قوله : * وَيَشْفِي مِنِّي الدَّمْعُ مَا اتَّوَجَّعُ * قول الفرزدق :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوْ سُوَيْفَةَ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَاتَلَاقِيَا

(قال أبو الحسن ويثلو هذين البيتين مما يُسْتَحْسَنُ :

قَعِيدُكُمَا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمَا لَهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا
حَبِيبُ دَعَا وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَسْمَعَنِي سَقِيًّا لِذَلِكَ دَاعِيَا
يقال : قَعِيدُكَ اللَّهُ ، وَقَعِيدُكَ اللَّهُ ، وَنَشِدُكَ اللَّهُ : أَي سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، كَمَا قَالَ
مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ :

قَعِيدُكَ أَلَّا تُسْمِعِنِي مَلَامَةً وَلَا تَنْكِي قَرَحَ الْفُوَادِ فَيَجْعَمَا

ويروى فَقَعِيدُكَ أَلَّا تُسْمِعِنِي ، والبيضان موضع معروف

قال أبو العباس ، وقال أبو بكر بن عَيَّاشٍ : تَرَكْتُ بِي مَصِيبَةً أَوْجَعَتْنِي ،
فَذَكَرْتُ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ .

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمَ الْبَلَابِلِ
فَخَاوَتْ ، فَبَكَيتُ ، فَسَاوَتْ .

وقال نَضْلَةُ السُّلَمِيُّ فِي يَوْمِ غَوْلٍ ، وَكَانَ حَقِيرًا دَمِيًّا ، وَكَانَ ذَا
نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ غَوْلٍ بِنَضْلَةَ وَهُوَ مَوْتُورٌ مُشِيحٌ
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حُرٌّ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتًا كَمَا عَضَّ الشَّبَابُ الْفَرَسَ الْجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلًّا صَاحِبِهِ وَأَرْدَى قَتِيلًا مِنْهُمْ وَنَجَّى جَرِيحًا

وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ وَتَحَتَ الرَّغْوَةَ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ
قوله: وهو مَوْتُورٌ مُشِيخٌ، فالمُشِيخُ الحاملُ الجادُّ، يقال: أُشِخَّ إِشِيخٌ إِذَا حَمَلَ،
وَأَنشَدَنِي التَّوَزِيُّ قَالَ أَنشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ (وهو لأبي العيالِ الهُدَلِيُّ) :
مُشِيخٌ فَوْقَ شِيحَانٍ يَشُدُّ كَأَنَّهُ كَلْبٌ
قال شِيحَانُ أَسْمُ فَرَسِهِ (قال أبو الحسن ويروى «شِيحَان» بفتح الشين، وحقه
على رواية أبي زيد أن لا يَنْصَرِفَ لِأَنَّهُ فَعْلَانٌ، فالألف والنون زائدتان، وهو
معرفة، فَضَارِعٌ عَطْشَانٌ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ، وإنما اضْطُرَّ فَصَّرَفَهُ) ، وقال
ابن الإطناَبَةِ، واسمه عمرو :

وَإِجْشَامِي^(١) عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيخِ
ويقال في هذا المعنى: رجلٌ شِيخٌ كما يقال ناقةٌ تَقْضُ إِذَا كَانَتْ هَزِيلاً^(٢)،
قال أبو ذؤيبٍ . * وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شِيخٌ * وقوله بالسيف
صَلْتًا يَقُولُ مُتَّضِي ، وَرَجُلٌ صَلْتُ الْجَبِينِ إِذَا كَانَ تَقِيَهُ ، وقوله « كَمَا عَضَّ
الشَّبَابُ » يريد حَدَّ اللِّجَامِ ، وَشَبَا كُلَّ شَيْءٍ حَدَّهُ ، وقوله « وَأَرْدَى » أى أَهْلَكَ ،
يقال رَدَى يَرْدَى إِذَا هَلَكَ ، والرَدَى الهَلَاكُ ، قال الله عزَّ وجل : « وَمَا يُغْنِي
عَنهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » قيل فيه قولان: أحدهما إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ ، وَالْآخَرُ
إِذَا مَاتَ ، وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى .

وقوله : * وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ * فهى مَفْعَلَةٌ مِنْ صَالَ
يَصُولُ ، وَيُقَالُ صَالَ الْبَعِيرُ إِذَا عَضَّ .

(١) مصدر أجشبه الأمر: كلفه إياه . (٢) يريد أن «شيخ» تشبه «قض» من حيث الوزن، وإن كانت الأولى بمعنى فاعل والثانية بمعنى مفعول .

وقيل للمغيرة بن شعبة: إن بوابك يأذن لأصحابه قبل أصحابك ،
فقال : إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقور ، والجمل الصئول ، فكيف
بالرجل الكريم ؟

وقوله : * وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبْنُ الصَّرِيحُ * يقول إذا رأيت
الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها ، فربما صادفت
اللبن الصريح إذا كشفتها : أي أنهم رأوني فازدروني لدمامتي ، فلما كشفوا
عني وجدوا غير مارأوا . والصريح المحض الخالص ، من ذلك قولهم عرابي
صريح أي خالص ، وموئلي صريح .

ومن أمثال العرب : « إنه ليسر حسواً في ارتغاء » ومعنى ذلك أنه
يؤمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك ، وإنما يحسو من
تحتها ، يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك ، وإنما يجتر النفع إلى نفسه .
وقال أعرابي خبرت أنه من بني سعد ، وقد تمثل بهذا الشعر الخنوت
وهو توبة بن مضرسي ، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، في
خلاف الدمامة :

وَمَا اتَّقَى الصَّفَانَ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالاً وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقَمَاءَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشَدَّاءَ الرِّجَالِ طَوَالَهَا
دَعَوْا يَا لَسَعِدِ وَأَتَمَمْنَا لِطَيِّئِ أَسْوَدُ الشَّرَى إِقْدَامَهَا وَنَزَالَهَا
قوله نِهَالاً ، يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تُثن ، وذلك أن الناهل الذي
يشرب أول شربة ، فإذا شرب ثانية فهو عال ، يقال سقاه عللاً بعد نهلٍ وعللاً

بَعْدَ نَهْلٍ ، وَفِي الْمَثَلِ : سُمِّتُهُ سَوْمَ عَالَّةٍ إِذَا عَرَضَتْ عَلَيْهِ عَرَضًا يَسْتَحْيِي مِنْ
أَنْ يُقْبَلَ مَعَهُ ، وَالْعَالَّةُ لِحَاجَةِ بَهَا إِلَى الشُّرْبِ ، وَإِنَّمَا يُعْرَضُ عَلَيْهَا تَعْزِيرًا .
قَالَ : * وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالُهَا * أَي أَوَّلُ مَا يَقَعُ مِنْهَا يَكُونُ سَبَبًا لِمَا
بَعْدَهُ . وَأَنشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ : * وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرَّجَالِ طِيَالُهَا * وَليْسَ هَذَا
بِالْجَيْدِ ، وَإِنَّمَا قَلَبَ الْوَاوِيَاءُ لَوْ قَوَعَهَا بَيْنَ كَسْرَةٍ وَأَلْفٍ كَقَوْلِهِمْ : ثِيَابٌ ،
وَحِيَاضٌ ، وَسِيَاطٌ ، وَالوَاحِدُ : ثَوْبٌ ، وَحَوْضٌ وَسَوَاطٌ ، وَهَذَا جَيِّدٌ ، لَسَكُونُ
الْوَاوِي فِي الْوَاحِدِ ؛ فَأَمَّا فِي مِثْلِ طَوَالٍ ، فَإِنَّمَا يَجُوزُ عَلَى التَّشْبِيهِ بِهَذَا ، وَليْسَ
بِجَيِّدٍ لِتَحْرُكِ الْوَاوِي فِي الْوَاحِدِ ، وَأَنشَدَنِي مَسْعُودُ بْنُ بَشِيرٍ الْمَازِنِيُّ :

لَهُمْ أَوْجُهُ يَبِيضُ حَسَانٌ وَأَذْرَعُ طِيَالٌ وَمِنْ سِيَمَا الْمُلُوكِ نَجَارُ
وَمَجَازُ هَذَا فِي النَّحْوِ عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ .

وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِالطَّوْلِ ، وَتَضَعُ مِنَ الْقَصْرِ ، فَلَا يَدُ كُرَهُ مِنْهُمْ إِلَّا
مُتَّحِجٌّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَمْدَحُ بِهِ غَيْرُهُ ، قَالَ عَنَتْرَةُ :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةِ يُحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)

يَقُولُ : لَمْ يُشَارِكْ فِي الرَّحِمِ ، وَقَالَ جَرِيرٌ :

تَعَالَوْا فَفَاتُونَا^(٢) فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ الْأَكْرَمِ
فَأِنِّي لَأَرْضِي عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ وَأَرْضِي الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

(١) السبت بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ ، وكانت تصنع منه نعال يلبسها أهل الترف .

(٢) فاتونا : أمر من الفاتاة وهي المحاكمة .

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لَدِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي يَيَّانِ
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى يَيَّانًا وَجِسْمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَّانِ^(١)

✽

ويقال إن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان إلى منكب عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب العباس ، وكان العباس إلى منكب عبد المطلب . وحدثني التوزي قال : طاف علي بن عبد الله بالبيت ، وهناك عجوز قديمة ، وعلي قد فرغ الناس ، كأنه راكب والناس مشاة ، فقالت : من هذا الذي فرغ الناس ؟ فقيل علي بن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناس ليرذلون ، تهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسقاط أيضا^(٢) .

وحدثني علي بن الناسم بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس قال : كان يقال صار شبه علي بن عبد الله في عظم الأجسام في العليين ، يعني علي بن أمير المؤمنين المهدي المنسوب إلى أمه ريطة ، وعلي بن سليمان ابن علي .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الأسوة والقُدوة كان فوق الرتبة^(٣) ، ولم يكن بالطويل المشدب^(٤) ، وكان إذا مشى مع

(١) بنو عبد المدان كانوا مضرب المثل في الصرف ، قال الشاعر :

ولو أني بليت بهاشمي خثولته بنو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

(٢) المراد بالفسقاط: البناء المرتفع . (٣) الرتبة: هو المربع الخاق ، الذي ليس بالطويل ولا القصير

(٤) المشدب : هو المفرط في الطول وهو تشبيه بالشجرة التي تغضب فروعها فتطول .

الطَّوَالِ طَاهُكُمْ ، ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والمعجم أن
الكمال في الاعتدال ، ولا يقال غير هذا عن حكيم . وأبين ما فيه ما اختاره
الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم !

وقد يقال : الكيس في القصر ، وقد قيل في خبر قصير وكيدٍ ومكره
ما قد سار به المثل ، واستغنى عن الإعادة .

وحدثني العباس بن الفرَج الرِّياشي قال : حدثني أبو عثمان المازني قال :
كان أعرابي يختلف إلى مُغَيِّبَةَ لآل سليمان ، فأشرفت عليه ذات مرّة ، فأومأت
إليه بيدها إيماءً عائبٍ له بالقصر ، فأنشأ يقول :

يَا جَعْفَرُ يَا جَعْفَرُ يَا جَعْفَرُ إِنَّ أَكْرَبَ مَا فَانَتْ أَقْصَرُ
أَوْ أَكْذَابُ مَا فَانَتْ أَكْبَرُ غَرَّكَ سِرِّبَالُ عَلِيكَ أَحْمَرُ
وَمِقْنَعٌ^(١) مِنَ الْحَرِيرِ أَصْفَرُ وَتَحْتَ ذَلِكَ سَوَاءٌ لَوْ تَدُكَّرُ

(قال أبو الحسن أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الورّاقُ الشَّعْرَ
الذي فيه قوله : * وَمَا التَّقَى الصَّفَّانِ واختلف القنأ * بتمامه ، وهو
شعرٌ مُخْتَارٌ لرجلٍ من طيِّبٍ ، ويدل على ذلك ما تسمَّه في الشعر ، وهو قوله :

جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ غَوْتٍ وَمَالِكٍ كَتَائِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا
لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلِ فَاللَّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيِّيَّ جَدَيْسَ رِعَالَهَا
وَتَحْتَ نُحُورِ الْحَيْلِ حَرَشُفٌ رَجَلَةٌ تُتَّاحُ لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ نِبَالَهَا

(١) المِقْنَعُ : ما تغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها به .

أَبَى لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا
 فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُهَا وَسِيَالُهَا
 دَعَوْا لِنِزَارٍ وَأُنْتَمِينَا لِطَيْبٍ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامَهَا وَنِزَالُهَا
 فَلَمَّا التَّقِينَا بَيْنَ السَّيْفِ فِيهِمْ لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُـ وَالْهَأُ
 وَمَا عَصَيْنَا بِالرَّمَّاحِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَاءِ مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا
 وَمَا تَدَانَوْا بِالسِّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِمَامًا حِبَالُهَا
 فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِمُ مَرَبُوعَاتِهَا وَطَوَالُهَا

الكتائب : جمع كتيبة ، سميت كتيبةً لاجتماعها ، وانضمام بعضها إلى بعض ،
 يقال تكتَّبَ القومُ إذا تضاُموا ، ومنه أُخِذَ الكِتَابُ لانضمام حروفه ،
 ولذلك قالوا بَغْلَةٌ مَكْتُوبَةٌ إِذَا شُدَّ حَيَاوُهَا وَضُمَّ . ويردَى يَهْلِكُ ، يقال رَدَى
 الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ ، والرَّدَى : الهلاكُ ، والإِرْدَاءُ : الإِهْلَاكُ . والمُقْرِفُونَ الَّذِينَ
 دَخَلُوا فِي الفَسَادِ والعَيْثِ ، وهو فِي الأَصْلِ الهُجْنَةُ ، يقال فَرَسٌ مُقْرِفٌ إِذَا
 كَانَ هَجِينًا ، ثم يَشِيْعُ فِي الفَسَادِ . والعَجْزُ مُؤَخَّرُ العَسْكَرِ هُهْنًا ، وهو مُسْتَعَارٌ .
 والحَزْنُ مَا خَشِنَ مِنَ الأَرْضِ وَغَلُظَ . واللَّوَى مُسْتَدَقُّ الرَّمْلَةِ حَيْثُ يَنْقَطِعُ ،
 يقال أَلْوَيْتُمْ فَانزَلُوا : أَي صِرْتُمْ إِلَى آخِرِ الرَّمْلَةِ ، وهو اللوى ، وَجَدَيْسُ قَبِيلَةٌ
 مَعْرُوفَةٌ ، فَذَلِكَ لَمْ يَصْرَفْهَا ، والرَّعَالُ : الجماعات المتفرقة ، واحدها رَعْلَةٌ ، والحَرْشَفُ
 نبت يكثر فِي البادية ، وَإِنَّمَا شَبَّهَ النَّبَلُ بِهِ فِي الكثرة ، والرَّجْلَةُ الرَّجَالَةُ ،
 وَتُتَاحُ تُقَدَّرُ ، يقال أَتَاحَ اللهُ لَهُ كَذَا وَكَذَا : أَي قَدَّرَ لَهُ ، والنَّبَالُ جمع نَبَلٍ ،
 والنَّاتِقُ : الوَلُودُ ، فَإِذَا أُسْرَفَتْ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَلَدُهَا جِدًّا قِيلَ مِتْنَقٌ ، والسَّفْحُ :

أصل الجبل من الوادى . وحائل : موضع . وتناصى : تقابلَ وتقرَّبَ حتى
يعلِّقَ هذا بهذا ، وهذا بهذا عند هبوب الرياح ، يقال تناصى الرجلان نِصَاءً
وتناصياً إذا اقتتلا ، فأخذ كل واحدٍ منهما بناصية صاحبه ، والطلحُ والسَّيَالُ
ضربان من الشجر معروفان ، وانتمى ونمى انتسب ، والشَّرى موضع كثير السباع ،
وإنما يريد كإقدام أسدِ الشَّرى إقدامها ، ثم حذفَ لعلم السامع . وعصيننا جعلنا
الرماح كالعصي . والعللُ : الشُّربُ الثانى ، والنَّهْلُ الأول ، يريد إننا أعدناها
إلى الطعن مرة بعد أخرى . وقوادم ذاتُ إقدامٍ ، فجاء به على الأصل ، كما قال :
* يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غَاضٍ * أى مُغْضٍ ، فجاء به على الأصل ، وهو
كثير . والمربوعات المعتدلة التى لم تبلغ أن تكون رُئُوحاً ، وهو رَفَعٌ كأنه
قيل له ما هى ؟ فقال : هى مربوعاتها وطوالها ، ولو خَفَضَ وجعلهُ بدل البعض
من الكل لكان حسناً ، وكان يكون مُقْوًى ، ولكن هكذا أنشدناه
مرفوعاً على التقدير الذى ذكرناه (١) .

(١) ابن الفوطية هو الذى ذكر القصيدة وأنبعها بالشرح .

باب

قال أبو العباس : حَدَّثْتُ أَنَّ صَبْرَةَ بْنَ شَيْمَانَ الْحَدَّانِيَّ^(١) دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ
وَالْوُفُودُ عِنْدَهُ ، فَتَكَلَّمُوا فَأَكْثَرُوا ، فَقَامَ صَبْرَةُ فَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا حَيٌّ فِعَالٍ ، وَلَسْنَا بِحَيٍّ مَقَالٍ ، وَنَحْنُ بِأَذْنَى فِعَالِنَا
عِنْدَ أَحْسَنِ مَقَالِهِمْ . فَقَالَ صَدَقْتَ .

وَحَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَوَلِيَّ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ رُبْعًا مِنْ
أَرْبَاعِ الشَّامِ ، فَرَقِيَ الْمَنْبَرَ فَتَكَلَّمَ فَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ^(٢) ، فَاسْتَأْنَفَ فَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ ، فَقَطَعَ
الْخُطْبَةَ ، فَقَالَ :

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ، وَبَعْدَ عَيٍّْ يَأْنًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى أَمِيرٍ فِعَالٍ
أَخْرَجُ مِنْكُمْ إِلَى أَمِيرٍ قَوَالٍ .

فَبَلَغَ كَلَامُهُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، فَقَالَ : هُنَّ مُخْرَجَاتِي مِنَ الشَّامِ ،
اسْتَحْسَانًا لِكَلَامِهِ .

وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسِ الْعَنْبَرِيِّ وَرَأَاهُ
ظَاهِرَ الْأَعْرَابِيَّةِ : يَا أَعْرَابِيُّ أَيْنَ رَبِّكَ ؟ فَقَالَ بِالْمُرْصَادِ !

وَقَالَ قَائِلٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَيْنَ سُؤَالُكَ عَنْ مَكَانٍ ، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ .
وَحَدَّثْتُ أَنَّ رَاهِبِينَ دَخَلَا الْبَصْرَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ ، فَنظَرَا إِلَى الْحَسَنِ

(١) نسبة إلى حدان بن شمس . (٢) أرتج عليه : احتبس قوله فلم ينطق .

البصرى ، فقال أحدهما لصاحبه : ملِّ بنا إلى هذا الذى كان سَمْتَهُ سَمْتُ
المسيح ، فعدلاً إليه ، فألفيَاهُ مُفْتَرِشًا بِذَقْنِهِ ظَاهِرَ كَفِّهِ ، وهو يقول :
يا عجباً لقوم قد أمرُوا بالزاد ، وأوذِنُوا بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم ،
فليت شعري ما الذى ينتظرون ؟!

وَنَظَرَ الحَسَنُ إلى الناسِ فى مُصَلَّى البَصْرَةِ يضحكون ويلعبون فى يوم
عيد ، فقال الحسنُ : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده لِيَسْتَبِقُوا إلى طاعته ،
فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا ، وتَحَلَّفَ آخرون فخابوا ، ولَعَمْرِي لو كُشِفَ الغطاء
لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ ، ومُسيءٌ بِإِسَاءَتِهِ عن تجديدِ ثوب ، أو ترطيلِ شعرٍ .
قوله « ترطيل شعر » إنما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ، ويقال للرجل
إذا كان فيه لينٌ وتوضع رجل رطلٌ ، والذى يُوزَنُ به ويُكَالُ يقال له
رطلٌ بكسر الراء .

وكان الحسن يقول : أجعل الدنيا كالتنطرة تجوزُ عليها ولا تعمُرُها .
قوله التنطرة : يعنى هذه المعقودة المعروفة عند الناس ، والعرب تسمى
كل أزج^(١) قنطرة . قال طرفة بن العبد :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَسَمَ رَبِّهَا لَتُكْتَفَى حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدٍ

قوله : حتى تشاد ، يقول تطلّى ، وكلُّ شىء طليّت به البناء من جصٍّ ، أو جيارٍ
وهو الكلسُ ، فهو الشيد ، يقال دار مُشيدَةٌ ، وقصرٌ مُشيدٌ ، قال الله عز
وجل : « وَلَوْ كُنْتُمْ فى بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ » ، وقال الشماخُ :

(١) الأزج : البناء المتمد .

لَا تَحْسِبْنِي وَإِنْ كُنْتُ أُمْرًا غَمْرًا كَحَيَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشَّيْءِ
وقال عدي بن زيد العبادي :

شَادُهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كِلْسًا فَلَطِيطٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ
والمقَرَّمَدُ : المطلي أيضا ، فمن ثم قال حتى تشاد بقرمَد في معنى حتى تُطلى ،
ومن ذلك قول النابغة : * رَأَى الْمَجَسَّةَ بِالْعَبِيرِ مُقْرَمِدٍ *

وقال الحسن : تَلَقَى أَحَدَهُمْ أَيْبُضَ بَضًا يَمْلَخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا يَنْفُضُ
مِذْرَوِيَهُ ، وَيَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا فَاعِرِ فُونِي . قَدِ عَرَفْنَاكَ ، فَفَقَّتَكَ
اللَّهُ ، وَمَقَّتَكَ الصَّالِحُونَ .

قوله : أَيْبُضَ بَضًا ، فالْبُضُّ الرقيقُ اللون ، الذي يُؤَثَّرُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ .
وفي الحديث أن معاوية قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
الشَّامِ وَهُوَ أَبْضُ النَّاسِ ، فَضَرَبَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَى عَضُدِهِ ، فَأَقْلَعَ عَنْ مِثْلِ
الشَّرَابِ ، أَوْ مِثْلِ الشَّرَاكِ ، فَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ لِنِشَاغِكَ بِالْحَمَامَاتِ ، وَذَوُ
الْحَاجَاتِ تُقَطِّعُ أَنْفُسَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَى بَابِكَ .

وقال حميد بن ثور الهلالي :

مُنْعَمَةٌ بِيضَاءِ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ عَلَى جِلْدِهَا بَصَّتْ مَدَارِجَهُ دَمًا
وقوله : يَمْلَخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا يَقُولُ : يَمُرُّ مَرًّا سَرِيعًا ، يُقَالُ بَكَرَةٌ مَلُوخٌ إِذَا
كَانَتْ سَهْلَةً الْمَرَّةَ .

وقوله : يَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ وَأَزْدَرِيَهُ ، فَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلْفَارِغِ ، يُقَالُ جَاءَ
فُلَانٌ يَضْرِبُ أَصْدَرِيَهُ وَأَزْدَرِيَهُ ، وَلَا يُتَكَلَّمُ مِنْهُ بِوَاحِدٍ ، وَيُقَالُ فُلَانٌ

يَنْفُضُ مِذْرَوِيَهُ، وهما ناحيته، وإنما يوصف بأخيلاء، قال عَنَتْرَةُ:
أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْنُكَ مِذْرَوِيَهَا لَتَقْتَلَنِي فَهَذَا أَنَا ذَا عُمَارًا
ولا واحد لهما، ولو أُفْرِدَتْ لقلت في التثنية مِذْرِيَانِ، لأن ذوات الواو إذا
وقعت فيهن الواو رابعة رَجَعَتْ إلى الياء، كما تقول في مَلْهِي مَلْهِيَانِ، وهو
من لَهْوَتْ، وفي مَغْزِي مَغْزِيَانِ، وهو من غَزَوْتُ، وإنما فعلت ذلك لأن
فِعْلَهُ تَرْجِعُ فِيهِ الْوَاوُ إِلَى الْيَاءِ إِذَا كَانَتْ رَابِعَةً فَصَاعِدًا، نحو غزوت، فإذا
أَدْخَلْتَ فِيهِ الْأَلْفَ قَلْتَ أَغْزَيْتُ، وكذلك غَازَيْتُ وَأَسْتَغْزَيْتُ، وإنما
وجب هذا لانقلابها في المضارع نحو يُغْزِي، وَيَسْتَغْزِي، وَيُغَازِي،
وإنما انقلبت لانكسار ما قبلها؛ فإن قال قائلُ فَمَا بِالْإِتْرَجِيِّ وَيَتَغَازِي
يكونان بالياء نحو: هُمَا يَتَغَازِيَانِ وَيَتْرَجِيَانِ، فإنما ذلك لأنهما في الأصل رَجِيٌّ
يُرْجِي، وَغَازِي يُغَازِي، ثم حَقَّتْ التاء بعد ثبوت الياء، والدليلُ على ذلك
أن التاء إنما تَلْحَقُهُ عَلَى مَعْنَاهُ. فقولك مِذْرَوَانِ لا واحد له لما أَعْلَمْتُكَ، وثبوت
الواو دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ مِنَ الْآخِرِ، فلذلك جاء على أصله.



باب

قال أبو العباس : قال يزيد بن الصَّقِيلِ الْعَقِيلِيُّ ، وكان يَسْرِقُ الْإِبِلَ ، ثم تاب ، وقُتِلَ في سبيلِ الله :

أَلَا قُلْ لِأَرْبَابِ الْمَخَائِضِ أَهْمِلُوا فَقَدْ تَابَ بِمَا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
وَإِنْ أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

وفي هذا الشعر :

إِذَا مَا الْمَنَايَا أَخْطَأْتِكَ وَصَادَفْتَ حَمِيمَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

قوله : أَلَا قُلْ لِأَرْبَابِ الْمَخَائِضِ ، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خِلْفَةٌ ، وللجميع مخاضٌ ، وهذا جُمعٌ على غير واحد ، وإنما هو بمنزلة امرأة ونساء ، ثم جَمَعَ الْجَمْعَ فَقَالَ مَخَائِضُ ، كقولك في رسالةٍ رَسَائِلُ ، وكما تقول في قوم أقوام ، فَتَجْمَعُ الاسم الذي هو للجمع ، وكذلك أعراب وأعرابٌ ، وأنعامٌ وأنعامٌ . وقوله أَهْمِلُوا : أى اسْرَحُوا إِبِلَكُمْ ، وَالْهَمَلُ : ما كان غير مَحْظُورٍ ، وهو السُّدْيُ ، وَيُرْوَى في مِثْلِ قوله :

إِذَا مَا الْمَنَايَا أَخْطَأْتِكَ وَصَادَفْتَ حَمِيمَكَ

عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحَنْفِيَّةِ) أنه كان يقول إذا مات له جار أو حميمٌ : أَوْلَى لِي ، كِدْتُ وَاللَّهِ أَكُونُ السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ .

وقال ابن حَبْنَاءُ التَّمِيمِيُّ :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ تُرَيْنُ لِي لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِي مِنَ النَّارِ

لَا أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ . وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
إِنْ يَحْجُبِ اللَّهُ أَبْصَارًا أَرَأَيْتَهَا فَقَدْ يَرَى اللَّهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِي
قوله لا أقرب البيت أحب من مؤخره، يقول لا آتية لريية. ومثل ذلك قول
الشاعر: (وهو عَقِيلُ بنِ عُلْفَةَ)

وَلَسْتُ بِبِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِي كَفِعْلِ الْعَيْرِ غَمْرَهُ الْوُرُودُ
يقول لا أخرج خروج الخائف، لأنه إنما يقال تغمّر الشارب إذا لم يرو،
ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا، وقوله:

* وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي * يقول لا أعتابه، وهذا مثل كما
قال الحطّائنة:

مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتَهُ كِلَابُهُمْ وَجَرَّ حُوهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقوله * فقد يرى الله حال المدلج الساري * فالمدلج الذي يسير من أول
الليل يقال أدجت: أي سرت من أول الليل، وأدجت: أي سرت في السحر،
قال زهير: * بَكَرْنَ بُكُورًا وَأَدَجْنَ بِسُحْرَةٍ * والسري لا يكون
إلا سير الليل. قال الله عز وجل: « فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ » من قولك أسريت،
وهي اللغة القرشيّة، وغيرهم من العرب يقول سريت، وقد جاءت هذه
اللغة في القرآن، قال الله عز وجل: « وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ » فهذا من سري، ولو
كان من أسري لكان يسري كما قال « هو لبيد بن ربيعة »:

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمَ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَافًا بغير مُعَصَّرِ
والمعصّر الملجأ، والساري إنما هو من قولك سري، كقولك قضى فهو قاضٍ،

ومن أَسْرَى يقال للفاعل ، مُسْرٍ كما تقول أعطى فهو مُعْطٍ ، كما قال الأَخْطَلُ :
نَازَعْتُهُمْ طَيْبَ الرِّيحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي (١)
والدجاج ههنا : الديوك ، يريد وَقْتَ السَّحْرِ ، لأنه يقال للديك : هذا دَجَاجَةٌ ،
فإن أردت الأتني قلت هذه ، وكذلك هذا بقرة ، وهذا بَطَّةٌ ، وهذا حَمَامَةٌ
إذا أردت الذكر ، ولهذا باب يُدْكَرُ فيه إن شاء الله . قال جريرٌ :

لَمَّا تَدَكَّرْتُ بِالذَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ بِالنَّوْاقِيسِ
(قال أبو الحسن : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الآيات الرائية المتقدمة
بتامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الأعرابي ، وهي لأحد ابني حَبَاءٍ ،
أَحْسَبُهُ صَخْرًا ، وهما من بني تميم . وكانا من الأزارقة . قال :

إِنِّي هَزَّتْ مِنْ أُمِّ الغَمْرِ إِذْ هَزَّتْ بِشَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ
مَا شَقْوَةُ المرءِ بِالِإِقْتَارِ يُقْتِرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْتَارِ
يُقْتِرُهُ المَاءُ تَعُودُ عَلَى الإِقْتَارِ

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزَ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزِينُ لِي لَوْمَ العَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ العَارِ
وَخَيْرُ دُنْيَا يُدْسِي شَرَّ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُنْبِئُنِي الجَبَّارُ أَخْبَارِي
ثم يتفقان بعد في الرواية ، وكان ربما أنشدنا : * إِنِّي هَزَّتْ مِنْ أُمِّ الغَمْرِ *
قال أبو العباس : وقال أعرابي من بني الحارث بن كعب :

رَعِمْتُ لِسَلْمَى بَوِّ ضَيْمٍ وَإِنِّي قَدِيمًا لِأَبِي الضَّيْمِ وَأَبْنُ أُبَاةٍ
فَقَدَّ وَقَفَّسَنِي بَيْنَ شَكِّ وَشُبُهَةِ وَمَا كُنْتُ وَقَافًا عَلَى الشُّبُهَاتِ

فِيَا بَعْلَ سَلَمَى كَمْ وَكَمْ بِأَذَاتِهَا عَدِمْتُكَ مِنْ بَعْلِ تَطِيلُ أَذَاتِي
بِنَفْسِي حَبِيبُ حَالِ بَابِكَ دُونَهُ تَقَطَّعُ نَفْسِي دُونَهُ حَسْرَاتِ
وَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ نُسَاءَ لَرُعْتُهُ بِمَا لَيْسَ بِالْمَأْمُونِ مِنْ فَتْكَاتِي

قوله رَعَمْتُ لِسَلَمَى بَوْضِيمٍ فَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ، وَأَصْلُهُ أَنَّ النَّاقَةَ إِذَا أَلْقَتْ سَقَبَهَا فَخِيفَ انْقِطَاعَ لَبْنِهَا أَخَذُوا جِلْدَ حُورٍ فَحَسَّوهُ تَبْنًا، وَلَطَخُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ سَلَاهَا، ثُمَّ حَسَّوْا أَنْفَهَا بِخَرْقَةٍ، فَتَجِدُ لَذَلِكَ كَرَبًا، وَيُقَالُ لِلخَرْقَةِ الَّتِي تُجْعَلُ فِي أَنْفِهَا الْعِمَامَةُ، ثُمَّ تُسَلُّ تِلْكَ الخَرْقَةُ مِنْ أَنْفِهَا فَتَجِدُ رَوْحًا، وَتَرَى ذَلِكَ الْبَوَّ تَحْتَهَا، وَهُوَ جِلْدُ الْحُورِ الْمُحَسَّوُ فَتَرَاهُ، فَإِنْ دَرَّتْ عَلَيْهِ قِيلَ نَاقَةٌ دَرُورٌ، وَتَرَاهُ تَشْمُهُ، وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى نَاقَةٌ ظَوَّورٌ، فَيَنْتَفِعُ بِلَبْنِهَا، وَيُقَالُ نَاقَةٌ رَاهٌ وَرَوْوْمٌ إِذَا كَانَتْ تَرَاهُ وَلِهَا أَوْ بَوَّهَا، فَإِنْ رَعَمَتْ وَلَمْ تَدَرَ عَلَيْهِ فَتَنُكَ الْعَلُوقُ، وَلَا خَيْرَ عِنْدَهَا.

وَأَنشَدُونَا عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَكَانَ يَقْرَأُ « ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا وَالسُّوَايَ »
عَلَى فُعْلَى (الشُّعْرُ لِأَفُنُونِ التَّعْلِي) :

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سُوَايَ بِفِعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَحْزُونِي السُّوَايَ مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِيْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
فقوله رَعَمْتُ لِسَلَمَى بَوْضِيمٍ : أَيِ أَمَتْتُ لَهَا عَلَى الضَّيْمِ ، وَيُقَالُ فُلَانٌ رَوْوْمٌ
لِلضَّيْمِ إِذَا كَانَ ذَلِيلًا رَاضِيًا بِالْحَسْفِ ، وَقَالَ أَعْرَابِي أَحْسَبُهُ تَمِيمِيًّا :

وَدَاهِيَةَ دَاهِيَةٍ بِهَا الْقَوْمُ مُفْلِقٌ شَدِيدُ بُعُورَانَ الْكَلَامِ أَزُومًا
أَصَحَّتْ لَهَا حَسَّتِي إِذَا مَا وَعَيْتَهَا رَمَيْتُ بِأَخْرَى بِسْتَدِيرٍ أَمِيمًا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرَقِينَ كَأَنَّمَا
فَلَمْ تَلْقِنِي فَهَمًّا وَلَمْ تَلْقَ حُجَّتِي مُلْجَجَةً أُنْبِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا
قوله وداهية يعني حُجَّةٌ داهى بها القوم مُفْلِقٌ، يريد عجيبةً، والفلقُ أَسْمٌ من
أَسْمَاءِ الدَوَاهِي، ويقال فُلِقْتُ في هذا المعنى، ويقال داهية فُلِقْتُ، وجاء القوم
بالفَلِقِ، وهذا مشهور كثير في الكلام، ومنه قول خَلْفِ الْأَحْمَرِ:

* مَوْتُ الْأِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفَلِقِ * وَأَنْشَدَنِي مُنْشَدٌ:

(إِذَا عَرَضَتْ دَاوِيَّةٌ مُدَّ هِمَّةً) وَغَرَّدَ حَادِيهَا عَمِلْنَ بِنَا فَلَاقَا

بفتح الفاء، وقوله شديدٌ بعُورَانِ الكلام، العوراء هي القبيحة، قال حاتم
ابن عبد الله الطائي:

وَعَوْرَاءٌ قَدْ أَعْرَضَتْ عَنْهَا فَلَمْ تَضِرْ وَذِي أَوْدٍ قَوْمِيهِ فَتَقَوَّمَا
وَأَزُومًا إِمْسَاكُهَا، يقال أَرَمَ به إذا عَضَّ به فأَمْسَكَه بين ثَنِيَّتَيْهِ.

وفي الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه قال في يوم أُحُدٍ: فَنَظَرْتُ إِلَى
حَلْقَةٍ مِنْ دِرْعٍ قَدْ نَشِبَتْ فِي جَبِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْكَبْتُ
لَأَنْزِعَهَا، فَأَقْسَمَ عَلَيَّ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَأَرَمَ بِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بِنَثِيَّتَيْهِ، فَجَذَبَهَا جَذْبًا رَفِيقًا،
فَانزَعَهَا، وَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أُخْرَى فَأَرَدْتُهَا فَأَقْسَمَ عَلَيَّ
أَبُو عُبَيْدَةَ، فَفَعَلَ فِيهَا مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى، وَكَانَ مُشْفِقًا مِنْ تَحْرِيكِهَا، لِثَلَاثِ يَوْمِي
بِذَلِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَهْتَمَ.

وقوله: فَأَرَمَ بِهَا، يقال: أَرَمَ يَأْرِمُ، وَأَرَمَ يَأْرِمُ، وقوله: أَصَحَّتْ
لَهَا: يقول اسْتَمَمَتْ لَهَا، قال العَبْدِيُّ (وهو الْمُثَقَّبُ):

يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعَهُ إِصَاخَةً النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

والإصاخة: الاستماع، والناشد: الطالب، والمنشد: المَعْرِفُ، يقال: نَشَدْتُ الضالَةَ أَنْشُدَهَا نِشْدَانًا: إذا طلبتها، وَأَنْشَدْتُهَا: إذا عَرَفْتُهَا، وَالنَّبَاةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّةِ:

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدَسُ بِنَبَاةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبُ

وقوله: حتى إذا ما وَعَيْتُهَا، يقول: جَمَعْتُهَا في سَمْعِي، يقال: وَعَيْتُ الْعِلْمَ، وَأَوْعَيْتُ الْمَتَاعَ في الوعاء، قال الله عزَّ وجل: «وَجَمَعَ فَأَوْعَى» وقال الشاعر (عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ):

الْحَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مَنْ زَادَ

وقوله: رَمَيْتُ بِأُخْرَى، يستدير أَمِيمًا، يريد يستدير من الدوار، ويقال في هذا المعنى يستديم، ومنه سميت الدَوَامَةُ، وفي الحديث «كَرِهَ الْبُولُ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ» لأنه كالمستدير في موضعه. قال جرير:

عَوَى الشُّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى فَقْدِ أَصَابِهِمْ انْتِقَامُ

إِذَا أُرْسِلَتْ صَاعِقَةٌ عَلَيْهِمْ رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فَاسْتَدَامُوا

وقوله أَمِيمًا: يريد المأموم بها، يقال: أَمِيمٌ وَمَأْمُومٌ، كقولك قَتِيلٌ ومَقْتُولٌ، وجريحٌ ومَجْرُوحٌ، ويقال: للشَّجَّةِ التي قد وَصَلَتْ إلى أُمَّ الدِّمَاغِ، وأُمَّ الدِّمَاغِ: جُلَيْدَةٌ رَقِيقةٌ تُحِيطُ بِالدِّمَاغِ، فَإِذَا وُصِلَ إلى تلكَ فَالشَّجَّةُ أَمَةٌ وَمَأْمُومَةٌ. قال الشاعر:

يَجْحُ مَأْمُومَةٌ فِي قَعْرِهَا لَجْفٌ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ
المغاريد: صغارٌ مِنَ الكَمَامَةِ .

وقوله في قعرها لجف: أي تَقْلَعُ، يقال: تَلَجَّفَتِ البُر: إذا انقلع طيها
من أسفلها، وَجَفَّ القَوْمُ مِكيالهم: إذا وَسَّعوه من أسفله، وقوله تَسَاقَوْا
عُقَارًا: يريد كأنهم سُكَّارَى لما نالهم من تلك الحُجَّةِ، وَالْعُقَارُ: اسم من أسماء
الحجر، وإنما سميت عُقَارًا لِمعَاقَرَتِهَا الدَّنَّ .

وقوله ما يَبِلُ يقال: بَلٌّ وَأَبَلٌّ من مرضه، وكذلك اسْتَبَلَّ، والسَّلِيمُ
المَلْسُوعُ، وقيل له سليم على جهة التَّفَوُّلِ، كما يقال للمَهْلِكَةِ مَفَازَةٌ،
وللغراب الأَعُورُ على الطَّيْرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِهِ . وقوله: فلم تَلْفَنِي فَمَا يَقُولُ
ضَعِيفًا، يقال فَهَ فلانٌ عن حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها، ويقال رجل مُفَهَّهٌ إذا
كان عاجزًا، وقوله مَلْجَلَجَةٌ، وهو أن يَرُدَّهَا في فيه، وقد مضى تفسيره .



وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُومٍ من بني نَهْشَلٍ بن دارِمٍ: (هو بَشَامَةُ
ابن حَزَنٍ النَّهْشَلِيُّ عن أبي رِيَّاشٍ):

عَنْهُ وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا
تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِلَّا افْتَلِينَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
قِيلُ الكُفَّةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا ؟
مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَاهُ يَعْمُونَا
إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ
إِنْ تُبْتَدَرُ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ
وَلَيْسَ يَهْمُكَ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
إِنِّي لِمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
لَوْ كَانَ فِي الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا

وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ رِزْيَتُهُمْ
مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا
وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلِينَا
إِذَا الْكُفَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ
حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
فَرَضَ عَلَيَّ مُكْتَرِبِينَ نَيْلُ بَدْلِهِمْ
وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فِي طَبَعِ الْمُقْلِينَا
إِنِّي وَمَنْ كَأَبِي يَحْيَى وَعِزَّتِي
لَا فَخْرَ إِلَّا لَنَا أَمْ مِنْ يُوَازِينَا

قوله إنا بنى نهشل : يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم ، ومن قال إنا بنو نهشل ، فقد خبرك ، وجعل بنو خبر إن ،
ومن قال بنى ، إنما جعل الخبر

إِنْ تُبْتَدِرْ غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

وَنَصَبَ بَنِي عَلِيٍّ فِعْلٌ مُضْمَرٌ لِلِاخْتِصَاصِ ، وَهَذَا أَمْدَحٌ ، وَمِثْلُهُ :

* نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ * أَرَادَ نَحْنُ أَصْحَابُ الْجَمَلِ ، ثُمَّ أَبَانَ
مَنْ يَخْتَصُّ بِهَذَا ، فَقَالَ أَعْنَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقَرَأَ عَيْسَى بْنُ عَمْرٍ « وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةٌ
الْحَطْبِ » أَرَادَ وَأَمْرَأَتُهُ « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » ثُمَّ عَرَّفَهَا بِحَمَّالَةِ
الْحَطْبِ ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ » بَعْدَ قَوْلِهِ : « لَكِنَّ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ » إِنَّمَا هُوَ عَلَى هَذَا ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّعْرِيفِ ،
وَسَتَشْرَحُهُ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّرْحِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ يُنْسِدُ (هُوَ لِعَبْرِ بْنِ الْأَهْتَمِ الْمِنْقَرِيِّ) :

إِنَّا بَنِي مِمْقَرٍ قَوْمٌ ذُوو حَسَبٍ فِينَا سَرَاةُ بَنِي سَعْدِ وَنَادِيهَا

وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَاءِ : « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » . وَقَوْلُهُ : يَشْرِينَا ، يَرِيدُ
يَبْعُنَا ، يَقَالُ : شَرَاهُ يَشْرِيهِ إِذَا بَاعَهُ ، فَهَذِهِ الْمَعْرُوفَةُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

« وَشَرُّهُ بِشَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ » وقال ابن مفرغ الحميري :
شَرِيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكْتَفِي مِنْ الْحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدًا
(يَا بُرْدُ مَا مَسَّنَا دَهْرٌ أَضْرَبَنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا وَلَا بَعْنَا لَهُ وَلَدًا)
ويكون شَرِيْتُ في معنى اشْتَرَيْتُ ، وهو من الأضداد ، وأنشدني التَّوَزِيُّ :

اشْرُوا لَهَا خَاتِنًا وَأَبْعُوا لِحَنْتَهَا مَوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرٌ
(كان ابن جابر يروى لِحَنْتَهَا ، ويقول : الحَنْتُ القَلْبُ) وقوله : تلق السوابق منا
والمصلينا . فالْمُصَلِّي الذي في إِثْرِ السابق ، وإنما سُمِّي مصليا لأنه مع صَاوِيِ
السابق ، وهما عِرْقَان في الرِّدْفِ ، قال الشاعر :

تَرَكَتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فِي صَلَاةٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومٌ نَسْرٌ
وقوله : إلافتلينا غلامًا سيّدًا فينا . مأخوذ من قولهم : فَلَوْتُ القُلُوبَ يَافِتِي إِذَا أَخَذْتَهُ
عن أمه ، قال الأَعَشَى :

مُلْمَعٍ لِأَعَةِ القُوَادِ إِلَى جَحْشٍ فَلَاةٌ عَنْهَا فَبِئْسَ القَالِي
وأخذ هذا المعنى من قول أبي الطَّمَحَانِ القَيْنِي :

* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ * وقوله :

لَوْ كَانَ فِي الأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَمُنُونَا
مأخوذ من قول طَرْفَةَ بن العَبْدِ :
إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خَلْتُ أَنِّي
ومن قول مُتَمِّمِ بن نُؤَيْرَةَ :

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ
فَمَا كَلَّمَهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الفَتَى

وقوله : حَدُّ الطُّبَاتِ ، فَالطُّبَةُ الْحَدُّ بَيْنَهُ ، يُقَالُ أَصَابَتْهُ طُبَّةُ السِّيفِ ، وَطُبَّةُ النَّصْلِ ، وَجَمْعُهُ طُبَاتٌ ، وَأَرَادَ بِالطُّبَّةِ هَاهُنَا مَوْضِعَ الْمَضْرِبِ مِنَ السِّيفِ ، وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرَنَ بِحُطُونَا قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله : إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهُوَ الْأَجْدَعُ أَبُو مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ الْفَقِيهِ :

لَقَدْ عَلِمْتَ نِسْوَانُ هَمْدَانَ أَنِّي لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ
وَأَبْدَلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنِّي لَهُ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَدُولِ

وَمِنَ الْقَتَالِ الْكِلَابِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ بَنِي قُشَيْرٍ وَأَخُوَالِي الْكِرَامُ بَنُو كِلَابِ
نُعْرَضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلْسَّبَابِ

باب

قال أبو العباس : قال مُهْمَرُ بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ كَمَلَ : مَنْ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَسْتَنْزِلْهُ رِضَاهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا وَكَفَّ .

وقال الحسن : نِعِمَّ اللَّهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَيْهِ ، وَذُنُوبُ ابْنِ آدَمَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ . وقال عمر ابن ذَرٍّ ، ودخل على ابنه وهو يُجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّهُ مَا عَلَيْنَا مِنْ مَوْتِكَ غَضَاظَةٌ ، وَلَا بِنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ حَاجَةٌ . فَلَمَّا قَضَى وَصَلَّى عَلَيْهِ وَوَارَاهُ ، وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَقَالَ :

يَا ذَرُّ إِنَّهُ قَدْ شَفَعْنَا الْحُزْنَ لَكَ عَنِ الْحُزَنِ عَلَيْكَ ، لِأَنَّا لَا نَدْرِي مَا قُلْتَ ، وَلَا مَا قِيلَ لَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ ، فَهَبْ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ حَقِّكَ ، وَاجْعَلْ ثَوَابِي عَلَيْهِ لَهُ ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ ، إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاعِبِينَ .

وَسُئِلَ : مَا بَلَغَ مِنْ بَرِّهِ بِكَ ؟ فَقَالَ مَا مَشَى مَعِيَ بِنَهَارٍ قَطُّ إِلَّا قَدَّمَنِي ، وَلَا بَلِيلٍ إِلَّا تَقَدَّمَنِي ، وَلَا رَقِي سَطْحًا وَأَنَا تَحْتَهُ .

وماتت بنت عمِّ للمنصور فَحَضَرَ جِنَازَتَهَا ، وَجَلَسَ لِدَفْنِهَا ، وَأَقْبَلَ أَبُو ذُلَامَةَ الشَّاعِرُ^(١) ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : وَيْحَكَ ! مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ ؟

(١) هو زندي بن الجون مولى بنى أسد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ابنة عمك هذه التي واريتها قبيل ! قال : فضحك المنصور حتى استغرب .

ودخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك ابن المنذر بن الجارود ، ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري ، فقال : يا أبت ، هذا عمر بن يزيد الأسدي ضرب أنف ألف سوط فمات ، فشد على حمار . فقال الفرزدق : كأنك والله يا بني بمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك ، والحسن إذ ذاك عند محبوس له ، فقال يا أبا فراس : ما عندك إن كان ذلك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد لله أحب إلي من سمعي وبصري ، ومن مالي وولدي ، ومن أهلي وعشيرتي ، أفترأه يخذلني ؟ فقال الحسن : لا .

وكان عمر بن يزيد الأسدي شريفاً ، حدثني التوزي عن أبي عبيدة قال : كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسدي ، ورجل أهل الشام عمر بن هبيبة الفزاري ، ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فقبل ذلك لعمر بن عبد العزيز ، فقال أجل ، لولا خب في بلال ، فقال بلال لما بلغه ذلك : رميتي بدأها وأنسلت ! وقتله مالك ابن المنذر تعصباً فيما تذكره المضرية ، فلما دخل بمالك على هشام أقبل على أصحابه ، فقال : أما رأيتم عمر بن يزيد ؟ أما إني ما تمنيت أن تكون أمي ولدت رجلاً من العرب غيره ، ثم قال لمالك : قتلت والله خيراً منك حسباً ونسباً ، وديناً ، وعقباً ، فقال : وكيف يا أمير المؤمنين ، ألسنت ابن المنذر

أبن الجارود ، وابن مالك بن مسمع ؟ - وكان جدّه أبا أمّه - وجعل عمر
والسّيّاطُ تأخذه ينادى يا هِشاماهُ ! ففي ذلك يقول الفرزْدَقُ :

ألمَ يَكُ مَقْتَلُ العَبْدِيِّ ظُلْمًا أبا حَفْصٍ مِنَ الكُبَرِ العِظَامِ
قَتِيلُ جَماعَةٍ فِي غَيرِ حَقِّ يُقَطِّعُ وَهُوَ يَدْعُو يا هِشامَ

✱

والتقى الحَسَنُ والفرزْدَقُ في جِنازَةٍ ، فقال الفرزْدَقُ للحسن : أتدرى
ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : وما يقولون ؟ قال يقولون : اجتمع في هذه الجِنازَةِ
خيرُ الناسِ وشرُّ الناسِ ! فقال الحسن : كلاً ، لَسْتُ بِمُخَيَّرِهم ، ولَسْتُ بِشَرِّهم ، ولكن
ما أَعَدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، وخمسة
نِجائبَ لا يُدْرِكُن . يعني الصلواتِ الحَسَنَ ، فيزعم بعض التيميّة أنه رُئِيَ في
النوم ، ف قيل له ما صَنَعَ بك رُبُّكَ ؟ فقال غَفَرَ لِي . ف قيل له بأى شَيْء ؟ فقال
بالكلمة التي نازعني فيها الحسنُ .

وحدثني العباس بن الفرَجِ الرِياشِيُّ في إِسنادٍ له ذَكَرَهُ قال : كان
الفرزْدَقُ يَخْرُجُ من منزله فيرى بني تميم والمصاحِفُ في حُجُورهم فيَسُرُّ
بذلك ، ويَجْدَلُ به . ويقول : إِيهٍ فِدائِكم أبا وأُمِّي ، كذا والله كان آباؤكم .
قال أبو الحسن : إنما هو فِدائِكم فَمَنْ فَتَحَ قَصَرَ لا غير ، ومن كَسَرَ مَدًّا ،
لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية .

قال أبو العباس ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوسِيُّ ، فقال له : مَهْمَا فَعَلْتَ

فَقَنَطَكَ النَّاسُ ، فَلَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ فَقَالَ : إِنِّي أَرَى
لَكَ قَدَمَيْنِ لَطِيفَتَيْنِ فَابْتِغِ لِهَمَا مَوْعِدًا صَالِحًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

يَقَالُ : قَنِطٌ يَقْنِطُ ، وَقَنْطٌ يَقْنِطُ ، وَكَلَاهَا فَصِيحٌ ، فَأَقْرَأُ بِأَيِّهِمَا شِئْتَ ،
وَكَذَلِكَ تَقِمُّ تَقِيمٌ ، وَتَقَمُّ يَنْقِمُ .

وَالْفَرَزْدَقُ يَقُولُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ حِينَ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَعَاهَدَ اللَّهَ
أَنْ لَا يَكْذِبَ ، وَلَا يَشْتِمَ مُسْلِمًا :

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمُرِي وَتَمَّ تَمَامِي
رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَّقَنْتُ أَنِّي مُؤَلَّاقٍ لِأَيَّامِ الْمُنُونِ بِحَامِي

قَوْلُهُ : لَبَيْنَ رِتَاجٍ ، فَالْرِتَاجُ : غَلَقُ الْبَابِ ، وَيُقَالُ بَابٌ مُرْتَجِحٌ : أَيُّ مُغْلَقٌ ،
وَيُقَالُ : أُرْتِجَ عَلَى فُلَانٍ : أَيُّ أُغْلِقَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، وَقَوْلُ الْعَامَّةِ أُرْتِجَ عَلَيْهِ :
لَيْسَ بِشَيْءٍ ، إِلَّا أَنْ التَّوْزِيَّ حَدَّثَنِي عَنْ أَبِي عُيَيْدَةَ . قَالَ يُقَالُ : أُرْتِجَ عَلَيْهِ ،
وَمَعْنَاهُ وَقَعَ فِي رَجَّةٍ ، أَيُّ فِي اخْتِلَاطٍ ، وَهَذَا مَعْنَى بَعِيدٌ جَدًّا . وَقَوْلُهُ : وَلَا
خَارِجًا إِنَّمَا وَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ ، أَرَادَ لَا أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ،
وَلَا يُخْرِجُ خَرُوجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ ، لِأَنَّهُ عَلَى ذَا أَقْسَمَ ، وَالْمَصْدَرُ يَقَعُ فِي
مَوْضِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ ، يُقَالُ مَاءٌ غَوْرٌ : أَيُّ غَائِرٌ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ
أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا » ، وَيُقَالُ رَجُلٌ عَدْلٌ : أَيُّ عَادِلٌ ، وَيَوْمٌ غَمٌّ : أَيُّ فَاغَمٌّ ،

وهذا كثير جداً، فعلى هذا جاء المصدر على فاعلٍ كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال قُمَ قَائِماً فيوضع في موضع قولك قُمَ قِياماً، وجاء من المصدر على لفظ فاعلٍ حروفٌ منها فُلِجَ فَالِجاً، وَعُوِفَ عَافِيَةً، وَأَحْرُفُ سِوَى ذَلِكَ يسيرة، وجاء على مفعول نحو رجل ليس له مَعْقُول، وخذ مَيْسُورَهُ، ودَعِ مَعْسُورَهُ، لدخول المفعول على المصدر، يقال رجل رَضاً: أى مَرَضِيٌّ، وهذا درهم ضَرَبُ الأَمِيرِ: أى مَضْرُوبٌ؛ وهذه دراهم وزن سَبْعَةٌ. أى مَوْزُونَةٌ، وكان عيسى بن عمر يقول: إِنَّمَا قَوْلُهُ لَا أَشْتِمُ حَالٌ، فأراد عاهدت ربي في هذه الحال وأنا غير شاتمٍ، ولا خارج من في زورٍ كلامٍ، ولم يَدْكُرْ الذى عاهدَ عليه.

وقال الفرزدق في أيام نُسَكِيهِ :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا
إِذَا قَادَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ مُوثِقًا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ يَدُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقًا

وحدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي عن المعتز بن سليمان عن أبي مخزوم عن أبي شفضلٍ راوية الفرزدق^(١)، قال: قال لي الفرزدق يوماً: أمض بنا إلى حلقة الحسن، فإنني أريد أن اطلق النوار، فقلت: إني أخاف عليك أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن وأصحابه، فقال: أمض بنا، فجننا حتى

(١) وفي شفضل يقول الفرزدق :

أبو شفضل شيخ عن الحق جائر يباب الهدى والرشد غير بصير

وقفنا على الحسن ، فقال : كيف أصبحت يا أبا سعيد ؟ فقال : بخير ، كيف
أصبحت يا أبا فراس ؟ ، قال : تعامن أن النوار منى طالق ثلاثاً ، فقال الحسن
وأصحابه : قد سمعنا ، قال : فانطلقا ، قال : فقال لى الفرزدق : يا هذا ، إن فى قلبى
من النوار شيئاً ، فقلت قد حذرتك ، فقال :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنْ نِي مُطَلَقَةَ نَوَارِ
وَكَنتُ كَفَاقٍ عَيْنِيهِ عَمَّداً فَأَصْبَحَ لَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ
وَمَا فَارَقْتُهَا شَبَعًا وَلَكِنْ رَأَيْتُ الزُّهْدَ يَأْخُذُ مَا يُعَارُ
وَكَأَنِّي جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَأَدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ
وَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ يَدِي وَتَفْسِي لَكَانَ عَلَى الْقَدْرِ الْخِيَارُ

قال الأصمعي : ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت .



باب

قال لقيط بن زُرارة :

شَرِبْتُ الحَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ المَدَانِ
أَمْشَى فِي بَنِي عُدُسِ بْنِ زَيْدٍ رَخِيَّ البَالِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ

وحدثني أبو عثمان المازني قال : أسير رجل يوم الحسين بن علي رضي الله عنه ،
فأتى به يزيد بن معاوية ، فقال له : أليس أبوك القائل :

أَرْجَلُ مُجْتِي وَأَجْرُ ذَيْلِي وَتَحْمِلُ شِكْتِي أَفْقُ كَمَيْتُ
أَمْشَى فِي سَرَاةِ بَنِي عُطَيْفٍ إِذَا مَا سَأَمْتِي ضَيْمٌ أَيْتُ

قال : بلى ، فأمر به فقتل .

قال أبو العباس : ومني إلى أن معاوية ولي كثير بن شهاب المذحجي
خراسان فأختان مالا كثيرا ، ثم هرب ، فاستتر عند هاني بن عروة المرادي ،
فبلغ ذلك معاوية ، فنذر دم هاني ، فخرج هاني فكان في جوار معاوية ، ثم
حضر مجلسه ، ومعاوية لا يعرفه ، فلما نهض الناس ثبت مكانه ، فسأله
معاوية عن أمره ، فقال : أنا هاني بن عروة ، فقال إن هذا اليوم ليس بيوم
يقول فيه أبوك : أَرْجَلُ مُجْتِي ، الشعْر ، فقال له هاني : أنا اليوم أعز مني ذلك
اليوم ، فقال له : بيم ذلك ؟ فقال : بالإسلام يا أمير المؤمنين ، فقال له : أين
كثير بن شهاب ؟ قال عندي في عسكرك يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية :
انظر إلى ما اختانه ، نخذ منه بعضا ، وسوغه بعضا .



وقال أعرابي :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ حَتَّى خِلْتَنِي لَمَّا خَرَجْتُ أُجْرُ فَضَلَ الْمِزْرِ
قَابُوسَ أَوْ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ مَائِلًا يُحِبِّي لَهُ مَا دُونَ دَارَةِ قَيْصَرَ

وقال آخر :

شَرِبْنَا مِنَ الدَّاذِي^(١) حَتَّى كَأَنَّنا مُلُوكُ هُمُ بَرُّ الْعِرَاقِينِ وَالْبَحْرِ
فَلَمَّا أُنْجِلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْتُنَا تَوَلَّى الْغِنَى عَنَّا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

وقال آخر ، وهو عبد الرحمن بن الحكم :

وَكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الْإِنَاءِ وَبَيْنَهَا قَدَى التَّيْنِ قَدْ نازَعَتْ أُمَّ أَبَانِ^(٢)
تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَعْتَوِرَانِهَا يَمِيحُ لَأَنَّ أَحْيَانًا وَيَعْتَدِلَانِ
فَمَا ظَنُّ ذَا الْوَأَشِيِّ بِأَرْوَعِ مَا جِدِ وَبَدَاءِ^(٣) خَوْدِ حِينَ يَلْتَقِيَانِ^(٤)

وقال آخر :

دَعَّتِي أَخَاهَا أُمَّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ أَخَاهَا وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بِلْبَانِ
دَعَّتِي أَخَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا يَفْعَلُ الْأَخْوَانِ

وقال آخر (أنشده أبو علي لأم صَنِيعِمِ الْبَلَوِيَّةِ^(٥)) :

فَبَدْنَا فَوَيْقَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ

(١) الداذي: اسم نبت يوضع جبه على الشراب ، والياء فيه ليست للنسب .

(٢) يريد أنها صافية ، حتى أنك لترى في نواحيها ما يشبه في دنته قذى العين .

(٣) البداء: بادية المحاسن . (٤) والحدود الناعمة .

(٥) نسبة إلى بلي على وزن غي ، وهي قبيلة من قضاة .

وَبَاتَ يَقِينًا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى مِنْ اللَّيْلِ بُرْدًا مُيْنَةً عَطِرَانَ
نُعْدَى بِذِكْرِ اللَّهِ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا إِذَا كَانَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانَ

قال أبو الحسن : وزادني فيه غيرُ أبي العباس :

وَنَصَدْرُ عَن زِيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا تَقَعْنَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشْفَانِ
قال أبو العباس : نُعْدَى أَي نَصْرِفُ الشَّرْبَ بِذِكْرِ اللَّهِ ، يُقَالُ فَعَدَّ عَمَّا تَرَى ،
أَي فَا نَصْرَفُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَيُقَالُ : لَا يَعْدُونَكَ هَذَا الْحَدِيثُ : أَي
لَا يَتَجَاوَزَنَّكَ إِلَى غَيْرِكَ .

قال أبو العباس : وقال رجل من قُرَيْشٍ :

مَنْ تَقَرَّعَ الْكَأْسُ اللَّيْمَةَ سِنَّهُ فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُسِيءَ وَيَجْهَلَا
وَلَمْ أَرْ مَطْلُوبًا أَحْسَنَ غَنِيمَةً وَأَوْضَعَ لِلْأَشْرَافِ مِنْهَا وَأُخْمَلَا
وَأَجْدَرَ أَنْ تَلْقَى كَرِيمًا يَدْمُهَا وَيَشْرَبُهَا حَتَّى يَخْرَجَ مُجْدَلًا^(١)
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَخْبَلُ أَصَابَهُمْ أَمْ الْعَيْشُ فِيهَا لَمْ يُبْلِقُوهُ أَشْكَلَا

وقال آخر :

إِذَا صَدَمْتَنِي الْكَأْسُ أَبَدْتُ مَحَاسِنِي وَلَمْ يَخْشَ نَدْمَانِي أَذَاتِي وَلَا بُخْلِي
وَلَسْتُ بِفَحَّاشٍ عَلَيْهِ وَإِنْ أَسَا وَمَا شَكَلُ مَنْ آذَى نَدَامَاهُ مِنْ شَكَلِي

وقال آخر :

كُلُّ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاحِرًا فَفَيْرُ كَرِيمِ
لَا أَحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ بِالْعَيْنِ إِذَا مَا أَنْتَشَى لِعَرْسِ النَّدِيمِ

(١) مجدل : مصروع على الجدالة : وهي الأرض .

الإيماضُ: تَفْتُحُ البرقِ ولمحهُ . يقال أومضتِ المرأةُ إذا أبتسمتْ، وإتماذك تشبيهه للمع ثنأياها بتبسمِ البرق ، فأراد أنه فتح عينه ثم غمضها بغمز .
وقال حسَّان بن ثابت (١) :

كَأَنَّ سَبِيئَةَ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا فَهُنَّ لِطَيْبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
تُوَلِّيَهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ حِلَاءُ
وَلَشَرِبَهَا فَتَتَرُ كُنَّا مُلُوكًا وَأُسْدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ
المغْتُ: المماغمة باليد، واللحاء: الملاحاة باللسان، يقول: يعتذرُ المِسِيءُ بأن يقول: كنتُ سَكْرَانٌ فَيَعْذَرُ، وقوله كَأَنَّ سَبِيئَةَ، يقال سبأْتُهَا: إذا اشتريتها سبَاءً يعني الحمرَ، والسابِيُّ: الخَمَارُ . وقوله: من بيت رأسٍ، يعني موضعًا: كما يقال حارثُ الجَوْلَانِ .

(١) انظر الظروف التي قيلت فيها هذه القصيدة في كتاب (المدائح النبوية في الأدب العربي) .

باب

قال أبو العاس : قال الأحنف بن قيس : ألا أدلكم على المحمّدة بلا مرزئة ؟ الخلق السجّيح^(١) ، والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأدوإ الداء ؟ ، الخلق الدنيء ، واللسان البذيء .

وقال الأحنف : ثلاث في ما أقولهنّ إلا ليعتبر معتبر ، ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء ما لم ادع إليه ، يعني السلطان ، ولا حللتُ حُبوتي إلى ما يقوم إليه الناس .

تكسير الحاء وتضمها إذا أردت الاسم ، وتفتحها إذا أردت المصدر ، أنشدني عمارة بن عقيل جرير :

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتَ عَاقِدُ حُبْوَةٍ قُبْحًا حُبُوتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ

ويقال في جمع حُبْوَةٍ : حِبًّا وحُبًّا مقصوران .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما أحسن الحسنات في آثار السيئات ، وأقبح السيئات في آثار الحسنات ! ، وأقبح من ذا وأحسن من ذلك السيئات في آثار السيئات ، والحسنات في آثار الحسنات .

والعرب تَلْفُ الخبرين المختلفين ، ثم تَرْمِي بتفسيرها جُمْلَةً ، ثقة بأن السامع يَرُدُّ إلى كلِّ خبره ، وقال الله عز وجل : « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » .

وقال رجل لِسَلْمِ بْنِ تَوْفَلٍ: مَا أَرْخَصَ الشُّوَدَدَ فِيكُمْ! فَقَالَ سَلْمٌ: أَمَّا نَحْنُ
فَلَا نُسَوِّدُ إِلَّا مَنْ بَدَلَ لَنَا مَالَهُ، وَأَوْطَأْنَا عَرِضَهُ^(١) وَأَمْتَهَنَ فِي حَاجَتِنَا نَفْسَهُ.
فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ الشُّوَدَدَ فِيكُمْ لَعَالٍ.
وَلِسَلْمٍ يَقُولُ الْقَائِلُ:

يُسَوِّدُ أَقْوَامٌ وَيَلْبَسُوا بِلِسَادَةٍ بِلِ السَّيِّدِ الْمَعْرُوفِ سَلْمِ بْنِ تَوْفَلٍ
قال معاوية لَعَرَابَةَ بْنِ أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ: بِمِ سُدَّتَ قَوْمَكَ؟ فَقَالَ:
لَسْتُ بِسَيِّدِهِمْ وَلَكِنِّي رَجُلٌ مِنْهُمْ. فَعَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: أَعْطَيْتُ فِي نَائِبَتِهِمْ،
وَحَمَلْتُ عَنْ سَفِيهِهِمْ، وَشَدَدْتُ عَلَى يَدَيْ حَلِيمِهِمْ، فَفَعَلَ مِنْهُمْ مِثْلَ
فَعَلِي فَهُوَ مِثْلِي، وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ فَأَنَا أَفْضَلُ مِنْهُ، وَمَنْ تَجَاوَزَهُ فَهُوَ
أَفْضَلُ مِنِّي.

وكان سَبَبُ ارتفاعِ عَرَابَةَ أَنَّهُ قَدِيمٌ مِنْ سَفَرٍ، فَجَمَعَهُ الطَّرِيقُ وَالشَّمَاخُ
ابنَ ضَرَارِ الْمُرِّيِّ، فَتَحَادَثَا فَقَالَ لَهُ عَرَابَةُ: مَا الَّذِي أَقَدَمَكَ الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: قَدِمْتُ
لِأَمْتَارِ مِنْهَا، فَلَمَّا لَهُ عَرَابَةُ رَوَّاحِلَهُ بُرًّا وَتَمْرًا، وَأَتَحَفَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ،
فَقَالَ الشَّمَاخُ:

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الْأَوْسِيَّ يَسْمُو
إِذَا مَا رَأَيْتَهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي
وَمِثْلُ سَرَاةِ قَوْمِكَ لَمْ يُجَارُوا
إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعِ الْقَرِينِ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
إِلَى رُبْعِ الرَّهَابِ وَلَا الثَّمِينِ

(١) كناية عن احتمال المكروه.

قوله: تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ. قال أصحاب المعاني: معناه بالقوَّة، وقالوا مثل ذلك في قول الله عزَّ وجل «وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»، وقد أَحْسَنَ كُلُّ الإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ:

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

يقول: لَسْتُ أَحْتَاجُ إِلَى أَنْ أُرْحَلَ إِلَى غَيْرِهِ، وقد عاب بعضُ الرُّوَاةِ قَوْلَهُ «فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ» وقال: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ لَهَا مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَارِيَّةِ الْمَأْسُورَةِ بِمَكَّةَ وَقَدْ نَجَّتْ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ تَجُوتَ عَلَيْهَا أَنْ تُنْحَرَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَبِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا، وَقَالَ «لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا نَذَرَ لِلْإِنْسَانِ فِي غَيْرِ مَلِكِهِ».

ومما لم يُعَبَّ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمَّا أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ زَيْدٍ وَجَعْفَرٍ عَلَى جَيْشِ مُؤْتَةَ^(١):

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ

فَشَأْنُكَ فَأَنْعَمِي وَخَلَائِكِ ذُمَّمْ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

الْحِسَاءُ: جَمْعُ حِسِيٍّ، وَهُوَ مَوْضِعٌ رَمْلٌ تَحْتَهُ صَلَابَةٌ، فَإِذَا مَطَّرَتِ السَّمَاءُ عَلَى ذَلِكَ الرَّمْلِ نَزَلَ الْمَاءُ، فَتَنَعَّتْهُ الصَّلَابَةُ أَنْ يَغِيضَ، وَمَنَعَ الرَّمْلُ السَّمَاءَ أَنْ تُنَشِّفَهُ، فَإِذَا بَحِثَ ذَلِكَ الرَّمْلُ أَصِيبَ الْمَاءَ، يُقَالُ حَسِيْتُ وَأَحْسَاءُ وَحِسَاءٌ مَمْدُودَةٌ، وَقَوْلُهُ «وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي» مَجْزُومٌ لِأَنَّهُ دَعَاءٌ، فَقَوْلُهُ «لَا» هِيَ الْجَازِمَةُ لَهُ،

(١) مؤتة: اسم قرية بالشام.

ومعناه : اللحم لأرْجِعُ ، كما تقول زيد لا يَفْقِرُ الله له ، فهذا الدعاء يَنْجِزُكُمْ بما يَنْجِزُكُمْ به الأمر والنهي ، كما تقول : زيد لِيَقُمْ ، وزيد لا يَبْرَحُ .

وقد اتَّبَعَ ذُو الرُّمَّةِ الشَّمَاخَ فِي قَوْلِهِ :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَا لَأَبْلَغْتَهُ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصَلَيْكَ جَاوِزُ

الوصل : المنفصل بما عليه من اللحم ، يقال قَطَعَ اللهُ أَوْصَالَه ، ويقال : وَصَلْتُ ، وكَسَرْتُ ، وَجَدَلْتُ ، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ .

باب

قال أبو العباس : أنشدني التَّوَزِيُّ لرجل من رُجَّازِ بنِي تَمِيمٍ فِي وَفْعَةٍ

الجُفْرَةِ (١) .

نَحْنُ ضَرَبْنَا الْأَزْدَ بِالْعِرَاقِ وَالْحَيَّ مِنْ رَيْبَةِ الْمُرَاقِ

وَأَبْنُ سَهَيْلٍ قَائِدَ النِّفَاقِ (٢) بِلَا مَعُونَاتٍ وَلَا أَرْزَاقِ

إِلَّا بَقَايَا كَرَمِ الْأَعْرَاقِ لِشِدَّةِ الْخَشْيَةِ وَالْإِسْفَاقِ

* مِنَ الْمَخَازِي وَالْحَدِيثِ الْبَاقِي *

الأَعْرَاقُ : جَمْعُ عِرْقٍ ، يُقَالُ فُلَانٌ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَلَيْتِمُ الْعِرْقُ أَي الْأَصْلُ .

وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ ابْنَهُ :

أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ النَّعَاسِ وَخِفَةَ فِي رَأْسِهِ مِنْ رَأْسِي

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِي *

(١) الجفرة : موضع ببلحية البصرة .

(٢) يرى الشيخ الرصني أن الصواب « ابن أسيد » بفتح المعزة وكسر السين .

يخاطب أم ابنه ، فقوله أعرف منه قلة الناس : أى الذكاء والحركة .
وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده : علمهم العوم ، وهذبهم
بقلة النوم . وكذا قال أبو كبير الهدلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْجَنَانِ^(١) مُبَطَّنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ
وقال الآخر :

جَاءَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُسَهَّدًا وَأَفْضَلُ أَوْلَادِ الرَّجَالِ الْمُسَهَّدُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ عَيْنِي تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي » .
وقال عروة بن الورد العبسي ، وهو عروة الصعاليك^(٢) :

لَمَّا اللَّهُ صُعُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آفَا كُلِّ مَجْزَرِ
(يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ)
يَنَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقِ مَيْسَرِ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعْنَهُ يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرِ
وَلَكِنَّ صُعُوكًا صَفِيحَةً وَجْهِهِ فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ
مُطْلَأًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابَسِ الْمُتَنَوَّرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ أَقْتِرَابَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشَهَّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا تَشَوْفُ أَهْلَ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ
(يُرِيحُ عَلَى اللَّيْلِ أَصْيَافَ مَاجِدِ) حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَنْعِنُ يَوْمًا فَأَجْدِرِ
كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالٌ مُقْتَرِ

(١) حوش الجنان : حديد القلب ، كأنه من الحوش وهم حى من الجن . والمبطن : الضامر البطن .

(٢) هم الفقراء .

قال أبو الحسن: كذا أنشده ، فذلك لأنه لم يَرَوْ أَوَّلَ الشَّعْر ، والصواب كسر الكاف ، لأنه يخاطب امرأة ، ألا تراه قال :

أَقْبَلِي عَلَيَّ اللَّوَمَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي ذَاكَ فَاسْمَهْرِي
قوله * يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرِ * يريد المتترَّب والعفْر والعفْرُ
أسمان للتراب ، من ذلك قولهم: عَفَّرَ اللهُ خَدَّهُ ، ويقال للظبية عَفْرَاءٌ إذا كانت
يَضْرِبُ بِيَاضِهَا إِلَى حُمْرَةٍ ، وكذلك الكَثِيبُ الْأَعْفَرُ .

وقوله كالبعير المحسر : هو المعني ، يقال جَمَلٌ حَسِيرٌ وناقَةٌ حَسِيرٌ ، قال الله
عزَّ وجل « يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » .

وقوله : * وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ * على التقديم
والتأخير ، أراد: لا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ وَإِنْ بَعُدُوا ، وهذا حسن في الإغراب إذا
كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً ، كما قال زهيرٌ :

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْئَلَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ
فإن كان الفعل الأول مجزوما لم يَجُزُ رفع الثاني إلا ضرورة ، فسيبويه
يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير ، وهو عندي على إرادة الفاء ، لِئَلَّا
تَلْزَمُهُ فِي مَذْهَبِهِ ، نَذْرُهَا فِي بَابِ الْمَجَازَاةِ إِذَا جَرَى فِي هَذَا الْكِتَابِ إِنْ
شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَا أَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَفْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُضْرَعُ أَخُوكَ تُضْرَعُ
أراد سيبويه إنك تُضْرَعُ إِنْ يُضْرَعُ أَخُوكَ ، وهو عندي على قوله إِنْ يُضْرَعُ
أَخُوكَ فَأَنْتَ تُضْرَعُ يَا فَيْتَى ، وَنَسْتَقْصِي هَذَا فِي بَابِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وقوله : * كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِي * يقول للمرأة عَزَّزْتُكَ
على شَبَّهه ، ويقال : أَنْجَبُ الأَوْلَادِ وَلَدُ الْفَارِكِ ، وذلك لأنها تُبَغِضُ زَوْجَهَا ،
فَيَسْبِقُهَا بِمَاءِهِ ، فَيَخْرُجُ الشَّبَّهُ إِلَيْهِ ، فيخرج الولد مُذْكَرًا . وكان بعض الحكماء
يقول : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَطْلُبَ وَلَدَ الْمَرْأَةِ فَأَغْضِبِهَا ، ثُمَّ قَعِّ عَلَيْهَا ، فَإِنَّكَ تَسْبِقُهَا
بِالْمَاءِ ، وكذلك ولد الفزعة ، كما قال أبو كبير الهذلي :

مِمَّنْ سَمَّنَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْبِلِ
(المهبل الكثير اللحم ، ومهبل غير مدعور عليه بالمهبل) .

سَمَّتْ بِهِ فِي لَيْلَةِ مَرْوُودَةٍ كَرِهًا وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُجَلَّلِ
مَرْوُودَةُ ذَاتُ زَوْدٍ ، وهو الفزَعُ ، فمن نصب مَرْوُودَةً فَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَرْأَةَ ، وَمَنْ
خَفِضَ فَإِنَّهُ أَرَادَ اللَّيْلَةَ ، وجعل الليلة ذات فزَعٍ ، لأنه يُفَزَعُ فِيهَا ، قال الله عزَّ
وجل : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » والمعنى : بَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛
وقال جرير :

لَقَدْ مُسِّنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمْتٍ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ
وقال آخر^(١) : * فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي * وهذا الرجزُ ضدُّ ما قال
الآخر في ولده ، فإنه أقربُ إلى أمِّه غَلَبَتْهُ عَلَى شَبَّهِهِ ، وذلك قوله :
وَاللَّهِ مَا أَشْبَهَنِي عَصَامٌ لَا خُلُقَ مِنْهُ وَلَا قَوَامٌ
* نَمْتُ وَعَرِقُ الْخَالِ لَا يَنَامُ *
يقول : عَزَّتْنِي^(٢) أُمُّهُ عَلَى الشَّبَّهِ ، فذهبت به إلى أخواله ، وقال آخر :

(١) هو رؤبة بن العجاج ، وصدر البيت : * حارث قد فرجت عنى غمى * يخاطب
الحارث بن سليم . (٢) غلبتني .

لقد بعثتُ صاحباً من العجم بين ذوى الأحلام والبيض اللثم
 * كان أبوه غائباً حتى فُطم *

يقول: لم يُسقى غيّلاً، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هَمَّتْ أَنْ
 أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْغَيْلَةِ، حَتَّى عَلِمْتُ أَنْ قَارِسَ الرُّومَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَوْلَادِهَا، فَلَا
 تَضِيرُ أَوْلَادَهَا » والغيلة أن تُرضع المرأة وهي حامل، أو تُرضع وهي تُعشى،
 وَيَزَعُمُ أَهْلُ الطَّبِّ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَنَّ ذَلِكَ اللَّبَنَ دَائِمٌ، وَقَالَتْ أُمُّ تَابِطَ
 شَرًّا^(١): وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُهُ تُضْعًا - وَوَضَعًا أَيْضًا - وَلَا وَضَعْتُهُ يَدْنَا، وَلَا سَقَيْتُهُ
 غَيْلًا، وَلَا أَبْتُهُ مَيْقًا. وقال الأصمعي: وَلَا أَبْتُهُ عَلَى مَأْقَةٍ. قولها: مَا حَمَلْتُهُ
 تُضْعًا، يُقَالُ إِذَا حَمَلَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ مَقْبَلِ الْحَيْضِ: حَمَلْتُهُ وَضْعًا وَتُضْعًا، وَإِذَا
 خَرَجَتْ رَجُلًا الْمَوْلُودَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ قِيلَ: وَضَعْتُهُ يَدْنَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

جَاءَتْ بِهِ يَدْنَا يَجْرُ مَشِيمَةً^(٢) تُسَابِقُ رِجْلَاهُ هُنَاكَ الْأَنَامِلَا

ويقال للرجل إذا قلب الشيء عن جهته جاء به يدنا. قال عيسى بن عمر:
 سألت ذا الرمة عن مسألة، فقال لي: أتعرف اليتن؟ قلت: نعم، قال:
 فسئلتك هذه يتن. قال: وكنت قد قلبت الكلام، والغيل ما فسرناه،
 وأما قولها: وَلَا أَبْتُهُ مَيْقًا، تقول: لم أَبْتُهُ مَغِيظًا. وذلك أن الخرقاء تبيت ولدها
 جائعاً مغموماً، لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه في مهده، حتى يغلبه الدوار فينوم؛
 والكيسة تُشبعُهُ وتُغنيهِ في مهده، فيسرى ذلك الفرح في بدنه من الشبع، كما
 سرى ذلك النعم والجوع في بدن الآخر. ومن أمثال العرب: أَنَا تَمَّقٌ وَصَاحِبِي مَمَّقٌ
 فكيف تَمَّقُ؟ التَمَّقُ: المملوء غيظاً وغضباً، والمتمق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق

(١) واسمها أميمة، إحدى نساء بني الفين. (٢) المشيمة ما يكون فيه الولد.

باب

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُرْهَدَنَّكَ في المعروف
كُفْرٌ مَنْ كَفَرَهُ، فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ تَصْطَنِعْهُ إِلَيْهِ (١):
وَأَنْشِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ
فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يُخَلَّ النَّاسَ، أَمْطِرَ الْمَعْرُوفَ مَطْرًا، فَإِنْ صَادَفَ
مَوْضِعًا فَهُوَ الَّذِي قَصَدْتَ لَهُ، وَإِلَّا كُنْتَ أَحَقَّ بِهِ.

(قال أبو الحسن الأخفش: حدثنا المبرد في غير الكامل قال: قال
الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرقت في
بذل المال. قال: بأبي أتما وأمي، إن الله عودني أن يفضيل علي، وعودته أن
أفضل علي عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني).

وَمَرَّ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بِأَعْرَابِيَةٍ فِي خُرُوجِهِ مِنْ سِجْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
يُرِيدُ الْبَصْرَةَ، فَقَرَّتْهُ عَنَزًا، فَقَبِلَهَا، وَقَالَ لِابْنِهِ مَعَاوِيَةَ: مَامَعَكَ مِنَ النِّفْقَةِ؟
فَقَالَ: ثَمَانِي مَائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: فَادْفَعْهَا إِلَيْهَا، قَالَ لَهُ ابْنُهُ: إِنَّكَ تَرِيدُ الرِّجَالَ، وَلَا
يَكُونُ الرِّجَالُ إِلَّا بِالْمَالِ، وَهَذِهِ يُرْضِيهَا الْيَسِيرُ، وَهِيَ بَعْدُ لَا تَعْرِفُكَ.
فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَتْ تَرْضَى بِالْيَسِيرِ، فَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ
لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي، أَدْفَعُهَا إِلَيْهَا.

(١) وهو الله عز شأنه.

✽

وزعم الأصمى أن حرَّبا كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقم الأمر فيها ، ثم مشى بين الناس بالصُّلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع ، قال : فَبِعِثْتُ وَأَنَا غلامٌ إلى ضرار بن القَعْقاع من بني دارم ، فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي ، فدخلتُ ، فإذا به في شِمْلَةٍ يَخْلِطُ بزرّاً لِعَنْزِلِهِ حَلُوبٍ ، فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ القوم ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلتِ العنز ، ثم غَلَّ الصَّحْفَةَ وصاح : يا جاريةُ غَدِّينا ، قال : فَأَتَتْهُ بزيت وتمر ، قال : فدعاني فَقَدَرْتُهُ أَنْ آكُلَ معه ، حتى إذا قَضَى من أكله حاجةً ، وَثَبَ إلى طِينٍ مُلْتَقَى في الدار ، فغَسَلَ به يَدَهُ ، ثم صاح : يا جارية ، أسقيني ماء . فَأَتَتْهُ بماء ، فَشَرِبَهُ ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه ، ثم قال : الحمد لله ، ماء الفُرَاتِ ، بتمر البصرة ، بزيت الشام ، متى نُودِيَ شُكْرَ هذه التعم ! ثم قال : يا جارية ، على بَرْدائِي ، فَأَتَتْهُ بِرِداءِ عَدْنِي ، فارتدَى به على تلك الشِمْلَةِ . قال الأصمى : فتجافيتُ عنه استقباحاً لِزِيَّتِهِ ، فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبَقْ حُبُوءُهُ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظامًا له ، ثم جلس ، فَتَحَمَّلَ جميع ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف .

✽

وحدثني أبو عثمان بكر بن محمد المازني عن أبي عبيدة قال : لما أتى زيادُ ابن عمرو المربدَ ، في عَقَبِ قتل مسعود بن عمرو العتكي ، جعلَ في المَيْمَنَةِ بَكْرَ بن وائل ، وفي المَيْسَرَةِ عبد القيسِ ، وهم لُكَيْزُ بن أفضى بن دُعْمَى

أَبْنُ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ زِيَادُ بْنُ عَمْرِو الْعَتَكِيُّ فِي الْقَلْبِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَحْنَفَ ، فَقَالَ : هَذَا غُلَامٌ حَدَّثَ ، شَأْنُهُ الشُّهْرَةُ ، وَليْسَ يُبَالِي أَيْنَ قَذَفَ بِنَفْسِهِ ، فَندَبَ أَصْحَابَهُ ، فِجَاءَهُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ الْغُدَانِيُّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ بَنُو تَمِيمٍ ، فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ، ثُمَّ اجْلِسْهُ فَنَظَرَهُ ، فِجَعَلُوا سَعْدًا وَالرَّبَّابَ فِي الْقَلْبِ ، وَرئيسُهُمْ عَبْسُ بْنُ طَلْقِ الطَّعَانُ ، الْمَعْرُوفُ بِأَخِي كَهْمَسٍ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي صَرِيمِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، فَجَعَلَ فِي الْقَلْبِ بِحِذَاءِ الْأَزْدِ ، وَجَعَلَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ فِي بَنِي حَنْظَلَةَ بِحِذَاءِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَجُعِلَتْ عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ بِحِذَاءِ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ لِلْأَحْنَفِ :

سَيِّكَفِيكَ عَبْسُ أَخُو كَهْمَسٍ مُقَارَعَةَ الْأَزْدِ بِالرَّبِّدِ

وَتَكْفِيكَ عَمْرُو عَلَى رِسْلِهَا لُكَيْزَ بْنَ أَفْصَى وَمَا عَدَدُوا

وَنَكْفِيكَ بَكْرًا إِذَا أُقْبِلْتَ بِضَرْبِ يَشِيبُ لَهُ الْأَمْرُدُ

فَلَمَّا تَوَافَقُوا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْأَحْنَفُ : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الْكُوفَةِ ، وَأَنْتُمْ جِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَيَدُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَنْتُمْ بَدَأْتُمْوْنَا بِالْأَمْسِ ، وَوَطِئْتُمْ حَرِيمَنَا ، وَحَرَقْتُمْ عَلَيْنَا ، فَدَفَعْنَا عَنْ أَنْفُسِنَا ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي الشَّرِّ مَا أَصَبْنَا فِي الْخَيْرِ مَسْلَكًا ، فَتَيَمَّمُوا بِنَا طَرِيقَةً قَاصِدَةً^(١) . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ زِيَادُ بْنُ عَمْرُو : تَخَيَّرَ خَلَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِنْ شِئْتَ فَانزِلْ أَنْتَ وَقَوْمُكَ عَلَى حُكْمِنَا ، وَإِنْ شِئْتَ نَخَلْ لَنَا عَنِ الْبَصْرَةِ

(١) أَيِ مَسْتَقِيمَةٍ عَادِلَةٍ .

وَأَرْحَلُهُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَإِلَّا فَدُّوا^(١) قَتْلَانَا ، وَأَهْدُرُوا
دِمَاءَكُمْ ، وَلِيُودَّ مَسْعُودٌ دِيَةَ الْمَشْعَرَةِ .

قال أبو العباس : وتأويل قوله « دية المشعرة » يريد أمر الملوكة في الجاهلية ،
وكان الرجل إذا قُتل وهو من أهل بيت المملكة وُدَى عشر ديات .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ : سَنَخْتَارُ ، فَانصَرَفُوا فِي يَوْمِكُمْ . فَهَزَّ الْقَوْمُ رِيَابِهِمْ
وَانصَرَفُوا ، فَمَا كَانَ الْعَدُوُّ يَمْتَحِنُ إِلَيْهِمْ : إِنَّكُمْ خَيْرُ تَمُونَا خِلَالًا لَيْسَ فِيهَا خِيَارٌ ،
أَمَا النُّزُولُ عَلَى حُكْمِكُمْ فَكَيْفَ يَكُونُ وَالْكَلْمُ يَقْطُرُ دَمًا ؟ وَأَمَا تَرَكَ دِيَارِنَا
فَهُوَ أَخُو الْقَتْلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ » وَلَكِنَّ الثَّلَاثَةَ إِنَّمَا
هِيَ حَمَلٌ عَلَى الْمَالِ ، فَنَحْنُ نُبْطِلُ دِمَاءَنَا ، وَنَدِي قَتْلَاكُمْ ، وَإِنَّمَا مَسْعُودٌ رَجُلٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ .

فاجتمع القوم على أن يتفوا أمر مسعود ، ويُعمد السيف ، ويُودى سائر
القتلى من الأزدي وربيعة ، فتضمن ذلك الأحنف ، ودفع إياس بن قتادة المجاشعي
رهينة حتى يُودى هذا المال ، فرضى به القوم ، ففخر بذلك الفرزدق فقال :

وَمِنَّا الَّذِي أُعْطِيَ يَدَيْهِ رَهِينَةٌ لِغَازِيٍّ مَعْدٍ يَوْمَ ضَرْبِ الْجَمَاجِمِ

عَشِيَّةَ سَالَ الْمِرْبَدَانَ كِلَاهُمَا عَجَابَةٌ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

هُنَالِكَ لَوْ تَبَنَّى كُلِّبْنَا وَجَدْتُمَا أَذَلَّ مِنَ الْقَرْدَانِ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ

قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه : لغازي معدٍ (ويقال إن

(١) من الدية ، تقول : ودى القتل يديه ، إذا أعطى قومه الدية .

تَمِيماً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعَ بَادِيَتِهَا وَحُلَفَائِهَا مِنَ الْأَسَاوِرَةِ وَالزُّطِّ ، وَالسَّبَائِحَةِ
وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفاً ، ففي ذلك يقول جرير :

سَأَلْتُ ذَوِي يَمَنِ وَرَهْطَ مُحَرِّقٍ وَالْأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودَا
فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجِّجٍ مُتَسَرِّبِينَ يِلَامِقًا وَحَدِيدَا

قال الأحنف بن قيس: فَكَثُرَتْ عَلَى الدِّيَاتِ، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجتُ
نحو يبرين، فسألتُ عن المقصود هناك، فأرشدتُ إلى قُبَّةٍ، فإذا شيخٌ جالسٌ
بفنائها، مؤتزرٌ بِشَمْلَةٍ، مُحْتَبٍ بِجَبَلٍ، فسأمتُ عليه، وانتسبتُ له، فقال: ما فعلَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: تُوَفِّي صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ! قال فما فعلَ
عُمَرُ بن الخطاب الذي كان يَحْفَظُ الْعَرَبَ وَيَحُوطُهَا؟ فقلت له: مات رحمه الله
تعالى! قال فأى خيرٍ في حاضرتكم بعدها؟ قال: فذَكَرْتُ لَهُ الدِّيَاتِ الَّتِي لَزِمْتَنَا
لِلْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ. قال: فقال لِي: أَقِمِ، فإذا راجَ قد أراحَ أَلْفَ بَعِيرٍ، فقال:
خُذْهَا، ثم أراحَ عليه آخرُ مثلها، فقال خُذْهَا، فقلت لا أحتاج إليها، قال:
فانصرفت بالآلف عنه، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة.

قوله «المناسيم» واحدها منسيمٌ، وهو ظفرُ البعيرِ في مُقَدِّمِ الْخَفِّ، وهو
من البعيرِ كَالسُّنْبُكِ مِنَ الْفَرَسِ.

وقوله * عشية سال المربدان كلاهما * يريد المربدَ وما يليه مما جرى
مجرأه، والعرب تفعل هذا في الشيتين إذا جرىَا في بابٍ واحدٍ، قال الفرزدق:
أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ
يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمعا في قولك النيرانِ، وغلب الاسم

المذكّر، وإنما يؤثّر في مثل هذا الخفة، وقالوا «العمران» لأبي بكرٍ وعمر، فإن قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ، لأن أهل الجَمَل نادوا بعلي بن أبي طالب رضى الله عنه: أعطينا سنّة العُمريّن. فإن قال قائل: فلم لم يقولوا أبوي بكر وأبو بكر أفضلهما؟ فلأن عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدني التّوّزيُّ عن أبي عبيدَةَ لجرير:

وَمَا لَتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ نَجْمُهُ يَضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ
مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فِعْلَهُمْ وَالْعُمْرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

هكذا أنشدني: (إنما قال هكذا أنشدني لأن غير التّوّزيُّ يرويه: والطّيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الأرقط):

* قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي * يريد عبد الله ومُصْعَبًا ابني الزُّبير،
وإنما أبو خُبَيْب عبد الله، وقرأ بعضُ القراء^(١) سلامًا على إلياسين، جَمَعَهُمْ
على لفظ إلياس، ومن ذا قولُ العرب: المَسَامِعَةُ، وَالْمَهَالِبَةُ، وَالْمَنَازِرَةُ، جَمَعَهُمْ
على اسم الأب، والمُشْعَرَةُ: اسم لِقَتْلَى الملوك خاصّة، كانوا يُكَبِّرُونَ أن يقولوا
قُتِلَ فلانٌ، فيقولون أشعرَ فلانٌ من إشعار البُدنِ، ويروى أن رجلا قال:
حضرتُ المَوْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فصاح به صائح: يا خليفة
رسول الله، ثم قال يا أمير المؤمنين، فقال رجلٌ من خَلْفِي دعاه باسم ميّت
مات، والله أمير المؤمنين، فالتفتُ فإذا رجل من بني لُهَبِ، وهم من بني نصرِ
أبن الأزدِ، وهم أزرَجُ قوم، قال كثيرٌ:

(١) هو عبد الله بن كثير.

سَأَلْتُ أَخَاهُ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لُحْبٍ
قال : فلما وقفنا لرمي الجمار إذا حصاة قد صككت صلعة عمر فأذمته ، فقال
قائل : أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبداً ، فالتفت فإذا بذلك
اللّهبي بعينه ، فقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحول .

باب

قال أبو العباس : أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد ، قال : أنشدني

أعرابي في قصيدة ذي الرمة :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَيْلِ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ

يبتين لم تأت بهما الرؤاة وهما :

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ مِنْ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فَقُلْتُ غُرَابٌ لِأَغْرَابٍ وَقَضْبَةٌ لِقَضْبِ النَّوَى ، هَذِي الْعِيفَةُ وَالزَّجْرُ

وقال آخر : (قال أبو الحسن هو جحدر العكلي ، وكان لصاً) :

رَقْدَمَا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءَ سَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

(وقدما عن أبي الحسن) :

تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِي عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرْبِ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمِي وَفِي الْغَرْبِ أَعْرَابٌ غَيْرُ دَانَ

وأنشدني أبو محمّد لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم :

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصْمًا كَبَيْتُهُ عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى خَاصَمْتَنِي الدَّرَاهِمُ
فَمَا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ غُلِبْتُ عَلَى وَقَالُوا قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ

وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرّج الرّياشيّ، عن أبي زيد الأنصاري :

وَلَقَدْ بَغَيْتُ الْمَالَ مِنْ مَبْغَاةِهِ وَالْمَالَ وَجْهَهُ لِلْفَتَى مَعْرُوضُ

طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِي لِيُحِبَّنِي إِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى الْعَنِيِّ بَغِيضُ

وقال آخر أنشدني التّوّزيّ عن أبي زيد :

وَصَاحِبِ نَبِيَّتُهُ لِيَنْهَضَا إِذَا الْكَرَى فِي عَيْنِهِ تَمَضُّضَا

فَقَامَ عَجْلَانٌ وَمَا تَأْرَضَا يَمْسَحُ بِالْكَفَيْنِ وَجْهًا أَيْضَا

قوله : أى وما تأرضا : أى لم يلزم الأرض ، وأنشدني التّوّزيّ عن أبي زيد

الأنصاري (قال أبو الحسن هو شبيبُ ابن البرّعاء) :

لَقَدْ عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّنِ أَنَّنِي إِلَى الضَّيْفِ قَوَامُ السَّنَاتِ خَرُوجُ

إِذَا الْمُرْغِيثُ الْعَوْجَاءُ بَاتَ يِعْزُهَا عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ لَهْوجُ

وَإِنِّي لِأَغْلِي اللَّحْمَ نِيًّا وَإِنِّي لِمَنْ يَهِينُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ

قوله : قَوَامُ السَّنَاتِ يريد سريع الانتباه ، والسَّنَةُ شدة النّعاس وليس بالنوم

بعينه قال الله عز وجل « لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » وقال ابن الرّقاع العامليّ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَسَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ عَاسِمِ (١)

وَسِنَانُ أَقْصَدُهُ النُّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِيهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَأْمِ

(١) عاسم : رملة لبني سعد ، وفي رواية أخرى (جاسم) وهي قرية بالشام .

معنى رنقت تهيأت، يقال رَنَقَ النَّسْرُ: إذا مَدَّ جَنَاحِيه لِيَطِيرَ ، قال ذوالرُّمَّة:

(إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ رَنَقَ فَوْقَنَا) عَلَى حَدِّ قَوْسَيْنَا كَمَا رَنَقَ النَّسْرُ

وقوله المرغيثُ: يعنى الَّتِي تُرَضِعُ تُرغِثُ ولدها ، ويقال لها رَغُوْثٌ ، قال طرفةُ:

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوْثًا حَوْلَ قُبَيْنَا تَخُوْرُ

وقوله يعزُّها: أى يَغْلِبُهَا ، وقال الله عز وجل: « وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ »

يقول غَلْبَنِي فِي الْمُخَاطَبَةِ ، وأصله من قوله كان أعزَّ مِنِّي فيها ، ومن أمثال

العرب: « من عَزَّ بَرٌّ » ، وتأويله: من غَلَبَ أُسْتَلَبَ ، وقال زهيرُ:

* وَعَزَّيْتُهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ * يقول: كان ذلك أعزَّ ما فيه ، ويقال: لِهَجَجَ

الفَصِيلُ فهو لَهْجُجٌ ، إِذَا لَزِمَ الضَّرْعَ ، ويقال رجلٌ مُلْهَجٌ: إِذَا لَهَجَتْ فِصَالُهُ ،

فِي تَخِذُ خِلَالاً ، فَيَسُدُّهُ عَلَى الضَّرْعِ ، أو على أنف الفصيل ، فَإِذَا جَاءَ لِيَرْضَعَ

أَوْجَعَهَا بِالْخِلَالِ ، فَضَرَحَتْهُ عَنْهَا بِرِجْلِهَا ، قال الشَّامِيُّ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّما يَرَى بِسَفَا الْبُهْمِيِّ أُخِلَّةَ مُلْهَجِ

البارضُ: أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ النَّبْتِ ، وَالْبُهْمِيُّ: يَشْبُهُ السَّنْبُلَ ، يقول: فهو لما أعتاد

هذا المرعى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ الْبُهْمِيُّ ، وسفاها: شوْكُهَا ، فيقول: كأنه مَخْلُولٌ عَنْ

البهمي ، أى يراها كالأخيلة ، وقوله «ذو ثومتين»: فالثومةُ فِي الْأَصْلِ الْحَبَّةُ ،

ولكنها فِي هذا الموضع الَّتِي تُعَلَّقُ فِي الْأُذُنِ (وقوله الحبة إنما معناه من حَبَّاتِ

النَّظْمِ) وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّي لِأَغْلِي لِحْمَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ وَيَرِخُصُّ عِنْدِي لِحْمُهَا حِينَ تَدْبَحُ

بِذَا فَا نَدِيْنِي وَأَمْدَحِيْنِي فَإِنِّي فَتَى تَعْتَرِيهِ هِرَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ

باب

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أى الجهادِ أفضلُ؟ فقال
جِهَادُكَ هَوَاكَ .

وقال رجل من الحكماء : اغصِ النساءِ وهواك واصنع ما شئت .

وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم :
مَالِكَ مِنْ عَيْشِكَ إِلَّا لَذَّةُ تَزْدَلِفُ بِكَ إِلَى حِمَامِكَ ، وَتُقَرِّبُكَ مِنْ يَوْمِكَ ،
فَأَيَّةُ أَكَلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا غَصَصٌ أَوْ شُرْبَةٌ لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ ، فَتَأْمَلْ أَمْرَكَ
فَكَأَنَّكَ قَدْ صِرْتَ الْحَيْبَ الْمَفْقُودَ ، وَالْخِيَالَ الْمُخْتَرَمَ ، أَهْلُ الدُّنْيَا أَهْلُ
سَفَرٍ لَا يَحْتَاوْنَ عَقْدَ رَحْلِهِمْ إِلَّا فِي غَيْرِهَا .

قوله : تَزْدَلِفُ بِكَ إِلَى حِمَامِكَ ، يقول تُقَرِّبُكَ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ الْمَزْدَلِفَةُ
وقوله عز وجل « وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ » إنما هي ساعات يقرُبُ بعضها من
بعض ، قال العجاجُ :

نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيِّ الْأَيْلِي زُلْفًا فزُلْفًا

* سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا *

نَاجٍ سَرِيعٌ ، وَالْأَيْنُ : الْإِعْيَاءُ ، وَالْوَجِيفُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وَنَصَبَ طَيِّ
الليالى لأنه مصدر من قوله طواه الأينُ ، وليس بهذا الفعل ، ولكن تقديره
طواه الأينُ طيًّا مثل طيِّ الليالى ، كما تقول زيد يشرب شُرْبَ الإبل ، إنما

التقدير يشرب شرباً مثل شرب الإبل ، فمثل نعت ، ولكن إذا حذفَت
المضاف استغنى بأن الظاهر يُبَيِّنُهُ وقام ما أضيف إليه مقامه في الإعراب ،
من ذلك قول الله تبارك تعالى « وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ » نصب لأنه كان واسأل
أهل القرية ، وتقول بنو فلان يَطَوُّهُمْ الطريقُ تريد أهل الطريق ،
فحذفت أهلُ فرفعت الطريقَ لأنه في موضع مرفوع ، فعلى هذا فقِسْ
إن شاء الله .

وقوله : سماوة الهلال إنما هو أعلاه ، ونَصَبَ سماوة بطي يريد طواه
الأيْنُ كما طَوَّتِ الليالي سماوة الهلال ، والشاهد على أنه يريد أعلاه
قولُ طُفَيْلٍ :

سَمَاوَتُهُ أَشْمَالُ بُرْدٍ مُجَبَّرٍ وَسَائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشْرَعَبٍ

ويروى مُعَصَّبٍ ، وإنما سماوته من قولك سماء ، فاعلم ، فإذا وقع الاعراب على
الماء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على أصله ، فإن كان من الياء أظهرت الياء ،
وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو ، تقول سقاوة لأنها من الشقوة ، وتقول
هذه امرأة سقاية ، إذا أردت البناء على غير تذكير ، فإن بنيته على التذكير
قلبت الياء والواو همزتين لأن الاعراب عليهما يقع ، فقلت سقايةً وغزاةً
يافتى ، فإن أنثت قلت سقايةً وغزاةً ، والأجودُ فيما كان له تذكير
الهمز^(١) ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار^(٢) ، وإنما السماء من الواو ، لأن
الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع ، وسماء كلُّ شَيْءٍ سَقَفُهُ .

(١) نحو سقاء وسقاء ومشاء ودعاء ودعاء . (٢) نحو عناية وصلاة وعباية .

وقوله : حتى أَحَقَّقَوْفَقَا ، يريد اَعْوَجَّ ، وإنما هو اَفْعَوْعَلَ من اِحْقَفِ .
وَاحْتَفُّ التَّقَا من الرَّمْلِ يَعْوَجُّ وَيَدِقُّ ، قال الله عزَّ وجل « إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ
بِالْأَحْقَافِ ^(١) » أى بموضع هو هكذا .

وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى خُطْبَةٍ : يا أمير
المؤمنين ، صِفْ لنا الدنيا ، فقال : ما أَصِفُ من دارٍ أَوْلها عَناءٌ ، وآخرها
فَناءٌ ، فى حَلالها حِسابٌ ، وفى حَرَامها عِقابٌ ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِنَ ، وَمَنْ
مَرِضَ فيها نَدِمَ ، ومن اسْتَعْنَى فيها فُتِنَ : ومن افْتَتَمَرَ فيها حَزِنَ .

وقال الرِّبِيعُ بنُ زِيَادِ الحَارِثِيِّ : كُنْتُ عاملاً لِأبى موسى الأَشْعَرِيِّ على
البَحْرَيْنِ ^(٢) فَكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يأمره بالتَّقدُّوم عليه
هو وَعُمَّالُهُ ؟ وَأَنْ يَسْتَخْلِفُوا جَمِيعاً ، قال فلما قَدِمْنَا أتيت يَرَهْ فَأَ ^(٣) قُلْتُ :
يا يَرَهْ فَأُ ، مُسْتَرْشِدٌ وَأَبْنُ سَبِيلٍ ، أَى الهَيَّاتِ أَحَبُّ إلى أمير المؤمنين أَنْ
يَرَى فيها عُمَّالُهُ ؟ فَأَوْمَأَ إلىِ بِالخُشُونَةِ ، فَاتَّخَذْتُ خُفَيْنِ مُطَارِقَيْنِ ، وَابَسْتُ
جُبَّةَ صُوفٍ ، وَلِثْتُ عِمَامَتِي على رَأْسِي ، فَدَخَلْنَا على عمر فَصَفَّنَا بَيْنَ يَدَيْهِ
فَصَعَدَ فِينَا وَصَوَّبَ ^(٤) فَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنُهُ أَحَدًا غَيْرِي ، فَذَهَانِي فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟
قُلْتُ الرِّبِيعُ بنُ زِيَادِ الحَارِثِيِّ ، قال وما تَتَوَلَّى من أَعْمَالِنَا ؟ قُلْتُ البَحْرَيْنِ ،
قال : كَمْ تَرْتَرِّقُ ؟ قُلْتُ : أَتَفًّا ، قال : كَثِيرٌ ، فما تَصْنَعُ بِهِ ؟ قُلْتُ : أَتَقَوِّتُ

(١) هى رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ، وهى مساكن عاد .

(٢) البحرين : اسم جامع للبلاد التى تقع على ساحل بحر الهند بين البصرة . قال الأزهري : وإنما تنوا
البحرين لأن فى ناحية قراها بحيرة قدرها ثلاثة أميال فى مثلها لا يفيض ماؤها .

(٣) هو مولى عمر بن الخطاب . (٤) نظر إلى الأسفل .

منه شيئاً ، وأعود به على أقارب لي . فما فضلَ عنهم فعلى فقراء المسامين ، قال فلا بأس ، ارجعْ إلى موضعك ، فرجعتُ إلى موضعي من الصَّفِّ ، فصعدتُ فينا وصوبتُ ، فلم تقع عينه إلا علىَّ ، فدعاني ، فقال : كم سنك ؟ قلتُ : خمس وأربعون سنةً ، قال : الآن حين استحكمتَ ، ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثُ عهدٍ بليين العيش ، وقد تجوَّعتُ له فأتيَ بخبزٍ وأكسارٍ بعير ، فجعل أصحابي يعافون ذلك ، وجعلتُ آكلُ فأجيدُ ، فجعلتُ أنظرُ إليه يلحظني من بينهم ، ثم سبقتُ مني كلمةً تمنيتُ أني سُخِّتُ في الأرض ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدتُ إلى ألين من هذا ، فزجرني ، ثم قال : كيف قلتُ ؟ فقلتُ : أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين ، فيخبزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم ، ويُطبخَ لك اللحمُ كذلك ، فتؤتني بالخبزِ ليناً ، واللحمَ غريضاً . فسكنَ من غرَبِهِ ، وقال أهاهنا غرتَ ؟ قلتُ : نعم ، فقال : ياربيعُ إنالونشا . ملأنا هذه الرحابَ من صلاحك ، وسبائكِ وصنابِ ، ولكني رأيتُ الله عز وجل نعي على قوم شهواتِهِمْ ، فقال : « أذهبتُم طيباتِكُمْ في حياتِكُمْ الدنيا » ، ثم أمرَ أبا موسى بأقراري ، وأن يستبدلَ بأصحابي .

قوله : فلكتُّها على رأسي يقول أدرتُ بعضها على بعضٍ على غير استواء يقال : رجلٌ ألوثُ إذا كان شديداً ، وذلك من اللوثِ ، ورجلٌ ألوثُ إذا كان أهوجَ ، وهو مأخوذ من اللوثَةِ . وحدثني عبد الصمد بن المعدل^(١)

(١) شاعر ذهب أكثر شعره ، ولم تبق الا تفت ذكراها صاحب زهر الآداب .

قال : سئل الأَصْمَعِيُّ عن المجنون المسمى قَيْسَ بنِ مُعَاذٍ ، فَبَيَّنْتَهُ وقال : لم يكن مجنوناً ، ولكن كانت به لُوثَةٌ كَلُوثَةِ أَبِي حَيَّةَ الشاعِر .

وقيل للأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي : بِمَ كُنتُمْ تعرفون السودد في الصبي منكم ؟ قال : إذا كان ملوث الأزرّة ، طويل الغرّة ، سائل الغرّة ، كأن به لُوثَةٌ ، فَلَسْنَا نَشْكُ في سُوددِهِ .

وقوله : تُؤْتِي باللحم غريضا يقول طريا ، يقال : لحم غريض ، وشواة غريض ، يُراد به الطراء . قال العسائي : (هو السموءل) :

إِذَا مَا فَاتَنِي لَحْمُ غَرِيضٍ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَاشْتَوَيْتُ
وقوله صلائق : فعناه ما محمل بالنار طبخا وشيا ، يقال : صلقت الجنب إذا شويته ، وصلقت اللحم إذا طبخته على وجهه ، وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحواري^(١) ، وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك وأصله ما ذكرنا ، والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزيب ، ومن ذلك قيل للفرس^(٢) صبابي إذا كان في ذلك اللون .

وكان جرير أشتري جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة فقركت جريرا^(٣) ، وجعلت تحن إلى زيد ، فقال جرير :

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمُرَقِّ وَالصَّنَابِ
وَقَالَتْ لَا تَضُمُّ كَضْمَ زَيْدٍ وَمَا ضَمِّيَ وَلَيْسَ مَعِيَ شَبَابِي
فقال الفرزدق يجهيه :

فإن تفرّكك عِلْجَةٌ^(٤) آلِ زَيْدٍ وَيُعْوزُكَ الْمُرَقُّ وَالصَّنَابُ

(١) اسم لما ينق من لباب البر . (٢) وللإبل وسائر الدواب .
(٣) فركته بكسر الراء : أبفضته والمصدر الفرق بفتح الفاء وكسرها ، ولم يسمع أبو عبيدة هذه الكلمة في غير الزوجين : (٤) مؤث العالج ، وهو الغليظ من كفار العجم .

فَقَدِمَا كَانَ عَيْشُ أَيْكَ مُرًّا يَعْيشُ بِمَا تَعْيشُ بِهِ الْكِلَابُ
 وأما قوله : أ كسار بعير ، فإن الكِسْرَ والجِدْلَ والوِصْلَ : العَظْمُ يَنْفَصِلُ
 بما عليه من اللحم^(١) ، وأما قوله : نَعَى على قوم فعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ .
 قال أبو عبيدة : اجتمع العُكَاظِيُّونَ^(٢) على أن فُرْسَانَ العرب ثلاثة ،
 ففارسُ تَمِيمٍ عَتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب أحدُ بنِي ثَعْلَبَةَ بن يَرْبُوعِ
 ابن حَنْظَلَةَ صَيَّادُ الفَوَارِسِ وَسَمُّ الفُرْسَانَ ، وفارسُ قَيْسِ عَامِرُ بن الطُّفَيْلِ
 ابن مالك بن جَعْفَرِ بن كِلَابٍ ، وفارسُ رَيْعَةَ بَسْطَامُ بن قَيْسِ بن مسعود
 ابن قَيْسِ بن خالد أحدُ بنِي شَيْبَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَّابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِيٍّ
 ابن بَكْرِ بن وائِلٍ ، قال : ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطَاتِهِمْ^(٣)
 وأما قوله : أههنا غُرَّتْ ، يقول : ذَهَبَتْ ، يقال غَارَ الرجلُ إذا أُنِيَ الغَوْرَ
 وناحيتهُ مما انخفض من الأرض ، وأُجِدَّ إذا أُنِيَ نُجْدًا وناحيتهُ مما ارتفع في
 الأرض ، ولا يقال أغار ، إنما يقال : غَارَ وأُجِدَّ ، وبيتُ الأعشى يُنشدُ
 على هذا :

نَبِيٌّ يَرَى مَالًا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ لَعَمْرِي غَارَ فِي الْبِلَادِ وَأُجِدَّ^(٤)
 وقوله : سكن من غَرَبٍ بِهِ ، يقول من حَدِّهِ ، وكذلك يقول في كل شيء في
 السَّيْفِ والسَّهْمِ والرجل وغير ذلك ، وقوله خفين مطارقين تأويله مُطَبَّقَيْنِ
 يقال طَارَقَتْ نَعْلِي إذا أَطَبَّقْتَهَا ، ومن قال طَارَقَتْ أو أَطَرَقَتْ فقد أخطأ ،

(١) الأفضل أن يقال بما عليه من قليل اللحم .

(٢) هم الذين كان من عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ . (٣) والمشهورون تعد عليهم الزلات .

(٤) انظر موقف الأعشى في كتاب « المدائح النبوية في الأدب العربي » .

ويقال لكل ما ضُوِّفَ قد طُورِقَ ، قال ذو الرُّمَّة (يَصِفُ صَقْرًا) :

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيْسِهِ يَتَرَقَّرُ
قوله رِيْعَةٍ موضعُ ارتفاعِ قال الله عزَّ وجل : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً
تَعْبَثُونَ » وهو جمع رِيْعَةٍ ، وقال الشَّيْخُ :

تَعْرِئُ لَهُ بِمَذْنَبِ كُلِّ وَادٍ إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيْعٍ



قال أبو العباس وحدثني العباس بن الفرَجِ الرِّياشيُّ عن الأصمعيِّ قال :
قال عَدِيُّ بن الفضيلِ خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحضره
بِئْرًا بِالْعَذْبَةِ ، فقال لي : وأين العَذْبَةُ ؟ فقلت على ليلتين من البصرة ، فتأسَّفَ
ألا يكون بمثل هذا الموضع ماءً ، فأحفرني ، واشترط عليَّ أن أولَ شاربٍ
ابنُ السَّبِيلِ ، قال فَحَضَرَتْهُ فِي مُجْمَعَةٍ وَهُوَ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ .

يَأْيها الناسُ ، إنكم مَيْتُونَ ، ثم إنكم مَبْعُوثُونَ ، ثم إنكم مُحَاسَبُونَ ،
فَلَعَمْرِي لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ .
أيها الناس إنه من يُقَدَّرَ له رِزْقٌ برأسِ جبلٍ أو بِحَضِيضِ أرضٍ يَأْتِيهِ ،
فاتقوا الله وأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ .

قال فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ شَهْرًا مَا بِي إِلَّا اسْتِمَاعَ كَلَامِهِ .

قوله بِحَضِيضٍ : يعني المُسْتَقَرَّ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا انْحَدَرَ عَنِ الْجَبَلِ ، وَلَا يُقَالُ
حَضِيضٌ إِلَّا بِحَضْرَةِ جَبَلٍ ، يُقَالُ حَضِيضُ الْجَبَلِ ، وَيُطْرَحُ الْجَبَلُ فَيُسْتَعْنَى

عنه لأن هذا لا يكون إلا له ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

* نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ (١) *



وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: يا ابن آدم ، لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ
الذى لم يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الذى أنت فيه ، فإنه إن يُعْلَمَ مِنْ أَجَلِكَ يَاتِ فيه
رزقك ، واعلم أنك لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوَّتِكَ إلا كنتَ
خازناً لغيرك فيه .

ويروى للنابغة : (هذا من شعر أوس بن حجرٍ مُثَبَّتٌ فيه فى كلمة لم
يَعْرِفُهَا الأَصْمَعِيُّ) :

وَلَسْتُ بِخَابِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان آمناً فى سَرَبِهِ ،
مُعَاقٍ فى بَدَنِهِ ، عنده قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، كان كَمَنْ حَبِزَتْ له الدنيا بِحِذَائِهَا .

(كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرهما وإنما

السَّرْبُ بفتح السين المال الراعى) قوله صلى الله عليه وسلم : فى سربه يقول :

فى مَسْلَكَ ، يقال فلان واسعُ السَّرْبِ ، وَخَلِي السَّرْبِ ، يريد المَسَالِكَ

والمَذَاهِبَ ، وإنما هو مثلٌ مضروبٌ للصدر والقلب ، يقال خَلَّ سَرَبُهُ : أى

طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء ، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَرِبُ فى

الطُرُقَاتِ ، ويقال سَرَّبَ عَلَى الإِبِلِ أى أَرْسَلَهَا شيئاً بعد شىء ، فإذا قلت

(١) رواية الديوان « نزلت إليه » .

سِرْبٌ بِكسر السين ، فإنما هو قَطِيعٌ من ظِبَاءٍ ، أو بقر ، أو شاة ، أو نساء ،
أو قَطَاً ، قال امرؤ القيس :

فَعَنَّا لَنَا سِرْبٌ كَانَ نِعَاجَهُ ^(١) عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَأِ الْمَذْبِيلِ
دَوَارٌ نُسْكٌ يَنْسُكُونَ عِنْدَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، ودَوَارٌ ما استدار من الرمل ،
ودَوَارٌ سِجْنُ اليمامة . قال بعض اللصوص (واسمه جَعْدَرٌ) :
كَانَتْ مَنَازِلُنَا الَّتِي كُنَّا بِهَا شَتَّى فَالْفَ بَيْنَنَا دَوَارٌ
وقال عمر بن أبي ربيعة :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفٍ
وكان الحسن يقول : ليس العَجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عَطِبَ ، إنما
العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيفَ نجا .



وكان الحجاج بن يوسف يقول على المنبر : أيها الناس ، اقدعوا هذه
الأنفُسَ فإنها أسألُ شيءَ إذا أُعْطِيَتْ ، وأمنعُ شيءَ إذا سُئِلَتْ ، فرَحِمَ اللهُ
امراً جعلَ لنفسه خِطاماً وزِمَاماً ^(٢) فقادها بِخِطَامِهَا إلى طاعة الله ، وعَطَفَهَا
بِزِمَامِهَا عن معصية الله ، فإنِّي رأيت الصَّبْرَ عن محارم الله أيسرَ من الصبر
على عذابه .

قوله : اقدعوا يقول امنعوا ، يقال قَدَعْتُهُ عن كذا: أى منعته عنه ،
ومنه قول التَّمَّاحِ :

(١) النعاج : جمع نجبة ، وهي البقرة الوحشية . (٢) الخِطَامُ : جبل من ليف أو شعر أو كتان
يثنى طرفه على نخطم البعير ليقاد به ، والزِمَامُ : جبل دقيق يجعل في أفه .

إِذَا مَا اسْتَأْفَهْنَ ضَرَبْنَ مِنْهُ مَكَانَ الرَّمِيحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدُوعِ
قوله: استأفهنَّ يعني جِهاراً يَسْتَأْفُ أَتْنَا، يقول يَرْمِيحُهُ إِذَا اسْتَمَهْنَ، والسَّوْفُ
الشَّمُّ، وقوله * مكان الرهح من أنف القدوع * يريد بالقدوع المقدوع، وهذا
من الأضداد، يقال طريق رَكُوبٌ إِذَا كَانَ يُرَكَّبُ، ورجل رَكُوبٌ للدوابِّ
إِذَا كَانَ يَرَكِبُهَا، ويقال: ناقة رَعُوثٌ إِذَا كَانَتْ تُرَضِّعُ، وحوارٌ رَعُوثٌ
إِذَا كَانَ يَرَضِّعُ، ومثل هذا كثير، يقال شاة حَلُوبٌ إِذَا كَانَتْ تُحَلِّبُ،
ورجل حَلُوبٌ إِذَا كَانَ يَحْلُبُ الشاةَ، والقَدُوعُ هاهنا البعير الذي يُقَدِّعُ وهو
أن يريد الناقةَ الكريمةَ ولا يكون كريماً فيضربُ أنفهُ بالرَّمِيحِ حتى يَرَجِعَ
يقال قَدَعْتُهُ، وَقَدَعْتُ أَنفَهُ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خَطَبَ خَدِيجَةَ بنتَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ ذِكْرِ لَوْرَقَةَ
ابن تَوْفَلٍ فقال: محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد؟ الفحلُ
لا يُقَدِّعُ أَنفَهُ^(١).

وكان الحجاج يقول: إِنَّ امْرَأَةً أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةً مِنْ عُمُرِهِ لَمْ يَذْكُرْ
فِيهَا رَبَّهُ، أَوْ يَسْتَغْفِرُ مِنْ ذَنْبِهِ، أَوْ يُفَكِّرُ فِي مَعَادِهِ، جَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ
حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) وروى: لا يقرع أنفه، من القرع وهو الضرب، والمعنى أنه كففه كريم لا يرد

باب

قال أبو العباس: أنشدني عمارة بن تقييل لنفسه يحضُّ بني كعب
وبني كلابِ ابني ربيعةَ بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازنَ
على بني نمير بن عامر بن صعصعة، وبينهم مطالباتٌ وتراثٌ^(١)، وكانت بنو
نمير أعداءَ عمارة فكان يحضُّ عليهم السلطانَ، ويُغري بهم إخوتهم،
ويحاربهم في عسيرته، فقال:

رَأَيْنَا كَمَا يَا ابْنَ رَيْبَعَةَ خَرُّنَا ^(٢)	لِعَضِّ الْحُرُوبِ وَالْمَيْدِ كَثِيرِ ^(٣)
وَصَدَقْتِمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فِيكَمَا	وَكَذَّبْتِمَا مَا كَانَ قَالَ جَرِيرُ
أَصَابَتْ نَمِيرٌ مِنْكُمْ فَوْقَ قَدْرِهَا	فَكُلُّ نَمِيرِي بِذَلِكَ أَمِيرُ
فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِكُمْ	فَقَدْ هُدِمَتْ مَدَائِنُ وَقُصُورُ
رَمَتْهَا مَجَانِقُ الْعَدُوِّ فَقَوَّضَتْ	مَدَائِنُ مِنْهَا كَالْجِبَالِ وَسُورُ
وَشَيْدَهَا الْأَمْلاكَ كِسْرَى وَهَرْمُزُ	وَأَلْ هِرْقَلِ حِقْبَةً وَنَضِيرُ ^(٤)
فَإِنْ تَعَمَّرُوا الْمَجْدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ	لَكُمْ فِي مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ ضَرِيرُ
خَبَطْتُمْ لِيُوثَ الشَّامِ حَتَّى تَنَادَرَتْ	جَمَاعُكُمْ وَحَسَّتِي لَا يَهْرَ عَقُورُ

(١) التراث: جمع ترة على وزن عدة، وهي الجناية بقتل حميم أو سبي أهل أو سلب مال.

(٢) من خار يخور إذا ضنف.

(٣) وفي رواية ثانية * وعردتما والحرب ذات هرير * والتعريد النكوس والاحجام، والرواية

الثانية أجرد لولا الاقواء. (٤) نضير: أخو قريظة، وهما حيان من يهود خيبر.

فَكَيْفَ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ تُصَيْبُكُمْ

ثَعَالِبُ يَبْحَثُنَ الْحَصَى وَأَبُورُ

قوله * فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور * مثل ، يريد أن مجدكم الذي بناه أبواؤكم متى لم تعمروه بأفعالكم خرب وذهب ، وهذا كما قال عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا

يَوْمَ مَا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكَلُّ

تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا

تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وكما قال الآخر :

أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَن كُلِّ مَكْرُمَةٍ

قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ

يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَتْ أَوَائِلُهُمْ

يَا لِلرَّجَالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْئُومٍ

إِنَّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ

كَسَاعِدٍ فَلَهُ الْأَيَّامُ مَحْطُومٍ

وكما قال عامر بن الطفيل العامري :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ فَارِسٍ عَامِرٍ

وَفِي السَّرْمِينِهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَن وِرَاثَةٍ

أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبِ

وَلِكَيْتِي أُنْحَى جِهَاهَا وَأَتَّقِي

أَذَاهَا وَأَرْبِي مَنْ رَمَاهَا بِمَقْتَبِ

(قال أبو الحسن : أنشدني هذه الأبيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرورين

ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامري ، قال أبو الحسن ، قال الأصمعي :

وكان عامر بن الطفيل يُلقَّبُ مُجَبَّرًا ، لِحُسْنِ شِعْرِهِ ، وَأَوْلَاهَا :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكَ بَعْدَ مَا

أَرَاكَ صَحِيحًا كَالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ

فَقُلْتُ لَهَا هُمِّي الَّذِي تَعْلَمِينَهُ

مِنَ النَّارِ فِي حَيِّ زَيْدٍ وَأَرْحَبِ

إِنَّ أَعْرُ زَيْدًا أَعْرُ قَوْمًا أَعْرَةً مَرَكَبُهُمْ فِي الْحَيِّ خَيْرٌ مَرَكَبِ
 وَإِنْ أَعْرُ حَيٍّ خَشَعَمَ فَدِمَاؤُهُمْ شِفَاءً وَخَيْرُ النَّارِ لِمَتَأَوَّبِ
 فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقِ بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشَدَّبِ
 وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرِ وَزَعْفِ دِلَاصٍ كَالْعَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
 سِلَاحِ أَمْرِي قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ طَلُوبُ لِنَائِرَاتِ الرَّجَالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبي العباس على وجهه ، إلا أنه روى (من رماها ما بمنكب^(١))
 السليم الملدوغ ، وقيل له : سليم تفوؤلاً له بالسلامة^(٢) ، وزيد وأرحب
 حيّان من اليمن ، والثار ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ، ومن
 قال ثار فقد أخطأ ، والمتأوب الذي يأتيك لطلب ثاره عندك ، يقال : آب
 يثوب إذا رجع ، والتأويب في غير هذا السير في النهار بلا توقف ، والأوتار
 الأحقاد واحدها وتر وحقد ، والأجرد الفرس المتحسر الشعر ، والأجرد
 الضامر أيضاً ، والعسيب السعفة ، والمشذب الطويل الذي قد أخذ ما عليه
 من العقد والسلاء والخص ، ومنه قيل للطويل المعرق مشذب ، وخطي
 رمح منسوب إلى الخط ، وهي جزيرة بالبحرين ، يقال إنها ثبتت عصى
 الرماح ، وقال الأصمعي : ليست بها رماح ، ولكن سفينة كانت وقعت
 إليها فيها رماح ، وارتفت بها في بعض السنين المتقدمة ، فقيل لتلك الرماح
 الخطية ، ثم عم كل رمح هذا النسب إلى اليوم ، والزغف الدرع الرقيقة
 النسيج ، والثوب الذي تصفقه الرياح فيذهب ويحيى ، وهو من تاب

(١) المنكب : مجتمع عظم العضد والكف .

(٢) كما سمو الفلاة المهلكة مفازة ، وكما سمو رباط الكسر جبيرة .

يُثُوبُ إِذَا رَجَعَ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْغَدِيرُ غَدِيرًا لِأَن السَّيْلَ غَادَرَهُ : أَي تَرَكَه) .
قال أبو العباس وقوله * لكم في مَضْرَاتِ الحروبِ ضَرِيرٌ * يقال رجل
ذو ضَرِيرٍ إِذَا كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَقَالَ مُهَلِّهُلُ بْنُ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيُّ :

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو وَهَمَامٌ بِنُ مَرَّةٍ ذُو ضَرِيرٍ

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله : خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من
نَصْرِ بْنِ شَبَثِ الْعُقَيْلِيِّ وَهُوَ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَقَوْلُهُ : أَبُورِجَعِ
وَبُرٍّ (١) وَإِذَا انضمت الواو من غير علة فهمزها جأز وقد ذكرنا ذلك قبل ،
وقال عمارة أيضاً لهم أنشدنيته :

أَلَا لِلَّهِ دَرُّ الْحَيِّ كَعْبٍ ذَوِي الْعَدَدِ الْمُضَاعَفِ وَالْخِيُولِ
أَمَّا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرِ يُورَعُ عَنْهُمْ سَنَنَ الْفُحُولِ
تَنَوَّخُهُمْ تُنْمِيزُ كُلَّ يَوْمٍ كَفِعْلِ أَخِي الْعَزَازَةِ بِالذَّلِيلِ
وَلَيْسُوا مِثْلَ عَشْرِهِمْ وَلَكِنْ يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ الْعُقُولِ
فَأَيْنَ فَوَارِسُ السَّلَامَاتِ مِنْهُمْ وَجَعَدُهُ وَالْحَرِيشُ ذَوُو الْفُضُولِ
وَإَيْنَ عُبَادَةُ الْخَشَنَاءِ مِنْهُمْ إِذَا مَا ضَاقَ مُطْلَعُ السَّبِيلِ

قوله : * أَلَا لِلَّهِ دَرُّ الْحَيِّ كَعْبٍ * يريد كعب بن ربيعة بن عامر
أَبْنَ صَمْعَةَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنَ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرَةَ بْنِ خَصْفَةَ
أَبْنَ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنَ مُضَرَ ، وَقَوْلُهُ : * أَمَّا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرِ *
يعني نصر بن شَبَثِ أَحَدِ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ،

(١) دوية طحلاء اللون ليس لها ذنب ، وهي على قدر السنور .

وقوله : * يُورَعُ عَنْهُمْ سَنَنْ الْفُحُولِ * هو مثلُ ضَرْبَةٍ جَعَلَهُمْ لِمَسَاكِهِمْ
عن الحرب بمنزلة الثوق التي يَقْرَعُهَا الْفَعْلُ ، وَيُورَعُ يَكْفُ ، وَيَمْنَعُ
وَيَدْفَعُ ، وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ إِنَّمَا هُوَ الْكَفُّ عَنْ أَخْذِ الْحَرَامِ ، وَجَاءَ فِي
الْحَدِيثِ : « لَا تَنْظُرُوا إِلَى صَوْمِهِ ، وَلَا إِلَى صَلَاتِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرُوا إِلَى
وَرَعِهِ إِذَا أَشْفَى » وَمَعْنَاهُ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ ، وَالسَّنَنُ الْقَصْدُ ،
ثُمَّ أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : تَنَوَّخُهُمْ مُتْمِرٌ كُلَّ يَوْمٍ ، يُقَالُ سَانَ الْفَعْلُ النَّاقَةَ
فَتَنَوَّخَهَا ، وَذَلِكَ إِذَا رَكَبَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوَطَّأَ لَهُ ، وَلَكِنْ يَعْتَرِضُهَا اعْتِرَاضًا ،
وَتَقُولُ الْعَرَبُ إِنَّ ذَلِكَ أَكْرَمُ النَّبَاتِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَلَدَ يُخْرَجُ صَلِيبًا
مُذَكَّرًا ، وَيُقَالُ لِذَلِكَ الْحَمَلِ الَّذِي يَقَعُ مِنَ التَّنَوُّخِ وَالْإِعْتِرَاضِ يَعَارَةٌ
وَعِرَاضٌ ، يُقَالُ سَحَمَتُهُ عِرَاضًا ، وَحَمَلَتُهُ يَعَارَةٌ يَأْتِي . قَالَ الرَّاعِي :

قَلَائِصَ لَا يُلْقَحْنَ إِلَّا يَعَارَةٌ عِرَاضًا وَلَا يُشْرِنَنَّ إِلَّا غَوَالِيَا
وَقَالَ الطَّرِمَّاحُ :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَيْسَ سَبْنَدَا ةُ أَمَارَتُ بِالْبَوْلِ مَاءِ الْكِرَاضِ
نَضَّجَتُهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ حِينَ نِيلَتْ يَعَارَةٌ فِي عِرَاضِ

قَوْلُهُ : سَبْنَدَا فِيهِ الْجَرِيَّةُ الصَّدْرُ ، يُقَالُ لِلْجَرِيِّ الصَّدْرِ سَبْنَدَا وَسَبْنَدَا ،
وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي النَّمْرِ ، وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الْكِرَاضَ حَلَقُ الرَّحِمِ ، قَالَ وَلَمْ
أَسْمَعُهُ إِلَّا فِي هَذَا الشَّعْرِ ، وَقَوْلُهُ : نَضَّجَتُهُ عِشْرِينَ يَوْمًا ، إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَزِيدَ بَعْدَ
الْحَوْلِ مِنْ حَيْثُ حَمَلَتْ أَيَّامًا نَحْوَ الَّذِي عَدَّ فَلَا يُخْرَجُ الْوَلَدُ إِلَّا مُحْكَمًا ،
قَالَ الْخَطِيبِيُّ :

لِأَدْمَاءٍ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ بِهِ الْخَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا عَدِيدُهَا
 وَالْعَزَازَةُ الْعِزُّ ، وَالْمَصَادِرُ تَقَعُ عَلَى فَعَالَةٍ لِمَبَالِغَةِ ، يُقَالُ : عَزَّ عِزًّا وَعَزَازَةً ،
 كَمَا يُقَالُ : الشَّرَاسَةُ ، وَالصَّرَامَةُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي
 سَفَاهَةٌ » ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : « لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ » ، وَقَوْلُهُ : فَأَيْنَ فَوَارِسَ
 السَّلَامَاتِ ، يُرِيدُ بَنِي سَلَمَةَ الْخَيْرِ ، وَبَنِي سَلَمَةَ الشَّرِّ أَيْ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ ، وَجَمَعَ
 لِأَنَّهُ يُرِيدُ الْحَيَّ أَجْمَعَ ، كَمَا تَقُولُ الْمَهَابِلُ وَالْمَسَامِعَةُ ، فَتَجْمَعُهُمْ عَلَى اسْمِ الْأَبِ
 عَلَى الْمُهَلَّبِ وَمِسْمَعٍ ، وَكَذَلِكَ الْمَنَازِرَةُ ، وَقَدِمْتَ الْحِجَّةَ فِي هَذَا ، وَجَعَدَةُ
 ابْنُ كَعْبٍ ، وَالْحَرِيشُ بْنُ كَعْبٍ ، وَبَنُو عُبَادَةَ مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ ، وَقَالَ
 الْخَشْنَاءُ يُرِيدُ الْقَبِيلَةَ ، وَذَكَرَهَا بِالْخَشُونَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ .



وَيُرْوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِدَغْفَلِ
 ابْنِ حَنْظَلَةَ النَّسَابَةِ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْمَعَةَ ؟ فَقَالَ : أَعْنَاقُ ظِبْيَاءٍ ،
 وَأَعْجَازُ نِسَاءٍ ، قَالَ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي تَمِيمٍ ؟ قَالَ : حَجَرٌ أَخْشَنُ إِنْ صَادَمْتَهُ
 آذَاكَ ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ تَرَكَكَ ، قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْبُهَيْنِ ؟ قَالَ : سَيِّدٌ وَأَنْوَكٌ .
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَأَنْشَدَنِي مُهَارَةً لِنَفْسِهِ ، وَسَبَبَ هَذَا الشَّعْرَ الَّذِي
 نَذَرَ أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُكْنَى أَبُو سَعْدٍ كَانَ مُتَقَطِعًا إِلَى أَبِي نَصْرٍ
 ابْنِ مُحَمَّدِ الطَّائِيِّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي تَبْهَانَ ، وَكَانَ أَبُو نَصْرٍ وَالْيَأَى عَلَى الْعَرَبِ ،
 وَكَتَبَ أَبُو سَعْدٍ إِلَى عُمَارَةَ بِأَمْرِهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ أَبِي نَصْرٍ ، فَقَالَ عُمَارَةُ :

دَعَانِي أَبُو سَعْدٍ وَأَهْدَى نَصِيحَةً إِلَى وَمِمَّا أَنْ تَغَرَّ النَّصَائِحُ
(مما بمعنى رُبَّمَا):

لِأَجْزَرَ لِحْمِي كَلْبَ نَبْهَانَ كَالَّذِي دَعَا الْقَاسِطِيَّ حَتْفُهُ وَهُوَ نَازِحُ
أَوْ الْبُرْجُمِيِّ حِينَ أَهْدَاهُ حَيْنُهُ لِنَارٍ عَلَيْهَا مُوقِدَانٍ وَذَابِجُ
وَرَأَى أَبِي سَعْدٍ وَإِنْ كَانَ حَازِمًا بَصِيرًا وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَارِحُ
أَعَارَ بِهِ مَلْعُونِ نَبْهَانَ سَيْفَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَالْقَوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ
وَنَصْرُ الْفَتَى فِي الْحَرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ عَلَى قَوْمِهِ لِلْمَرْءِ ذِي الطَّعْمِ فَاصْحُ
قوله: * لِأَجْزَرَ لِحْمِي كَلْبَ نَبْهَانَ * أي لأكون جزرة له ،
والجزرة: البدنة تُنحَرُ ، يقال أجزرت فلاناً وتركت فلاناً جزراً ، قال
عَنْرَةُ الْعَبْسِيُّ :

إِنْ تَشْتِمَا عِرْضِي فَإِنَّ أَبَاكَمَا جَزْرُ السَّبَاعِ وَكُلُّ نَسْرِ قَشَعَمِ

وقوله: « كالذي دعا القاسطيَّ حتفه وهو نازح » فهذا رجل من النمر
ابن قاسطٍ خرج يبتغي قرظاً من بُعْدِ فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فَمَاتَ فَهُوَ أَحَدُ الْقَارِظِينَ ،
والقارظُ الأول من عَنْرَةَ كَانَ خَرَجَ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ لَهُ فِي طَلْبِ الْقَرِظِ فَقَتَلَهُ
ابن عمه ، لأنه كان يريد ابنته فنهه منها ، قال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ : (الصحيح
أن الشعر لأبي ذُوؤَيْبٍ) :

وَحَتَّى يُوَوِّبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرِ فِي الْقَتْلِ كُلَيْبُ لُوَائِلِ

وقوله: « كالذي دعا القاسطي حتفه » الهاء في حتفه ترجع على الذي ،

وتقديره كالسبب الذي دعا القاسطي حنطه ، وقوله : « أو البرجمي » فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بنو دارم بأوارة ، وكان سبب ذلك أن أخاه أسعد بن المنذر ، وكان مسترضعا في بني دارم في حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ ، فعبت كما تعبت الملوك ، فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله (رعى ناقة بسهم فقتلها ، والرجل الذي قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) ففي ذلك يقول القائل ، وهو عمرو ابن ملقط الطائي لعمرو بن هند :

فَأَقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةَ
فَعَزَّاهُمْ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ ، فَقَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَيَوْمَ أَوَّارَةَ ، فِي ذَلِكَ
يَقُولُ الْأَعَشَى :

وَتَكُونُ فِي الشَّرَفِ الْمَوَا زِيَّ مِنْقَرًا وَبَنِي زُرَّارَةَ
أَبْنَاءَ قَوْمٍ قَتَلُوا يَوْمَ الْقُصَيْبَةِ وَالْأَوَّارَةَ
ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة ، فبذلك سمى محرقا ، فأخذ تسعة وتسعين رجلا فتذفهم في النار ، ثم أراد أن يبرق سمه بعجوز منهم لتكدهل بها العدة ، فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة) ألا فتى يفدي هذه العجوز بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات صارت الفتيان محمما ! ومر وافد البراجم وهو الذي ذكرنا فاشتتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فمرج إليه فأتى به إليه ، فقال له : من أنت ؟ فقال :

أَيَّتَ اللَّعْنِ ! أَنَا وَافِدُ الْبِرَاجِمِ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبِرَاجِمِ ، ثُمَّ
أَمَرَ بِهِ فَقُذِفَ فِي النَّارِ ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ يُعَيِّرُ الْفَرَزْدَقَ :

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَى عَمْرُو حُرُقُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمْ الْمُسْتَرْضَعُ
وقال أيضاً :

وَأَخْزَاكُمْ عَمْرُو كَمَا قَدْ خَزَيْتُمْ وَأَدْرَكَ عَمَّارًا شَقِيَّ الْبِرَاجِمِ
وقال الطَّرِمَّاحُ :

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمْ مِائَةً فِي جَاهِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِأَنْخَدِ (١)
يَنْزُونَ بِالْمُسْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا عَمْرُو وَلَوْ لَا سُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقْدِ
ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام ، يعني لطمع البرُّهَجِيُّ فِي الْأَكْلِ ، قَالَ
يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ أَحَدِ بَنِي عَمْرُو بْنِ كَلَابِ :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَأَيَّةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا
وقال آخر : (ذَكَرَ أَبُو حَبِيبٍ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِأَبِي مَهْوشٍ الْفَقْعَسِيِّ ، وَذَكَرَ
دِعْبِلٌ أَنَّهُ لِأَبِي الْمَهْوشِ الْأَسَدِيِّ) :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فِجْيٌ بَزَادٍ
بِحُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمُلَفَّفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يُنْقَبُ الْبَطْحَاءَ حَوْلًا لِتَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ حَادٍ

وقوله : « لِلْمَرْءِ ذِي الطَّعْمِ » يعني الراجع إلى عقل ، يقال فلان ليس بذي

(١) أصله الحد ، ففك الإدغام للفاقية ، وهو كالأخدود : حفرة مستطيلة في الأرض .

طَعْمٍ ، وفلان ليس بنذى نَزَلٍ ، أى ليس بنذى عقل ، ولا معرفة ، وإنما يقال هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ ، ومن قال نَزَلٌ فى هذا المعنى فقد أخطأ .

وقال أعرابى يَهْجُو قوما من طَيِّبٍ :

وَمَا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ
يَنْسِتُ مِنْ أَلَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْنِي لَدَيْهِمْ إِنْ نِي رَجُلٌ يَتُّوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ أَيْهِمْ لِأَيِّ تَشَابَهَتْ الْمَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ

قوله : « جلوساً » ليس بينهم جليس ، يقول هؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم ، وهذا من أقبح الهجاء .

ومن أمثال العرب : « سَمُّهُمْ فى أَدِيمِهِمْ » ، ومعناه فى مأدومهم ، وقيل : أديم ومأدوم ، مثل قَتِيلٍ وَمَقْتُولٍ ، وتقول الحكماء : من كَثُرَ خيره كَثُرَ زائره .

وقال المهلب بن أبى صُفْرَةَ لبنيه : يَا بَنِي إِذَا غَدَا عَلَيْكُمْ الرَّجُلُ وَرَاحَ مُسَامًا ، فَكُنِّي بِذَلِكَ تَقَاضِيَا .
وقال الآخر :

أَرْوَحُ لِتَسْلِيمِ عَلَيْنِكَ وَأَعْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
كُنِّي بِطَلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَبِالْيَأْسِ الْمُصْرَحِ نَاهِيَا
(وربما قال أبو العباس : هو مُصْرَحٌ بكسر الراء . قال أبو الحسن :
والكسر أجود) .



ومن أحسن المدح قول زهير:

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقًا

وقال رؤبة: (ليس لرؤبة ، وهو لابن أبي نُخَيْلَةَ^(١)) :

* إِنَّ النَّدى حَيْثُ تَرَى الضَّغَاطَا *

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسَ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ
وقال أشجع في محمد بن منصور :

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عَلامَاتٌ مِنَ الْبَدَلِ
جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ الْبَا بِ نُبَلَاءِ كَثْرَةِ الْأَهْلِ

وقوله : * تَشَابَهَتِ الْمَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ * إنما ضربه مثلاً للأخلاق والأفعال : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ ، ويقال إن الأَصْبَطَ^(٢) بن قُرَيْعِ بْنِ عَوْفِ ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم آذنته عشيرته من بني سعد فخرج عنهم فجعَلَ لا يُجاوِرُ قومًا إلا آذوه فقال : « أَيْنَمَا أَذْهَبَ أَلْقَ سَعْدًا » ، أى أفر من الأذى إلى مثله .

(١) قال الشيخ المرصفي : الصواب « لأبي نخيلة » وهو اسمه لا كنيته ، شاعر راجز من مخضرمي الدولتين . (٢) شاعر جاهلي .

باب

قال أبو العباس قال أبو إدريس الخولاني: المساجد مجالس الكرام .
وقيل للأحنف بن قيس أحد بني مرة بن عبيد بن الحارث بن كعب
ابن سعد: أي المجالس أطيب؟ فقال: ما سافر فيه البصر، واتدع
فيه البدن .

اتدع: افتعل من التوديع^(١)، والأصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار
ما قبلها، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر^(٢) ياتزر، وهو
رجل مؤتزر، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب افتعل
تاء وتُدغمها في التاء من افتعل، فتقول اتدع يتدع وهو مُتدِعٌ، ومُتَزِرٌ،
ومُتَعِدٌ من الوعد، ومُتَيْسٌ من اليأس، تكون الياء كالواو لأنها إن أظهرت
انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو، وتكونان واوين عند الضمة نحو
مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ومُوتَيْسٍ ومُوتَيْسٍ، وياءين للكسرة، والواو قد تُقلبُ إلى
التاء ولا تاء بعدها نحو ثراث، من ورثت، وتُجَاهٍ من الوجه، وتُكَاةٌ^(٣)
وإنما ذلك كراهية الضمة في الواو وأقرب حروف الزوائد والتبدل منها التاء
فقلبت إليها، وقد تُقلبُ للبدل في غير ضم، نحو هذا أتقى من هذا

(١) يريد الوداعة .

(٢) قال الشيخ الرصفي: هذا خطأ صراح . فإن العرب أجمع إنما تبدل من مهموز الفاء الماضي
والأمر فقط لاجتماع الهمزتين في أوليهما فالصواب أن يمثل من المثال فيقول: ايتعد ياتعد فهو موتعد
وايتسر ياتسر فهو موتسر . (٣) أصلها وكأه على وزن حمزة .

وضربته حتى أتكاأته^(١) فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الإذغام ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب .

✽

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : ما خير المجالس ؟ فقال : ما بعد فيه مدى الطرف ، وكثرت فيه فائدة الجليس .

ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ، ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا في غيره فخلهم وانهمض .

قوله : فارمهم بسهم الإسلام يعني السلام ، وقوله فأجل سهمك مع سهامهم ، يعني أدخل معهم في أمرهم ، فضربته مثلاً من دخول الرجل في قِدَاحِ الميسر .

وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأُمَّه :

وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فِي مَجْلِسٍ فَأَخْتَرِ مَجَالِسَهُمْ وَمَا تَقَعِدِ
وَدَعِ النُّوَاةَ الْجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ وَإِلَى الَّذِينَ يَدُكْرُونَكَ فَاعْمِدِ

وقال ابن عباس رحمه الله : جَلِيسِي عَلَى ثَلَاثٍ أَنْ أُرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ ،
وَأَوْسَعَ لَهُ إِذَا جَلَسَ ، وَأَضْغَى إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ .

(١) أى ألقته على هيئة التكي ، أو على جانبه الأيسر .

وكان القَعْقَاعُ بن شَوْرٍ أحد بني عمرو بن شَيْبَانَ بن ذُهَلِ بن ثَعْلَبَةَ
ابن عُكَّابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِي بن بَكْرِ بن وائِلِ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَفَهُ
بالقَصْدِ إليه جَعَلَ له نصيباً في ماله ، وأعانهُ على عَدُوِّهِ ، وَشَفَعَ له في حاجته
وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له ، حتى شَهَرَ بذلك ، وفيه يقول القائل :

وَكَنتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ وَلَا يَشُقِّي بِقَعْقَاعِ جَلِيسُ
ضُحُوكِ السَّنِّ إِنْ أَمْرُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقُ عَبُوسِ
وحدثني التَّرَزِيُّ أن رجلاً جالسَ قوماً من بني مَخْزُومِ بنِ يَقْظَةَ بنِ مِرَّةَ
ابن كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، فأساءوا
عِشْرَتَهُ ، وَسَعَوْا به إلى معاوية ، فقال :

شَقِيتُ بِكُمْ وَكَنتُ لَكُمْ جَلِيسًا فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ
وَمِنْ جَهْلِ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرٍ^(١)
نَسَبُهُ إِلَى التَّوَضِيعِ^(٢) كقول عُثْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ
لِحَكِيمِ بنِ حِزَامِ^(٣) لما بلغه قول أبي جَهْلِ بنِ هِشَامِ : أَنْتَفَخَ وَاللَّهِ سَحْرَهُ
وَنَحْرَهُ ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ أَسْتِهِ مَنْ أَنْتَفَخَ سَحْرَهُ الْيَوْمَ .



وقال رجل من بني مَخْزُومِ للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم
ابن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ليؤذيه أتعرف الذي يقول :

(١) التور : إناء بيل فيه نحو العود والمسك . (٢) أي التخنيث .

(٣) هو ابن عم خديجة أم المؤمنين .

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَامِ الْأَنْصَارِ
فَقَالَ الْأَحْوَصُ: لَا أَدْرِي، وَلَكِنِّي أَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ:

النَّاسُ كَنُؤُهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهُ كَنَانُهُ أَبَا جَهْلٍ
أَبَقَتْ رِيَّاسَتُهُ لِأَسْرَتِهِ لُؤْمُ الْفُرُوعِ وَدِقَّةَ الْأَصْلِ

وهذا الشعر لحسان بن ثابت، والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل،
وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من أنصار، فأمر كعب بن جعيل
التغلي بهجائهم، فقال له كعب: أأهجو الأنصار؟ أرادى أنت إلى
الكفر بعد الإسلام؟ ولكني أدلك على غلام من الحمي نصراني كان
لسانه لسان تور: يعني الأخطل، قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان
ابن بشير بن سعد الأنصاري على معاوية فحسره عمامته عن رأسه، ثم قال:
يا معاوية، أترى لؤمًا؟ فقال: ما أرى إلا مكرمًا، فقال النعمان:

مُعَاوِيَ إِنْ لَا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفُ لِحَيِّ الْأَزْدِ مَسْدُ وَلَا عَلَيْنَا الْعِمَامُ^(١)
أَيْشْتَمْنَا عَبْدَ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً فَمَاذَا الَّذِي تُجَدِي عَلَيْكَ الْأَرَاقِمُ
فَمَا لِي ثَارُ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ فِدُونَاكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

وكان الأحنف بن قيس يقول: لا تزال العرب عربًا ما لبست العمام،
وتقلدت السيوف، ولم تعدد الحلم ذلًا، ولا التواهب فيما بينها ضعة.

وقالوا في تأويل قوله: «ما لبست العمام» يقول: ما حافظت على زيها،
وقوله: «وتقلدت السيوف» يريد الامتناع من الضيم، وقوله: «ولم تعدد

الحلم ذلاً « يقول : ما عرَفَتْ موضع الحلم ، وتأويل ذلك : أن الرجل إذا
أغضَى للسلطان ، أو أغضَى عن الجواب وهو مأسورٌ ، لم يُقَلَّ حَلْمٌ ، وإنما
يقال حَلْمٌ إذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُتَّصِرًا ، ولا يخاف عاقبة
يَكْرَهُهَا ، فهذا الحلم المَحْضُ ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرَكَهُ الحَلْمُ ذُلٌّ فهو
خطأ وسَفَهٌ ، وقوله : « ولم تر التواهب بينها ضَعْفٌ » نحو من هذا وهو
أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه ، وكان يقال : « أَحْيُوا المعروف
باماتته » وتأويل ذلك : أن الرجل إذا امتنَّ بمعروفه كَدَّرَهُ ، وقيل : « المنةُ
تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ » .

وكان يقال : كتمان المعروف من المنعمِ عليه كفرٌ وذكره من المنعمِ
تكدير له .

وقال قيسُ بن عاصم : يا بني تميم ، اصْحَبُوا مَنْ يَذْكُرُ إِحْسَانَكُمْ إِلَيْهِ ،
وَيَنْسَى أَيْدِيَهُ إِلَيْكُمْ .

باب

قال أبو العباس: قال عبد الملك بن مروان لأسيمة بن الأحنف الأسدي
 ما أحسن ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريرهِ ، فلما
 أبى إلا أن يُخْبِرَهُ ، قال قول القائل :
 الْأَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُخْبُونُ ^(١) هَلْ لَكُمْ
 مِنْ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا
 بِسَيِّدِ أَهْلِ الشَّامِ تُحِبُّوهُ ^(٢) وَتَرَجِعُوا ^(٣)
 وَهَابَ الرَّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ فَعَقَعُوا ^(٤)
 لَهُ حَوْكَ بُرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا
 إِذَا النَّفْرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ تَمَنُّوْا
 جَلَا الْمِسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالدَّمِي
 وَفَرَّقُ الْمَدَارِي رَأْسَهُ فَهَوَّ أَنْزَعُ ^(٥)
 فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك : (قال أبو الحسن
 هو أبو قيس بن الأسلت) :

قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا
 أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ



وَحُدِّثْتُ أَنْ كَثِيرًا كَانَ يَقُولُ : لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَبَقْتُ الْأَسْوَدَ ، أَوْ
 الْعَبْدَ الْأَسْوَدَ ، إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، يَعْنِي نُصَيِّبًا فِي قَوْلِهِ :

مِنْ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا أَنْتَجَوْا
 أَقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لَوْئِي بِنُ غَالِبِ

(١) الخبون : الذين تحب بهم دوابهم ، من الحُب وهو سرعة العدو .
 (٢) من الحباء وهو العطاء . (٣) من القمعة : وهي الصوت ، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس
 (٤) من النزاع بالحريك : وهو انحسار الشعر من أعلا الجبين .

يُحْيُونَ بَسَامِينَ طَوْراً وَتَارَةً
والمختار من الشعر الأول قوله :

مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا أَعْتَزُوا
وَهَابَ الرَّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا
يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم ، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ ، وقد قال جرير
للتيم خلاف هذا وهو قوله :

قَوْمٌ إِذَا أَحْتَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودَهُمْ
نُتِفَتَ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ
وحدثت أن جريراً كان يقول : وَدِدْتُ أَنْ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ شَعْرِ هَذَا الْعَبْدِ
كَانَ لِي بِكَذَا وَكَذَا يَتَا مِنْ شَعْرِي ، يعنى قول نُصَيْبِ :

بِزَيْنَبِ الْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ
وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ
وأما قول نُصَيْبِ :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُُ وَإِنْ أُمْتُ
أَرْكَلُ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
فلم تَجِدِ الرُّوَاةَ وَلَا مَنْ يَفْهَمُ جَوَاهِرَ الْكَلَامِ لَهُ مَذْهَبًا حَسَنًا ، وقد ذكر
عبد الملك ذلك جِلْسَانِيهِ فَكَلَّ عَابَهُ ، فقال عبد الملك : فلو كان إليكم كيف
كتم قائلين ؟ فقال رجل منهم كنت أقول :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُُ وَإِنْ أُمْتُ
فَوَا حَزْنَا مَنْ ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي
فقال عبد الملك : مَا قَلْتُ وَاللَّهِ أَسْوَأُ مِمَّا قَالَهُ ، فقل له : فكيف كنت قائلاني
ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال كنت أقول :

أَهِيْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُُ فَإِنْ أُمْتُ
فَلَا صَلَحَتْ دَعْدُ لَدَيْ خُلَّةٍ بَعْدِي
فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين .

(١) المراد شوس العيون ، والشوس : جمع أشوس ، وهو من ينظر بمؤخر عينه ميملا رأسه تيبها أو تعظما .



وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ فِي مَوْفِقِهِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
وذلك أنهما حَضَرَا ، فقال سليمانُ للفرزدق : أنشدني ، وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ
مَدْحًا لَهُ فَأَنْشَدَهُ :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً^(١) مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ^(٢)
سَرَوْا يَحْبِطُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ

إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ^(٣) ذَاتِ الْحَقَائِبِ^(٤)

إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ^(٥)

فأعرض سليمانُ كالمغضبِ ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في
رَوِيَّهَا مَا لَعَلَهُ لَا يَتَضَعُ عَنْهَا ، فقال هاتِ فأنشده :

أَقُولُ لِرَكِبِ صَادِرِينَ لَقَيْتُهُمْ قَفَاذَاتِ أَوْشَالِ^(٦) وَمَوْلَاكَ^(٧) قَارِبِ^(٨)

قِفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَانَ^(٩) طَالِبُ

فَعَاجُوا^(١٠) فَأَنَّنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وهذا في باب المدح حسن ومتجاوزٌ ومُبتدِعٌ لم يُسبقْ إليه ، على أن الشاعر
وهو أخو هَمْدَانَ قد قال في عَصْرِهِ فِي غَيْرِ الْمَدْحِ :

(١) الترة : الثأر . (٢) هي العنائم . (٣) الأكوار : الرجال ، مفردا كور بالضم .

(٤) هي هنا حقائب الزاد .

(٥) من الحُصْر بالتحريك : وهو البرد . (٦) يريد خائف بقعة ذات مياه ، والأوشال : جمع وشل

بالتحريك وهو ماء يتحلب من جبل أو صخر . (٧) يريد نفسه . (٨) أي طالب للماء .

(٩) قرية قريبة من الجحفة . (١٠) عطفوا إبلهم عليه .

يَمْرُونُ بِالذَّهْنِ خِيفًا عِيَابُهُمْ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَارَيْنِ يُجْرُ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلْءُ أُمُورِهِمْ فَنَدَلًا زُرَيْقُ الْمَالِ نَدَلَ الشَّعَالِبِ

وليس شعراً نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يُفَاضَلُ بين الشئيين إذا تناسبا .

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب : كيف تُرَاهُ ، قال : هو أشعر أهل جلدته ، فقام الفرزدق وهو يقول :

وَخَيْرُ الشَّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر ، قوله : * يَمْرُونُ بِالذَّهْنِ خِيفًا عِيَابُهُمْ * يعني قومًا تجاراً ، وقد قالوا إنما ذكر لُصُوصًا ، والأول أثبت ، وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب ، وقوله : « يُجْرُ الْحَقَائِبِ » يقول عِظَامُ ويقال للرجل إذا اندلقت سُرَّتُهُ فَتَتَّاتَ متقدمة رجل أَيْجُرُ ، ويقال لها البُجْرَةُ والبَجْرَةُ ، وَفَعْلَةٌ وَفَعْلَةٌ تَقَعَانِ فِي الشَّيْءِ ، يقال قُلْفَةٌ وَقُلْفَةٌ وَصَلَعَةٌ وَصَلَعَةٌ ، ومثل هذا كثير ، وقوله : « على حين ألهى الناس » إن شئت خفضت حين وإن شئت نصبته ، أما الخفض فلأنه مخفوض ، وهو اسم منصرف ، وأما الفتح فلا يضافت إياه إلى شيء غير مُعْرَبٍ فبنيته على الفتح ، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ، ولو كان الذي أضفته إليه معرباً لم يكن إلا مخفوضاً ، وما كان سوى ذلك فهو لحن ، تقول : جئتك على حين زيد وجئتك في حين إمرة عبد الملك ، وكذا قول النابغة : عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلْمَا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

إِنْ شئتَ فتحتَ حينَ ، وإِنْ شئتَ خففتَ ، لأنّه مضاف إلى فعل غير متمكن ، وكذلك قولهم يَوْمِئِذٍ ، تقول عجبت من يومِ عبدِ الله لا يكون غيره ، فإذا أضفتَهُ إلى إِذٍ ، فَإِنْ شئتَ فتحتَ على ما ذكرتُ لك في حينَ ، وإِنْ شئتَ خففتَ لِمَا كان يستحقّه اليومُ من التَّمَكُّنِ قبل الإضافة ، تقرأ إِنْ شئتَ « من عذابِ يَوْمِئِذٍ » وإِنْ شئتَ « من عذابِ يَوْمِئِذٍ » على ما وصفتُ لك ، ومن خفض بالإضافة قال : سِيرَ بَرِيدِ يَوْمِئِذٍ ، فأعربته في موضع الرفع ، كما فعلتَ به في الخفض ، ومن قال مِنْ خِزْمِي يَوْمِئِذٍ فبناه قال سِيرَ بَرِيدِ يَوْمِئِذٍ ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنى ، كما تقول دُفِعَ إِلَى زَيْدٍ خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا ، وكما قال اللهُ عز وجل : « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » وأما قوله : * فَنَدَلًا زُرَيْقُ الْمَالِ نَدَلُ الشَّعَابِ * فزُرَيْقُ قَبِيلَةٍ ، وقوله نَدَلًا مصدر يقول أُنْدَلِي نَدَلًا يَا زُرَيْقُ الْمَالِ ، والنَدَلُ أَنْ تَجْذِبَهُ جَذْبًا ، يقال : نَدَلُ الرَّجُلُ الدَّلْوَ نَدَلًا إِذَا كَانَ يَجْذِبُهَا مَمْلُوءَةً مِنَ الْبَيْرِ ، فنصب نَدَلًا بفعل مضمر وهو أُنْدَلِي ، وهذا في الأمر ، تقول ضَرْبًا زَيْدًا ، وَشَتْمًا عَبْدَ اللَّهِ ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل ، فكان الفعلُ فيه أقوى ، فلذلك أضمرته ، ودل المصدر على الفعل المضمر ، ولو كان خبراً لم يجوز فيه الإضمار ، لأن الخبر يكون بالفعل وغيره ، والأمر لا يكون إلا بالفعل ، قال اللهُ عز وجل : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ » فكان في موضع أَضْرِبُوا ، حتى كأن القائل قال : فاضربوا ، ألا تَرَى أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْدَهُ الْفِعْلَ مَحْضًا فِي قَوْلِهِ « حَتَّى إِذَا أَنْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ » وَلَوْ نَوَّنَ مُنَوَّنٌ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ

لِنَصَبِ الرقاب ، وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى ، وقوله : ندل الثعالب يريد سرعة الثعالب ، يقال في المثل : « أَكْسَبُ مِنْ ثَعْلَابٍ » ، وأما قول نُصَيْبٍ * وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ * فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءة حقايبهم من رِفْدِهِ ، فقد أثنت عليه الحقايب قبل أن يقولوا ، فأما قول الأعشى :

وَإِنَّ عِتَاقَ الْعَيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ
ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ
فإنما أراد المدح الذي يُحَدِّثُ بِهِ ، والحادي من ورائها ، كما أن الهادي أمامها ، وأما قول أبي وَجْزَةَ :

رَاحَتْ بِسِتَيْنِ وَسَقَا فِي حَقِيبَتِهَا
مَا حَمَلَتْ حَمَلَهَا الْأَدْنَى وَلَا السَّدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وسقاً ، لا أن الناقة حملت ستين وسقاً . وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السَّامِيَّ المعروف بالسَّعْدِيَّ ، لنزوله فيهم ، ومخالفته إياهم ، كَانَ شَخَّصَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَرِيدُ آلَ الزُّبَيْرِ ، وَشَخَّصَ أَبُو زَيْدٍ الْأَسْمِيُّ يَرِيدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ ، فَاصْطَحَبَا ، فَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ : هَلُمَّ فَلْنَشْتَرِكْ فِيمَا نُصِيبُهُ ، فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْأَسْمِيُّ كَلَّا أَنَا أَمْدَحُ الْمَلُوكَ ، وَأَنْتَ تَمْدَحُ السُّوقَ ^(١) ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ صَارَ أَبُو زَيْدٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ فَالْتَمَسَهُ :

* يَا ابْنَ هِشَامٍ يَا أَخَا الْكِرَامِ *

فقال إبراهيم ، وإنما أنا أخوهم ، وكأني لست منهم ، ثم أمر به فضرب

(١) بفتح الواو : جمع السوق بضم السين ممدودة ، وهي من الناس من لم يكن ذاسطان .

بالسياط ، وامتدح أبو وجزة آل الزبير فكتبوا إليه بستين وسقاً من تمر
وقالوا هي لك عندنا في كل سنة ، فانصرفا ، فقال أبو زيد :

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَرَعَّرَا
نَقَائِدَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وَحَلَبَتِ الْأَيَّامَ وَالذَّهْرَ أَضْرَعَا
سَقَاهَا ذُؤُوالْأَرْحَامِ سَجَلًا عَلَى الظُّمَاءِ وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا
بِفَضْلِ سِجَالٍ لَوْ سَقَوْا مَنْ مَشَى بِهَا عَلَى الْأَرْضِ أَرْوَاهُمْ جَمِيعًا وَأَشْبَعَا
فَضَمَّتْ بِأَيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ مَائِهَا مِنَ الرَّيِّ لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضْلَعَا
وَزَهَّدَهَا أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فِي الْغِنَى مُقَاسَاتِهَا مِنْ قَبْلِهِ الْفَقْرَ جُوعَا
وقال أبو وجزة :

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلْوِصَى وَهِيَ حَامِدَةٌ آلَ الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أَحَدًا
رَاحَتْ بِسِتِّينَ وَسَقًا فِي حَقِيقَتِهَا مَا حَمَلَتْ حَمْلَهَا الْأَذْنَى وَلَا السَّدَادَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ سِتِّينَ وَسَقًا وَلَا جَابَتْ بِهِ بِلْدَا
ذَاكَ الْقَرِي لَا قَرِي قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدَادَا

أما قول أبي زيد لإبراهيم : « مدحتُ عروقا للندی مصت الثرى حديثا »
فإنما عني أن إبراهيم وأخاه محمدا ، إنما تطعمنا بالعيش ، ودخلا في النعمة ،
وخرجا من حد السوق إلى حد الملوك حديثا ، وذلك بهشام بن عبد الملك
لأنهما كانا خاليه ، فإنما ولأهما عن حمول ، وقوله : فلم تههم بأن تترعرا ، فإنما

هذا مَثَلٌ : يقال فلان يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ، ويرتاح لفعل الخير ، كما قال مُتَمِّمُ
ابن نُؤَيْرَةَ :

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِي السَّوْءَ مَطْمَعًا
وتأويل ذلك أنه يتحرك تحريك سُرُورٍ لفعل الخير .

قال أبو العباس وأنشدني التَّوْرِيُّ لأبي رِبَاطٍ يقول لابنه :

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَتْبُ
إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرَّجَالِ مَرَارَةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ أُنِيقٌ وَجَانِبٌ شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَّ كَبُهُ صَعْبُ^(١)
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا هَتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْفُصْنُ الرُّطْبُ



قال وحدثني علي بن عبد الله قال حدثني العُتْبِيُّ قال أشرفَ عمر بن هُبَيْرَةَ
الْفَزَارِيَّ مِنْ قَصْرِهِ يَوْمًا فَإِذَا هُوَ بِأَعْرَابِي يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الْآلَ^(٢) فَقَالَ لِحَاجِبِهِ
إِنْ أَرَادَنِي هَذَا فَأَوْصِلْهُ إِلَيَّ ، فلما دنا الأعرابيُّ سأله ، فقال قصدتُ الأمير
فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ، فلما مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ عَمْرُ : مَا خَطْبُكَ ؟ فقال الأعرابيُّ :

أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَلَّ مَا بِيَدِي فَمَا أَطِيقُ الْعِيَالَ إِذْ كَثُرُوا
أَلْحَ دَهْرٌ أُنْحَى بِكُلِّكَلِيهِ فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا
رَجْوِكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ غَيْثَ سَحَابٍ إِنْ خَافَتْهُمْ مَطَرٌ

(١) وفي رواية أخرى :

لنا جانب منه دميت وجانب إذا رامه الأعداء ممنوع صعب

(٢) الآل : مآثره في الضحى كالماء بين السماء والأرض .

قال فأخذتُ عمرَ الأَزمِجِيَّةَ فَجَعَلَ يَهْتَزُّ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَرْسَلُوكَ إِلَى
وَانْتَظِرُوا ؟ إِذَا وَاللَّهِ لَا تَجْلِسُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ غَانِمًا ، فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ
وَرَدَّهُ عَلَى بَعِيرِهِ .

قال أبو العباس : وحدثني أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق القاضي أن
الخبر لمع بن زائدة وصح ذلك عندي .

وقوله : نقائد بؤس ، واحدها تقيذة . وتأويله أنهم أُنقِدُوا مِنْ بؤسٍ ،
يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد ، تقول هذا تقيذة بؤسٍ تقع الهاء
للمبالغة لأن أصله كالمصدر ، كقولك زيد مكرمة لأهله ، وزيد كريمة قومه ،
أى يَحُلُّ مَحَلَّ العقدة الكريمة ، والخصلة الكريمة .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله
البحلي لما ورد عليه فبسط له رداءه ، وعممه بيده ، وقال : إذا أتاكم كريمة
قوم فأكرموا . هكذا روى فضحاء أصحاب الحديث .

وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه : يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا
الْفَجِّ خَيْرُ ذِي يَمِينٍ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مُلْكٍ .

وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعني معاوية أخاه وكان قتله هاشم
ودريد ابنا حرمة المريّان من غطفان فقبل لصخر اهجهم ، فقال : ما بيني
و بينهم أقذع من الهجاء ، ولو لم أمسك عن هجائهم إلا صوتاً لنفسي عن
الخنأ لعلت ، ثم قال :

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ بِلِيلٍ تَلُومِي نِي أَلَا لَا تَلُومِي نِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا

تَقُولُ أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمٍ وَمَالِي إِذْ أَهْجُوهُمْ ثُمَّ مَالِيَا
أَبِي الشَّتْمِ أَنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيْمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَنَا مِنْ شِمَالِيَا
(إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رُقِرَتْ عُبْرَةٌ وَحَيِّتُ رَسْمًا عِنْدَ لَثَّةِ ثَاوِيَا
إِذَا مَا أَمْرُؤُهُ أَهْدَى لِمَيْتٍ تَحِيَّةً فَحَيَّاكَ رَبُّ الْعَرْشِ عَنِّي مُعَاوِيَا
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا

قال الأخفش وأنشدني الأخول : * وَمَالِي أَنْ أَهْجُوهُمْ ثُمَّ مَالِيَا *
وتقول العرب للرجل راويةً ونسابةً فتريد الهاء للمبالغة ، وكذلك علامةً ،
وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد ، نحو رُبْعَةٌ
ويَفْعَةٌ وَصَرُورَةٌ^(١) وهذا كثير لا تُنزعُ الهاء منه ، فأما راوية وعلامة ونسابة
فحذف الهاء جائز فيه ، ولا يبلُغُ في المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاء ، وقوله :

* وَحَلَبَتِ الْأَيَّامَ وَالذَّهْرَ أَضْرَعًا * فَإِنَّهُ مَثَلٌ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْمُجْرَبِ لِلْأُمُورِ
فَلَنْ قَدْ حَلَبَ الذَّهْرَ أَشْطَرُهُ أَي قَدْ قَاسَى الشَّدَّةَ وَالرِّخَاءَ وَتَصَرَّفَ فِي الْفَقْرِ
وَالغِنَى ، كما قال القائل :

قَدْ عَشْتُ فِي النَّاسِ أَطْوَارًا عَلَى طُرُقِ شَتَّى وَقَاسَيْتُ فِيهَا اللَّيْنَ وَالْفِطْعَمَا
كُلًّا بَلَوْتُ فَلَا النَّعْمَاءَ تُبْطِرُنِي وَلَا تَحَشَّعْتُ مِنْ لَأْوَامِهَا جَزَعَا
لَا يَمَلُّ الْهَوْلُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا
ومعنى قوله : أَشْطَرُهُ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ خُلُوفَهُ يُقَالُ : حَلَبْتَهَا شَطْرًا بَعْدَ شَطْرٍ ،
وَأصل هذا مِنَ التَّنْصِيفِ لِأَنَّ كُلَّ خَلْفٍ عَدِيلٌ لِصَاحِبِهِ ، وَلِلشَّطْرِ وَجْهَانِ

(١) هو الذي لم ينجح أو لم يتزوج ، وأصلها من الضر وهو الحبس والنعيم .

في كلام العرب فأحدها النصف كما ذكرنا ، من ذلك قولهم شاطرتكَ مالى ،
والوجه الآخر القصدُ ، يقال خذ شطرَ زيدٍ : أى قصده ، قال الله عز وجل :
« فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » أى قصده « وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » قال أبو العباس ، وأنشدنى التَّوَزِيُّ عن أبي عُبَيْدة
قولَ الشاعر :

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظْرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ
يريد ناحيتها وقصدها ، والعسير التى تعسرُ بِذَنبِهَا إِذَا حَمَلَتْ : أى تُشِيلُهُ
وترفعه ، ومنه سُمِّيَ الذَّنْبُ عَوْسَرًا ، أى تضرب بذنبها ، ومعنى ذلك أنه ظهر
من جهدها وسوء حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تحسِرَ العينانِ ،
والحسير : المعيبُ ، وفى القرآن « يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِمًا وَهُوَ حَسِيرٌ »
وقوله : * سَقَاهَا ذَوْوُ الْأَرْحَامِ سَجَلًا عَلَى الظَّمَا * فالسَّجَلُ فى الأصل
الدَّلْوُ ، وإنما ضرب به مَثَلًا لما فاضَ عليها من ندى أقاربها ، فقال : للدلو ، وهى
مؤنثة سَجَلٌ وذنوبٌ ، وهما مُذَكَّران ، والغربُ مذكر وهو الدلو العظيمة ،
ويقال فلان يُسَاجِلُ فلانا : أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر ،
وأصل المُسَاجلة أن يَسْتَقِيَ سَاقِيان ، فيُخْرِجُ كلُّ واحدٍ منهما فى سَجَلِهِ مثلَ
ما يُخْرِجُ الآخرُ ، فأيهما نَكَلَ فقد غَلِبَ ، فغزبه العرب مثلا للمفاخرة
والمساماة ، ويَبَيِّنُ ذلك الفضلُ بن العباس بن عُثْبَةَ بن أبى لهبٍ فى قوله :

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلُ مَا جِدًّا يَمَلُّ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
ويقال إن الفَرَزْدَقَ مرَّ بالفضل وهو يَسْتَقِي ، وَيُنْشِدُ هذا الشعرَ فَمَرَا الفَرَزْدَقُ

ثيابه عنده ، ثم قال : أنا أساجلك ، ثقةً منه بنسبه ، فقليل له : هذا الفضلُ
أبْنُ العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ، ثم قال : ما يساجلك
إلا مَنْ عَضَّ بِأَيْرِ أَبِيهِ ! يقال سَرَا ثوبُهُ ونَصَا ثوبه في معنى واحد : إذا نزعهُ ،
ويقال : سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلاً ، وأنشد :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي (وَغَارَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْدَ فِتْرِ
البيت لعروّة بن أذينة الليثي شيخ مالك بن أنس) ، وسَرَى هَمُّهُ إذا
ذهب عنه :

والمواضحةُ مثل المساجلة ، قال العجاجُ :
* تَوَاضِحُ التَّقْرِيبِ قَلْوًا مَخْلَجًا * أَي تُخْرِجُ مِنَ الْعَدُوِّ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ ،
قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم : « فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ » وأصل الذنوب الدلُّ كما ذكرت لك .
وقال علقمة بن عبدة للحارث بن أبي شمر الغساني : (قال أبو الحسن
غير أبي العباس يقول شمرٌ وبعضهم يقول شمرٌ) وكان أخوه أسيراً عنده ،
وهو شأس بن عبدة أسره في وقعة عين أباغ^(١) (قال أبو الحسن غيره يقول
إباغ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء في كلمة له
مدحه فيها :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ حَبَطَتْ بِنِعْمَةٍ
فَحَقَّقَ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ
فقال الملكُ : نعم وأذنبه .

(١) اسم واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام ، وفيه يقول الحماسي .

يعين أباغ قاسمنا المنايا فكان تسميها خير القسيم

وقوله : وقد كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعًا ، يقول سُقِّمَتْ هَذَا السَّجَلُ
 وقد دَنَتْ أَعْنَاقُهَا مِنْ أَنْ تَقَطَّعَ عَطْشًا ، وَكَرَبَ فِي مَعْنَى الْمُقَارَبَةِ ، يُقَالُ كَادَ
 يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَكَرَبَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، أَيْ دَنَا مِنْ ذَلِكَ ،
 وَيُقَالُ : جَاءَ زَيْدٌ وَالْحَيْلُ كَارِبْتُهُ ، أَيْ قَدَدَتْ مِنْهُ وَقَرُبَتْ ، فَأَمَّا أَخَذَ
 يَفْعَلُ ، وَجَعَلَ يَفْعَلُ ، فَمَعْنَاهُمَا أَنَّهُ قَدْ صَارَ يَفْعَلُ ، وَلَا تَقَعُ بَعْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَنْ
 فَأَمَّا كَادَ وَكَرَبَ فَإِنَّ لَا تُسْتَعْمَلُ بَعْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ ،
 قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا » أَيْ لَمْ يَقْرُبْ مِنْ
 رُؤَيْتِهَا ، وَإِيضًا لَمْ يَرَهَا لَمْ يَكِدْ ، وَكَذَلِكَ : « يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ
 بِالْأَبْصَارِ » ، وَكَذَلِكَ : « كَادَ تَزْيِغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ » بغير أن ، وَمِنْ
 أمثال العرب : كَادَ النَّعَامُ يَطِيرُ ، وَكَادَ الْعَرُوسُ يَكُونُ أَمِيرًا ، وَكَادَ الْمُتَنَعِلُ
 يَكُونُ رَاكِبًا ، وَقَدْ اضْطَرَّ الشَّاعِرُ فَأَدْخَلَ أَنْ بَعْدَ كَادَ ، كَمَا أَدْخَلَهَا هَذَا
 بَعْدَ كَرَبَ ، فَقَالَ : * وَقَدَّ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعًا *

وقال رؤبة : * قَدَّ كَادَ مِنْ طُولِ الْبَلَى أَنْ يَمَّصَحًا ^(١) * فكاد بمنزلة

كَرَبَ فِي الْإِنْعَمَالِ وَالْمَعْنَى ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَغْنِي غِيَانًا يَا سَلِيمَانُ إِنِّي سَبَقْتُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ كَارِي
 حَشِيَّةَ جَوْزٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

وقوله لَمَّا أَوْشَكَتُ أَنْ تَضَلَّعًا يَقُولُ لَمَّا قَارَبَتْ ذَلِكَ ، وَالْوَشِيكَ ^(٢) الْقَرِيبُ
 مِنَ الشَّيْءِ ، وَالسَّرِيعُ إِلَيْهِ ، يُقَالُ يُوشِكُ فُلَانٌ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا ، وَالْمَاضِي

(١) يمصح : يدرس ، ومصحت الدار تمصح مصوحا : درست وبلت .

(٢) هذا من وشك - بالضم - بمعنى سرع ، وليس من أوشك .

منه أو شك ، ووقعت بأن وهو أجود ، وبغير أن كما كان ذلك في لعل ،
تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة ، قال الله عز وجل : « لعل الساعة
تكون قريبا ، ولعله يتذكر أو يخشى ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا »
وقال متمم بن نويرة :

لعلك يوما أن تلم مئمة عليك من اللاتي يدعنك أجدا
وعسى الأجود فيها أن تستعمل بأن ، كقولك عسى زيد أن يقوم ، كما قال
الله عز وجل « فعسى الله أن يأتي بالفتح » وقال جل ثناؤه « عسى الله أن
يتوب عليهم » ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد ، قال هذبة :
عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وقال آخر (١) :

عسى الله يعني عن بلاد ابن قدير (٢) بمنهم جون الرباب سكوب
وحروف المقاربة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المقتضب
بغاية الاستقصاء ، وقوله : أن تضلعا ، معناه أن تمتلي ، وأصله أن الطعام
والشراب يبلغان الأضلاع فيكظانها (٣) ، كذلك قال الأصمعي في قولهم :
أكل حتى تضلع ، وأما قول أبي وجزة راحت بستين وسقا فالوسق خمسة
أقزرة ملجم (٤) البصرة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « ليس فيما
دون خمسة أوسق صدقة » ، فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيرا بالقفيز الذي

(١) هو سماعة بن أشول .

(٢) كذا أنشده الجوهري ، وغلطه ابن بري ، والصواب عنده « بلاد ابن قارب » وبعضهم رواه
« تلابد ابن قارب » والتلابد : المال الموروث .

(٣) من الكظة وهي الامتلاء . (٤) ملجم على وزن مكرم : مكيال لأهل البصرة .

وصفنا وهو نصف القفيز البغدادي في أرض الصدقة فلا صدقة فيه ، وإنما أراد أنه أخذ الكتاب بهذه الأوسق ، فلذلك قال :

مَا إِنْ رَأَيْتُ قُلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ سِتِّينَ وَسَقًا وَلَا جَابَتْ بِهِ بَلَدًا

وأما قوله : * يَقْرُونَ صَيْفَهُمُ الْمَلِيَّةَ الْجُدْدَا * فإنما أراد السياط ، وجمع جَدِيدٍ جُدْدٌ ، وكذلك باب فَعِيلٍ الذي هو أَسْمٌ ، أو مضارع للاسم ، نحو قَضِيْبٍ وَقَضِيْبٍ ، وَرَغِيْفٍ وَرُغْفٍ ، وكذلك سَرِيْرٌ وَسُرْرٌ ، وَجَدِيْدٌ وَجُدْدٌ ، لأنه يَجْرِي مَجْرَى الْأَسْمَاءِ ، وَجَرِيْرٌ وَجُرْرٌ فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أَنْ تُبَدَّلَ مِنْ ضَمَّتِهِ فَتَحَةٌ لِأَنَّ التَّضْعِيفَ مُسْتَشْقَلٌ ، وَالْفَتْحَةَ أَخْفُ مِنَ الضَّمَّةِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُمَالَ إِلَيْهَا أُسْتَخْفَافًا ، فَيُقَالُ : جُدْدٌ وَسُرْرٌ ، وَلَا يَجُوزُ هَذَا فِي مِثْلِ قَضِيْبٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُضَاعَفٍ ، وَقَدْ قَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ : « عَلَى سُرْرٍ مَوْضُونَةٌ » ، وَيُقَالُ لِلسُّوْطِ : الْأَصْبَحِيُّ يُنْسَبُ إِلَى ذِي أَصْبَحِ الْحِمَيْرِيِّ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ هَذِهِ السَّيَاطَ الَّتِي يُعَاقِبُ بِهَا السُّلْطَانُ ، وَيُقَالُ لَهُ الْعِرْفَاصُ وَالْقَطِيعُ ، وَقَالَ الشَّمَاخُ : * تَسْكَادُ تَطِيْرٌ مِّنْ رَّأْيِ الْقَطِيعِ * وَقَالَ الصَّلْتَانُ^(١) الْعَبْدِيُّ :

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا وَقَدْ زِيدَ فِي سَوْطِهَا الْأَصْبَحِيُّ

وقال الراعي^(٢) :

أَخَذُوا الْعَرِيْفَ فَقَطَّعُوا حَيْرُومَهُ^(٣) بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مِّنْ أَوْلَا

وقال الراجز : * حَتَّى تَرُدِّي طَرْفَ الْعِرْفَاصِ * وقوله : وَلَا جَابَتْ بِهِ بَلَدًا ،

(١) لقب ثم بن خبية . (٢) يشكو إلى عبد الملك جور السعاة . (٣) الحيزوم : الصدر .

يقول ولا قَطَعَتْ به ، يقال : جُبْتُ البلاد ، قال الله عز وجل : « وَتُؤَدُّ
الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (١) » ويقال رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ ، وأُنشِدَنِي عَلِيُّ
ابن عبد الله قال أنشدني القَحْذَمِيُّ :

مَا مَنَّ أَنْتَ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ خَمْسُونَ بِالْمَعْدُورِ بِالْجَهْلِ

فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ تَرَكَ الصَّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلِ

وأمرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلاً من بني أسدِ بن خزيمةَ بقتلِ مُرَّةَ بنِ مُحَكَّانِ
السَّعْدِيِّ ، فقال مُرَّةُ في ذلك :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقَتَّلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيماً إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَشْمَعَلَتْ

وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةً بِيَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

قوله : إذا الحرب العوان فهي التي تكون بعد حربٍ قد كانت قبلها ، وكذلك
أصل العوان في المرأة إنما هي التي قد تزوجت ، ثم عاودت نخرجت عن حدِّ
البكرِ ، وقول الله عز وجل في كتابه العزيز : « لَا فَرِضٌ وَلَا بَكْرٌ » هو
تمام الكلام ، ثم استأنف فقال : « عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ » والفارِضُ هاهنا
المسنةُ ، والبكرُ الصغيرةُ ، ويقال لهاةُ فارِضٌ : أي واسعةُ ، وفَرِضُ القَوْسِ
موضعُ مَعْقِدِ الوَتْرِ ، وكلُّ حَزَّ فَرِضٌ ، والفَرِضَةُ مُتَطَرِّقٌ إِلَى النَّهْرِ . قال
الراجز : * لها زجاجٌ ولهاةُ فارِضٌ * وقوله أشمعلت : إنما هو نارتُ
فأسرعت ، قال الشَّامِيُّ :

رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لِسُلَيْمِي مُشْمَعِلٍ أَرْوَعَ فِي السَّفَرِ وَفِي الْحَيِّ غَزَلِ

* طَبَّانِحُ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِيلُ *

(١) قال الفراء : خرَّقوه فاتخذوا منه بيوتاً ، من الجوب وهو الخرق والنقب .

وقوله * ولستُ وإن كانتُ إلى حبيبة بياكُ على الدنيا * إنما هو على التقديم والتأخير ، أراد ولست بياكُ على الدنيا ، وإن كانتُ إلى حبيبةً ، ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يُضمِرَ قبل الذِّكْرِ ، ومثله :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عَلَانِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
وكذلك قول حسان بن ثابت :

قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ وَاحِدَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ
يقول من كنت واحده قد تكلت أمه ، وكذلك قوله :

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ بِجِدْجِ جَمَلًا
يقول ركبت هند بجِدْجِ جَمَلًا في شَرِّ يَوْمَيْهَا ، وقال رجل من مُزَيْنَةَ :

خَلِيلِي بِالْبُوبَاءِ عُوْجًا فَلَا أَرَى بِهَا مَنْزِلًا إِلَّا جَدِيبَ الْمُقَيْدِ
نَذِقُ بَرْدَ نَجْدٍ بَعْدَ مَا لَعِبْتَ بِنَا تِهَامَةَ فِي حَمَامِهَا الْمُتَوَقِّدِ

قوله : بالبوبة ، فهي المُتَسَّعُ من الأرض ، وبمضمهم يقول هي المومأة بعينها قلبت الميم باء لأنهما من الشفة ، ومثل ذلك كثير يقولون ما أَسْمُكَ وبأَسْمِكَ ويقولون ضَرْبَةٌ لِأَزْمٍ ولأَزِبٍ ، ويقولون هذا ظَأْمِي وظَأْمِي يَعْنُونَ السُّلْفَ (قال أبو الحسن الجيّدُ سَلِفٌ ، وما قال ليس بممتنع) ويقولون زُكْبَةٌ سَوْءٌ وزُكْمَةٌ سَوْءٌ : أى وَلَدٌ سَوْءٌ ، ويقولون عَجْمُ الذَّنْبِ ، وَعَجْبُ الذَّنْبِ ، ويقولون رجلٌ أَخْرَمٌ وأَخْرَبٌ وهذا كثير ، وقال عُمرُ بنُ أبي ربيعة :

عُوْجًا مُحَيِّيَ الطَّلَلِ الْمُحَوَّلَا^(١) وَالرَّبْعَ مِنْ أَسْمَاءِ وَالْمَنْزِلَا

(١) الذى أتى عليه الحول .

بِجَانِبِ الْبُوبَةِ لَمْ يَعُدَّهُ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بَانَ يُؤْهَلَا

وقوله : إِلا جَدِيدَ الْمُقَيَّدِ ، يقال : بَلَ جَدْبٌ وَجَدَيْبٌ ، وَخَصَبٌ وَخَصَيْبٌ ،
وَالأَصْلُ فِي النِّعْتِ خَصَيْبٌ وَمُخَصِبٌ ، وَجَدَيْبٌ وَمُجَدِبٌ ، وَالخَصْبُ
وَالجَدْبُ إِنَّمَا هُمَا ماحِلٌ فِيهِ ، وَقِيلَ : خَصَيْبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُخَصِبٌ ، وَجَدَيْبٌ
وَأَنْتَ تَرِيدُ مُجَدِبٌ ، كَقَوْلِكَ عَذَابُ أَلِيمٌ وَأَنْتَ تَرِيدُ مُؤَلِمٌ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

وَنَزَفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمْرٍ دَلَاتٍ يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهَجَّ أَلِيمٌ

ويقال رجل سَمِيعٌ : أَي مُسْمِعٌ ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ

وَأَمَّا قَوْلُهُ : الْمُقَيَّدُ ، فَهُوَ مَوْضِعُ التَّقْيِيدِ ، وَكُلُّ مَصْدَرٍ زِيدَتْ المِمْ فِي أَوَّلِهِ إِذَا
جَاوَزَتْ الفِعْلَ مِنْ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ ، فَهُوَ عَلَى وَزْنِ المَفْعُولِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ
اسْمَ الزَّمَانِ ، وَاسْمَ المَكَانِ ، تَقُولُ أَذْخَلْتُ زَيْدًا مُدْخَلًا كَرِيمًا ، وَسَرَّخْتُهُ
مُسْرَحًا حَسَنًا ، وَاسْتَخْرَجْتُ الشَّيْءَ مُسْتَخْرَجًا ، قَالَ جَرِيرٌ :

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسْرَحِي القَوَافِي فَلَا عِيًّا بَيْنَ وَلَا أَجْتِلَابَا

أَي تَسْرِيحِي ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا » وَيُقَالُ
قَمْتُ مَقَامًا ، وَأَقَمْتُ مَقَامًا ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمَقَامًا »
أَي مَوْضِعَ إِقَامَةٍ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ (حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ) :

تَطُولُ القِصَارَ وَالطَّوَالَ يَطْلُنَهَا فَمَنْ يَرَهَا لَا يَنْسَهَا مَا تَكَلَّمَأَ

وَمَا هِيَ إِلاَّ فِي إِزَارٍ وَعَلِقَةٍ مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَعَمًا

يُرِيدُ مَنْ إِغَارَةَ ابْنِ هَمَّامٍ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : نَذَقَ بَرْدَ نَجْدٍ ، فَذَلِكَ لِأَنَّ نَجْدًا مَرْتَفَعَةٌ
وَتِهَامَةٌ غَوْرٌ مَنْخَفُضٌ ، فَنَجْدٌ بَارِدَةٌ .



ويروى عن الأصمعي أنه قال : هَجَمَ عَلَى شَهْرٍ رَمَضَانَ وَأَنَا بِمَكَّةَ ،
فَخَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ لِأَصُومَ بِهَا هَرَبًا مِنْ حَرِّ مَكَّةَ ، فَلَقِنِي أَعْرَابِي فَقُلْتُ
لَهُ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : أُرِيدُ هَذَا الْبَلَدَ الْمُبَارَكَ لِأَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ فِيهِ ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا تَخَافُ الْحَرَّ ؟ فَقَالَ : مِنَ الْحَرِّ أَفْرَةٌ .

وهذا الكلام نظير كلام الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ ، فَإِنْ رَجَلَا قَالَ لَهُ - وَقَدْ
صَلَّى لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ - أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ ، فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ ، إِنْ أَفْرَةَ
الْعَبِيدِ ^(١) أَيْ كَيْسَهُمْ .

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ - وَنَظَرَ
إِلَيْهِ رَجُلٌ وَاقِفًا بِيَابِ الْمَنْصُورِ فِي الشَّمْسِ - فَقَالَ : قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ فِي
الشَّمْسِ ؟ فَقَالَ رَوْحٌ : لِيَطُولَ وَقُوفِي فِي الظِّلِّ .

ومثله من الشعر قوله : (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ هُوَ عُرْوَةٌ بِنَ الْوَرْدِ الْعَبْسِيُّ) .
تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطَوِّفُ
(لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفَتْنَا مِنْ وَرَائِنَا سَيُدْرِكُهُ مِنْ بَعْدِنَا الْمُتَخَلِّفُ ^(٢))
ويروى لسرنا ، وقال آخر :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكَبُ بَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

(١) أى أنشطهم ، من الفراحة وسى النشاط ، والفعل من باب كرم . (٢) رواية الديوان :
أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني لأعداء ، والنفس أخوف
لعل الذي خوفتنا من أماننا يصادفه في أهله المتخلف

وهذا معنى كثير حسن جميل ، وقال حبيب بن أوس الطائي :

أَلِفَةَ النَّحِيبِ كَمَا أَفْتِرَاقٍ أَجَدَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ أَجْتِمَاعِ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةَ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ

وقال رجل وأعتل في غربة فتذكر أهله :

لَوْ أَنَّ سَلَمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِي وَدِقَّةَ فِي عَظْمِ سَاقِي وَيَدِي
وَبُعْدَ أَهْلِي وَجَفَاءَ عُوْدِي عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

قوله : أبصرت تخددي ، يريد ما حدث في جسمه من التحول ، وأصل الخد ما شققته في الأرض ، قال الشماخ :

فَقُلْتُ لَهُمْ خَدُّوْا لَهُ بِرِمَاحِكُمْ بِطَامِسَةِ الْأَعْلَامِ خَفَاقَةَ الْآلِ

ويقال للشيخ : قد تخدد ، يراد قد تشنج جلده ، وقال الله عز وجل : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ » ، وقيل في التفسير : هؤلاء قوم خدوا أخايد في الأرض ، وأشعلوا فيها نيراناً فخرقوا بها المؤمنين ، وقوله : عضت من الوجد بأطراف اليد ، فإن الحزين ، والمغيظ ، والنادم ، والمتأسف يعض أطراف أصابعه جزماً ، قال الله عز وجل : « عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ » وفي مثل ما ذكرنا من تخدد لحم الشيخ ، يقول القائل :

(ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَا شَبَابَ مُجَانَاً^(١) وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ كَانَا

وَطَوَيْتُ كَفِّي يَأْجَانُ عَلَى الْعَصَا وَكَفِّي مُجَانُ بِطِيهَا حَدَثَانَا)

يَا مَنْ لَشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ أَفْنَى ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات) :

سَوْدَاءَ حَالِكَةً وَسَحَقَ مُفَوِّفٍ وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَلِكَ هِجَانًا

(صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلَافِ فُنُونِهِ فَأَرَاهُ مِنْهُ كِرَاهَةً وَهَوَانًا

قَصَرَ اللَّيَالِي خَطْوَهُ فَتَدَانِي وَحَنُونًا قَائِمًا صُلْبِهِ فَتَحَانِي

وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَلِكَ سِوَانًا

قوله : أفنى ثلاث عمائم ألوانا ، يعني أن شعره كان أسود ، ثم حدث فيه شيب مع السواد ، فذلك قوله : مُفَوِّفٌ ، والتفويفُ : التنقيش ، وإنما أخذ من الفوف ، وهي النكته البيضاء التي تحدث في أظفار الأحداث ، وسميت بذلك لشبهها بشجرة ، يقال لها الفوفة^(١) وجمعها فوف ، والسحق : الخلق ، يقال عنده : سحق ثوب^(٢) ، وجره ثوب ، وسمل ثوب ، وقوله أجد : أي استجد لونا ، والهجان الأبيض ، وهي العمامة الثالثة ، يعني حيث شمله الشيب .

(١) قال الشيخ المرصني : كيف تشبه النكته البيضاء بشجرة ؟ على أن اللغة لا تعرف شجرة اسمها الفوفة ، وقد فسرها الجوهري قال : هي الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة .
(٢) من إضافة الصفة للموصوف .

باب

قال أبو العباس : من أمثال العرب : لم يذهب من مالك ما وعظك .
يقول إذا ذهب من مالك شيء ، فحذرك أن يحل بك مثله فتأديه إليك
عوض من ذهابه .

ومن أمثالهم : رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . وتأويله أن الرجل يعمل العمل
فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف ،
والرَيْثُ الإبطاء ، وراث عليه أمره إذا تأخر .

ومن أمثال العرب : عَشٌّ وَلَا تَغْتَرَّ . وأصل ذلك أن يمرَّ صاحبُ
الإبل بالأرض المكلَّنة ، فيقول : أدعُ أن أعشى إيلي منها حتى أريد على
أخرى ، ولا يدري ما الذي يرِدُ عليه ، وقريب منه قولهم : أن ترد الماء
بماء أكيس . وتأويله أن يمرَّ الرجل بالماء فلا يحمل منه أتكالاً على ماء
آخر يصير إليه ، فيقال له : أن تحمِلَ معك ماءً أحزم لك ، فإن أصبت ماءً
آخر لم يضرك ، فإن لم تحمِلْ خفقت من الماء عطبت .

ومن أمثالهم : قد أحزم لو أعزم ، يقول : أعرف وجه الحزم فإن
عزمت فأمضيت الرأي فأنا حازم ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وصيغت
العزم لم ينفعني حزمي ، ومثله قول النابغة الجعدي :

أبي لي البلاء وأناي أمرؤ
إذا ما تبينت لم أرتب

وقال أعرابي يمدح سَوَّارَ بن عبد الله :
 وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضْحَحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا
 فالذى يُحَمَّدُ إِمْنَاءَ مَا تَبِينَ رُشْدُهُ ، فَأَمَا الإِقْدَامَ عَلَى الْغَرَرِ ^(١) وَرُكُوبَ الْأَمْرِ
 عَلَى الْخَطَرِ ، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَقَدْ يَتَحَسَّنُ بِمِثْلِهِ الْفُتَّاكُ ، كَمَا
 قَالَ (هُوَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبِ الْمَازِنِيِّ عَنِ الرَّيَّاشِيِّ وَغَيْرِهِ) :

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَأَهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا ثُرَاتُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَ
 إِذَا هَمَّ أَنْتَقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عِزْمَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
 وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا
 فهذا شأنُ الْفُتَّاكِ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

غُلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفُتَّاكِ لَمْ يَبَلْ الْأَمْتُ قَلِيلًا أَمْ كَثِيرًا عَوَازِلُهُ
 وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُشَاوِرَ عَاجِزًا وَمَا الْحِزْمُ إِلَّا أَنْ تَهَمَّ فَنَفْعَلَا
 فأما قولُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَكْثَرَ الْفِكْرَةَ فِي الْعَوَاقِبِ
 لَمْ يَشْجُعْ ، فَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ مَنْ فَكَّرَ فِي ظَفَرِ قَرْنِهِ بِهِ ، وَعُلُوُّهُ عَلَيْهِ ، لَمْ يُقَدِّمْ ،
 وَإِنَّمَا كَانَ الْحِزْمُ عِنْدَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُحْظَرُ أَمْرَ الدِّينِ ثُمَّ لَا يُفَكَّرُ
 فِي الْمَوْتِ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : أَتَقْتُلُ أَهْلَ الشَّامِ بِالغَدَاةِ ، وَتَظْهَرُ بِالْعَشِيِّ فِي إِزَارٍ
 وَرِدَاءٍ ؟ فَقَالَ : أَبَا الْمَوْتِ أَخَوْفُ ؟ وَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَسَقَطْتُ عَلَى الْمَوْتِ ،
 أَمْ سَقَطَ الْمَوْتُ عَلَى .

(١) هو التقرير بالنفس ، وتعريضها للهلاك .

وقال للحسن ابنه : لا تَبْدَأْ بدعاء إلى مُبَارَزَةٍ ، فَإِنْ دُعِيتَ إليها فَأَجِبْ ،
فَإِنَّ طَالِبَهَا باغٍ والباغى مَصْرُوعٌ .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ في كِسَائِهِ وينام ناحية
المسجد ، فلما وَرَدَ المَرْزُبَانُ عليه (كذا وقعت الرواية المَرْزُبَانُ ، والصواب
المَرْزَبَانُ ، وكان صاحبَ تُسْتَرٍ) جعلوا يسألون عنه ، فيقال : مرَّ هاهنا
أَنفًا ، فَيَصْغُرُ في قلب المَرْزُبَانِ إِذ رآه كبعض الشوقِ ، حتى أَنتهى إليه ،
وهو نائم في ناحية المسجد ، فقال المَرْزُبَانُ : هذا والله المَلِكُ الهنئى . يقول
لا يحتاج إلى أَحْرَاسٍ ولا عُدَدٍ ، فلما جلس عمر أمتلأ قلبُ العليج منه هَيْبَةً
لما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد ، وألبسَ من هَيْبَةِ التقوى .



وقال الكَلْبِيُّ : قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرَيْزِ القَسْرِيِّ :
ماتعدون السُّودَدَ ؟ فقلتُ : أما في الجاهلية فالرِّياسة ، وأما في الإسلام فالولاية ،
وخَيْرٌ من ذا وذاك التَّقْوَى ، فقال لى : صدقتَ كان أبى يقول : لم يُدْرِكِ الأوْلُ
الشَّرَفَ إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدرك به الأوْلُ ، قال فقلتُ :
صدق أبووك ، ساد الأحنفُ بحلمه ، وساد مالك بن مِسْعَمٍ بحجة العشيِّرة له ،
وساد قُتَيْبَةُ بدَهائمه ، وساد المهلبُ بجميع هذه الخلال ، فقال لى : صدقتَ ،
كان أبى يقول : خيرُ الناسِ للناسِ خيرهم لنفسه ، وذلك أنه إذا كان كذلك
أَتَقَى على نفسه من السَّرَقِ لثلاثاً يُقْطَعُ ، ومن القَتْلِ لثلاثاً يُقَادَ ، ومن الزنا
لثلاثاً يُحَدُّ ، فَسَلِمَ الناسُ منه بِاتِّقائه على نفسه .

قال أبو العباس : وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوماً : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة علىّ معهما ، الرضا عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلاًّ خبرته بمقدار مالك ؟ فقال : لم يعد أن يكون قليلاً فيحقرني ، أو كثيراً فيحسدني .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يكون أعز الناس فليثق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليسكرن بما في يد الله أو وثق منه بما في يده ، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من سره الغنى بلا مال ، والعز بلا سلطان ، والكثرة بلا عشيرة ، فليخرج من ذلك معصية الله إلى عز طاعته ، فإنه واجد ذلك كله .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حميد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشببية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعيب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع : الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ،

وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَصِلَ مِنْ قَطَعَنِي ، وَأَعْطَى مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ
نُطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمْتِي فِكْرًا ، وَنَظْرِي عِبْرَةً .

وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ التَّقَى حَكِيمَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ،
فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : لَوْ عَلِمْتَ مِنِّي مَا أَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِي لِأَبْغَضْتَنِي فِي اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ
صَاحِبُهُ لَوْ عَلِمْتُ مِنْكَ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ ، لَكَانَ لِي فِيمَا أَعْلَمُهُ مِنْ
نَفْسِي شُغْلٌ .

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : جَاهِدُوا أَهْوَاءَكُمْ كَمَا تُجَاهِدُونَ أَعْدَاءَكُمْ .
وَكَانَ يَقُولُ : مَا أَشَدَّ فَطَامَ الْكَبِيرِ .

وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : جِهَادُكَ هَوَاكَ .
وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ ، وَأَقْدَعُوا
هَذِهِ الْأَنْفُسَ ، فَإِنَّهَا طُلْعَةٌ ، وَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ .
قَوْلُهُ : حَادِثُوا مَثَلٌ ، وَمَعْنَاهُ أَجْلُوا وَاشْحَذُوا ، تَقُولُ الْعَرَبُ : حَادَثَ
فُلَانٌ سَيْفَهُ إِذَا جَلَاهُ وَشَحَذَهُ ، وَقَالَ زَيْدٌ الْخَيْلَ :

وَقَدْ عَلِمْتَ سَلَامَةً أَنْ سَيِّفِي
أَحَادِيثُهُ بِصَقْلِ كُلِّ يَوْمٍ وَأَعْجُمُهُ
بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قَوْلُهُ أَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ : أَيُّ أَعْضُهُ ، يُقَالُ تَحْمَمُهُ إِذَا عَضَّهُ ، وَالدُّثُورُ
الدُّرُوسُ ، يُقَالُ : دَثَرَ الرَّبْعُ إِذَا انْتَحَى ، وَمَعْنَاهُ تَعَهَّدُوهَا بِالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ
وَقَوْلُهُ : فَإِنَّهَا طُلْعَةٌ ، يَقُولُ كَثِيرَةُ التَّشَوُّفِ وَالتَّنَزُّيِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا ،
وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِي :

وَلَا تَمَلَّتِ مِنْ مَالٍ وَلَا عُمُرٍ إِلَّا بِمَا سَاءَ نَفْسَ الْحَاسِدِ الطَّلَعَةُ
(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في
الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجهها لِتُرَى حُسْنَهَا
ثم تُخْفِيهِ لِتُوهِمَ الْحَيَاءَ : حُبَاءَةٌ طُلَعَةٌ .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : أيها الناس إنما خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ
ولكنكم تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ ، ويروى عن الْمَسِيحِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وسلامه أنه كَانَ يَقُولُ : إِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَى النَّاسِ فَكُلُّوْا قَصْدًا وَامْشُوا جَانِبًا .

وَلَمَّا أُخْتَضِرَ قَيْسُ بْنُ عَصِمٍ أَقَالَ لِبَنِيهِ : يَا بَنِيَّ أَحْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا ،
فَلَا أَحَدًا أَنْصَحَ لَكُمْ مِنِّي ، إِذَا أَنَا مِتُّ فَسَوِّدُوا كِبَارَكُمْ ، وَلَا تُسَوِّدُوا
صِغَارَكُمْ ، فَيُحَقِّرَ النَّاسُ كِبَارَكُمْ ، وَتَهُونُوا عَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْمَالِ فَإِنَّهُ
مَنْبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَيُسْتَعْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا أُخْرُ كَسْبِ
الرَّجُلِ (أُخْرُ بِقَصْرِ الْهَمْزَةِ لَا غَيْرَ ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْمَدِّ أَخْطَأَ ، وَمَعْنَى أُخْرُ
أَذْنَى وَأَرْذَلُ) .

باب

قال أبو العباس : أنشدتُ لرجل من الأعراب يرثي رجلاً منهم :
فَلَوْ كَانَ شَيْخًا قَدْ لَبَسْنَا شَبَابَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ أَنْ طَرَ شَارِبُهُ
وَقَالَ الرَّدِّي مَنْ وَدَّ أَنْ ابْنَ عَمِّهِ يُرَى مُقْتَرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَانِبُهُ

وقال الآخر : (حسان بن ثابت) لامرأته :

فَإِمَّا هَلَكَتُ فَلَا تَنْكِحِي ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ تَلْبَ أَعْرَاضِهَا لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا
وقال آخر : (قال أبو الحسن هو يزيد بن حبناء أو لصخر بن حبناء :
يقوله لأخيه) :

لَحَا اللَّهُ أَكْبَانًا زَنَادًا وَشَرَّانَا وَأَيْسَرْنَا عَنْ عَرِضِ وَالِدِهِ ذَبَابًا
رَأَيْتُكَ لَمَّا نَدْتَ مَالًا وَمَسَّانَا زَمَانَ تَرَى فِي حَدِّ أُنْيَابِهِ شَفْبَا
جَعَلْتَ لَنَا ذَنْبًا لِيَتَمَنَّعَ نَائِلًا فَأَمْسِكَ وَلَا تَجْمَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا
قوله : أ كبانًا زنادًا ، الزناد التي تُقَدِّحُ بها النار ، ويقال ، أوزى القادح إذا
خرجت له النار ، وأكبي إذا أخفق منها ، هذا أصله يُضْرَبُ للرجل الذي
يَنْبَغِثُ الخَيْرُ على يديه ، وَيُضْرَبُ الإكباء للذي يمتنع الخَيْرُ على يديه ،
قال الأعشى :

وَزَنْدُكَ خَيْرُ زِنَادِ الْمَلُوءِ لِكِ صَادَفَ مِنْهُنَّ مَرِخَ عَقَارَا
وَلَوْ بَتَّ تَقَدِّحُ فِي ظُلْمَةٍ صَفَاءً بِنَبْعٍ لَأَوْرَيْتَ نَارَا

والمَرْخُ والعَفَارُ شجر تُسْرِعُ فيه النار ، ومن أمثالهم : في كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ،
وَاسْتَمَجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ ، وَاسْتَمَجَدَ : اسْتَكْتَر ، يقال : أَمَجَدْتُهُ سَبًّا ،
وَأَمَجَدْتُهُ ذَمًّا ، إِذَا أَكْثَرْتَ مِنْ ذَلِكَ ، ومن أمثالهم : أَرْخَ يَدَيْكَ
وَاسْتَرِخْ ، إِنَّ الزَّنَادَ مِنْ مَرْخٍ . ويقال : رجل ذُو شَغَبٍ إِذَا كَانَ يَشْغَبُ
عَلَى خَصْمِهِ ، ضَرَبَهُ مَثَلًا لِلزَّمَانِ الَّذِي يَهْرُ عَلَى أَرْبَابِهِ ، أَيْ يَمْسَهُمُ بِالْفَقْرِ
وَالجَدْبِ . وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَفًا	فَكَشَفَهُ التَّمْحِيسُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا
أَأَنْتَ أَخِي مَالَمَ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ	فَإِنْ عَرَضَتْ أُيْقِنْتُ أَنْ لَا أَخَا لِيَا
فَلَا زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ مَا	بَلَوْتُكَ فِي الْحَاجَاتِ إِلَّا تَمَادِيَا
فَلَسْتُ بِرَاءِ عَيْبِ ذِي الْوُدِّ كُلِّهِ	وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ	وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا
كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ	وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله : كان شيئًا ملففًا يقول : كان أمرًا مُعْطَى ، والتَّمْحِيسُ الاختبار ، يقال :
أَدَخَلْتُ الذَّهَبَ فِي النَّارِ فَحَصَّصْتُهُ : أَيْ خَرَجَ عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ، وَخَلَّصَ
الذَّهَبُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ » وَيُقَالُ : مُحِّصَ فُلَانٌ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَقَوْلُهُ :

* أَأَنْتَ أَخِي مَالَمَ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ * تقرير وليس باستفهام ، ولكنَّ
معناه إني قد بَلَوْتُكَ تُظْهِرُ الإِخَاءَ فَإِذَا بَدَتْ الْحَاجَةُ لَمْ أَرْ مِنْ إِخَائِكَ شَيْئًا
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ »

إنما هو توييح وليس باستفهام ، وهو جل وعزّ العالمُ بأنَّ عيسى لم يُقله ،
وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب المُقتَضَبِ
مُسْتَقْصَى ، ونذكر منه جملة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .



وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ثلاثة لا يُعرَفون إلا في ثلاثٍ ،
لا يُعرَفُ الشُّجاعُ إلا في الحَرْبِ ، ولا الحَلِيمُ إلا عند الغَضَبِ ، ولا
الصَّديقُ إلا عند الحاجة .

وقال عبد الله بن معاوية أيضاً (ذكر دِعْبِلُ في أخبار الشعراء له أن هذا
الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي) :
أَنِّي يَكُونُ أَخَا أَوْ ذَا مُحَافِظَةٍ مَنْ كُنْتَ فِي غَيْبِهِ مُسْتَشْعِرًا وَجِلًّا
إِذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ سُوءًا وَتَسْأَلُ عَمَّا قَالَ أَوْ فَعَلًا
وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُتَمَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَنِّي غَيْرُ مُحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الشُّكُوفِ إِذَا التَّمَلُّ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه :

فَنِّي كَانَ يَدِينِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَنِّي لَا يَبْعُدُ الْمَالَ رَبًّا وَلَا تُرَى بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَالًا وَلَا كِبْرُ

فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا تَوَبَّ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ
 وَهُوَ نَجْدِي وَأَنِّي سَوْفَ أُغْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ
 (قال أبو الحسن : بعضهم يقول هو للأبيرد الرياحي ، وبعد البيت الثالث :
 فَلَا يُبْعِدُنَاكَ اللَّهُ إِمَّا تَرَكَتْنَا حَمِيدًا وَآوَدَى بِعَدَاكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ)



قال أبو العباس : حدثني التَّوْزِيُّ قال : حدثني محمد بن عبد بن حبيب
 ابن المهلب أحسبُه عن أبيه . قال : لما انقضى يوم الجمل ، خرج علي بن أبي
 طالب رضى الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبرٌ وفي يده مشعلَةٌ من نار
 يَتَصَفَّحُ الْقَتْلَى حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَجُلٍ ، قَالَ التَّوْزِيُّ فَقُلْتُ : أَهْوِ طَلْحَةَ ؟ قَالَ
 نَعَمْ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ قَالَ : أَعَزَّزَ عَلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ أَنْ أُرَاكَ مُعَفَّرًا تَحْتَ نُحُومِ
 السَّمَاءِ وَفِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ ، شَفَيْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ مَعْشَرِي ، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو
 عَجْرِي وَبُجْرِي .

قوله مُعَفَّرًا : أى مُلْصَقَ الْوَجْهِ بِالتَّرَابِ ، وَيُقَالُ لِلتَّرَابِ الْعَفْرُ وَالْعَفْرُ ،
 يُقَالُ مَا مَشَى عَلَى عَفْرِ التَّرَابِ مِثْلُ فُلَانٍ . وَقَوْلُهُ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عَجْرِي وَبُجْرِي
 يَقُولُ مَا أَسْرُّ مِنْ أَمْرِي ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَهُوَ قَوْلُ سَائِرِ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ :
 لَقِيَ فُلَانٌ فُلَانًا فَأَبَتْهُ عَجْرُهُ وَبُجْرُهُ .

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلِّبٍ : (كُلُّ نَمْرٍ فِي الْعَرَبِ كَالنَّمْرِ بْنِ قَاسِطٍ وَغَيْرِهِ
 مَكْسُورُ النُّونِ مَجْزُومُ الْمِيمِ إِلَّا النَّمْرُ بْنُ تَوَلِّبٍ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ
 يُقَالُ النَّمْرُ بَفَتْحِ النُّونِ وَتَسْكِينِ الْمِيمِ وَلَا يُقَالُ النَّمِرُ) :

تَدَارِكُ مَا قَبَلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفَلُ
يَسُرُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا فَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ أَعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَبُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر البقاء ضرورة ، وللشاعر إذا اضطرب أن يقصر الممدود ، وليس له أن
يمد المقصور ، وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فإذا احتاج حذفها
لأنها ألف زائدة ، فإذا حذفها ردَّ الشيء إلى أصله ، فلو مدَّ المقصور لكان
زائداً في الشيء ما ليس منه ، قال الشاعر ، وهو يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ :
فَرَعْتُمُ لَتَمْرِينَ السَّيَاطِ وَأَنْتُمْ يُشَنُّ عَلَيْكُمْ بِالْفِنَا كُلُّ مَرْبَعٍ
فقصر الفناء ، وهو ممدود . وقال الطَّرِمَّاحُ :

وَأَخْرَجَ أُمَّهُ لِسَوَاسِ سَامِي لِمَعْفُورِ الضَّرَا ضَرِمِ الْجَيْنِ

قوله وأخرج : يعني رماداً ، والأخرج الذي في لونه سواد وبياض ، يقال نعامته
خرجاء ، وقوله لسواس سامي ، فإنَّ أجأ وسامي جبلا طيبي ، وسواس سامي
الموضع الذي بمحضرة سامي ، يقال هذا من سوس فلان ، ومن سوس فلان :
أي من طبعه ، وأمه يعني الشجرة التي هي أصله ، وقوله لمعفور الضرا فالضراء
ما وارك من شجرٍ خاصَّةً ، والخمر ما وارك من شيء ، والمعفور ما سقط من
النار من الزند ، وقوله ضرم الجين يقول مشتعل ، والجنين ما لم يظهر بعد ،
يقال للقبر جنن ، والجنين الذي في بطن أمه ، والمجنن الترس لأنه يسترك ،
والمجنون المغطى العقل ، ويسمى الجن جننا لاختفائهم ، وتسمى الدروع :
الجنن لأنها تستر من كان فيها وقصر الضراء وهو ممدود ، ومثل هذا كثير

في الشعر جِدًّا ، وقوله : ينوء إذا رام القيام ، يقول يَنْهَضُ فِي تَشَاقُلٍ ، قال
الله عزَّ وجل : « مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُهُ بِالْعُصْبَةِ » ، والمعنى أن العُصْبَةَ تَنْوُءُ
بالمفاتيح ، ولشرح هذا موضع آخر ، وقال آخر : (لَعَمْرُوبِ بْنِ قَيْثَةَ) :

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أُنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي

ويُرْوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً ، وقال
مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بِمَدِّ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَا يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَ مَا تَيْمَمَا

وقال أبو حَيَّةَ النَّمَيْرِيُّ :

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية :

كَأَنْتَ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِغَاْمِزٍ فَالآنَهَا الإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

وقال عَنَتْرَةُ بْنُ شَدَّادٍ :

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِي وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِي

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : لَقَدْ أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ
وَشَرِبَ ، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً ، قال الجَعْدِيُّ :

(كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنْاسٍ هَلَكُوا) أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ

والعرب تقول : نَهَارُكَ صَائِمٌ ، وَلَيْلُكَ قَائِمٌ : أَي أَنْتَ قَائِمٌ فِي هَذَا وَصَائِمٌ فِي ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِبَلْ مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَقَالَ جَرِيرٌ :

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي الشَّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ
وقال الفرزدق :

تُبَكِّي عَلَى الْمَنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَتَنْهَى عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا
عُلَامَانِ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَذْرَكَآ كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا
وابنا مِسْمَعٍ كَانَ قَتْلُهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ مَعَ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ لَمَّا أَتَاهُ خَبْرُ قَتْلِ أَبِيهِ ، وَكَانَ ابْنَا مِسْمَعٍ مِمَّنْ خَالَفَ عَلَى يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَالْمَنْتُوفُ كَانَ مَوْلىَ لِبْنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ ، وَابْنَا مِسْمَعٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ الْمَنْتُوفُ كَأَخِيْفَةِ لِيَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ جَرِيرٌ :

وَالْأَزْدُ قَدْ جَعَلُوا الْمَنْتُوفَ قَائِدَهُمْ فَقَتَلْتَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ وَأَنْتَفَوْا
وتمام شعر الفرزدق :

وَلَوْ قَتِلَا مِنْ جِذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ^(١) لَكَانَ عَلَى النَّاعِي شَدِيدًا بُكَاهُمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدَا نَارَيْنِ يِعْلُو سَنَاهُمَا
السَّنَا : ضَوْءُ النَّارِ ، وَهُوَ مَقْصُورٌ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » وَالسَّنَاءُ مِنَ الشَّرْفِ مَمْدُودٌ ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

(١) الجذم بالكسر : الأصل ، وهذه الرواية تنفي نسبها عن بكر بن وائل ، ورواية الديوان : ولو أصبغا من غير بكر بن وائل لكان على الجاني تقيلا دماهما

والبكاء يمد ويُقصرُ ، فَمَنْ مَدَّ فَإِنَّمَا جَعَلَهُ كَسَائِرِ الْأَصْوَاتِ ، وَلَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي مَعْنَى الصَّوْتِ مَضْمُومِ الْأَوَّلِ إِلَّا مَمْدُودًا ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى فُعَالٍ ، وَقَلَمًا يَكُونُ الْمَصْدَرُ عَلَى فُعَلٍ ، وَقَدْ جَاءَ فِي حُرُوفِ نَحْوِ الْمُهْدَى وَالسَّرَى وَمَا أَشْبَهَهُ وَهُوَ يَسِيرٌ ، فَأَمَّا الْمَمْدُودُ فَنَحْوُ : الْعَوَاءِ ، وَالذُّعَاءِ ، وَالرُّثَاءِ ، وَالشُّغَاءِ ، فَكَذَلِكَ الْبُكَاءُ ، وَنظيره من الصحيح الصُّرَاخُ وَالنُّبَاخُ ، وَمَنْ قَصَرَ فَإِنَّمَا جَعَلَ الْبُكَاءَ كَالْحُزْنِ ، وَقَدْ قَالَ حَسَّانٌ فَقَصَرَ وَمَدَّ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُعْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وقال جرير :

قَالُوا نَصِيبِكَ مِنْ أَجْرِ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي
هَذَا سَوَادُهُ يَجْلُو مُقْلَتِي لِحْمٍ بَازٍ يُصْرَصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي
فَارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصْرِي وَحِينَ صِرْتُ كَعِظْمِ الرِّمَّةِ الْبَالِي

(نصيبك بالنصب لا غير لأنه مفعول باضمار فعل ، تقديره أَحْفَظُ نَصِيبَكَ ، أَوْ أَحْرُزُ نَصِيبَكَ) قوله : يَجْلُو مُقْلَتِي لِحْمٍ ، شَبَّهُهُ مُقْلَتِيهِ بِمُقْلَتِي الْبَازِي ، وَيُقَالُ طَائِرُ لِحْمٍ مِنْ هَذَا ، وَقَوْلُهُ يُصْرَصِرُ : يَعْنِي يُصَوِّتُ ، يُقَالُ : صَرَصَرَ الْبَازِي ، وَالصَّقْرُ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ ، وَيُقَالُ : صَرَصَرَ الْعُصْفُورُ وَأَحْسَبُهُ مُسْتَعَارًا لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ ، قَالَ جَرِيرٌ :

* بَازٍ يُصْرَصِرُ بِالسَّهْبِيِّ ^(١) قَطًّا جُونًا *

وقال آخر : * كَمَا صَرَصَرَ الْعُصْفُورُ فِي الرُّطْبِ الثَّعْدِ *

(١) السهبي بفتح السين : بلد من أعلا بلاد تميم .

وَأَنْشَدَنِي مُعْمَرَةٌ : بَازٍ يُصَعِّعُ وَهُوَ أَصْحَحُ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ يُصَعِّعُ وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَلَكِنْ هَكَذَا وَقَعَ فِي كِتَابِهِ وَيُصَرِّصِرُ لَا يَتَعَدَّى) وَقَوْلُهُ كَعِظَمِ الرَّمَّةِ : فَهِيَ الْبَالِيَةُ الْذَاهِبَةُ ، وَالرَّمِيمُ : مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّمَّةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فَعِيلٌ وَفِعْلَةٌ وَلَيْسَ يَجْمَعُ لَهُ وَاحِدٌ .



وَمِمَّا كَفَرَتْ بِهِ الْفُقَهَاءُ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ قَوْلُهُ ، وَالنَّاسُ يَطُوفُونَ بِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْبَرِهِ ، وَإِنْ شَدْتُ قَلْتُ يُطِيفُونَ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ تَقُولُ الْعَرَبُ : طُفْتُ وَأَطَفْتُ بِهِ ، وَدَرْتُ وَأَدَرْتُ بِهِ ، وَيُقَالُ : حَدَقْتُ وَأَحَدَقْتُ . قَالَ الْأَخْطَلُ :

الْمُنْعَمُونَ بِبُؤْحَرَبٍ وَقَدْ حَدَقْتُ
بِئِي الْمَيْتَةِ وَأُسْتَبَطْتُ أَنْصَارِي
إِنَّمَا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادِ وَرِمَّةٍ^(١) .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : «لَوْلَا أَنْ تُضَيِّعَ الْفَتِيَانُ الدِّمَّةَ لَخَبَّرْتُمَا بِمَا تَجِدُ الْإِبِلُ فِي الرَّمَّةِ» يَقُولُ : لَوْلَا أَنْ تَدَعَ الْأَحْدَاثُ التَّمَسُّكَ بِالْوَفَاءِ ، وَالرَّعَايَةَ لِلْحُرْمَةِ لِأَعْلَمْتُمَا أَنَّ الْإِبِلَ تَتَنَاوَلُ الْعِظَمَ الْبَالِيَّ وَهُوَ أَقْلُ الْأَشْيَاءِ فَتَجِدُ لَهُ لَدَّةً .

وَمِثْلُ بَيْتِ جَرِيرِ الْأَخِيرِ قَوْلُ أَبِي الشَّعْبِ يَرْتِي ابْنَهُ شَعْبًا :

قَدْ كَانَ شَعْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ
عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرٌّ
لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَهْصَرَعِهِ
دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجْرٌ
قَارَقَتْ شَعْبًا وَقَدْ قَوَّسَتْ مِنْ كِبَرِ
بِئْسَ الْحَلِيفَانِ طُولُ الْحُزْنِ وَالْكَبَرِ^(٢)

(١) هذه كلمة الحججاج ، وما قبلها استطراد من المؤلف .

(٢) وروى : لبئس الحلتان الشكل والكبر .

قوله قوسٌ يقول انحنيتُ كالقوس ، قال امرؤ القيس :
أَرَاهُنَّ لَا يُحِبُّنَّ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَى الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَسًا
وقال سليمان بن قتة : يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنهما :

مَرَرْتُ عَلَى أَيْبَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا كَعَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتِ
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ
وَإِنَّ قَتِيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ^(١) أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ
وَكَأَنُوا رَجَاءً ثُمَّ صَارُوا رِزِيَةً فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ
وَعِنْدَ غَنِيٍّ ^(٢) قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا سَنَجَزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ
إِذَا أَفْتَقَرْتُ قَيْسٌ جَبْرًا فَقِيرَهَا وَتَقَتَلْنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
وسليمان بن قتة : رجل من بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي ، وكان منقطعاً
إلى بني هاشم .

وقال الفرزدق يرثي ابنيه :

بِني الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسْنَى رِزِيَّةٌ شِبْلَى مُخْدِرٍ ^(٣) فِي الضَّرَاغِمِ
وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ وَلَوْ عَاشَ أَيَّامًا طَوِيلًا بِسَائِلِ
أَرَى كُلَّ حَيٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعةً عَلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَنَايَا الْمُخَارِمِ
يُذَكِّرُنِي ابْنِي السَّمَا كَانَ ^(٤) مَوْهِنًا ^(٥) إِذَا ارْتَفَعَا فَرَقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ

(١) الطف : أرض بضاحية الكوفة .

(٢) اسم قبيلة . (٣) مخدر : لزوم خدره : أي عرينه .

(٤) السما كان : كوكبان أحدهما اسمه الراح والآخر اسمه الأعزل .

(٥) الموهن والوهن : اسم لنصف الليل .

وَقَدْ رُزِيَ الْأَقْوَامُ قَبْلِي بَيْنَهُمْ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْدِرَانِ كِلَاهُمَا
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَفْرَعَانَ وَحَاجِبُ
وَقَدْ مَاتَ بَسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يَهْلِكْ كَاهُمْ
فَمَا أَبْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي
وَإِخْوَانَهُمْ فَافْتَنَى حَيَاءَ الْكِرَامِ
وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ شِهَابِ الْأَرَاقِمِ
وَعَمْرُو أَبُو عَمْرٍو وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ
عَشِيَّةَ بَانَا رَهْطِ كَنْبِ وَحَاتِمِ
فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَيْنُ الْمَاتِمِ

وَأَنشَدَنِي التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدِ حَيْنِ الْمَاتِمِ بِالْحَاءِ مَعْجَمَةً (الْحَيْنِ : بِالْحَاءِ صَوْتٌ مِنَ الْخَيْشُومِ) قَوْلُهُ مَا تَزَالُ طَلِيعَةٌ يَرِيدُ طَالِعَةً ، وَالشَّنَايَا جَمْعُ شَنِئَةٍ ، وَهِيَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ ، مِنْ ذَلِكَ (الشعر لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَاحِيِّ) :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّنَايَا
مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وَالْمَخَارِمُ : جَمْعُ مَخْرَمٍ ، وَهُوَ مُنْقَطَعُ أَنْفِ الْجَبَلِ ، وَقَوْلُهُ : فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ ، يَعْنِي الْمَتَأَخَّرَةَ ، يُقَالُ فُلَانٌ يَأْتِينَا وَلَا يُعْتَمُّ : أَي لَا يَتَأَخَّرُ ، وَعَتَمَةٌ اسْمٌ لِلْوَقْتِ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الصَّلَاةُ بِذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكُلُّ صَلَاةٍ مُضَافَةٌ إِلَى وَقْتِهَا تَقُولُ صَلَاةُ الْعَدَاةِ ، وَصَلَاةُ الظُّهْرِ ، وَصَلَاةُ الْعَصْرِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ الصَّلَاةُ الْأُولَى فَالْأُولَى نَمَتْ لَهَا إِذْ كَانَتْ أَوَّلَ مَا صُلِّيَ ، وَقِيلَ أَوَّلَ مَا أُظْهِرَ ، وَقَوْلُهُ : فَافْتَنَى حَيَاءَ الْكِرَامِ يَقُولُ فَالزَّمِي ، وَأَصْلُ الْقُنْيَةِ الْمَالُ اللَّازِمُ ، تَقُولُ أَفْتَنَى فُلَانٌ مَالًا إِذَا اتَّخَذَ أَصْلَ مَالٍ ، وَقِيلَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى » أَي جَعَلَ لَهُمْ أَصْلَ مَالٍ ، وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ (الشعر لأبي الْمُثَنَّمِ الْهُدَلِيِّ يَرِثِي صَخْرًا) :

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ بِهِ^(١) لَكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالٌ قُنْيَانٍ
وَالكِرَامُ جمع كَرِيمَةٍ ، وَالاسْم من فَعِيلَةٍ وَالنعتُ يجمعان على فَعَائِلٍ ،
فَالاسْم نحو : صَحِيفَةٌ وَصَحَائِفَ ، وَسَفِينَةٌ وَسَفَائِنَ ، وَالنعتُ نحو : عَقِيلَةٌ
وَعَقَائِلَ ، وَكَرِيمَةٌ وَكِرَائِمٌ . وَقوله وَمَاتَ أَبِي ، يريد التَّأْسَى بِالْأَشْرَافِ ،
وَأبوه غَالِبُ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ نَاجِيَةَ بنِ عِقَالِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سُفْيَانَ بنِ مُجَاشِعِ ،
وَكَانَ أبوه شَرِيفًا وَأَجْدَادُهُ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِصَّةٌ
يَطْوِلُ الْكِتَابُ بِذِكْرِهَا ، وَالْمُنْذِرَانِ : الْمُنْذِرُ بنِ الْمُنْذِرِ بنِ مَاءِ السَّمَاءِ اللَّخْمِيُّ
يُرِيدُ الْإِبْنَ وَالْأَبَ ، وَعَمْرُو بنِ كَلْثُومِ التَّعَلْبِيُّ قَاتِلُ عَمْرُو بنِ هِنْدٍ وَكَانَ أَحَدَ
أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَفُتْنَا كَيْهَمَ وَشِعْرَاهُمُ ، وَالْأَرَاقِمُ : قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ بِنْتِ
وَائِلٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرِ . وَزَعَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سُمُّوا الْأَرَاقِمَ لِأَنَّ
عُيُونَهُمْ شَبَّهَتْ بِعُيُونِ الْحَيَّاتِ ، وَالْأَرَاقِمُ وَاحِدُهَا أَرَقِمٌ ، فَكَانُوا مَعْرُوفِينَ
بِهَذَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ يَرُدُّ عَلَى جَرِيرٍ فِي هِجَائِهِ لَهُ وَاللَّأْخِطَلُ :

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى مَتَهَتَّمُ الْأَسْنَانَ

وَجَعَلَهُ شِهَابًا لَهُمْ لِنُورِهِ وَبَهَائِهِ وَضِيَائِهِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ إِنَّمَا فَلَانُ نَجْمٌ أَهْلِهِ ،
وَكَذَلِكَ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَالْأَفْرَعَانُ : الْأَفْرَعُ
ابْنُ حَابِسٍ وَابْنُهُ الْأَفْرَعُ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بنِ دَارِمٍ ، وَكَانَ الْأَفْرَعُ فِي صَدْرِ
الْإِسْلَامِ سَيِّدَ خَنْدِفٍ ، وَكَانَ مَحَلُّهُ فِيهَا مَحَلَّ عَيْبَةَ بنِ حِصْنِ فِي قَيْسٍ .
وَحَاجِبُ بنِ زُرَّارَةَ بنِ عُدَسَ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرِ مُدَافِعٍ ، وَعَمْرُو

(١) الرواية : لو كان للدهر مال عند مثله .

أبو عمرو ، يريد عمرو بن عُدَسَ وكان شريفاً ، وكان ابنه عمرو شريفاً ، قتل
يوم جَبَلَةَ قتلته بنو عامر بن صَعَصَعَةَ ، وقتلوا لَقِيْطَ بن زُرَّارَةَ ، وكان الذي
وَلِيَ قتلته عُمارَةُ الوَهَّابِ العَبْسِيِّ ، وينسب إلى بني عامر ، لأن بني عَبْسٍ كانوا
فيهم مع قَيْسِ بن زُهَيْرٍ ، وعُمارَةُ هذا هو الذي كان يقال له دَالِقٌ ، وقتله
شِرْحَافُ الضَّبِيِّ ، ولذلك يقول الفرزدق :

وَهُنَّ بِشِرْحَافٍ تَدَارَكُنْ دَالِقًا عُمارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ العَصْرُ

وزعم أبو عبيدة : أن فاطمة بنت الخُرْشُبِ الأَنْمَارِيَّةِ ، أُرِيَتْ في منامها قاتلاً
يقول : عشرة هُدْرَةٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمُّ ثَلَاثَةٍ كَعَشْرَةٍ (هُدْرَةٌ بالدال غير
معجمة ، قال أبو الحسن : هم السُّقَّاطُ من الناس) : فلم تقل شيئاً ، فعاد لها الليلة
الثانية فلم تَقُلْ شيئاً ، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجها فقال إن عاد لك الثالثة فقولى
ثلاثة كعشرة ، وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشبِ العَبْسِيِّ ، فلما عاد لها قالت
ثلاثة كعشرة ، فولدتهم كلهم غايبَةً ، وَلَدَتْ رَبِيعَ الحَفَّازِ ، وعُمارَةَ الوَهَّابِ ،
وَأَنَسَ الفَوَارِسِ ، وهي إحدى المُنْجِبَاتِ من العرب ، وَأَسْرُوا حاجِباً فذلك
حيث يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق ويُعَلِّمُهُ نغز قَيْسٍ عليه :

تُحَضِّضُ يَا ابْنَ القَيْنِ قَيْسًا لِيَجْمَعُوا لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرَوِ بْنِ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمِ
وَلَمْ تَشْهَدْ الجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ (١)
الجَوْنَانِ : معاويةٌ وحسانُ ابنا الجَوْنِ الكِنْدِيِّانِ أُسْرَا في ذلك اليوم ، فَقُتِلَ

(١) هو دير بظاهر الكوفة ، أُضيف إلى الجمجم وهي الأقداح من الحشب لأنها كانت تعمل فيه .

حسان ، وفُودَى معاويةٌ بسبب يطول ذكره ، والشَّعْبُ : شِعْبُ جَبَلَةٍ ،
وقوله : وشَدَات قيس يوم دير الجماجم ، هذا في الإسلام ، يعني وَقَعَةَ الْحَجَّاجِ
ابن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ بعبد الرحمن بن محمد الأشعث
ابن قَيْس بن معديكرب الكِنْدِيِّ بدير الجماجم ، وقوله : وقد مات بِسِطَامِ
ابن قيس بن خالد ، يعني الشَّيْبَانِيَّ ، وهو فارس بَكْر بن وائل ، وابن سيدها ،
وقتل بالحَسَنِ ، وهو جَبَلٌ (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم ، والصحيح
جَبَلٌ بالحاء ، قال ابن سراج رحمه الله تعالى : الحَسَنُ والحُسَيْنُ جَبَلًا رَمَلٌ)
قتله عاصم بن خليفة الضَّبِّيُّ ، وكان عاصمٌ أسلم في أيام عثمان رحمه الله ، فكان
يقف ببابه فيستأذن عليه ، فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتِلُ بِسِطَامِ
ابن قَيْسٍ بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندي في بِسِطَامِ أن لا ينصرف لأنه
أعجمي) وكان سببُ قتله إياه أن بِسِطَامًا أغارَ على بني صَبَّةَ ، وكان معه حازٍ^(١)
(قال أبو الحسن حازٍ بالزاي زاجرٌ) يَحْزُوه ، فقال له بِسِطَامٌ إني سمعت
قائلًا يقول :

* الدَّلُو تَأْتِي الْغَرْبَ^(٢) الْمَزَلَةَ^(٣) * فقال الحازي فهلاً قلت :

* ثُمَّ تَعُودُ بَادِنًا مُبْتَلَةً * قال ما قلت فا كَتَسَحَ إِبِلَهُمْ فَتَنَادَوْا وَاتَّبَعُوهُ
فنظرت أم عاصم إليه ، وهو يَقَعُ^(٤) حديدةً له ، أي يَحْدُّهَا ، والمَيْقَعَةُ الْمِطْرَقَةُ ،
فقلت له : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ وكان عاصمٌ مَنقوصاً^(٥) ، فقال لها : أقتل بها

(١) اسمه هذيل بالتصغير . (٢) الغرب : الماء الذي يقطر من الدلو بين البئر والحوض .
(٣) المزلة : بفتح الزاي وكسرهما موضع الزل ، يريد أن الأمر يأتي على غير وجهه .
(٤) يقع الحديدية يحدّها ، وكذلك وقع السيف والمدية . (٥) ضعيف الرأي والعقل .

بِسْطَامَ بْنِ قَيْسٍ فَفَهَّرَتْهُ ، وَقَالَتْ : إِسْتِ أُمَّكَ أَصْبِقُ مِنْ ذَلِكَ ! فَنظَرَ إِلَى
فَرَسٍ لِعَمَّةٍ مُوثِقَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ فَأَعْرَوْرَاهَا ، أَى رَكَبَهَا عُرْيَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا
الزَّيْحَ ، فَنظَرَ بِسْطَامَ إِلَى الْخَيْلِ قَدْ لَحِقَتْهُ ، فَجَعَلَ يَطْعُنُ الْإِبِلَ فِي أَعْجَازِهَا
فَصَاحَتْ بِهِ بَنُو ضَبَّةَ يَا بِسْطَامَ مَا هَذَا السَّفَهُ ؟ دَعَا إِمَّا لَنَا وَإِمَّا لَكَ ، وَأُحْطَ
عَلَيْهِ عَاصِمٌ فَطَعَنَهُ فَرَمَى بِهِ عَلَى الْأَلَاءِ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ لَيْسَتْ بِعَظِيمَةٍ ، وَكَانَ
بِسْطَامَ نَصْرَانِيًّا ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرَادَ
أَخُوهُ الرَّجُوعَ إِلَى الْقَوْمِ ، فَصَاحَ بِهِ بِسْطَامُ أَنَا حَنِيفٌ إِنْ رَجَعْتَ ، فَنِي ذَلِكَ
يَقُولُ ابْنُ عَتَمَةَ الضَّبِّيِّ ، وَكَانَ فِي بَنِي شَيْبَانَ :

خَفَرَ عَلَى الْأَلَاءِ لَمْ يُوسِّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ

وَمَا قُتِلَ بِسْطَامَ لَمْ يَبْقَ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بَيْتِ الْإِلَهِجِمِ ، أَى هُدَيْمِ ، وَقَوْلُهُ :
وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخَ الْإِلَهَازِمِ . يَعْنِي مَالِكَ بْنَ مِسْمَعِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ شِهَابِ
أَحَدِ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَسَامِعَةُ ، وَكَانَ سَيِّدَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ
فِي الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ أَحَدِ بَنِي تَيْمِ الْأَلَاتِ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ حِينَ حَدَّثَ أَمْرُ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو الْمَعْنِيِّ مِنَ الْأَزْدِ فَلَمْ
يُعْلِمَهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ عبيد الله ، وَهُوَ أَحَدُ فُتَّاكِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ قَاتِلُ مُضْعَبِ
أَبْنِ الزَّيْبِرِ ، أَيَكُونُ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ وَلَا تُعْلِمُنِي بِهِ ؟ لَهَمَمْتُ أَنْ أُضْرِمَ
دَارَكَ عَلَيْكَ نَارًا ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : أَسَكْتُ أَبَا مَطَرٍ ، فَوَاللَّهِ إِنْ فِي كِنَانَتِي
سَهْمٌ أَنَا أَوْ تَقُ بِهِ مِنِّي بَكَ ، فَقَالَ لَهُ عبيد الله : أَوْ أَنَا فِي كِنَانَتِكَ ؟ فَوَاللَّهِ
لَوْ قَعِدْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا ، وَلَوْ قَمْتُ فِيهَا خَرَقْتُهَا ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ - وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ

منه - : أَكْثَرَ اللَّهِ فِي الْعَشِيرَةِ مِثْلَكَ ! قال : لقد سألت ربك شَطَطًا ! وفي مالك بن مِسْمَعٍ يقال :

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً دَعَوْنَا أَبَا عَسَّانَ يَوْمًا فَمَسَكَرَا

قوله : وقد مات خيراهم ، تثنيةٌ كقولك مات أحمراهم ، ولم يخرج مخرج النعت ، ألا ترى أنك تقول هذا أحمَرُ القوم ، إذا أردت هذا الأحمَر الذي للقوم ، فإذا أردت الذي يَنْفُضُهُمْ في باب الحمرة ، قلت هذا أشدُّهم حمرةً ، ولم تقل هذا أحمَرُهُمْ ، وكذلك خيراهم ، وإنما أردت هذا خيرُهُمْ ثم تَنَبَّت ، أى هذا الخير الذي هو فيهم ، وقوله : عَشِيَّةَ بَازَا ، مردود على قوله خيراهم ، وقوله : رَهْطِ كَعْبٍ وَحَاتِمٍ ، إنما خفضت رهطا لأنه بدل من هم التي أضفت إليها الخيرين ، والتقدير وقد مات خيرا رهطا كعب وحاتم ، فلم يهلكاهم عشية بَازَا ، فأما كَعْبٌ فهو كعب بن مَامةَ الإيادي ، وكان أحدَ أجواد العرب الذي آثرَ على نفسه ، وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسطٍ فقلَّ عليهما الماء فَتَصَافَنَا ، والتصافنُ : أن يُطْرَحَ في الإناء حَجْرٌ (هذا الحجر الذي يُقَسَّمُ به الماء يقال له : المَقْلَةُ بفتح الميم ^(١)) ثم يُصَبُّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يَتَغَابَنُوا وكذلك كل شيء وَقِفَ عَلَى كَيْلِهِ أو وَزَنِهِ ، والأصل ما ذكرنا ، فجعل النمرى يشرب نصيبه ، فإذا أخذ كعب نصيبه قال استق أخاك النمرى ، فيؤثره حتى جهد كعب ، ورُفِعَتْ له أعلام الماء ، فقيل له : رَدِ كَعْبٌ ، ولا وُرودَ به ، فمات عطشا ، ففي ذلك يقول أبو دُوادِ الإيادى :

(١) وتسمى أيضا حصاة القسم .

أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رَدِ كَعْبُ إِنَّكَ وَرَادٌ فَمَا وَرَدَا
فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلُ ، فَقَالَ جَرِيرٌ فِي كَلِمَتِهِ الَّتِي مَدَحَ فِيهَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
يَعُوذُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى فُرَيْشٍ وَتَفْرُجُ عَنْهُمْ الْكَرْبَ الشَّدَادَا
وَقَدْ أَمَنْتَ وَحَشَهُمْ بِرَفْقٍ وَيُعِي النَّاسَ وَحَشْتُكَ أَنْ تُصَادَا
وَتَبْنِي الْمَجْدَ يَا عُمَرُ بْنُ لَيْلَى وَتَكْفِي الْمُجِلَّ السَّنَةَ الْجَمَادَا
وَتَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى وَتَذَكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَا
وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَأَبْنُ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا
تَعُوذُ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَلْزِمُ مَا اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذي ذكرناه ، وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة
ابن لأم الطائي ، وكان سيدا مقدما ، فوفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على
عمر وبن هند ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له :
أأنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي
لو هبنا في غداة واحدة ، ثم دعا حاتما فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال :
أبيت اللعن إنما ذكرت بأوس ، ولأحد ولده أفضل مني .



وكان النعمان بن المنذر دعا بحيلة وعنده وفود العرب من كل حي
فقال احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم ، فحضر القوم جميعا
إلا أوسا ، فقيل له : لم تخلقت ؟ فقال إن كان المراد غيري فأجل الأشياء أن
لا أكون حاضرا ، وإن كنت أنا المراد فساطلب ويعرف مكاني ، فلما

جلس النعمان لم ير أوسا ، فقال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له اخضر آمنا
مما خفت ، فحضر فألبس الحلة ، ففسده قوم من أهله فقالوا للحطيفة :
أهجه ولك ثلثمائة ناقة ، فقال الحطيفة كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي
أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ، ثم قال :

كَيْفَ الْهَجَاءِ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةٌ مِنْ آلِ لَأْمٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي
فقال لهم بشر بن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمه : أنا أهجوهم لكم ، فأخذ
الإبل وفعل ، فأغار أوس على الإبل فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حياً إلا
قال : قد أجزتكم إلا من أوس ، وكان في هجائه إياه قد ذكر أمه فأتى به
فدخل أوس على أمه فقال : قد أتينا يبشر الهاجى لك ولى ، فارتين فيه :
فقلت له : أو تطيعنى فيه ؟ قال : نعم ، قالت أرى أن ترد عليه ماله ، وتعفو
عنه ، وتحبوه ، وأفعل مثل ذلك ، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه ، فخرج
إليه فقال : إن أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا ،
فقال : لا جرم والله ، لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك ، ففيه يقول :

إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتِي فِيمَنْ قَضَاهَا
وَمَا وَطِيءَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سَعْدَى وَلَا لَبَسَ النَّمَالَ وَلَا اخْتَذَاهَا



وأما حاتم الذى ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد
العرب ، وقد كان الفرزدق صافن رجلاً من بنى العنبر بن عمرو بن تميم

إداوة^(١) في وقت فرامته العنبري وسامه أن يؤثره ، وكان الفرزدق جواداً
فلم تطب نفسه عن نفسه ، فقال الفرزدق :

فَلَمَّا تَصَافَنَّا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشْتُ إِلَى غُضُونِ الْعُنْبَرِيِّ الْجُرَاحِمِ
فَجَاءَ بِجُحْمُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ ضَنْتَ بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

قوله : أَجْهَشْتُ فهو التَّسَرَّعُ وما تراه في فَخَّوَاهِ من مُقَابَرَةِ الشَّيْءِ ، يقال
أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ ، وَالغُضُونُ : التَّكْسِرُ فِي الْجِلْدِ ، وَالْجُرَاحِمُ الْأَحْمَرُ الْمُتَلَيُّ ،
وَقَوْلُهُ لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ ، فَهِيَ جَمْعُ صَرِيمَةٍ وَهِيَ الرَّمْلَةُ الَّتِي
تَنْقَطِعُ مِنْ مُعْظَمِ الرَّمْلِ ، وَقَوْلُهُ صَرِيمَةٌ يَرِيدُ مَصْرُومَةً ، وَالصَّرْمُ : الْقَطْعُ ،
وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

فَبَاتَ يَقُولُ أَصْبِحَ لَيْلٌ حَتَّى تَجَلَّى عَن صَرِيمَتِهِ الظَّلَامُ

يعني ثوراً وصريمته رملته التي هو فيها ، وقال المفسرون في قول الله عز وجل
« فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ » قولين ، قال قوم : كالليل المُظلم ، وقال قوم :
كالنهار المضيء : أي يبضاء لاشئ ، فيها ، فهو من الأضداد ، ويقال لك سواد
الأرض وبياضها ، أي عامرها وغامرُها ، فهذا ما يُحْتَجُّ بِهِ لِأَصْحَابِ الْقَوْلِ
الْأَخِيرِ ، وَيَحْتَجُّ لِأَصْحَابِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فِي السَّوَادِ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
« لَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى » وَإِنَّمَا سُمِّيَ السَّوَادُ سَوَادًا لِعِمَارَتِهِ ، وَكُلُّ خُضْرَةٍ
عِنْدَ الْعَرَبِ سَوَادٌ ، وَيُرْوَى :

(١) الاداوة : اناء صغير من جلد يتخذ لها. وجمه أداوى ، كطايا ، على غير قياس .

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ .
جَعَلَ حَاتِمٌ تَبْيِينًا لِلْمَاءِ فِي جُودِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْبَصْرِيُّونَ الْبَدَلَ ، أَرَادَ عَلَى
جُودِ حَاتِمٍ .

بَاب

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : كَانَ يُقَالُ : إِذَا رَغِبْتَ فِي الْمَكَارِمِ فَاجْتَنِبِ الْمُحَارِمَ .
وَكَانَ يُقَالُ : أَنْعَمُ النَّاسُ عَيْشًا مَنْ عَاشَ غَيْرَهُ فِي عَيْشِهِ .
وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : مَنْ كَانَ فِي وَطَنِ فَلْيُؤْطِنْ غَيْرَهُ وَطَنَهُ ، لِيَرْتَعَ فِي
وَطَنِ غَيْرِهِ فِي غَرْبَتِهِ .

قَالَ : وَأَتَبَهَ مَعَاوِيَةَ مِنْ رَقْدَةٍ لَهُ ، فَأَتَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
مَا بَقِيَ مِنْ لَدَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : عَيْنُ خَرَّازَةٍ^(١) فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ^(٢) ،
وَعَيْنُ سَاهِرَةٍ لِعَيْنِ نَاعِمَةٍ ، فَمَا بَقِيَ مِنْ لَدَتِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْ أُبَيِّتَ
مُعَرِّسًا بِعَقِيلَةٍ مِنْ عَقَائِلِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ نَبَّهَا وَرَدَانَ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : مَا بَقِيَ
مِنْ لَدَتِكَ ؟ فَقَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : اسْكُتْ ، فَأَنَا
أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَكَّنَكَ فَاَفْعَلْ .

وَيُرْوَى أَنَّ عَمْرًا مَسْئَلُ قَالَ : أَنْ أُسْتَتِمَّ بِنَاءِ مَدِينَتِي بِمِصْرَ ، وَأَنَّ

(١) جارية . (٢) سهلة لبنة .

(٣) هو مولى عمرو بن العاص واليه ينسب سوق وردان وهو قرية بمصر .

وَرَدَانٌ لِمَا سُئِلَ قَالَ : أَنْ أَلْقَى كَرِيمًا قَادِرًا فِي عَقِبِ إِحْسَانٍ كَانَ مِنِّي إِلَيْهِ ،
وَأَنْ مَعَاوِيَةَ سَأَلَ عَنِ الْبَاقِي مِنْ لَذْتِهِ فَقَالَ : مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ .

وَيُرْوَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ سَأَلَ عَنِ الْبَاقِي مِنْ لَذْتِهِ فَقَالَ :
مُحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ فِي اللَّيَالِي الْقَمَرِ^(١) عَلَى السُّكُتَانِ الْعَفْرِ^(٢) .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ أَكَلْنَا الطَّيِّبَ وَلَبِسْنَا اللَّيِّنَ ، وَرَكَبْنَا
الْفَارَةَ ، وَأَمْتَطَيْنَا الْعَذْرَاءَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَذَّتِي إِلَّا صَدِيقٌ أُطْرَحُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
مَسْئُونَةٌ التَّحْفُظِ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنْ قَرِيْشٍ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمَلْتُ الْحَدِيثَ ، قَالَ إِنَّمَا
مُيَلَّ الْعَتِيقُ^(٣) .

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ : الْعَيْشُ كُلُّهُ فِي الْجَلِيسِ الْمُتَمَتِّعِ .

وَقَالَ مَعَاوِيَةَ : الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا الْخَفْضُ وَالِدَّعَةُ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : مَا يَسْرُنِي أَنِّي كُفَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلِّهِ ، قِيلَ لَهُ :
وَلَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ : أَكْرَهُ عَادَةَ الْعَجْزِ .

وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابًا أَنَّهُ مُعَذِّبُ
رَجُلًا وَاحِدًا لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَهُ ، أَوْ أَنَّهُ رَاحِمٌ رَجُلًا وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ
أَكُونَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ مُعَذِّبِي لَأَحْمَلَهُ مَا أزدَدْتُ إِلَّا أَجْتِهَادًا لثَلَا أَرْجِعَ
عَلَى نَفْسِي بِلَائِعَةٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَدْخُلُ إِلَيْهِ سَالِمُ مَوْلى بَنِي مَخْزُومٍ ،

(١) جمع قراء . (٢) جمع أعفر ، وهو الرمل الأحمر . (٣) هو القديم وجمعه عتاق .

وقالوا بل زيادٌ وكان عمر أراد شراءه وعتقه ، فأعتقه مواليه ، وكان عمر يسميه أخى فى الله ، فكان إذا دخل ومُعمراً فى صدر مجلسه تنحى عن الصدر ، فيقال له فى ذلك فيقول : إذا دخلَ عليك مَنْ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذْ عليه شرفَ المجلس ، وهمَّ السَّراجُ ليلةً بأن يَحْمَدُ فَوَثَبَ إليه رَجاءُ بنُ حَيوَةَ ليُصلِحَه فأقسَمَ عليه عمرُ فجلَسَ ، ثم قام عمر فأصلحه . فقال له رَجاءُ : أتقوم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا ترَفَعونى فوقَ قدرى ، فتقولوا فى ما قالت النصارى فى المسيح ، فإن الله اتَّخَذَنى عبداً قبل أن يتَّخِذَنى رسولاً .

ودخل مسامةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مرَضَتِهِ التى مات فيها ، فقال : ألا توصى يا أمير المؤمنين . قال : فيمَ أوصى ؟ فوالله إن لى من مالٍ ، فقال : هذه مائة ألف فرُ فيها بما أحببتَ ، فقال : أوتقبَلُ ؟ قال : نعم . قال : تُردُّ على من أخذتَ منه ظالماً ، فبكى مسامةُ ، ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألنتَ منا قلوباً قاسية ، وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكراً .

وقيل لعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم : إنَّكَ مِنْ أَبْرِّ النَّاسِ بِأُمَّكَ ، وَلَسْنَا نراكُ تَأْكُلُ مَعَ أُمَّكَ فى صَحْفَةٍ ، فقال : أخاف أن تسبقَ يدي إلى ما قد سبقتَ عينها إليه فأكون قد عَقَّقْتُهَا .

وقيل لعمر بن ذرِّ - حيث نُظِرَ إلى تعزيبه عن ابنه - : كيف كان برُّه بك ؛ فقال : ما مشيتَ بنهاره معه قطُّ إلا مشى خلفى ، ولا لبيل إلا مشى أمامى ، ولا رقى سَطْحاً ، وأنا تحته .



وقال أبو المخش: كانت لي ابنةٌ تجلسُ معي على المائدة فتبرزُ كفاً كأنها طلعةٌ^(١) في ذراعٍ كأنها ججارةٌ^(٢) فلا تقع عينها على أكلةٍ نفيسة إلا خصتني بها، فزوّجتها، وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرزُ كفاً كأنها كرنافةٌ، في ذراعٍ كأنها كربةٌ، فوالله إن تسبقت عيني إلى لقمةٍ طيبةٍ إلا سبقت يده إليها.

وقال الأصمعي: قيل لأبي المخش، أما كان لك ابن؟ فقال المخش، وما كان المخش؟ كان والله أشدق خروطمانياً إذا تكلم سال لعا به كأنما ينظر من قلتين^(٣)، وكان ترؤوته بوان أو خالفة، وكان مشاش منكميه كركرة جمل، فقأ الله عيني هاتين إن كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده.

قوله: بوان أو خالفة، فهما عمودان من عمود البيت، البوان في مقدمه والخالفة في مؤخره، والكرنافة: طرف الكربة العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتيف.

حدثني بهذا الحديث العباس بن الفرّج الرّياشي عن الأصمعي، وحدثني عن حديثه قال: مرّ بنا أعرابي ينشدُ ابنا له، فقلنا صفة، فقال: دُنَيْيرٌ، قلنا لم نره، فلم نلبث أن جاء بجملٍ على عنقه، فقلنا: لو سألت عن هذا لأرشدناك، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا.

(١) هي نور النخل، وهو عاؤه الذي ينشق عنه.

(٢) هي شحمة النخلة. (٣) مثني قلت، وهو نقرة مستديره في أرض صلبة.

وَأَنشَدَنِي مُنْشِدٌ وَأَنشَدَنِي الرَّيْاشِيُّ أَحَدَ الْبَيْتَيْنِ :

نعم ضَجِيعُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ سَحِيرًا وَقَرَقَفَ الصَّرْدُ
زَيْنَهَا اللَّهُ فِي الْفَوَادِ كَمَا زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَوَلَدٍ
وَقَالَتْ أُمُّ ثَوَابِ الْهَزَانِيَّةُ مِنْ عَنَزَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ نِزَارٍ تَعْنِي ابْنَهَا :
رَيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرِيخِ أَعْظَمُهُ ^(١) أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي رَيْشِهِ زَعْبًا
حَتَّى إِذَا آصَ كَالْفُحَّالِ شَذْبَهُ أَبَارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الْكَرْبَا
أَنْشَأَ يُخْرِقُ أَثْوَابِي وَيَضْرِبُنِي أَبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِي يَبْتَغِي الْأَدْبَا
إِنِّي لِأَبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَتِهِ ^(٢) وَخَطَّ لِحْيَتِهِ فِي وَجْهِهِ عَجْبًا
قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتَسْمِعَنِي رِفْقًا فَإِنَّ لَنَا فِي أُمَّنَا أَرْبَا
وَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ مِنَ الْجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطْبًا
قوله أباره : فهو الذي يُصْلِحُهُ ، يقال : أَبْرْتُ النخْل ، وَأَبْرْتُهُ خَفِيفَةً ،
إِذَا لَقَّحْتَهُ .



ويروى أن مالك بن العجلان ، أو غيره من الأنصار كان يُتَحِفُ أَبَا
جُبَيْلَةَ الْمَلِكِ ^(٣) حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شريفةٍ ، فغاب يوماً فقال
أبو جُبَيْلَةَ إِنَّ مَالِكًا كَانَ يُقَوِّتُ عَلَيْنَا جَنَى هَذِهِ النخلةِ جَدُّوْهَا ، فجاء مالك
وقد جُدَّتْ ، فقال مَنْ سَعَى عَلَيَّ عَدَقِ ^(٤) الْمَلِكِ جَدَّةُ فَأَعْلَمُوهُ أَنَّ الْمَلِكَ
أَمَرَ بِذَلِكَ ، فجاء حتى وقفَ عليه ، فقال :

(١) أى أكبر أعضائه . (٢) الترجيل : التسريح ، واللعة : شعر الرأس الذى يلم بالمنكب .
(٣) من ملوك غسان . (٤) العدق : اسم للنخلة عند أهل الحجاز .

جَدَدَتْ جَنَى نَخْلَتِي ظَالِمًا وَكَانَ الثَّمَارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرَ

فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أطرّفوه بهذا الحديث ، فقال صلى الله عليه وسلم : الثمر لمن أبر ، إلا أن يشتريه المشتري .

والفَحَّالُ فَحْلُ النَّخْلِ (١) ، ولا يقال لشيء من الفحول فحّال غيره ،

وَأَنشَدَنِي الْمَازِنِيُّ :

يَطْفُنُ بِفَحَّالٍ كَأَنَّ ضِيَابَهُ بَطُونُ الْمَوَالِي يَوْمَ عِيدٍ تَعَدَّتْ

وضيابه : طلعه ، وأض : عاد ورجع ، وقولها شذبه ، تقول : قطع عنه الكرب

والعناكيل (٢) ، وكلُّ مُشَذَّبٍ مَقْطُوعٌ ، ويقال للرجل الطويل النحيف

مُشَذَّبٌ يُشَبَّهُ بِالْجَذَعِ الْمَحْذُوفِ عَنْهُ الْكَرْبُ ، وأصل التشذيب : القطع ،

وقال الفرزدق :

عَضَّتْ سَيْوْفُ تَمِيمٍ حِينَ أَعْضَبَهَا رَأْسَ ابْنِ عَجَلَى فَأَضْحَى رَأْسُهُ شَذْبَا

أراد عضت سيف تميم رأس ابن عجلَى حين أعضبها ، وأبْنُ عَجَلَى عبد الله

ابن خازم السلمي ، وأمه عجلَى ، وكانت سوداء ، وهو أحد غرّبان العرب

في الإسلام .

وسئل المهلب : من أشجع الناس ؟ فقال : عبّاد بن حصين ، وعمرو

ابن عبيد الله بن معمر ، والمغيرة بن المهلب ، فقيل له : فأين ابن الزبير ،

وابن خازم ، ومخير بن الحباب . فقال : إنما سئلت عن الإنس ولم أسأل

عن الجن .

(١) أي الذكر من النخل .

(٢) هي الثمار والواحد عنكول على وزن عصفور .

باب

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مُليكة عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضى الله عنها : مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِإِسْخَاطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِإِسْخَاطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ .

ويروى أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابن هرمة : إني لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ، قد أفادني الله بولادة نبيه المادح ، وجبني المقابح ، وإن من حقه على الأاغضى على تقصير في حقه ، وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين : حداً للخمر وحداً للسكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بي ، فليكن ترؤك لها لله تعن عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم . فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ وَأَدَّبَنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَبِرْ عَنْهَا وَدَعَهَا لِحَوْفِ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْآنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرِي عَنْهَا وَحُبِّي لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فِي عِظَامِي
أَرَى طِيبَ الْحَلَالِ عَلَى حُبِّنَا وَطِيبَ النَّفْسِ فِي حُبِّتِ الْحَرَامِ

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشَّحِيرِ الحَرَمِيِّ : يَا مُطَرَفُ ، عِظُ أَصْحَابِكَ فَقَالَ مُطَرَفُ : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن : يرحمك الله ،

وَأَيْتُنَا يَفْعَلُ مَا يَقُولُ؟ لَوَدَّ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ ظَفِرٌ بِهَذِهِ مِنْكُمْ ، فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا
بِمَعْرُوفٍ ، وَلَمْ يَنْهَ عَن مُنْكَرٍ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَابْنَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ ،
وَالْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ ، وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقَّقَةُ .

قَوْلُهُ : الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ يَقُولُ : الْحَقُّ بَيْنَ فِعْلِ الْمُتَقَصِّرِ وَالغَالِي ، وَمِنْ
كَلَامِهِمْ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَقَوْلُهُ : وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقَّقَةُ ، وَهُوَ أَنْ
يَسْتَقْرِغَ الْمَسَافِرُ جُهْدَ ظَهْرِهِ ^(١) ، فَيَقْطَعُهُ فِيهِلِكَ ظَهْرُهُ وَلَا يَبْلُغَ حَاجَتَهُ ،
يُقَالُ حَقَّقَ السَّيْرَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، وَقَالَ الرَّاجِزُ :

* وَأُنْبَتَ فِعْلَ السَّائِرِ الْمُحَقَّقِ *

(فِعْلٌ بِالنِّصْبِ الرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ مَعْنَى) .

وَحُدِّثْتُ أَنَّ الْحَسْنَ لَبَّقِيَ سَابِقَ الْحَاجِّ ، وَقَدْ أَسْرَعَ فُجِعِلَ يَوْمِي إِِلَيْهِ
بِأَصْبَعِهِ فِعْلَ الْغَازِلَةِ ^(٢) وَهُوَ يَقُولُ : خَرَّ قَاءً وَجَدَتْ صَوْفًا ، وَهَذَا مَثَلٌ مِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ يَضْرِبُونَهُ لِلرَّجُلِ الْأَحْمَقِ الَّذِي يَجِدُ مَا لَا كَثِيرًا فَيَعِيثُ فِيهِ ،
وَشَبِيهَةٌ بِهَذَا الْمَثَلِ قَوْلُهُ : عَبْدٌ وَخَلًّا فِي يَدَيْهِ ^(٣) .

وَيُرْوَى عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ
فَأَوْغِلْ فِيهِ بَرْفِقٌ ، وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ رَبِّكَ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضًا
قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْتَقَى .

(١) أَى مَطِيئَتِهِ . (٢) أَى يَشِيرُ بِالسَّبَابَةِ مَعَ الْإِبْهَامِ كَمَا تَفْعَلُ الْغَازِلَةُ وَهِيَ تَسْجُبُ الْفَتْلَةَ .

(٣) الْخَلَا: هُوَ الرُّطْبُ مِنَ الْحَشِيشِ ، وَهَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِلتَّمِيمِ الَّذِي يَجِدُ مَا لَا يَفْسُدُ فِيهِ .

قوله : متين ، المتين الشديد ، قال الله عز وجل : « وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ » وقوله : فأوغل فيه برفق ، يقول ادخل فيه ، هذا أصل الوُغول ، ويقال مشتقاً من هذا للرجل الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغِلْ ، ومعناه أنه وغل في القوم وليس منهم ، قال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أَمْرًا عَنْ شُرْبِهَا فِي شُعْلِ شَاغِلِ

فَالْيَوْمَ أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبِ^(١) إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلِ

والمُنْبِتُ مثل المُحَقِّقِ ، واشتقاقه من الانقطاع ، يقال انبت فلان من فلان أى انقطع منه ، وبت الله ما بينهم أى قطع ، قال محمد بن نمير :

تَوَاعَدَ اللَّبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبِتُوا وَقَالُوا لِرَاعِي الدَّوْدِ مَوْعِدُكَ السَّبْتُ

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ وَمَوْعِدُهَا فِي السَّبْتِ لَوْ قَدَرْنَا الْوَقْتُ

(روى الأخفش البيت الأخير و يروى :

* أَلَا قَرَّبَ الْحَيُّ الْجَمَالَ لِيَنْبِتُوا *)

وَحَدَّثْتُ أَنْ ابْنَ السَّمَاكِ^(٢) كَانَ يَقُولُ : إِذَا فَعَلْتَ الْحَسَنَةَ فَافْرَحْ بِهَا

وَاسْتَقْلِلْهَا ، فَإِذَا اسْتَقْلَلْتَهَا زِدْتَ عَلَيْهَا ، وَإِذَا فَرِحْتَ بِهَا عُدْتَ إِلَيْهَا .

ويروى عن أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ لَمْ تَتْرُكْ عِنْدَ

مُسْلِمٍ دَرَهْمًا .

(١) المستحب : الذى يحمل الشئ فى الحقيبة .

(٢) ناسك فصيح ، تحدثنا عن أدبه فى كتاب « التصوف الاسلامى » .

ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أمير المؤمنين المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، توسّع توسعاً فرشياً ، ولا تضيق ضيقاً حجازياً .
ويروى أنه دخل عليه يوماً فقال له المنصورُ حَدَّثْنَا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلطانكم حديثٌ ، وإمارتكم جديدةٌ ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضتُ لك النصيحة .

ثم نهضَ فنهضَ معه سبعمائة من قيسٍ فأثاره المنصورُ بصره ، ثم قال لا يعزُّ مُلكٌ يكون فيه مثلُ هذا .

قوله : محضتُ لك النصيحة يقول أخلصت لك ، وأصل هذا من اللبن ، والمحضُ منه الخالص الذي لا يشوبهُ شيء ، وأنشد الأصمعيُّ :
أمتحَضاً وسَقِيَانِي ضَيْحاً وَقَدْ كَفَيْتُ صَاحِبِي الْمَيْحَا
(الميح طلب الشيء هاهنا وهاهنا) ، ويقال حَسَبُ مُحْضٍ ، وقوله أثاره بصره يقول أتبعه بصره ، وحدد إليه النظر ، وأنشد الأصمعي (وهو للكميت بن زيد) :

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالْأَلُ يُرْفَعُهُمْ حَتَّى أَسْمَدَرَ^(١) بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِتَارِي



ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال : لا أشاتم رجلاً ، ولا أَرُدُّ سائلاً ،
فإنما هو كريم أسدٌ خلته ، أو لئيم أشتري عرضي منه .

(١) الميم زائدة ، وهو من سدر بصره لم يكذب بصره .

ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما شأمتُ رجلاً مُذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحمتُ زُكبتاي زُكبتيه ، وإذا لم أصلِ مُجْتَدِيَّ حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ عَرَقًا كما يَنْتَحُ الحَمِيْتُ ، فوالله ما وصلته^(١) .

قوله : مُجْتَدِيَّ يريد الذى يأتيه يطلب فضله ، يقال اجتداه يَجْتَدِيهِ ، وأَعْتَفَاهُ يَعْتَفِيهِ ، واعتراه يَعْتَرِيهِ ، وأَعْتَرَهُ يَعْتَرُهُ ، وعراه يَعْرُوهُ إذا قصده يَتَعَرَّضُ لِنَائِلِهِ . وأصل ذلك مأخوذ من الجَدَى مقصور ، وهو المطر العام النافع ، يقال : أصابتنا مَطْرَةٌ كانت جَدَى على الأرض ، فهذا الاسم ، فإذا أردت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود ، كما تقول كثير الغناء عنك ممدود ، هذا المصدر ، فإذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله ، وقصرت^(٢) . قال خفاف بن ثذبة يمدح أبا بكر السديق رضى الله عنه :

وَكُلُّ شَيْءٍ عُمُرُهُ لِلْفَنَاءِ	لَيْسَ لِي شَيْءٌ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءِ
لَمْ تَسْمَلِ الْأَرْضَ سَحَابٌ بِمَاءِ	إِنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إِذْ
ذُو طُرَّةٍ حَافٍ وَلَا ذُو حِذَاءِ	تَاللَّهِ لَا يَدْرِكُ أَيَّامَهُ
يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضِ فَضَاءِ	مَنْ يَسْعَ كَيْ يَدْرِكَ أَيَّامَهُ

وهذا من طريف الشعر لأنه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عروض السريع الأولى ، وبنته فى العروض :

(١) المراد أنه يبادر إلى اجابة سائله فلا يجوحه إلى أن يسيل عرقه من الحياء .

(٢) قال الشيخ المرصني : هذا خطأ من أبى العباس ، وذلك أن الجداء والغناء عنك ليسا مصدرين لجدا يجود ، ولا غنى ضد افتقر ، وإنما هما اسمان من أجدى عنك وأغنى عنك فلان إذا تاب عنك وأجزأ عنك .

أَزْمَانَ سَلَمَى لَا يَرَى مِثْلَهَا الرَّاءِ ءِوْنَ فِي شَامٍ وَلَا فِي عِرَاقٍ
ثم نرجع إلى تأويل قول الأحنف، قوله: حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ، فهو مثل الرَّشْحِ.
وحدثني أبو عثمان المازني في إسناد له ذَكَرَهُ قَالَ : قَالَ رُوَيْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ :
خَرَجْتُ مَعَ أَبِي نُرَيْدِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا صَرْنَا فِي الطَّرِيقِ أَهْدَى لَنَا
جَنْبٌ مِنْ لَحْمٍ ^(١) عَلَيْهِ كِرَافِيُّ الشَّحْمِ ، وَخَرِيطَةٌ ^(٢) مِنْ كَمَاةٍ ، وَوَطْبٌ مِنْ
لَبَنٍ ، فَطَبَخْنَا هَذَا بِهَذَا فَمَا زَالَتْ ذِفْرِيَايَ ^(٣) تَنْتَحَانُ مِنْهُ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ ،
وَقَوْلُهُ : أَحْمَيْتُ ، فَالْحَمِيْتُ وَالزَّقُّ اسْمَانُ لَهُ ، وَإِذَا زُقَّتْ أَوْ كَانَ مَرْبُوبًا فَهُوَ
الْوَطْبُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَرْبُوبًا وَلَا مُزْفَتًا فَهُوَ سِقَاءٌ وَنَحْيٌ ، وَالْوَطْبُ يُكُونُ
لِللَّبَنِ وَالسَّمَنِ ، وَالسَّقَاءُ يُكُونُ لِللَّبَنِ وَالْمَاءِ .

قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ لَمَّا رَجَعَ مُسْلِمًا مِنْ عِنْدِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ فِي لَيْلَةِ الْفَتْحِ فَصَاحَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا
إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَأَسْلِمُوا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ آتَاكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، فَأَخَذْتُ
هِنْدَ رَأْسَهُ ، وَقَالَتْ : بئسَ طَلِيعَةُ الْقَوْمِ أَنْتَ ، وَاللَّهِ مَا خُدِشْتَ خَدَشًا ،
يَا أَهْلَ مَكَّةَ عَلَيْكُمْ الْحَمِيَّةُ الدَّسِيمَ فَاقْتُلُوهُ .

وَأَمَّا قَوْلُ رُوَيْبَةَ كِرَافِيُّ الشَّحْمِ يَرِيدُ طَبَقَاتِ الشَّحْمِ . وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي
السَّحَابِ إِذَا رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، يُقَالُ لَهُ كِرْفِيٌّ وَالجَمِيعُ كِرَافِيٌّ (قَالَ أَبُو
الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : وَاحِدُ الْكِرَافِيِّ كِرْفِيَّةٌ ، وَهَاءُ التَّأْنِيثِ إِذَا جُمِعَتْ جَمَعَ
التَّكْسِيرِ حُذِفَتْ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ بِمَنْزِلَةِ اسْمِ ضَمٍّ إِلَى اسْمٍ ، وَأَحْسِبُ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ
لَمْ يَسْمَعْ الْوَاحِدَ مِنْ هَذَا فَقَاسَهُ وَالْعَرَبُ تَجْتَرِي عَلَى حَذْفِ هَاءِ التَّأْنِيثِ

(١) أي شق لحم . (٢) هي مثل الكيس وتكون من جلد .

(٣) مثنى ذفري ، وهي العظم الشاخص خلف الأذن .

إذا احتاجت إلى ذلك ، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد استعملت
الواحدة بالهاء ، ونظير هذا قولهم ما في السماء كرفئة ، وما في السماء قد عملة
وقد عملة ، وما في السماء طخرية وطخرية ، وما في السماء قرطبة ، وما في
السماء كنهورة ، وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه .

باب

قال أبو العباس : قال حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي
من تيم بن مرة بن كعب بن لؤي رهط أبي بكر الصديق
رضي الله عنه :

لو كنت من هاشم أو من بني أسد	أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو رهط مطلب	لله ذك (١) لم تهتم بتهديدي
أو في الذوابة من قوم ذوى حسب	لم تصبح اليوم نكسائي الجيد (٢)
أو من بني زهرة الأخيار قد علموا	أو من بني مجح البيض المناجيد
أو في السرارة من تيم رصيت بهم	أو من بني خلف الخضر الجلاعيد
يا آل تيم ألا تنهوا سفهكم	قبل القذاف بقول كالجلاويد (٣)
لولا الرسول فإني لست عاصيه	حتى يغيبني في الرمس ملحودي

(١) هي هنا عبارة تهكم . (٢) رواية الديوان : مائل العود .

(٣) الرواية : بأمثال الجلاويد .

وَصَاحِبُ الْعَارِإِ نِي سَوْفَ أَحْفَظُهُ وَطَلْحَةَ بْنَ عُيَيْدِ اللَّهِ ذِي الْجُودِ
لَقَدْ رَمَيْتُ بِهَا شَنْعَاءَ فَاحْصَةً يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كَالْمُودِي

قوله: لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ،
والنضر أبو قريش ، ومن كان من بني كنانة لم يلبده النضر فليس بقريشي .
وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي . وعبد شمس بن عبد مناف بن قصي .
وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصي ، واللواء ممدود إذا أردت به لواء
الأمير ، ولكنه احتاج إليه فقصره ، وقد بيننا جواز ذلك ، فأما اللوى من
الرمل فقصور ، قال امرؤ القيس :

* بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٌ ^(١) * كَذَا يرويه الأصمعي
وهذه أصح الروايات .

وقوله أو من بني نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصي . والمطلب
الذي ذكره هو ابن عبد مناف بن قصي ، وقوله لم تصبح اليوم نكسًا ،
فالنكسُ الدنيءُ المقصر ^(٢) ويقول بعضهم إن أصل ذلك في السهم ، وذلك
أن السهم إذا ارتدع ^(٣) أو نالته آفة نكس في الكنانة ^(٤) يُعرَف من غيره
قال الحطيئة :

(١) في نسخة الشيخ المرصفي : وحومل ، وبني على ذلك أن رواية الأصمعي بالواو لا بالفاء ،
وتعليقه أن « بين » إنما تضاف لمتعدد ، ثم قال انه رأى العطف بالفاء مع بين في كثير من شعر
العرب . (٢) يريد المقصر عن النجدة والسكرم .
(٣) أى أصاب اندف وانكسر عوده . (٤) أى جعل أعلاه أسفله .

قَدْ نَاصَلُوكَ فَأَبَدُوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبَلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ
قوله: مجدًا تليدًا قالوا نواصي الفرسان^(١) الذين كان يُمنُّ عليهم ، وقوله ثاني
الجيد قد مرّ تفسيره في قول الله عز وجل : « ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ » وقوله أو من بنى زُهْرَةَ ، فهو زُهْرَةُ بن كِلَاب بن مُرَّة . وَيُرْوَى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خُلِقْتُ مِنْ خَيْرِ حَيَيْنٍ مِنْ هَاشِمٍ
وَزُهْرَةَ . وبنو جُحَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي .

وقوله : المناجيد مفاعيل من النَّجْدَةِ والواحد مِنْجَادٌ ، وإنما يقال ذلك
في تكثير الفعل كما تقول رجلٌ مِطْعَانٌ بِالرُّمَحِ وَمِطْعَامٌ لِلطَّعَامِ ، وقوله : أو
في السرارة من تيمِّ رضيتُ بهم ، يقول في الصَّيِّمِ مِنْهُمْ وَالْمَوْضِعِ الْمَرْضِيُّ ،
وأصل ذلك في الثَّرْبَةِ ، تقول العرب : إِذَا غَرَسْتَ فَاغْرِسْ فِي سَرَارَةِ الْوَادِي ،
ويقال فلانٌ فِي سِرِّ قَوْمِهِ ، وَالسَّرَّةُ مِثْلُ ذَلِكَ ، قال القُرَشِيُّ :

هَلَّا سَأَلْتِ عَنِ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا كَرَمَ الْبِطَاحِ وَخَيْرِ سُرَّةِ وَاِدِ
وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ
يُخْبِرُكَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ يُيُوتَنَا مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الْأَوْتَادِ

وقوله : أو من بنى خَلْفَ الْخَضْرِ ، فإنه حَدَفَ التَّنْوِينَ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ،
وليس بِالْوَجْهِ ، وإنما يُحَدَفُ مِنَ الْحَرْفِ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ حُرُوفُ الْمَدِّ
وَاللَّيْنِ ، وَهِيَ الْأَلْفُ الْمَفْتُوحُ مَا قَبْلَهَا ، وَالْيَاءُ الْمَكْسُورُ مَا قَبْلَهَا ، وَالْوَاوُ
الْمُضْمُومُ مَا قَبْلَهَا ، نحو قولك هَذَا قَفَا الرَّجْلِ ، وَقَاضَى الرَّجْلِ ، وَيَنْزُو

(١) أى شعور النواصي .

القوم ، فأما التنوين فجاز هذا فيه لأنه نون في اللفظ ، والنون تُدغمُ في الياء والواو ، وتزاد كما تزداد حروف المد واللين ، ويُبدلُ بعضها من بعض ، فتقول رأيتُ زيداً فتُبدلُ الألف من التنوين ، وتقول في النسب إلى صنعاء^(١) وبهراء^(٢) صنعاني وبهزاني ، فتُبدلُ النون من ألف التانيث ، وهذه جملةٌ وتفسيرها كثير ، فلذلك حُذِف ، ومثل هذا من الشعر :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافٌ^(٣)
(صوابه عَمْرُو الْعَلِيِّ) وقال آخر :

مُحَمَّدُ الَّذِي أَمَجَّ دَارَهُ أَخُو الْخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَعِ

وقرأ بعض القراء « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ » وسمتُ عمارة بن عَقِيلٍ يَقْرَأُ « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » ، فقلتُ ما تريد ؟ فقال : سابقُ النهار ، وقوله : أو أصحاب اللوا ، خَفَّفَ الهمزة ، وَخُفِّفَ إِذَا كَانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ ، فَتَطْرَحُ حركتها على الساكن وتُحذَفُ كقولك مَنْ أَبوكَ ، وقوله عز وجل : « الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » وَخَلَفَ الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ بَنِي مُجَشَّعِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وقوله : الْخُضْرُ الْجَلَاعِيدُ ، يقال فيه قولان : أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم كما قال الفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

(١) قصة اليمن . (٢) قبيلة باليمن .

(٣) صواب الرواية :

عمرُو الملا هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف
وقبله : كانت قريش بيضة فتفقات فالبح خالصه لعبد مناف
الخاطين فقيرم بغنيهم والظانين لرحلة الايلاف
والرائشين وليس يوجد رائش والقاتلين هلم للأضياف

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ

فهذا هو القول الأول ، وقال آخرون شبههم في جُودهم بالبُحور^(١) ، وقوله :
الجلعيد ، يريد الشَّدَادَ الصَّلَابَ واحدهم جَلَعْدٌ ، وزاد الياء للحاجة ، وهذا جمعٌ
يحيى كثيراً ، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة ، فَتَشْبَعُ فتصير ياءً ، يقال في
خاتمِ خَوَاتِيمٍ ، وفي دَانِقٍ دَوَانِيقٍ ، وفي طَابَقٍ طَوَائِقٍ ، قال الفَرَزْدَقُ :
تَنَنِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَنَى الدَّرَاهِمِ تَنَقَّادُ الصَّيَارِيفِ
وقوله : قبل القذاف يريد المُقَادِفَةَ ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو
المُقَاتِلَةِ والمُشَاتِمَةِ ، فباب فاعَلْتُ إنما هو للثنتين فصاعداً ، نحو قَاتَلْتُ
وضَارَبْتُ ، وقد تكون الألف زائدة^(٢) في فاعَلْتُ فتُبْنَى للواحد ، كما زيدت
الهمزة أولاً في أفعلْتُ فتكون للواحد نحو عاقَبْتُ اللصَّ ، وعافاه اللهُ ،
وطارَقْتُ نَعْلِي .

وقوله : وصاحب الغار ، يعني أبا بكرٍ رضي اللهُ عنه لمصاحبه النبي صلى اللهُ
عليه وسلم في الغار ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تفسير . وطلحة بن عبيد الله
ذو الجود ، نسبه إلى الجود لأنه كان من أجود قُرَيْشٍ ، وحدثني التَّوْرِيُّ
قال : كان يقال لطلحة بن عبيد الله ، طَلْحَةُ الطَّلَاحَاتِ ، وطلحُ الخَيْرِ ،
وطلحَةُ الجودِ .

وذكر التَّوْرِيُّ عن الأصمعي أنه باع ضَيْعَةً له بخمسة عشر ألف درهم
فَقَسَمَهَا فِي الأطْبَاقِ^(٣) ، وفي بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى المسجدِ

(١) لما يرى من لون الحضرة في مياهها .

(٢) أي لا تدل على المشاركة في الفعل وان دلت على التأكيد .

(٣) أي في جماعات الناس والمفرد طبق بالتحريك ، ومم أيضا الأجنب ، ففي حديث ابن مسعود في

أشراط الساعة : توصل الأطباق وتقطع الأرحام .

أَنْ لُقِّقَ لَهُ بَيْنَ ثَوْبَيْنِ (١).

وحدثني العُتْبِيُّ فِي إِسْنَادٍ ذَكَرَهُ قَالَ : دَعَا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعِثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ الْغُلَامُ بِشَيْءٍ أَرَادَهُ ، فَقَالَ طَلْحَةُ يَا غُلَامُ ، فَقَالَ الْغُلَامُ : لَبَّيْكَ ! فَقَالَ طَلْحَةُ : لَا لَبَّيْكَ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَا يَسْرُنِي أَنْي قُلْتَهَا ، وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَقَالَ عُمَرُ : مَا يَسْرُنِي أَنْي قُلْتَهَا وَلِي نِصْفُ الدُّنْيَا ، وَقَالَ عِثْمَانُ : مَا يَسْرُنِي أَنْي قُلْتَهَا وَأَنْ لِي مُجْرُ النَّعَمِ ، قَالَ : وَصَمَّتْ عَلَيْهَا أَبُو مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ بَاعَ ضَيْعَةً بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِشَمَنِهَا .

وقوله : * يَظَلُّ مِنْهَا صَاحِبُ الْقَوْمِ كَالْمُودِيِّ * فالمودى فى هذا الموضع الهالك ، وللمودى موضع آخر يكون فيه القوى الجادّ حدثنى بذلك التّوّزى فى كتاب الأضداد ، وأنشدنى .

* مُودُونَ يَحْمُونَ السَّبِيلَ السَّابِلَا * (المودى بالهمز : التام الأداة والسلاح ، وبغير الهمز الهالك) وقال رجل من العرب :

خَلِيلِي عَوْجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَمَا عَلَى قَبْرِ أَهْبَانٍ سَقَمْتُهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْجِي تَقَنَّفُ مُتَبَاعِدُ
إِذَا نَارَعَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عِيًّا وَلَا عَيْبًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ

قوله : على قَبْرِ أَهْبَانٍ ، فهذا اسم علم كزيد وعمر وواشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ وَهَمَزَ الْوَاوَ لِانْتِصَامِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ » فهو فُعَلَتْ مِنْ الْوَقْتِ ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرَ هَمَزِ الْوَاوِ إِذَا انْضَمَّتْ ، وَهُوَ لَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ

(١) أى ضم أحدهما إلى الآخر .

وينصرف في النكرة ، وكل شيء لا ينصرف فَصَرَفُهُ في الشعر جائز لأن أصله كَانَ الصَّرْفَ فلما احتيج إليه رُدَّ إلى أصله ، فهذا قولُ البصريين ، وزعم قوم أن كل شيء لا ينصرف فَصَرَفُهُ في الشعر جائز إلا أَفْعَلَ الذي معه منك نحو أَفْضَلَ منك وأَكْرَمَ منك . وزعم الخليل ، وعليه أصحابه ، أن هذا إذا كانت معه منك بمنزلة أَمْحَرَ ، لأنه إنما كَمَلَ أن يكون نَعْتًا بمنك ، وأَمْحَرُ لا يحتاج إليها ، فهو مع منك بمنزلة أَمْحَرَ وَحْدَهُ ، قال والدليل على أن منك ليست بمانِعَةٍ من الصرف أنه إذا زال عن بنا. أَفْعَلَ أَنْصَرَفَ نحو قولك مررتُ بِخَيْرٍ منك وَشَرٍّ منك ، فلو كانت منك هي المانِعَةُ لَمَنَعَتْ هاهنا فهذا قولٌ بَيْنٌ جَدًّا .

وقوله : المَرْجِي ، فهو الضعيف ، يقال : زَجَى فلان حاجتي : أى خَفَّ عليه تَعَجُّلُهَا ، والمَرْجَاةُ من البضائع اليسيرة الخفيفة المحمل ، والنَّفْنَفُ وجمعه النَّفَائِفُ كُلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفضٍ ، قال ذو الرمة :

(تَرَى قُرْطَهَا فِي وَاصِحِ اللَّيْتِ مُشْرِفًا عَلَى هَـمَلِكِ) فِي تَفْنَفٍ يَتَطَوَّحُ
وقوله : ولا عِبْنًا عَلَى من يقاعدُ ، فالعِبُّ الثَّقَلُ يقال حَمَلُ عِبْنًا ثَقِيلًا ، وَوَكْدُهُ بقوله ثَقِيلًا ، ولو لم يقله لم يَحْتَجِ إليه ، وقال آخر يذكر ابنه :

أَلَا يَا سُمَيَّةُ شَيْبَى الْوَقُودَا لَعَلَّ الْأَسْيَالِي تُوَدِّى يَزِيدَا
فَنَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ غَائِبٍ إِذَا مَا الْمَسَارِيحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِي الَّذِي كُنْتُ أَسْعَى لَهُ فَصَارَ أَبَا بِي وَصِرْتُ الْوَالِيدَا

وقوله : شَيْبَى يقال شَبَبْتُ النَّارَ والحَرْبَ إِذَا أَوْقَدْتَهُمَا يقال شَبَّ يَشْبُ شَبًّا ،

قال الأعشى :

تُسَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِيهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

وقوله : إذا ما المسارح كانت جليداً فالمسارح الطُّرُقُ التي يَسْرَحون فيها ، واحدها مَسْرَحٌ ، والجليدُ يقع من السماء ، وهو نَدَى فيه جُهوْدٌ ، فتَبَيَضُّ له الأرض ، وهو دون الثلج ، يقال له : الجليدُ والضربُ ، والسَّقِيطُ والصَّقِيعُ^(١) وقالوا في قوله : * رَجَلًا عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ * أى يصيبها الضربُ وقوله : وكنتُ الوليدَ فالوليد الصغير وجمعه ولدانٌ وهو في القرآن (قوله عز وجل : « يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ » ونظير وليدٍ وولدانٍ ظَلِيمٌ وظَلَمَانٌ وقَضِيبٌ وقَضْبَانٌ^(٢) وباب فُعَالٍ فَعْلَانٌ نحو عِقْبَانٍ وِدْبَانٍ وغِرْبَانٍ .

وقولهم : أمرٌ لا يُنادى وِلِيدُهُ يقال فيه قولان متقاربان ، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغَارُ ، والوجه الآخر لأصحاب المعاني يقولون ليس فيه وِلِيدٌ فيُدْعَى ، ونظير ذلك قول النابغة الجعدي :

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيحِهَا وَصَوْتَ نَوَاقِيسٍ لَمْ تُضْرَبِ

أى لَيْسَتْ نَمَّ^(٣) ، ولكن هذا من أوقاتها ، وقالت أخت طرفة بن العبد :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَافَاهَا^(٤) اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا

(١) استعملت العرب من هذه الأسماء أفعالاً مبنية للمجهول ، فقالوا : جلدت الأرض وضربت وصقت إذا أصابها ذلك ، وقالوا : أجلد القوم وأضربوا وأصعقوا إذا أصابهم ذلك ، ولم يستعملوا من السقيط فعلاً . (٢) بكسر الأول منهما وضمه ، والضم هو المتردد في فعلان جمع فيعل . (٣) يريد ليست هناك نواقيس فضرِب . (٤) أى أكملها .

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وِلِيدًا وَلَا قَحْمًا
 الوليد ما ذَكَرْنَا ، والقَحْمُ الرجل المتناهي سِنًا ، ويقال ذلك في البعير قَحْمٌ
 وَقَحْرٌ وَمُقْلَحِمٌ ، ويقال للبعير خاصَّةً قُحَارِيَّةٌ بوزن قُرَاسِيَّةٍ ، وأنشد الأصمعيّ :
 رَأَيْنَا قَحْمًا شَابَ وَأَقْلَحَمًا طَالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمًا
 المُسْلَهَمُ الضامر ، وقال آخر لابنه يرثيه :

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ بَتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرَى ^(١) وَبَتَّ بِمَا زَوَّدَتْ نِيَّ مُتَمَتِّعًا
 وَلَوْ أَنَّ نِيَّ أَنْصَفْتُكَ الْوَدَّ لَمْ أَبْتَ خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِي فِي الثَّرَى مَعَا
 وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمدًا :

أَبَا الْمَنَازِلِ يَا عُبْرَ ^(٢) الْفَوَارِسِ مَنْ يُفْجَعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيْتُهُمْ أَوْ آنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفِهِمْ فَرَعَا
 لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسَلِّمْ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله : يا عُبْرَ الفوارس ، يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عُبْرُ الهواجِرِ
 وَعُبْرُ الشَّرَى ، وقوله * أو آنَسَ القلب من خوف لهم فرعًا * يقول أحسن ،
 وأصل الإيناس في العين ، يقال : آنَسْتُ شخصًا : أى أَبْصَرْتُهُ من بُعدٍ ،
 وفي كتاب الله عز وجل : « آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا » وقال مُتَمِّمُ
 ابن ثُوَيْرَةَ (يرثي أخاه) :

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لَمِيتِ ثَوِي بَيْنَ اللُّوِي فَالِدٌ كَادِكِ

(١) استشعر الثرى: لبسه كالشعار، وهو ما يلي شعر الجسد من الثياب *

(٢) عبر - مثلت العين - يستوى فيه الذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، يقال جل ونانة وجمال ونوق عبر أسفار: إذا كانت قوية .

فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى ذَرُونِي فَهَذَا كُفُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
الْأَسَى : الْحُزْنُ ، وَقَدِ مَرَّ تَفْسِيرُهُ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَلِّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَبِي الْعَبَّاسُ قَرَمُ بَنِي قُصَيٍّ وَأَخْوَالِي الْمُلُوكُ بَنُو وَليعَةَ
هُمْ مَنَعُوا ذِمَارِي يَوْمَ جَاءَتْ كِتَابُ مُسْرِفٍ وَبَنُو اللَّكِيعَةَ
أَرَادَ بِي الْبَتِي لَا عِزَّ فِيهَا خَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ مَنِيعَةَ
قوله : بنو وليعة فهم أخواله من كِنْدَةَ وَأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحِ الْكِنْدِيَّةِ ،
ثم أَحَدُ بَنِي وَليعَةَ ، وَقوله : كِتَابُ مُسْرِفٍ ، يعني مسلم بن عُقْبَةَ الْمُرِّيَّ
صاحبَ الْحَرَّةِ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يسمونه مسرفاً ، وَكَانَ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ جَمِيعاً
عَلَى أَنْ يَبَايعُوا يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ عَلَى أَنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَبْدٌ قَنِ لَهُ إِلَّا عَلِيٌّ
أَبْنُ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ حُصَيْنُ بْنُ ثَمِيمِ السَّكُونِيُّ مِنْ كِنْدَةَ : وَلَا يُبَايِعُ
أَبْنُ أُخْتِنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى مَا يُبَايِعُ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى أَنَّهُ
ابْنُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِلَّا فَالْحَرْبُ بَيْنَنَا ، فَأَعْفَى عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقُبِلَ
مِنْهُ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ هَذَا الشُّعْرُ لَدُنْكَ .

وقوله : بنو اللكيعة ، فهي اللثيمة ، ويقال في النداء للثيم : يَا لَكِعَ ،
وَاللَّثَانِي يَا لَكَاعَ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ مَعْرِفَةٍ كَمَا يَقَالُ يَا فُسُقُ وَيَا حُبْتُ ، فَإِنْ لَمْ
تَرِدْ أَنْ تَمُدَّهُ عَنْ جِهَتِهِ قَلْتَ لِلرَّجُلِ : يَا أَلَكِعُ ، وَاللَّثَانِي يَا لَكَمَاءَ ،
وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَةُ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ - وَالْأَصْلُ مَا ذَكَرْتُ
لَكَ : - لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِيَ أُمُورَ النَّاسِ لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ . فِهَذَا كِنْيَاةٌ

عن اللّيم بن اللّيم ، وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ، ولا ينصرف في المعرفة ، ولكاع يُبْنَى على الكسر ، وسنشرح باب فعَالٍ للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجزى من ذكره إن شاء الله ، وقد اضطرُّ الحُطَيْئَةُ فَذَكَرَ لَكَاعٍ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، فَقَالَ يَهْجُو امْرَأَتَهُ :

أَطَوْفُ مَا أَطَوْفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتُهُ لَكَاعٍ

قَعِيدَةُ الْبَيْتِ رَبَّةُ الْبَيْتِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ قَعِيدَةٌ لِقَعُودِهَا وَمِلَازِمَتِهَا ، وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ قُعْدَةٌ مِنْ هَذَا ، وَهُوَ الَّذِي يَرْتَبِطُهُ صَاحِبُهُ فَلَا يُفَارِقُهُ ، قَالَ الْجَعْفِيُّ :

لَكِنْ قَعِيدَةٌ يَبْتِنَا مَجْفُوءَةٌ بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا وَلَهَا غِنَى

الْجَنَاجِنُ: مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْهَزَالِ مِنْ أَطْرَافِ صُلُوعِ الصَّدْرِ وَاحِدُهَا جَنْجِنٌ .



وقال هشام أخو ذى الرُّمَّةِ^(١) :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفَنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مُتْرَعٌ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَّ الْقَرَحِ بِالْقَرَحِ أَوْجَعُ

غَيْلَانُ: هُوَ ذُو الرُّمَّةِ ، وَكَانَ هِشَامٌ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ .

حدثني العباس بن الفرَجِ فِي إِسْنَادِ ذِكْرِهِ يَعْزُوه إِلَى رَجُلٍ أَرَادَ سَفَرًا

فَقَالَ قَالَ لِي هِشَامُ بْنُ عُقْبَةَ: إِنَّ لِكُلِّ رُفْقَةٍ كَلْبًا يَشْرِكُهُمْ فِي فَضْلَةِ الزَّادِ

(١) قبل هذين البيتين :

نمى الركب أوفى حين آبت ركبهم لعمرى لقد جاءوا بشر فأوجعوا
نموا باسق الأخلاق لا يخلفونه تكاد الجبال الصم منه تصدع

وَيَهْرُ دُونَهُمْ ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَلَّا تَكُونَ كَلْبَ الرَّفْقَةِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ وَتَأْخِيرَ
الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا ، فَإِنَّكَ مُصَلِّئُهَا لَا مَحَالَةَ ، فَصَلِّهَا وَهِيَ تُقْبَلُ مِنْكَ .
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :

تَقُولُ شَعْنَاءُ لَوْ صَوَّتَ عَنِ الْكَأْسِ لِأَصْبَحْتَ مُثْرَى الْعَدَدِ
(هِيَ امْرَأَتُهُ وَهُوَ اسْمُهَا) :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ^(١) فِي فَلَقِ الصُّبْحِ وَصَوْتَ الْمَسَامِرِ الْغَرْدِ
لَا أَخْدِشُ أَخْدِشُ بِالْجَلِيسِ وَلَا يَخْشَى نَدِيمِي إِذَا انْتَشَيْتُ يَدِي
يَأْبَى لِي السَّيْفُ وَاللِّسَانُ وَقَوْهُ مُمْ لَمْ يُضَامُوا كَلْبِدَةَ الْأَسَدِ
لِبِدَّةِ الْأَسَدِ : مَا يَتَطَارَقُ^(٢) مِنْ شَعْرِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ ، وَيُقَالُ أَسَدٌ ذُو لِبْدَةٍ
وَذُو لِبْدٍ .



وَحَدَّثَنِي مُحَارَةُ قَالَ : مَرَضَ جَرِيرٌ مَرَضَةً شَدِيدَةً ، فَعَادَتْهُ قَيْسٌ فَقَالَ :
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَوْمٍ زَيْنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرَضْتُ فَهَمُّ أَهْلِي وَعَوَّادِي
لَوْ خِفْتُ لَيْثًا أَبَا سُبُلَيْنٍ ذَا لِبْدٍ مَا أَسَامُونِي لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِي
إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي
وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامٍ ، وَهُوَ يُهَاجِرُ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ :

(١) الندمان: بفتح النون هو النديم وجمعه ندامى وندام . (٢) يتراكب بعضه فوق بعض .

فَأَمَّا قَوْلَكَ الْخُلَفَاءَ مِنَّا فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجٍ^(١)
وَلَوْ لَاهُم لَكُنْتَ كَحَوْتِ بَحْرِ هَوَى فِي مُظْلِمِ النَّمَرَاتِ دَاجِي
وَ كُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدِ بَقَاعِ يُسَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ^(٢) وَاجِي^(٣)
فكتب معاوية إلى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقادفا ، فضرب عبد الرحمن
ابن حسان ثمانين ، وضرب أخاه عشرين ، فقيل لعبد الرحمن بن حسان : قد
أمكنك في مروان ما تريد ، فأشدد بذكره ، وازفعه إلى معاوية ، فقال
إذا والله لا أفعلُ وقد حدثني كما تُحدثُ الرجالُ الأحرارُ ، وجعل أخاه كنصف
عبد ، فأوجعه بهذا القول .



ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسمعه زُبورُ جفاء أباه يبكي ، فقال له :
مالك ؟ فقال : لسعني طائرُ كأنه مُلتفٌّ في بُردَى جِبْرَةٍ^(٤) . قال : قلت
والله الشعر^(٥) . ويروى أن معلمه عاقب الصُّبَّيَّانِ على ذنبٍ وأراده
بالعقوبة ، فقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُتَبَدِّئًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَسِييَا
وَأَعْرَقُ قَوْمٍ كَانُوا فِي الشَّعْرِ آلِ حَسَّانَ فَإِنَّهُمْ يَعْتَدُونَ سِتَّةً فِي نَسَقِ كُلِّهِمْ

(١) الوداج مصدر ودجه: أى قطع ودجه ، والمراد أنهم منعوا وريده من القطع . (٢) الحجر

(٣) أصله واجي بالهمز من الوجه ، وهو الدق والضرب .

(٤) ضرب من ثياب اليمن ذو حمرة تضرب إلى سواد .

(٥) أراد أصل الشعر وهو جودة الخيال .

شاعرٌ ، وهم سَعِيدُ بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنذِر بن حرام ،
وبعد هؤلاء في الوقت آلُ أبي حفصة فإنهم أهل بيت كلُّهم شاعرٌ يتوارثونه
كأبراً عن كابرٍ .

ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت :
ما تريدون إليه ؟ فقالوا : جئنا لِنُهَاجِيَهُ ، فقالت وهي صَبِيَّةٌ :

تَجْمَعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوَجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زَلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ
فهذه بلغت بطبعها على صِغَرِهَا مَبْلَغَ الْأَعْشَى فِي قَلْبِ هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ
يقول لهوذة بن علي :

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدًا

باب

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : علموا أولادكم العزمَ والرَّمايَةَ ، ومروهم فليشبهوا على الخيل وثبًا ، وروؤهم ما يحمل من الشعر .

وفي حديث آخر : وخيرُ الخلقِ للمرأة المِغزَلُ .

ويروى عن الشعبي أنه قال : قال عبد الله بن العباس قال لى أبى : يا بنى إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عني ثلاثًا : لا يجربنَّ عليك كذبًا ، ولا تنقب عنه مسلمًا ، ولا تُفشينَّ له سرًّا ، قال فقلت له : يا أبه ، كلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من ألف ، فقال : كلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من عشرة آلاف .

وحدثني العباس بن الفرَج في إسناد ذكره قال : نُظِرَ إلى عمرو ابن العاصى على بَغَالَةٍ قد شِمِطَ^(١) وجهها هرماً فقليل له : أتره كب هذه وأنت على أكرم ناخرة^(٢) بمصر ؟ فقال لا مثلَ عندى لدابتى ما حملت رجلى ، ولا لأمرأتى ما أحسنت عِشرتى ، ولا لصديق ما حفظ سِرِّى ، إن المَلَل من كواذب الأَخلاق .

قوله : على أكرم ناخرة يريد الخيل ، يقال للواحد ناخرة ، وقيل : ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بَغَالٌ وحمَّارٌ ، والجماعة البَغَالَةُ والحمَّارَةُ ، وكذلك

(١) أى ابيض . (٢) النخير : صوت يمد في خياشيم الأنف ، والمراد أنه سيد البلاه .

تقول أتنى عَصْبَةَ نَبِيلَةٍ ، وقبيلة شَرِيفَةٍ ، والواحد نَبِيلٌ وشَرِيفٌ .

وشاورَ مُعَاوِيَةَ عَمْرًا فِي أَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وكان هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ أَحَدَ فُرْسَانَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ (وهو المِرْقَالُ) فَأَتَى بِابْنِهِ مُعَاوِيَةَ ، فشاوَرَ عَمْرًا فِيهِ ، فقال : أرى أن تقتله ، فقال له معاوية : إني لم أر في العفو إلا خَيْرًا ، فمضى عمرو مُغَضَّبًا ، وكتب إليه :

أَمْرُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي وَكَانَ مِنَ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمِ
أَلَيْسَ أَبُوهُ يَا مُعَاوِيَةَ الَّذِي أَعَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ حَزْرِ الْغَلَّاصِمِ^(١)
فَقَتَلْنَا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمَائِنَا بِصِفَيْنِ أَمْثَالِ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
وَهَذَا ابْنُهُ وَالْمَرْءُ يُشْبَهُ عَيْصَةَ^(٢) وَيُوشِكُ أَنْ تُلْقَى بِهِ جِدًّا نَادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم ، فكتب إليه عبد الله بن هاشم :

مُعَاوِيَةُ إِنْ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ضَعِيفَةٌ خَبَّ غَشِبَهَا غَيْرُ نَأْمِ^(٣)
يَرَى لَكَ قَتْلِي يَا ابْنَ هِنْدٍ وَإِنَّمَا تَرَى مَا يَرَى عَمْرٌ وَمُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
عَلَى أُنْهُمُ لَا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ إِذَا كَانَ مِنْهُ يَبْعَةٌ لِلْسَّالِمِ
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنِ ذِي قَرَابَةٍ وَإِنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلُّ مَحَارِمِي

فَصَفَحَ عَنْهُ .

وقال عمرو لعائشة رحمها الله : لو ددت أنك كنت قتلت يوم الجمل !
فقالت : ولم لا أبالك ؟ فقال : كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ،
ونجعلك أكبر التشنيع على علي .

(١) جمع الغلصة وهي رأس الحقوم . (٢) العيس : الأصل .

(٣) الحب : الحداع الحبث .

وحدثني العباس بن الفرَج الرِّياشِيُّ في إسناده ذكره آخره ابن عباس قال : دخلت على عمرو بن العاص وقد احتَضِرَ فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خذْ ذلك الصُّنْدُوقَ ، فقال لا حاجة لي فيه ، قال إنه مملوء مالا ، قال : لا حاجة لي به ، فقال عمرو : ليته مملوء بَعْرًا ! قال فقلت يا أبا عبد الله : إنك كنت تقول أشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف يَجِدُ فكيف تَجِدُك ؟ قال : أجد السماء كأنها مُطَبَّقةٌ على الأرض ، وأنا بينهما ، وأراني كأنما أتَنَفَّسُ من خَرَّتِ إِبْرَةِ ، ثم قال : اللهم خذْ مني حتى تَرْضَى ، ثم رفع يديه ، فقال : اللهم أَمَرْتَ فَعَصَيْنَا ، وَنَهَيْتَ فَرَكَبْنَا ، فلا برى فَاغْتَدِرْ ولا قوياً فَاَتْتَصِرْ ، ولكن لا إله إلا الله ثلاثاً ، ثم فاض .

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّياشِيِّ بآتم من هذا ، ولكن اقتصرنا على هذا لثقة إسناده .

قوله : من خَرَّتِ إِبْرَةَ ، يعني من ثَقَّبِ إِبْرَةَ ، يقال للدليل خَرَّيتُ . وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يَهْتَدِي لمثل خَرَّتِ الإِبْرَةَ ، وقوله : فاض ، أي مات ، يقال : فاض ، وفاد ، وفطس ، وفاز ، وفوز كل ذلك في معنى الموت ، ولا يقال فاض بالضاد إلا للناء ، قال رؤبة :

* لَا يَدْفِنُونَ مِنْهُمْ مَنْ فَاظًا *

وقال ابن جُرَيْجٍ :

* أَمَا رَأَيْتَ الْمَيِّتَ حِينَ فَوَّظَهُ *

ومَنْ قَالَ ذَلِكَ لِلنَّفْسِ قَالَ فَاظَتْ نَفْسُهُ شَبَّهَهَا بِالْإِنَاءِ .

وحدثني أبو عثمان المازني أحسبه عن أبي زيد قال : كل العرب يقولون فاضت نفسه إلا بني ضبة فإنهم يقولون فاضت نفسه ، وإنما الكلام الصحيح فاظ بالطاء إذا مات .



وفي الحديث أن امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت : فاظ ، وإله يهود . وحدثني مسعود بن بشر قال قال زياد : الإمرة تذهب الحفيظة ، وقد كانت من قوم إلى هنات جعلتها تحت قدمي ، ودبر أذني ، فلو بلغني أن أحدكم قد أخذ السل من بغي ما هتكت له سترًا ، ولا كشفت له فناعًا ، حتى يبدى لي عن صفحته ، فإذا فعل لم أناظره .

وسمع زياد رجلًا يسب الزمان فقال : لو كان يدري ما الزمان لصربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان .

وفي عهد أزدشير : وقد قال الأولون منّا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان .

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه : إذا وليتم فليبنوا للمحسن واشتدوا على المريب ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : إن الله ليرع بالسلطان ما لا يرع بالقرآن .

قوله : يرع أي يكف يقال وزع يرع إذا كف ، وكان أصله يرع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة

الياء لثلاثا يختلف الباب ، وهي الهمزة ، والنون ، والتاء ، والياء نحو أَعِدُّ ،
وَنَعِدُّ ، وَتَعِدُّ ، وَيَعِدُّ ، ولكن انفتحت في يَزَعُ من أجل العين لأن حروف
الحلق إذا كُنَّ في موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ في الفعل الذي ماضيه
فَعَلَ ، وإن وقعت الواو مما هي فيه فإم في يَفْعَلُ المفتوحة العين في الأصل
صَحَّ الفِعْلُ ، نحو : وَحَلَ يَوْحَلُ ، وَوَجَلَ يَوْجَلُ ، ويجوز في هذه المفتوحة
ياحَلُّ وياجَلُّ وَيَيْحَلُّ وَيَيْجَلُّ ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء ، تقول وزَعْتُهُ
كففته ، وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهياته ، وهو من الله عز وجل
توفيق ، ويقال أوزعك الله شكره ، أي وفقك الله لذلك .



وقال الحسن^(١) مرة : ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشرط ؟ فلما ولي
القضاء كثُرَ عليه الناس فقال : لا بُدَّ للناس من وزعة .

وخطبَ الحجاجُ بن يوسف ذات يومٍ يوم الجمعة ، فلما توسَّطَ كلامه
سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال :
يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق ، يا أهل النفاق ، وسَيِّئِ الأَخْلَاقِ ،
يا بني اللكيعة ، وعبيد العَصَا ، وأولاد الإماء ، إني لأسمعُ تكبيراً ما يُرَادُ اللهُ
به ، إنما يراد به الشيطانُ ، وإن مثلي ومثلكم قولُ ابنِ بَرَّاقَةَ الهَمْدَانِي :

وَكَنتُ إِذَا قَوْمٌ رَمَوْني رَمَيْتَهُمْ أَنهَلُ أَنَا فِي ذَا يَالِ هَمْدَانَ ظَالِمٌ
مَتَى تَجْمَعُ القَلْبَ الذِّكْرِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ المَظَالِمُ

(١) يريد الحسن بن الحسن البصري .

ثم نزل فصلي بهم . قوله : يا أهل الشقاق ، فالمشاقفة المعادة ، وأصله أن يركب ما يشق عليه ، ويركب منه مثل ذلك ، والنفاق : أن يسر خلاف ما يبدي هذا أصله ، وإنما أخذ من النافقاء ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع ، وذلك أنه أخفاها ، وإنما يظهر من غيره ، وجحره أربعة أبواب : انفاق والراهطاء والدماء والسايباء وكلها ممدودة ، ويقال للسايباء القاصعاء ، وإنما قيل له السايباء لأنه لا ينفذه فيبقى بينه وبين إنفاذه هنة من الأرض رقيقة ، وأخذ من سايباء الولد ، وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها الولد من بطن أمه . قال الأخطل يضرب ذلك مثلاً ليربوع بن حنظلة^(١) لأنه سمي باليربوع :

تُسَدُّ القاصِعاءَ عَلَيْكَ حَتَّى تُنْفِقَ^(٢) أَوْ تَمُوتَ بِهَا هُزَالاً

والعرب تزعم أنه ليس من صب إلا وفي جحره عقرب ، فهو لا يأكل ولد العقرب ، وهي لا تضربه ، فهي مسالمة له ، وهو مسالم لها ، وأنشد :

وَأَخْدَعُ مِنْ صَبِّ إِذَا خَافَ حَارِشًا^(٣) أَعَدَّ لَهُ عِنْدَ الذَّنَابَةِ عَقْرَبًا
(كلها بالمد ، ويقال بالقصر ، ويقال أيضا فيها على وزن فُعَلَةٌ نَفَقَةٌ ورُهْطَةٌ ودُمَّةٌ وقَصَمَةٌ . وحكى ابن القوطية في المقصور والمدود له

الرُهْطَاءُ كالرَاهِطَاءِ ، والنَّفَقَاءُ كالنَّافِقَاءِ ، والقَصَمَاءُ كَالْقَاصِعَاءِ . وحكى أيضا زيادة فقال : العانقاء جحرة الأرنب واليربوع ، والغايباء أيضا من جحرة اليربوع ، وأما قول أبي العباس في السايباء ، فهو مما قد رُدَّ عليه فيه ، وقد تبعه ابن ولاد ، وكلاهما غير مصيب ، وإنما السايباء وعاء فيه ماء صاف

(١) جد جرير الأكبر . (٢) أي تخرج من النافقاء .

(٣) الحارث صائد الضباب .

يَخْرُجُ مع الولد ، وهو الفَقْعُ ، وليس يخرج الولد فيه ، وقال الكُمَيْتُ :
وَقَفَّأَ فِيهَا الْغَيْثُ مِنْ سَائِيَاءِهِ^(١)

دَوَالِحِ^(٢) وَاقْفَنَ النَّجُومَ^(٣) الْبَوَاجِيسَا^(٤)

فَشَبَّهَ ماء الغيث بماء الساياء ، وإنما الجِلْدَةُ التي يكون فيها الولد الغِرْسُ ،
وقد تبع ابنُ القُوطِيَّةِ أبا العباس في الساياء في أنه من أسماء جِحْرَةِ اليربوع ،
وذلك غلط .

وقوله : بنو اللكيعة يريد اللثيمة ، وقد مرَّ تفسير هذا في موضعه ،
قال ابن قَيْسِ الرُّفَيَّاتِ يذكر قتل مُضْعَبِ بن الزُّبَيْرِ :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ يَوْمَ مَسْكِنَ والمُصِيبَةَ والفَجِيحَةَ^(٥)
بِابْنِ الحَوَارِيِّ الَّذِي^(٦) لَمْ يَعْذُهُ أَهْلُ الوَقِيعةِ
عَدَرَتْ بِهِ مُضَرُّ العِرا قِ وَأَمَكَنْتَ مِنْهُ رَيْعَهُ
فَأَصَبَتْ وَتَرَكِ يَارِييَعِ وَكُنْتَ سَامِعَةً مُطِيعَةً
يَاهُفَ لَوْ كَانَتْ لَهُ بِالطَّفِّ يَوْمَ الطَّفِّ شِيعةُ
أَوْ لَمْ يَخُونُوا عَهْدَهُ أَهْلُ العِراقِ بَنُو اللكِيعةِ
لَوْ جَدُّنَا حِينَ يَنْضَبُ لَا يُعْرَجُ بِالْمُضِيعةِ^(٧)

(١) قفأ : شقق ، وكذلك تفتأت السحابة : تشققت ونزل منها مطر كثير .

(٢) هي السحائب المنفلات ببناء والمفرد دالحة ، ويقال أيضا سحابة دلوح .

(٣) هي هنا الأنواء . (٤) أي التي يتنجس منها الماء وينفجر .

(٥) اسم موضع بالقرب من بغداد . (٦) الحواري : هو الناصر ، والمراد هنا الزبير بن العوام .

(٧) الرواية :

لوجدتموه حين يد لُج لا يعرس بالمضيعة

والتعريس : النزول في آخر الليل . والمضيعة : المكان الذي يضيع فيه من ينزل به .

وقوله : عبید العصا ، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالاذلال ، كما قال ابن
مُفَرِّغِ الحِمَيْرِي :

وَالْبَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةُ

وقال جرير يهجو التميم :

أَلَا إِنَّمَا تَمِيمٌ لَعَارٍ وَمَالِكٌ عَبِيدُ الْعَصَا لَمْ يَرْجُ عِتْقًا قَطِيبُهَا



وخطب النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ بِالْمَرْبِدِ عِنْدَ ظَهْوَرِ أَمْرِ
الْحِجَّاجِ عَلَيْهِ ، فقال : أيها الناس ، إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من
ذنب الوزغة تضرب به يميننا وشمالا فلا تلبث أن تموت . فسمعه رجل من
بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال : قبح الله هذا ،
يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ، ويعيدهم الغرور .

وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الأشعث وجهه به إلى
عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي ، وكان أسود
دميا ، فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الواقعة
إلا أنبأه به عرار في أصح لفظ ، وأشبع قول ، وأجزأ اختصار ، فشفاه
من الخبر وملا أذنه صوابا ، وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته^(١) عينه
حيث رآه ، فقال عبد الملك متمثلا :

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدُ
لَعَمْرَى عِرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
وَإِنَّ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ
فَأَيْ أَحِبُّ الْجُونَ ذَا الْمَشْكِبِ الْعَمَمِ
فَقَالَ لَهُ عِرَارٌ : أَتَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَنَا وَاللَّهِ عِرَارٌ !
فَزَادَهُ فِي سُرُورِهِ ، وَأَضْعَفَ لَهُ الْجَائِزَةَ .



وكتب صاحب اليمن إلى عبد الملك بن مروان في وقت محاربتة
ابن الأشعث : إني قد وجهتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم
ولم ير مثلها قط ، فلما دخل بها عليه رأى وجهها جميلاً ، وخلقاً نبيلاً ، فألقى
إليها قضيباً كان في يده ، فنكست لتأخذه فرأى منها جنماً بهراً ، فلما
همَّ بها أعلمه الأذن أن رسول الحجاج بالباب ، فأذن له ونحى الجارية ،
فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها :

سَائِلٌ مُجَاوِرَ جَرَمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهَا
حَرَبًا تَزِيلُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجِرَارٍ لَهُ جَبٌ
جَمُّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ
وَهَلْ تَرَكَتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً
فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْفُطُطِ

وتحتها (بيت آخر على غير الروي من الأبيات الأول وهو) :

قَتَلَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ
شَجَرُ الْعُرَى وَعَرَا عُرُ الْأَقْوَامِ

قال فكتب إليه عبد الملك كتابا ، وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث :

مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبُرِ عَظْمَهُ
حِفَاظًا وَيَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي

أَظُنُّ خَطُوبَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرَكَبٍ وَعَرٍ
وَإِنِّي وَإِيَاهُمْ كَمَنْ نَبَهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ تُنَبِّهْ بَاتَتِ الطَّيْرُ لَا تَسْرِي
أَنَاةً وَحِلْمًا وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا فَمَا أَنَا بِالْوَانِي وَلَا الضَّرْعِ الغُمْرِ
وَيُنشِدُ بالفاني ، ثم بات يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول : ما أفدتُ فائدةً
أحبَّ إليَّ منك ، فتقول : فما بالكَ يا أمير المؤمنين ، وما يمنعك ؟ فقال : يمنعني
ما قاله الأخطلُ لأنِّي إن خرجتُ منه كنتُ ألامَّ العَرَبِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَا زَرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ
فَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ أَوْ يَحْكُمُ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ . فلم
يَقْرَبْهَا حَتَّى قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

قوله : فرأى منها جسمًا بهرهُ ، يقال بهرَ الليلُ إذا سدَّ الأفقَ بظلمته ،
وبهرَ القمرُ إذا مَلَأَ الأرضَ ببهائه ، ومن ثم قيل للقمر الباهرُ ، أنشدني
المازنيُّ لرجل من بني الحارث بن كعب :

وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ السَّمَاءَ لَقَدْ زُرْنَا هِلَالًا يَجْحَفُ لِجَبِ
تَسْمَعُ زَجْرَ النُّكَاةِ بَيْنَهُمْ قَدَّمَ وَأَخَّرَ وَأَرْحِي (١) وَهِي (٢)
مِنْ كُلِّ هُدَاءَةٍ (٣) كَعَالِيَةِ الرَّؤ مَجِ (٤) أُمُونِ (٥) وَشَيْظَمِ (٦) سَلَبِ (٧)
وقال طفيلُ الغنويُّ يَصِفُ كيف تُزَجَّرُ الخيلُ فَجَمَعَهُ في بيت واحد :

(١) أرحي ، من أرحبت الشيء إذا وسعته .

(٢) هي بفتح الهاء ويقال هاب بكسر الباء ، وكلاهما زجر للخيل .

(٣) هي الفرس الضامر ذكرًا وأنثى . (٤) عالية الرمح سنانه .

(٥) أمون : وثيقة الخلق . (٦) الشيطم : الشديد من الخيل .

(٧) السلب بكسر اللام : هو الطويل .

وَقِيلَ أَقْدِمِي وَأَقْدِمِي وَأَخِّ وَأَخْرِي وَهَذَا وَهَلَا وَأَضْبُرُ وَقَادِعُهَا هَبِي
(قال أبو الحسن وأج) ومن زجر الخليل أيضاً هَقَبٌ وَهَقَطٌ ، وأنشدني
أبو عثمان المازني :

لَمَّا سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هَقَطُ عِلْمْتُ أَنْ فَارِسًا مُنْحَطُ
(قال الفراء هَقَطٌ بالكسر والفتح ويروى مُنْحَطٌ بدل مُنْحَطُ) وقوله : بين
الجَمِّ والفُرْطِ ، هما موضعان بأعيانهما ، وقوله : في ساحة الدار يَسْتَوِقِدْنَ بالعَبْطِ
يقال فيه قولان متقاربان أحدهما أَنهِنَّ قد يَيْسُنَّ من الرحيل فَجَعَلْنَ
مَرًّا كَيْهِنَّ حَطْبًا ، هذا قول الأصمعي ، وقال غيره بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ
من الاحتطاب ، والغَبِيطُ من مَرَّا كب النساء ^(١) وكذلك الحِدْجُ قال
امرؤ القيس :

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ النَّبِيطُ بِنَا مَعًا عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا أُمَّرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ
فَأَعْلَمَكَ أَنَّ النَّبِيطَ لَهَا ، وَالْمَحَامِلُ إِنَّمَا أَوْلُ مَنْ أَخَذَهَا الْحَجَّاجُ فِي ذَلِكَ
يقول الراجز :

أَوْلُ عَبْدِ عَمِلِ الْمَحَامِلَا أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا
وقوله : شجر العُرا ، فالعُرا : نبت بعينه إن ضُمَّ العَيْنُ ، والعُراء ممدوداً وَجْهُ
الأَرْضِ ، قال الله عز وجل « لَتُبْدَىٰ بِالعُراءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ » وقال الهذلي :
رَفَعْتُ رَجُلًا مَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ العُراءِ ثِيَابِي
وهذا التفسير والإنشاد عن أبي عبيدة ، وقوله : دون النساء ولو باتت

(١) وهو الرجل يشد عليه الهودج .

بأطهار، معناه أنه يجتنبها في طهرها، وهو الوقت الذي يستقيم له غشائها فيه، وأهل الحجاز يروون الأقرء الطهر، وأهل العراق يروونها الحيض، وأهل المدينة يعملون عدد النساء الأطهار، ويحتجون بقول الأعشى:

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَائِحٌ غَزْوَةٌ تَشُدُّ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَ

مُورِّثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَ

وقوله: ولو باتت بأطهار، فـ«لو» أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول لو جئتني لأعطيته، ولو كان زيد هناك لضربته، ثم تتسع فتصير في معنى «إن» الواقعة للجزاء تقول أنت لا تُكْرِمُنِي ولو أكرمتك، تريد وإن أكرمتك، قال الله عز وجل: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ» فأما قوله عز وجل: «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ» فإن تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل إن أفتدى به، فـ«لو» في معنى «إن» وإنما منع «لو» أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم «إن» أن حروف المجازاة إنما تقع لما لم يقع، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل، تقول إن جئتني أعطيتك، وإن قعدت عنى زرتك، فهذا لم يقع وإن كان لفظه لفظ الماضي لما أحدثته فيه «إن» وكذا متى أتيتني أتيتك «ولو» تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني، ولو ركبت إلى أمس لأفيتني، فلذلك خرجت من حروف الجزاء، فإذا أدخلت معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره، فهذا خلاف ذلك

المعنى ، ولا تقع إلا على الأسماء ، ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم إلا
وخبره مدلول عليه ، فاستغنى عن ذكره ، لذلك تقول لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لَضَرَبْتُكَ ،
والمعنى في هذا المكان من قرابتك ، أو صداقتك ، أو نحو ذلك ، فهذا معناها
في هذا الموضع ، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى ، وهي لَوْلَا
التي تقع في معنى هَلَّا التي للتخصيص ، ومن ذلك قوله : « لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا » ، أى هَلَّا ، وقال تعالى : « لَوْلَا
يَنبَاهُهُمُ الرَّبَّابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ » فهذه لا يليها إلا الفعل لأنها
للأمر والتخصيص مظهرًا أو مضمراً كما قال : (نَسِبَ لَجَرِيرٍ ^(١)) ، وقيل
للأشهب بن رُمَيْلَةَ) :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقْتَمَا

أى هَلَّا تَعْدُونَ الْكَمِيِّ الْمُقْتَمَا ، وَلَوْلَا الْأُولَى لا يليها إلا الأسم على ما ذكرنا
لك ولا بُدَّ في جوابها من اللام أو معنى اللام تقول لولا زيد فعلت ، والمعنى
لَفَعَلْتُ ، وزعم سيبويه أن زيدا من حديث لولا واللام والفعل حديثٌ
مُعَلَّقٌ بحديث لولا ، وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع حال
الاسم بعدها ، و« لَوْ » بغير « لا » لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهرًا لأنها
تُشَارِكُ حُرُوفَ الْجَزَاءِ فِي ابْتِدَاءِ الْفِعْلِ وَجَوَابِهِ ، تقول لو جئتني لأعطينتك
فهذا ظهور الفعل وإضماره ، قوله عز وجل : « قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي » والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذى رَفَعَ أَنْتُمْ

(١) وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق .

ولما أضمر ظهر بعده ما يُفسرُهُ ، ومثلُ ذلك (لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي) أراد
لَوْ لَطَمْتَنِي ذَاتُ سِوَارٍ ، ومثله (قول المتأمس) :
وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَيْمًا^(١)
وكذلك قول جرير :

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزَّبِيرُ بِجَبَلِهِ أَدَى الْجَوَارِ إِلَى بَنِي الْغَوَامِ
فَنَصَبَ بِفَعْلٍ مَضْمَرٌ يُفْسَرُهُ مَا بَعْدَهُ لِأَنَّهُ لِلْفِعْلِ ، وهو في التمثيل : لَوْ عَلِقَ الزَّبِيرُ
غَيْرَكُمْ ، وكذلك كلُّ شيءٍ للفعل نحو : الاستفهام ، والأمر ، والنهي ،
وحروف الفعل نحو : إِذْ وَسَوْفَ (كذا وقع هنا إذ وسوف ولم يدكر سيبويه
مع سوف إلا قَدْ وهو الصحيح) وهذا مشروح في الكتاب المُقتضب
على حقيقة الشرح .

وأما قوله : وَعَرَايُ الْأَقْوَامِ ، فعناه رُءُوسُ الْأَقْوَامِ الواحدُ عُرُورَةٌ
وَعُرُورَةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ ، ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب^(٢) إلى الحجاج
ابن يوسف^(٣) : وَإِنَّ الْعُدُوَّ نَزَلَ بِعُرُورَةِ الْجَبَلِ ، وَنَزَلْنَا بِالْحَضِيضِ ! فقال
الحجاج : ليس هذا من كلام يزيد ، فَمَنْ هُنَاكَ ؟ قيل : يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ^(٤) ،
فكتب إلى يزيد أن يُشَخِّصَهُ إِلَيْهِ .



وزعم التورثي قال : قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوماً أتسمعتني أحنُّ

(١) الميسم آلة يكوي بها (٢) والى خراسان .

(٣) يجبره بنتح قلعة نيزك سنة أربع وثمانين .

(٤) يقال إنه أول من نطق المصحف ، وكانت وفاته سنة عشرين ومائة .

قال : الأمير أفصحُ من ذلك ، قال : فأعاد عليه القول وأقسمَ عليه . فقال يحيى : نعم تجعل أن مكان إن ، فقال له : ارحلْ عني ولا تُجاوزني .

قال أبو العباس : هذا على أن يزيد لم تؤخذ عليه زلةٌ في لفظ إلا واحدة ، فانه قال على المنبر ، وذكرَ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطّاب ، فقال : هذه الضبمةُ العرّاءُ . فادّثتْ عليه حنأً ، لأن الأثني إنما يقال لها الضبُعُ ، ويقال للذكر الضبُعَانُ ، فاذا جمع قيل ضبُعَان ، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير ، والباب على خلاف ذلك ، لأن التأنيث لا زيادة فيه ، وفي التذكير زيادة الألف والنون ، فثنتي على الأصل ، وأصل التأنيث : أن يكون زائداً على بناء التذكير لأنه منه يخرُجُ ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة ، فمن حيث قُلْتِ للذكر والأثني في التثنية كريمةٍ على حذف الزيادة قلت ضبُعَان ، وتقول له ابنان إذا أردت له ابنٌ وابنةٌ ، ولا تقول في الدار رجلان إذا أردت رجلاً وامرأةً ، إلا على قول من قال للأثني رجُلَةٌ فقد جاء ذلك ، قال الشاعر :

كُلُّ جَارٍ ظَلٌّ مُتَعَبِطًا غَيْرَ حَيْرَانِي بَنِي جَبَلَةٍ
خَرَفُوا جَيْبَ فِتْنَتِهِمْ لَمْ يُبَالُوا حُرْمَةَ الرَّجُلَةِ

ولا يقال للناقة والجملِ جملانِ ، ولا يقال للبقرة والثورِ ثورانِ ، لاختلاف الاسمين ، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا في قول من قال للأثني ثورَةٌ .

قال الشاعر :

جَزَى اللهُ فِيهَا الْأَعْوَرَيْنِ مَلَامَةً وَعَبْدَةَ تَفَرَّ الثَّوْرَةَ الْمُتَضَاجِمِ
(قال أبو الحسن : المتضاجم المتسعُ) .

باب

قال أبو العباس قال الراعي :

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ وَحَاجَةٍ غَيْرِ مُزْجَاةٍ مِنَ الْحَاجِ
طَاوَعْتُهُ بَعْدَ مَا طَالَ النَّجِيُّ بِنَا وَظَنَّ أَنِّي عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعَاجِ
مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُعَلِّقُهَا دُونِي وَأَفْتَحُ بَابًا بَعْدَ إِزْتِاجِ
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجُ دُونَهُ بَقْرَهُ حُمْرُ الْأَنَامِلِ عَيْنَ طَرْفِهَا سَاجِي^(١)
يَا نُعْمَهَا لَيْلَةٌ حَتَّى تَخَوَّنَهَا دَاعٍ دَعَا فِي فُرُوعِ الصُّبْحِ شَحَاجِ
لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الْأُولَى فَأَسْمَعَنِي أَخَذْتُ بُرْدِي وَأَسْتَمَرَزْتُ أُذْرَاجِي

قوله : وحاجة غير مزجاة من الحاج . المزجاة : اليسيرة الخفيفة المحمل ، قال الله عز وجل : « وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ » والحاج جمع حاجة ، وتقديره فعلة وفعل ، كما تقول هامة وهام وساعة وساع ، قال القطامي :

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ أَصَابَ قَابًا فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَسْبُ سَاعًا

فإذا أردت أذني العدد قلت ساعات ، فأما قولهم في جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على السنة المؤلدين ولا قياس له^(٢) ، ويقال

(١) رواية الآمدي : حور العيون ملاح طرفها ساجي . وبعده :

يكشرون للهو واللذات عن برد تكشف البرق عن ذى لجة داجي

كأنما نظرت دوني بأعينها عين الصريمة أوغزلان فرتاج

وفرتاج بكسر فسكون : اسم ماء لبني أسد .

(٢) ومع ذلك وردت في الكلام الفصيح .

في قلبي منك حَوَاجَةٌ ، ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَوَاجٍ يافتي ، وأصله حَوَاجِيُّ يافتي ، ولكن مثلُ هذا يُخَفَّفُ ، كما تقول في صحراء صحارٍ يافتي ، وأصله صحاريٌّ .

وقوله : طاوعته بعد ما طال النَّجِيُّ بنا ، يريد المناجاة ، فأخرجه على فعيلٍ ونظيره من المصادر : الصَّهِيلُ ، والنَّهْيَقُ ، والشَّحِيحُ ، ويقال : شَبَّ الفرسُ شَبِيًّا ، ولذلك كان النَّجِيُّ يُقع على الواحد والجماعة نعتًا ، كما تقول امرأة عدلٌ ورجل عدلٌ وقوم عدلٌ لأنه مصدر ، قال الله عز وجل : « وَفَرَّبْنَا نُجِيًّا » أي مُنَاجِيًّا ، وقال للجماعة : « فَاَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » أي مُتَنَاجِينَ وقوله مُنَاجٍ : أي منعطف ، تقول مُجَّتُ عليه : أي عَرَّجْتُ عليه ، ومُجَّتُ إِلَيْهِ أَعِيَجُ : أي عَوَّلْتُ عليه ، وقوله بعد إرتاج : أي بعد إغلاقٍ ، يقال : أُرْتَجَّتُ البابُ إرتاجًا ، أي أَغْلَقْتُهُ إغلاقًا ، ويقال : لِيَلْتَقِ البابُ الرِّتَاجُ ، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتَجَّ عليه .

وقوله : أضاء سِرَاجٌ دونه بقرٌ ، يعني نساءً ، والعربُ تَكْنِي عن المرأة بالبقرة والنمجة ، قال الله عز وجل : « إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً » ، وقال الأعشى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِي عَنْ شَاتِيهِ فَاصْبَتْ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

وقوله : عَيْنٌ ، إنما هو جمع عَيْنَاءٍ وهي الواسعة العَيْنِ ، وتقديره فُعْلٌ ، ولكن كُسِرَتِ العَيْنُ لِتَصِحَّ الياءُ ، ونحو ذلك يَبْيَضُ وَيَبْيِضُ ، وتقديره حَمْرَاءٌ وَحَمْرٌ ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضمومًا على أصل الباب ، لأنه

لا إخلال فيه تقول : سَوْدَاءُ وَسُوْدٌ ، وَعَوْرَاءُ وَعُورٌ ، وقوله : طرفها ساج ولم يقل أطرافها لأن تقديرها تقدير المصدر من طَرَفْتُ طَرَفًا ، قال الله عز وجل : « خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ » لأن السَّمْعَ في الأصل مصدر قال جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرَفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَنَا
وقوله ساج : أى ساكن ، قال الله عز وجل : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجًا^(١) » ، وقال جرير :

وَلَقَدْ رَمَيْتَكَ يَوْمَ رُحْنِ بَأْسَيْنِ يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ الشُّورِ سَوَاجٍ
وقال الراجز :

يَا حَبْدَا الْقَمْرَاءِ وَاللَّيْلُ السَّاجُ وَطَرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَاجِ
وقوله حتى تخونها : أى تنقصها^(٢) يقال تخوننى السفر : أى تنقصنى ، والداعى المؤذّن ، وقوله : شَحَّاجٌ ، إنما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبعل ، والعرب تستعير من بعض لبعض ، قال العجاج يَنْعَتُ حِمَارًا :
كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَا شَحَّجَا عُوْدًا دُوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُوَلِّجَا
وقال جرير :

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهَتْ لِمَوْلَعِ بِنَوَى الْأَجْبَةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ
وقوله : واستمتررت أذراجي : أى فرجعت من حيث جئت ، تقول العرب :

(١) سجا الليل امتد ظلامه . (٢) قال ذو الرمة .

لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ورا بارح ترب

رجع فلان أذراجهُ ، وَرَجَعَ فِي حَافِرَتِهِ ، وَرَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ ، وَإِنْ شُدَّتْ رَفَعَتْ فَقُلْتُ رَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ ، أَمَا الرَّفْعُ فَعَلِي قَوْلِكَ : رَجَعَ وَعَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ : أَى وَهَذِهِ حَالُهُ ، وَالنَّصْبُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا كَقَوْلِكَ رَدَّ عَوْدُهُ عَلَى بَدَنِهِ . وَالْوَجْهَ الْآخِرَ أَنْ يَكُونَ حَالًا فِي قَوْلِ سَيَبَوِيهِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ رَجَعَ نَاقِضًا مَجِيئُهُ ، وَوُضِعَ هَذَا فِي مَوْضِعِهِ كَمَا تَقُولُ كَلَمَتُهُ فَأَهُ إِلَى فِي : أَى مُشَافَهَةً ، وَيَابِعْتَهُ يَدًا يَدًا : أَى تَقْدًا ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ فُوهُ إِلَى فِي : أَى وَهَذِهِ حَالُهُ ، وَمَنْ نَصَبَ فَعْنَاهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، فَأَمَا بَابِعْتَهُ يَدًا يَدًا ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ إِلَّا النَّصْبُ ، لِأَنَّكَ لَسْتِ تَرِيدُ بَابِعْتَهُ وَيَدًا يَدًا كَمَا كُنْتَ تَرِيدُ فِي الْأَوَّلِ ، وَإِنَّمَا تَرِيدُ النَّقْدَ ، وَلَا تُبَالِي أَقْرَبًا كَانَ أَمْ بَعِيدًا .



وقال أعرابي :

شَكَوْتُ فَقَالَتْ كُلُّ هَذَا تَبْرُمًا
فَلَمَّا كَتَمْتُ الْحُبَّ قَالَتْ لَشَدْمًا
وَأَذْنُو فَتَقْصِرْ بَيْنِي فَأَبْعُدُ طَالِبًا
فَشَكَوْاى تُوْذِيهَا وَصَبْرِي يَسْوءُهَا
فِيَا قَوْمِ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا
قوله : كلُّ هذا تَبْرُمًا ، مردود على كلامه كأنها تقول له أشكوتنى كلُّ هذا تَبْرُمًا ، ولو رَفَعَ كَلَامًا لَكَانَ جَيِّدًا يَكُونُ كُلُّ هَذَا مَبْتَدَأً وَتَبْرُمٌ خَبْرُهُ ، وَشَجِي مَخْفَفُ الْبَاءِ ، وَمَنْ شَدَّدَهَا ، فَقَدْ أَخْطَأَ (١) ، وَالْمَثَلُ : وَيَلُ لِلشَّجِي مِنْ

(١) ومع هذا فقد ورد في الكلام الفصيح .

الْحَلِيِّ ، الياء في الشَّجِي مخففة ، وفي الْحَلِيِّ مثقلة ، وقياسه أنك إذا قلت فَعَلَّ يَقْعَلُ فَعَلًّا ، فالاسم منه على فَعَلٍ نحو : فَرِقَ يَفْرِقُ فَرَقًا فهو فَرِق ، وَحَذَرَ يَحْذَرُ حَذْرًا فهو حَذِرٌ ، وَبَطَرَ يَبْطُرُ بَطْرًا ، فهو بَطِرٌ ، فعلى هذا شَجِيَّ يَشْجِي شَجِيًّا ، فهو شَجٍ يافئى ، كما تقول هَوَى يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يافئى .

وقوله : فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ، موضع تعرفونها خَفَضٌ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب ، ولو كان هاهنا شرط يوجبُ جوابًا لا يُجْزَم ، تقول اتنتى بدابة أَرْكَبَهَا ، أى بدابة مَرْكوبَةٍ ، فإذا أردت معنى فإنك إن أتيتى بدابة رَكَبْتَهَا قلت أَرْكَبَهَا لأنه جواب الأمر ، كما أن الأول جواب الاستفهام ، وفي القرآن : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » . أى مُطَهِّرَةٌ لَهُمْ ، وكذلك : « أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا » أى كائنةً لنا عِيدًا ، وفي الجواب : « فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا » . أى إن تُرِكُوا خَاضُوا وَلَعَبُوا ، وأما قوله عز وجل : « فَذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » فإنما هو فَذَرَهُمْ في هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعَبُونَ ، وكذلك : « وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُ » إنما هو وَلَا تَمُنُّنَّ مُسْتَكْبِرًا ، فعنى ذاهل من حيلة معروفة عندهم . وقال أعرابي أنشدنيهِ أبو العالِيَةِ :

أَلَا تَسْأَلُ الْمَكِّيَّ ذَا الْعِلْمِ مَا الَّذِي يَجِلُّ مِنْ التَّقْيِيلِ فِي رَمَضَانَ
فَقَالَ لِي الْمَكِّيُّ أَمَا لِرُؤُوسِ الْجَمَّةِ فَسَمِعْتُ وَأَمَّا خُلَّةٌ قَمَانِي

قوله خُلَّةٌ يريد ذاتِ خَلَّةٍ^(١) ، ويكون سَمَّاها بالمصدر كما قالت الخنساء :

(١) الخلة : هى الحب العفيف .

* فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ * ويجوز أن تكون تَعْتَمُّهَا بالمصدر
لكثرة منها ، ويجوز أن تكون أرادت ذاتُ إقبال وإدبار ، فحذفت المضاف
وأقامت المضاف إليه مُقامه ، كما قال عز وجل : « وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ » فجائز أن يكون برُّ مَنْ آمَنَ بالله ، وجائز أن يكون لكنَّ ذا البرِّ مَنْ
آمَنَ بالله ، والمعنى يؤول إلى شئ واحد .

وفي هذا الشعر عيب وهو الذي يسميه النحويون العطفَ على
عاملين^(١) ، وذلك أنه عطف خُلةً على اللام الخافضة لزوجة ، وعطف ثمانياً
على سبع ، ويلزم^(٢) مَنْ قال هذا أن يقول مرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرو خالدٍ
ففيه هذا التقيُّحُ ، وقد قرأ بعضُ القراء وليس بجائز عندنا « وَأُخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ » فجعل آياتٍ في موضع نصب
وخفضها لتاء الجميع فحملها على إنَّ وعطفها بالواو ، وعطفَ أختلَافاً على في^(٣)
ولا أرى ذا في القرآن جائزاً لأنه ليس بموضع ضرورة ، وأنشد سيدي به لعديِّ
ابن زيدٍ العباديِّ (الصحيح أنه لأبي ذؤاد الإياديِّ) .

أَكَلَّ أُمْرِي تَحْسِبِينَ أُمْرًا وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا

(١) الصواب على معمولي عاملين .

(٢) قال الشيخ المرصفي : لا يلزمه ذلك لأنه اشترط أن لا يكون فاصل بين العاطف والمعطوف المجرور
كما في البيت ، وفي نحو قولهم : في الدار زيد والحجرة عمرو ، ولهذا امتنع عند من جوزه قولك :
دخل زيد إلى عمرو وبكر خالد ، وإن زيدا في الدار وعمراً الحجرة ، ومثل ذلك مرَّ عبد الله بزيد وعمرو
خالد للفصل بين نائب الجار وهو العاطف والمعطوف المجرور .

(٣) أي على مخفوض في .

فَعَطَفَ عَلَى أَمْرِي ، وَعَلَى الْمَنْصُوبِ الْأَوَّلِ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ وَفِيهِ عَيْبٌ آخِرٌ أَنْ أَمَّا لَيْسَتْ مِنَ الْعَطْفِ فِي شَيْءٍ ، وَقَدْ أُجْرِيَ خُلاَةً بَعْدَهَا مُجْرَاهَا بَعْدَ حُرُوفِ الْعَطْفِ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى فَكَأَنَّهُ قَالَ لَزَوْجَةٍ كَذَا وَخُلاَةً كَذَا) وَقَوْلُهُ أَمَّا لَزَوْجَةٍ فَهَذِهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى جَزَاءٍ ، وَمَعْنَاهَا إِذَا قُلْتِ أَمَّا زَيْدٌ فَمَنْطَلِقُ مَهْمَا يَكُنُّ مِنْ شَيْءٍ فزَيْدٌ مُنْطَلِقٌ ، وَكَذَلِكَ « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ » إِنَّمَا هِيَ مَهْمَا يَكُنُّ مِنْ شَيْءٍ فَلَا تَقْهَرْ الْيَتِيمَ ، وَتُكْسَرُ إِذَا كَانَتْ فِي مَعْنَى أَوْ وَيَلْزَمُهَا التَّكْرِيرُ ، تَقُولُ ضَرَبْتُ إِمَامًا زَيْدًا وَإِمَامًا عَمْرًا فَمَعْنَاهُ ضَرَبْتُ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا ، وَكَذَلِكَ « إِمَامًا شَاكِرًا وَإِمَامًا كَفُورًا » وَكَذَلِكَ « إِمَامًا الْعَذَابَ وَإِمَامًا السَّاعَةَ . وَإِمَامًا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَامًا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا » وَإِنَّمَا كَرَّرْتَهَا لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتِ ضَرَبْتُ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا ، أَوْ قُلْتِ أُضْرِبُ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا فَقَدْ ابْتَدَأْتَ بِذِكْرِ الْأَوَّلِ ، وَلَيْسَ عِنْدَ السَّامِعِ أَنَّكَ تُرِيدُ غَيْرَ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ جِئْتَ بِالشَّكِّ ، أَوْ بِالتَّخْيِيرِ ، وَإِذَا قُلْتِ ضَرَبْتُ إِمَامًا زَيْدًا وَإِمَامًا عَمْرًا ، وَأَضْرِبُ إِمَامًا زَيْدًا وَإِمَامًا عَمْرًا ، فَقَدْ وَضَعْتَ كَلَامَكَ بِالْإِبْتِدَاءِ عَلَى التَّخْيِيرِ ، أَوْ عَلَى الشَّكِّ ، وَإِذَا قُلْتِ ضَرَبْتُ إِمَامًا زَيْدًا ، وَإِمَامًا عَمْرًا ، فَالْأُولَى وَقَعَتْ لِبَيِّنَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا ، وَالثَّانِيَةُ لِلْعَطْفِ (١) لِأَنَّكَ تَعَدِلُ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، فَإِنَّمَا تُكْسَرُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَزَعَمَ سَبْيُوِيَه أَنَّهَا إِنِ ضُمَّتْ إِلَيْهَا « مَا » فَإِنَّ اضْطُرَّ شَاعِرٌ فَخَذَفَ « مَا » جَاوِزَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ ، وَأَنْشَدَ فِي مِصْدَاقِ ذَلِكَ (هُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُسَمِيُّ) :

لَقَدْ كَذَّبْتَكَ نَفْسِكَ فَأَكْذَبَتْهَا فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالَ صَبْرٌ

(١) قَالَ الشَّيْخُ الْمُرْصَنِيُّ : الصَّوَابُ أَنَّهَا لَيْسَتْ لِلْعَطْفِ لِلاِزْمَتِهَا الْعَاطِفِ وَهُوَ لَا يَدْخُلُ عَلَى مِثْلِهِ .

ويجوز في غير هذا الموضع أن تقع إمّا مكسورةً ، ولكن (ما) لا تكون لازمة ، ولكن تكون زائدة في (إن) التي هي للجزاء كما تراد في سائر الكلام نحو: أَيْنَ تَكُنْ أَكُنْ ، وَأَيْنَمَا تَكُنْ أَكُنْ ، وكذلك متى تأتني آتِكَ ، ومتى ما تأتني آتِكَ ، فتقول إن تأتني تِكْ ، وَإِمَّا تَأْتِي آتِكَ ، تُدْغِمُ النون في الميم لاجتماعهما في المُتَمَّةِ ، وسند كرا الادغام في موضع نُفِرْدُهُ به إن شاء الله ، كما قال امرؤ القيس :

فَإِمَّا تَرِينِي لَا أُنْمِضُ سَاعَةً مِّنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكَبَّ فَأَنْعَسَا
فِيَارُبِّ مَكْرُوبٍ كَرَزْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا

وفي القرآن « فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا » ، وقال : « وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا » فأنت في زيادة (ما) بالخيار في جميع حروف الجزاء ، إلا في حرفين ، فإن (ما) لا بُدَّ منها لِعِلَّةِ نذكرها إذا أفردنا بابًا للجزاء إن شاء الله ، والحرفان : حَيْثُمَا تَكُنْ أَكُنْ ، كما قال الشاعر :

حَيْثُمَا تَسْتَقِيمُ يَقْدَرُ لَكَ اللَّهُ نَجَاحًا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ

والحرف الثاني (إذ ما) كما قال العباس بن مرداس :

إِذَا مَا أُتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ

لا يكون الجزاء في حيث وإذ إلا بما . وأنشدني أبو العالية :

سَلِ الْمُفْتَى الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَرَاوِرٍ وَنَظْرَةٍ مُشْتَاقِ الْفُؤَادِ جُنَاحُ

فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُذْهِبَ الشَّقَى تَلَاصِقُ أَكْبَادِ بِيَهٍ جِرَاحُ

(وأنشد لبعض العرب المحدثين :

تَلَاصَقْنَا وَلَيْسَ بِنَا فُسُوقٌ وَلَمْ يَرِدِ الْحَرَامَ بِنَا اللُّصُوقُ
وَلَكِنَّ التَّبَاعُدَ طَالَ حَتَّى تَوَقَّدَ فِي الضُّلُوعِ لَهُ حَرِيقُ
فَلَمَّا أَنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلَاقُ تَعَانَقْنَا كَمَا أُعْتِنَقَ الصَّدِيقُ
وَهَلْ حَرَجًا تَرَاهُ أَوْ حَرَامًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كَلِيفٌ مَشُوقٌ
وَأُنشَدَنِي غَيْرَهُ :

وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ يَا مَيَّ أَنِّيهَا قَلْتِكَ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا مَلِجَ النَّاسِ أَوْلِعُوا بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ هَذَا حَيِّبُهَا

أنها في موضع نصب ، وكان التقدير لأنها ، فلما حذف اللام وصل الفعل فَعَمِلَ ، تقول : جئتُكَ أَنْكَ تُحِبُّ الخير ، فعناه لأنك ، وكذلك أتيتك أَنْ تَأْمُرَ لِي بِشَيْءٍ : أى لأن ، وتقديره في النصب أَنْ أَنْ أُلْخِيفَةَ والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يافتي ، أى قيامك ، وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر ، تقول بلغنى أَنَّكَ منطلق ، أى انطلقك ، فاذا قلت جئتُكَ أَنَّكَ تريد الخير ، فعناه إرادتك الخير : أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادةً يافتي ، كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي) :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ وَأَعْرِضُ عَنْ ذَمِّ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا
قوله : * وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ *

أى أدخيره ادِّخَارًا وأضافه إليه ، كما تقول ادِّخَارًا لَهُ ، وكذلك قوله تَكْرُمًا إنما أراد لِتَكْرُمِ ، فأخرجه مُخْرَجَ أَتَكْرَمُ تَكْرُمًا ، وأنشدني أبو العالية

(قيل إن الشعر لعروة بن أذينة^(١)) :

مَازَلْتُ أُنْبِيَّ الْحَيَّ أَتَّبِعُ ظِلَّهُمْ
قَالَتْ وَعَيْشِ أَبِي وَأَكْبَرِ إِخْوَتِي
حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى رَيْبَةِ هَوْدَجٍ
فَخَرَجْتُ خَيْفَةً قَوْلَهَا فَبَسَّمَتْ
لَا نَبِيَّ إِلَّا الْحَيُّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَلَسَّمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا
فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
شَرِبَ النَّزِيفِ بَبْرِدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ
وَزَادَ فِيهَا الْجَاحِظُ عَمْرُوبَ بْنَ بَحْرٍ :

وَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ
بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجِ^(٢)

تقول العرب : هوْدَجٌ ، وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فوْدَجٌ ،
وقوله : فعلت أن يمينها لم تخرج ، يقول لم تضيق عليها ، يقال : حَرَجَ يَحْرُجُ
إذا دخل في مَضِيقٍ ، والحَرْجَةُ : الشجر الملتف المتضايق ما بينه ، قال الله
عز وجل : « فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ » وقال تعالى : « يَجْعَلُ صَدْرَهُ
صَيِّقًا حَرَجًا » وَفُرِيَّ حَرَجًا ، فن قال حَرَجًا أراد التوكيد للضيق ، كأنه قال
ضيقٌ شديد الضيق ، ومن قال حَرَجًا جملة مصدرًا مثل قولك ضيقٌ ضيقًا ،
وقوله : ببرد ماء الحشرج ، فهو الماء الجاري على الحجارة ،

(١) قال الشيخ المصنف : ويروي لعمر بن أبي ربيعة ، ونسبه ابن عساكر في تاريخه لجليل بن معمر ،
وزاد بعد البيت الأول :

فدنوت مختلفيا ألم بيتها حتى ولبت إلى خفي الموج

قال صاحب البدائع : وهذا المذهب أشبه بمذاهب ابن أبي ربيعة في التشبيب .

(٢) من التشنج وهو التقبض .



وقال قيسُ بنُ مُعَاذٍ أحدُ بني عُقَيْلِ بنِ كَعْبِ بنِ رَيْبَعَةَ بنِ عامرِ
 ابنِ صَمْعَةَ وهو المجنون ، وحدثني عبد الصمدِ بن المَعْدَلِ قال : سمعت
 الأَصمعيَّ يُثَبِّتُهُ ويقول لم يكن مجنوناً إنما كانت به لُوثةٌ كلُوثةُ أبي حَيَّةِ
 (النَّميرِي) وهو من أشعرِ الناسِ ومن شعره :

وَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ يَبْطِنُ مِنِّي تَرَمِي جِجَارَ الْمُحْصَبِ (١)
 وَيُبْدِي الْحَصَا مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرِ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ
 أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكِ صَدَى أَيُّنَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ (٢)

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة ، ومما استتظرف في هذا الباب قول
 عُمَرَ بنِ أَبِي رَيْبَعَةَ :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَصَتْ فَيَضْحَى وَأَمَا بِالْعَشِيِّ يَنْخَصِرُ
 أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتُ فَهَوَ أَشْمَتْ أُغْبَرُ
 قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحْبَرُ

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيسُ بنُ مُعَاذٍ مجنونُ بنِ عامرِ (٣) الذي تقدم
 ذكره لابن الأبرش (٤) :

(١) المحصب: موضع رمى الجمار في منى .

(٢) الصدى ، هو الصوت الذي يردده عليك الهواء إذا صحت في جبل أو مكان مرتفع .

(٣) المشهور أن مجنون بن عامر اسمه قيس بن الملوح .

(٤) يعني أن ابن الأبرش هو القائل بأن المجنون هو قيس بن معاذ .

فَأَصْبَحْتُ فِي أَقْصَى الْبُيُوتِ يَعُدُّنِي بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْنَ نَصًّا لِيَمَانِيَا

(بقية بدل من الياء في يعدُّني : بدل الاشتغال)

تَجْمَعَنَّ مِنْ شَتَّى ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ وَوَاحِدَةٌ حَتَّى كَمَلْنَ تَمَانِيَا

يَعُدُّنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ أَلَّا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها إن شاء الله تعالى ، ومن الافراط

فيه قوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مُعَلَّقٌ يَعُودُ تَمَامٌ مَا تَأَوَّدَ عَوْدُهَا^(١)

(التمام نبت ضعيف واحده تمامة) وهذا متجاوز كقول القائل :

* وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا * وَأَحْسَنُ الشُّعْرِ مَا قَارَبَ فِيهِ

القائل إذا شبَّه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبَّه فيه بلفظته على ما يخفى

عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب . قال قيس بن معاذ :

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ^(٢) لَعَلَّنِي أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيَا

وَإِنِّي لَا سَتَعَشِي وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَدُنِي خِيَالِيَا

وفي هذا الشعر :

أَشْوَقًا وَلَمَّا تَمَضَّ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الْهَوَى حَتَّى يَنْغِبَ لِيَالِيَا

هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى .

وَيُسْتَحْسَنُ لَدَى الرُّمَّةِ قَوْلُهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى :

(١) للشعراء مذاهب طريقة في وصف التحول والذبول ، وقد فصلناها تفصيلا في كتاب

مدامع العشاق .

(٢) رواية الديوان (من بين البيوت) .

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَعْنَى بِأَسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَبٍ
وَأُنشِدُنِي ابْنَ عَائِشَةَ لِبَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ :

وَقَفُوا ثَلَاثَ مَنِي بِمَنْزِلِ غِبْطَةَ وَهُمْ عَلَى غَرَضِ هُنَالِكَ مَاهُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ تَفَرُّقٌ لَمْ يَنْدُمُوا^(١)
(يعني طواف الوداع ، وقوله ثلاث مني أراد أيام النفر^(٢) وأخرجه على الليالي
وقوله لم يندموا لأنهم يرجعون إلى أوطانهم) :

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَمِيقِ لُبَانَةٌ وَالرُّكْنُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظِعَامِنَا حَيًّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا يَبِضُّ بِأَفْنِيَةِ الْمَقَامِ مِرْكَمُ
اللاغِبُ الْمُعْبِي ، قال الله عز وجل : « وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ » والمرْكَمُ الذي
بعضه على بعض ، والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامه كما تُشَبَّهُ بالدره ، قال الله عز
وجل : « كَأَنَّهِنَّ يَبِضُّ مَكْنُونٌ » والمكنون المصون ، والمكنُ المستور ،
يقال : أ كُنْتُ السَّرَّ ، قال الله عز وجل : « أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ »
وقال أبو دَهَبَل^(٣) ، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّانِ
ابن ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ :

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْؤُوءَةِ النَّوَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
وقال ابن الرُّقَيَاتِ :

(١) من قولهم : أجد الرجل في أمره إذا بلغ فيه جده وهو اجتهده .
(٢) قال الشيخ المرصفي : الصواب أيام التفریق فان اليوم الأول بعد يوم النحر يسمى يوم النفر ،
لأن الناس نفر فيه بمعنى ثم يوم النفر الأول ثم يوم النفر الثاني .
(٣) هو وهب بن زعنة من شعراء العصر الأموي .

واضح لوئها كبيضة أذحي لها في النساء خلق عميم
العميم التام ، والأذحي موضع يبيض النعامة خاصة ، وشعر عبد الرحمن هذا
شعر مأثور مشهور عنه .

✱

وروى بعض الرواة أن أبا دهبيل الجمحي كان تقياً وكان جميلاً ، ففقل
من الغزو ذات مرة فرّ بدمشق فدعته امرأة إلى أن يقرأ لها كتاباً ،
وقالت إن صاحبته في هذا القصر ، وهي تحب أن تسمع ما فيه ، فلما دخلت به
برزت له امرأة جميلة ، وقالت له : إنما احتلت لك بالكتاب حتى أدخلتكَ .
فقال لها : أما الحرام فلا سبيل إليه ، قالت : فلست تراء حراماً ، فتزوجته
وأقام عندها دهرًا حتى نعي بالمدينة ، ففي ذلك يقول وقد استأذنها ليئيم
بأهله ، ثم يعود ، فجاء وقد اقتسم ميراثه ، فلما هم بالعود إليها نصبت له ،
فهذا ما روي من هذا الوجه ، والذي كأنه إجماع الناس أنه لعبد الرحمن
ابن حسان ، وهو في بنت معاوية^(١) (بن أبي سفيان) :

صاح حيا الإله أهلاً وداراً عند أصل القنات من جيرون^(٢)
عن يساري إذا دخلت من البنا ب وإن كنت خارجاً فيميني
فبتلك أرهنت بالشام حتى ظن أهلي مرجات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة النواص ص ميزت من جوهر مكنون

(١) اسمها رملة . قال الشيخ المرصفي : وهذا على ما روى كان السبب في أمر يزيد بن معاوية الأخطل

بهباء الأنصار .

(٢) هو باب دمشق ، أو هو حصن بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون .

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءِ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ
نَمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرِ رَاءَ تَمَشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ^(١)
تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَلَنْجُوجَ^(٢) وَالنَّدَّ صِلَاءَ لَهَا عَلَى الْكَائُونِ
قُبَّةً مِنْ مَرَاجِلٍ^(٣) ضَرَبْتُهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
المسنون: المصبوب على استواء، والمرآجل: ثياب من ثياب اليمن، قال العجاج:

* بِشِيَّةٍ كَشِيَّةٍ الْمُرَجَلِ * وَالْقَيْطُونِ الْبَيْتِ فِي جَوْفِ بَيْتِ .

وقال آخر:

وَأَبْصَرْتُ سَعْدِي بَيْنَ ثَوْبِي مَرَاجِلٍ وَأَثْوَابِ عَصَبٍ مِنْ مُهْلَهَلَةِ الْيَمَنِ
ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سمعت قول عبد الرحمن
ابن حسان في ابنتك؟ قال وما الذي قال؟ قال قال:

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةٍ الْغَوَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ
قال معاوية صدق، فقال يزيد وقال:

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءِ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ
قال معاوية صدق، فقال يزيد إنه قال:

نَمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرِ رَاءَ تَمَشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ
قال معاوية كذب^(٤):

(١) في مرمر: أي على مرمر .

(٢) الينجوج: هو العود يتبخر به . (٣) أي قبة عليها صور المراجل .

(٤) ويروى أن معاوية ذكر الأبيات لأبي دهب فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا، وإنما
قيل على لساني، فقال معاوية: أما من جهتي فلا خوف عليك، وإنما أكره لك جوار يزيد وأخاف
عليك وثباته فإن له سورة الشباب وأتفة الملوك . فهرب أبو دهب إلى مكة .

باب

قال أبو العباس : حدثني مسعود بن بشر ، قال حدثني محمد بن حرب ، قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حُلَّةً وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ ابْنُ أُمِّي ، وَكَانَ أَبُوهُ يَرْتَمِنِي (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) . وَأَنْشَدَنِي مَسْعُودٌ قَالَ أَنْشَدَنِي طَاهِرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ أَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ بْنِ أَدِّ يَقُولُهُ لِبَنِي تَمِيمٍ بْنِ مُرِّ بْنِ أَدِّ :

أَبْنِي تَمِيمٍ إِنِّي أَنَا عَمُّكُمْ لَا تُحْرَمَنَّ نَصِيحَةَ الْأَعْمَامِ
إِنِّي أَرَى سَبَبَ الْفَنَاءِ وَإِنَّمَا سَبَبُ الْفَنَاءِ قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ
فَتَدَارَكُوا بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتُمْ أَرْحَامَكُمْ بِرَوَاجِحِ الْأَحْلَامِ

(كَذَا أَنْشَدَ أَرْحَامَكُمْ وَيُرْوَى أَحْسَابِكُمْ) ، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَاتِي عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ خَبِرٌ قَتَلَ الْمُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ أَنَا خَبِرٌ قَتَلَ الْمُصْعَبَ فَسُرَرْنَا بِهِ ، وَاسْتَأْنَبْنَا لَهُ ، فَمَا السُّرُورُ فَلَمَّا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَحِيزَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ ، وَأَمَّا الْكَأَبَةُ فَلَوْعَةٌ يُجَدِّهَا الْحَمِيمُ عِنْدَ فِرَاقِ حَمِيمِهِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبِجًا كَمَيْتَةِ آلِ أَبِي الْعَاصِي ، إِنَّمَا نَمُوتُ وَاللَّهِ قَتْلًا بِالرَّمَاكِ ، وَقَعَصًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ، فَإِنْ يَهْلِكِ الْمُصْعَبُ فَإِنْ فِي آلِ الزُّبَيْرِ مِنْهُ خَلْفًا .

قوله: حَبَجًا، يقال حَبَجَ بَطْنُهُ: إذا انتفخ، وكذلك حَبِطَ بطنه، والمُقَعَصُ
المقتول، واللَّوْعَةُ: الحَرْقَةُ، يقال لَاعَ يَلَاعُ لَوْعَةً يَافِتِي فهو لَائِعٌ، ويقال
لَاعَ يَافِتِي عَلَى الْقَلْبِ، وأنشد أبو زيد:

وَلَا فَرِحَ بِخَيْرٍ إِنْ آتَاهُ وَلَا جَزِعَ مِنَ الْخَدَّائِ لَاعِي^(١)



قال: وحدثني مسعود بن بشر في إسناد ذكره، قال قال زياد لحاجبه: يَا مَجْلَانَ
إِنِّي وَوَلَيْتُكَ هَذَا الْبَابَ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعَةٍ، عزلتك عن هذا المنادي
إذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه، وعن طارق الليل فشر ما جاء به
ولو جاء بخير ما كنت من حاجته، وعن رسول صاحب الشفر فإن إبطاء
ساعةٍ يُفْسِدُ تَدْيِيرَ سَنَةٍ، وعن هذا الطباخ إذا فرغ من طعامه.

قال وحدثني مسعود قال قال زياد: يُعْجِبُنِي مِنَ الرَّجْلِ إِذَا سِيمَ^(٢)
خُطَّةَ الضَّيْمِ أَنْ يَقُولَ «لَا» بِلِئْلٍ فِيهِ، وَإِذَا أَتَى نَادِي قَوْمٍ عِلْمٌ أَيْنَ يَنْبَغِي
لِمَثَلِهِ أَنْ يَجْلِسَ فَجَلَسَ، وَإِذَا رَكِبَ دَابَّةً حَمَلَهَا عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ يَمْسُهَا
إِلَى مَا تَكْرَهُ.

وَكُتِبَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى: إِنْ صَاحِبَ الطَّرِيقِ^(٣) قَدْ اشْتَطَّ فِيمَا يَطْلُبُ
مِنَ الْأَمْوَالِ، فَوَقَّعَ جَعْفَرٌ: هَذَا رَجُلٌ مَنَّقَعٌ عَنِ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ ذُوْبَانَ

(١) قبل هذا البيت:

وقد ترك الفوارس يوم حسي غلاما غير متاع التاع

والحسي اسم ماء وكان به يوم من أيام العرب.

(٢) من سامه الأمر سوما: كلفه إياه، وفي القرآن (يسومونكم سوء العذاب).

(٣) هو الذي يحفظ مواضع الخافة من اللصوص وقطاع الطريق.

العَرَبِ بِحَيْثُ العَدَدُ والعُدَّةُ ، والقُلُوبُ القاسية والأَنُوفُ الحَمِيَّةُ ، فَلْيَمْدَدْ
من المال بما يَسْتَصْلِحُ به مَنْ مَعَهُ لِيَدْفَعَ به عَدُوَّهُ ، فَإِنْ نَفَقَاتِ الحُرُوبِ
يُسْتَظْهَرُ لها ، ولا يُسْتَظْهَرُ عليها (١) .

✽

وَأَكْثَرَ النَّاسِ شَكِيَّةَ عَامِلٍ فَوَقَعَ إِلَيْهِ فِي قِصَّتِهِمْ : يَا هَذَا قَدْ كَثُرَ
شَاكُوكَ ، وَقَلَّ حَامِدُوكَ (٢) فَإِمَّا عَدَلْتَ ، وَإِمَّا اعْتَرَلْتَ .

وزعم الجاحظ قال : قال ثُمَامَةُ بنِ أُشْرَسِ النُّمَيْرِي : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
أَبْلَغَ مِنْ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى وَالْمَأْمُونِ .

وقال مُوَيْسُ بنِ عِمْرَانَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَبْلَغَ مِنْ يَحْيَى بنِ خَالِدٍ ، وَأَيُّوبَ
ابْنَ جَعْفَرَ .

وقال جعفر بن يحيى لكتابه : إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ كُتُبِكُمْ كُلِّهَا
تَوْقِيْعَاتٍ فَافْعَلُوا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاقَفْتُمْ ، يَقُولُ :
لَوْ عَلِمَ بَعْضُكُمْ سَرِيرَةَ بَعْضٍ لاسْتَنْقَلَ تَشْيِيعَهُ وَدَفَنَهُ .

وقال عليه الصلاة والسلام : اجْتَنِبُوا القُعُودَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ ، إِلَّا
أَنْ تَضْمَنُوا أَرْبَعًا : رَدَّ السَّلَامِ ، وَغَضَّ الأَبْصَارِ ، وَإِرْشَادَ الضَّالِّ ،
وَعَوْنَ الضَّعِيفِ .

وقالت هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ : إِنَّمَا النِّسَاءُ أَغْلَالٌ ، فليختر الرجلُ غُلًّا لِيَدِهِ .

(١) أى يستعان لها ولا يستعان عليها .

(٢) فى بعض الروايات : وَقَلَّ شَاكُوكَ .

وذَكَرَتْ هِنْدُ بِنْتُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ النِّسَاءِ فَقَالَتْ : مَا زِيِّنُ
بِشَيْءٍ كَأَدَبٍ بَارِعٍ تَحْتَهُ لُبٌّ ظَاهِرٌ .

وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة أيضاً : إذا رأيتم النعمم مُسْتَدْرِرَةً
فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَفْصَلُوا بَيْنَ حَدِيثِكُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ .
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : قِيدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ ، وَقِيدُوا
العِلْمَ بِالْكِتَابِ .

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : العَجَبُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاةُ
مَعَهُ ، فَقِيلَ مَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ الِاسْتِغْفَارُ .

وقال الخليل بن أحمد^(١) : كُنْ عَلَى مُدَارَسَةِ مَا فِي قَلْبِكَ أَحْرَصَ مِنْكَ
عَلَى حِفْظِ مَا فِي كُتُبِكَ .

وقال ابن أحمد - يعني الخليل : اجْعَلْ مَا فِي كُتُبِكَ رَأْسَ مَالٍ ، وَمَا فِي
صَدْرِكَ لِلنَّفَقَةِ .

وقيل لِنَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ : إِنْ فُلَانًا لَا يَكْتُبُ ، فَقَالَ تِلْكَ الزَّمَانَةُ الْخَفِيَّةُ .

وقال نصر بن سيار^(٢) : لَوْلَا أَنَّ عَمْرَ بْنَ هُبَيْرَةَ^(٣) كَانَ بَدَوِيًّا مَا صَبَطَ

أَعْمَالَ الْعِرَاقِ ، وَهُوَ لَا يَكْتُبُ .

وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ رَأَى فِدَاءَهُ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ

(١) هو الامام اللغوي صاحب كتاب العين، ومؤسس علم العروض.

(٢) ولي خراسان لهشام بن عبد الملك . (٣) ولي العراق ليزيد بن عبد الملك .

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِدَاؤُهُ أَمْرُهُ أَنْ يُعَلَّمَ عَشْرَةَ مِنَ الْمَسَامِينِ الْكِتَابَةَ ، فَفَسَّتْ
الْكِتَابَةَ بِالْمَدِينَةِ .



ومن أمثال العرب: خير العلم ما حوِّضَ به . يقول: ما حُفِظَ فكان للمذاكرة .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزالُ أُمَّتِي صالحًا أمرُها ما لم ترَ
النِّيءَ مَغْنَمًا ، والصدقةَ مَغْرَمًا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يأتي على الناس زمان لا يُقَرَّبُ
فيه إلا الماحِلُ ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجرُ ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المنصِفُ ،
يتخذون النِّيءَ مَغْنَمًا ، والصدقةَ مَغْرَمًا ، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا ، والعبادةَ استِطالةً
على الناس ، فعند ذلك يكون سلطانُ النساءِ ، ومُشاوَرَةُ الإماءِ ، وإِمارةُ
الصبيانِ : (الماحل : الواشي ، يقال مَحَلَّ فلان بفلان : إذا وشى به ومكَّرَ) .



ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني ، قال : دَفَعَ إِلَى
الحجاج أزيد مرْدَ بنِ الهَرَبِذِ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظَ عليه ، فلما
انطلقتُ به قال لي : يا محمد ، إن لك شرفًا ودينًا ، وإني لا أعطى على القَسْرِ
شيئًا فاستأذني^(١) وارْفُقْ بي ، قال ففعلتُ فأدَّى إليَّ في أسبوع خمسمائة
ألف ، قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه ، وانترعه من يَدَيَّ ، ودفعه إلى رجل
كان يتولى له العذابَ ، فَدَقَّ يديه ورجليه ، ولم يُعْطِهِمْ شيئًا ، قال محمد

(١) يريد : اطلب مني الأداء .

أبن المنتشر: فإني لأمرؤ يوماً في السوق إذا صأحُّ بي: يا محمد! فالتفتُ فإذا به
مُعَرَّضاً على حِمَارٍ مَدْقُوقِ اليدين والرجلين ، فَخِضْتُ الحجاج إن أتيته ،
وَتَذَمَّتْ مِنْهُ^(١) فقلتُ إليه ، فقال لي إنك وليت مني ما ولي هؤلاء
فأخسنت ، وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئاً ، وههنا خمسمائة ألف
عند فلان نغذها فهي لك ، قال : فقلت له: ما كنت لأخذ منك على معروفى
أجراً ، ولا لأرزأك على هذه الحال شيئاً ، قال فأما إذ أُيِّتَ فاسمع أُحدِّثُك :
حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رضى الله
عن قوم أمطرهم المطر في وقته ، وجعل المال في سمحاتهم ، واستعمل
عليهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم أستعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال
عند بخلائهم ، وأمطرهم المطر في غير حينه . قال فانصرفت فما وضعت
ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى بالمسير إليه فألفيته جالساً على فُرْشِهِ
والسيف مُتَضَّى في يده ، فقال لي : أذن ، فدَوْتُ شيئاً ، ثم قال : أذن ،
فَدَوْتُ شيئاً ، ثم صاح الثالثة : أذن لا أبالك ! فقلت : ما بى إلى الذئب من
حاجة ، وفي يد الأمير ما أرى ! فأضحك الله سنه ، وأعمد سيفه عنى ، فقال
لى : أجلس ، ما كان من حديث الخبيث ؟ فقلت له : أيها الأمير ، والله
مَا عَشَشْتُكَ مِنْذُ اسْتَنْصَحْتَنِى ، ولا كَذَّبْتُكَ مِنْذُ اسْتَجَبَرْتَنِى ، ولا خُتُّتُكَ
مِنْذُ ائْتَمَنْتَنِى . ثم حدثته الحديث ، فلما صرْتُ إلى ذكر الرجل الذى المالى
عنده أعرَضَ عنى بوجهه ، وأوماً إلى يده ، وقال لا تُسمِّه ، ثم قال إن
للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديث .

(١) يعنى أنه استجيا منه .



ويقال كان الحجاج إذا استغربَ ضحكاً^(١) وإلى بين الاستغفار، وكان إذا صعد المنبر تلعغ بمطر فيه^(٢) ثم تكلم رويداً فلا يكاد يُسمع ثم يتزيد في الكلام، حتى يُخرج يده من مطر فيه، ويزجر الزجره فيفزع بها أقصى مَنْ في المسجد، وكان يُطعم في كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية، ويُطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشام، اكسروا الخبز لئلا يُعادَ عليكم، وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل، والآخر يسقي اللبن.

ويروى أن ليلي الأخيلىة قدمت عليه فأنشدته:

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضةً تتبع أقصى دأها فشفأها
شفأها من الداء العقام الذي بها غلامٌ إذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم، والضم أفصح) فقال لها لا تقولى: غلام، قولى: همام، ثم قال لها أى نسأى أحب إليك أن أنزلك عندها الليلة؟ قالت: ومن نسأوك أيها الأمير؟ قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العنكية، فقالت: القيسية^(٣) أحب إلى. فلما كان الغد دخلت عليه فقال: يا غلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير، اجعلها أدماً، فقال قائل: إنما أمر لك

(١) أى إذا بالغ في الضحك حتى بدت غروب أسنانه.

(٢) المطرف: رداء من خز. (٣) تريد هند بنت أسماء.

بشاء ، قالت : الأمير أكرم من ذلك ، فجعلها إبلا إناثا استحياء ، وإنما كان أمر لها بشاء أولا . والأدْمُ : البيض من الإبل وهي أكرمها .

ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشَّعْبِيُّ) قال : دعاني الحجاج فسألني عن الفريضة المَحْمَسَةِ^(١) وهي أمٌ وجدٌ وأخت^(٢) فقال لي : ما قال فيها الصَّدِيقُ رحمه الله ؟ قلتُ أعطى الأمَّ الثلث والجدَّ ما بقى^(٣) لأنه كان يراه أبا^(٤) ، قال فما قال فيها أمير المؤمنين ؟ يعني عثمان رحمه الله ، قلت : جعل المال بينهم أثلاثا^(٥) قال فما قال فيها ابن مسعود ؟ قال قلتُ أعطى الأختَ النصف والأمُّ ثلث ما بقى والجدُّ الثلثين^(٦) لأنه كان لا يُفَضَّلُ أمًّا على جدٍّ ، قال فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قال قلتُ أعطى الأمُّ الثلث وجعل ما بقى بين الأخت والجد^(٧) للذكر مثل حظ الأنثيين ، لأنه كان يجعل الجدَّ كأحد الإخوة إلى الثلاثة ، قال فزَمَّ بأنفه^(٨) ثم قال : فما قال فيها أبو ترابٍ^(٩) ؟ قال قلتُ أعطى الأمُّ الثلث والأخت النصف والجدُّ السدس ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : فانه المرءُ يُرَغَبُ عن قوله^(١٠) .

وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْرِ ابنِ عَطَّارِ بنِ حَاجِبِ بنِ زُرَّارَةَ ، وَحَجَّارُ بنِ أَيْمَرِ بنِ يُحْيَى العَجَلِيُّ فأقبل في وَسَطِ

- (١) أي التي اختلف فيها خمسة من الصحابة .
- (٢) لأبوين أو لأب . (٣) ولا شيء للأخت ، وهذا مذهب أبي حنيفة .
- (٤) فيسقط الإخوة . (٥) فلم يفضل الجد على الأخت .
- (٦) فالمثلثة من ستة ، ثلاثة للأخت وسهم للأم وسهمان للجد .
- (٧) وهذا مذهب الأئمة الثلاثة . (٨) شتم وتكبر .
- (٩) هي كنية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
- (١٠) نقل الشيخ المرصني في شرحه أن إمام الحرمين يرى أن رأى علي في مسألة الجد أتى المذاهب

من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال: يا محمد، أيدعوك قتيبة بن مسلم
إلى نصرتي يوم رُسْتُقْبَاد^(١) فتقول: هذا أمر لاناقة لي فيه ولا جمل؟ لا جعل
الله لك فيه ناقة ولا جملا، يا حرسى خذ بيده وجرّد سيفك فاضرب عُقْقه ،
فنظر إلى حَجَّار بن أَيْجَرَ وهو يتبسم فدخلته العصبية ، وكان مكان حَجَّار
من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مَضَرَ ، وأتى الحَبَّازُ بقرنية^(٢) فقال: اجعلها
مما يلي محمداً فإن اللبن يعجبه ، يا حرسى شِم سيفك وانصرف .
وكان محمد شريفاً ، وله يقول الشاعر :

عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا أَنْ الْجَوَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَارِدِ

وَذَكَّرَتْ بَنُو دَارِمٍ يَوْمًا بِحَضْرَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالُوا : قَوْمَ لَهْمٍ حَظٌّ ، فَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتَقُولُونَ ذَلِكَ وَقَدْ مَضَى مِنْهُمْ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ وَلَا عَقِبَ لَهُ ،
وَمَضَى الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَلَا عَقِبَ لَهُ ، وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ
عَطَارِدِ وَلَا عَقِبَ لَهُ ، وَاللَّهُ لَا تَنْسَى الْعَرَبُ هُوَلاءِ الثَّلَاثَةِ أَبَدًا .

قوله : شِم سيفك ، يقول : انعمده ، ويقال : شمتُ السيف : إذا سللته
وهو من الأضداد ، ويقال : شمتُ البرق إذا نظرت من أي ناحية يأتي .
قال الأعشى :

فَقَلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنِي وَقَدْ تَمَّلُوا شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الشَّمْلُ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُئِلَتْ
وَهَذَا الْبَيْتُ طَرِيفٌ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَعَانِي ، وَتَأْوِيلُهُ لَمْ يَشِيمُوا : لَمْ يَغْمَدُوا ، وَلَمْ

(١) بلدة بفارس . (٢) هي خبزة تروى لبنا وسكرا وسمنا ثم تشوى .

تكثر القتلى ، أى لم يعمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سُلِّت^(١) .

وحدثني الحسن بن رجاء قال قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ إِلَى عَسْكَرِ الْحَسَنِ
ابن سَهْلٍ وَالْمَأْمُونِ هُنَاكَ بَانِيَا^(٢) عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ الْمَعْرُوفَةَ
بِئُورَانَ ، فَقَالَ الْحَسَنُ وَنَحْنُ إِذْ ذَاكَ نُجْرِي عَلَى^(٣) نَيْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَايِحَ
وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ يَسْهَرُ مَعَ الْمَأْمُونِ وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَتَصَبَّحُ فَيَجْلِسُ
الْحَسَنُ لِلنَّاسِ إِلَى وَقْتِ انْتِبَاهِهِ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلِيٌّ قُلْتُ قَدْ تَرَى شُغْلَ الْأَمِيرِ ،
قَالَ إِذْنًا لَا أَضِيعُ مَعَكَ ، قُلْتُ أَجَلٌ ، فَدَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي وَقْتِ
ظُهُورِهِ فَأَعَامَتَهُ مَكَانَهُ ، فَقَالَ : أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قُلْتُ لَسْتُ بِمَشْغُولٍ عَنِ
الْأَمْرِ لَهُ ، فَقَالَ يُعْطَى عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ إِلَى أَنْ تَتَفَرَّغَ لَهُ ، فَأَعَامَتُ ذَلِكَ
عَلِيَّ بْنَ جَبَلَةَ ، فَقَالَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مُبْتَدَأًا عَطِيَّةً كَأَفَاتٍ مَدْحَى وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِمْتُ بَرَفَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تُبَادِرُنِي

(١) يريد أن الواو في قوله (ولم تكثر القتلى) للحال ، فعناه لم يعمدوها والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يعمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .
(٢) من بني علي أهله : دخل بها ، وذلك مجاز ، أصله أن المعرس كان يبني على أهله خباء .
(٣) نجري عليهم : نعطيهم .

باب

قال أبو العباس قال المفضَّل بن المهلب بن أبي صُورَةَ (يَصِفُ
الشجاعة والنجدة) .

هل الجودُ إلا أن نجودَ بأنفسِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ بعد قتلِ محمدٍ
ومَنْ هَرَّ أطرافَ القناخِشِيَّةِ الرَّدَى
فليس لِجِدِّ صالحٍ بكسوبِ
وما هِيَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العلى
لِرَهْطِكَ ما حَتَّتْ رِوَأْمُ نَيْبِ
قوله: ومن هَرَّ أطرافَ القناخِشِيَّةِ الرَّدَى يقول مَنْ كَرِهَ . قال عَنَتْرَةُ بن شَدَّادٍ:

حَلَفْتُ لَهُمُ والخيلُ تَرْدَى بنا مَعًا
نفارِقُهُمْ حَتَّى يَهْرُوا العواليا
عِوَالِي زُرْقًا من رِماحِ رُدَيْنَةٍ
هَرِيرِ الكلابِ يَتَّقِينَ الأفاعيا

والردى: الهلاك ، وأكثر ما يستعمل في الموت ، يقال رَدَى يَرْدَى رَدَى ، قال
الله عز وجل : « وما يُعْنِي عنه مالهُ إِذا تَرَدَّى » وهو تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى في
أحد التفسيرين ، وقيل إِذا تَرَدَى في النار : أى إِذا سقط فيها ، وقوله
الحرُّون ، فإن حَبِيبَ بنِ المَهْلَبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَرِيمُ^(١)
مكانه ، فكان يُلقَّبُ الحَرَّونَ^(٢) ، وقوله : وما هِيَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العلى . فهذا
مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب ، وذلك أنه قال في يوم القَمَرِ ، وهو
اليوم الذى قُتِلَ فيه : قَاتَلَ اللهُ ابْنَ الأَشْمَثِ ، ما كان عليه لو غَمَضَ عَيْنِيهِ

(١) لا يبرح . (٢) وهو مستعار من وصف الخيل .

ساعة للموت ، ولم يكن قَتِيلَ نَفْسِهِ . وذلك أن ابن الأشعث قام في الليل ، وهو في سطح البول ، فزعموا أنه رَدَّى نفسه ، وغير أهل هذا القول يقولون : بل سقط منه بِسِنَّةِ النوم ، وقوله : تورث العلى رهطك ، فالمعنى تورث العلى رهطك ، وهذه اللام تزداد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة ، تقول : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضاربٌ لزيدٍ لأنها لا تُعَيَّرُ معنى الإضافة إذا قلت : هذا ضاربٌ زيد و ضاربٌ له ، وفي القرآن : « وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمَسْلُومِينَ » . وكذلك : « إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ » . ويقول النحويون في قوله تعالى : « قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ » . وإنما هو رَدِفُكُمْ ، والنَّيْبُ جمع نابٍ وهي المُسِنَّةُ من الإبل ، وتقديرها فُعِلْ سَاكِئَةً ، وَأُبْدِلَتْ من الضمة كسرةً لِتَصِحَّ الياءُ ، كما قلت في أبيضَ بيضٌ ، وإنما هو مثل أحمرٍ ومُحْمَرٍ ، وكذلك أَشْيَبُ وشَيْبٌ ، فتقدير نابٍ ونيبٍ إذا جاء على فَعَلٍ وفُعَلٍ تقدير أسدٍ وأَسْدٍ ، ووَثْنٌ ووَثْنٌ ، ونابٌ تقديرها فَعَلٌ ، وإنما انقلبت الياء ألفاً فسكنت ، وإنما تنقلب إذا كانت قبلها فتحة وكانت في موضع حركة ، والروايم قد مضى تفسيرها^(١) .



وَأَنشَدَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ أَنشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ نَظَرَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى امْرَأَتِهِ تَتَصَبَّعُ وَهِيَ عَجُوزٌ فَقَالَ :

(١) وهي العاطفات على أولادها ، والمفرد رائم .

عجوزٌ تُرَجِّي أن تكونَ فِتِيَّةً وقد حُبَّ الجَنَّبَانِ واحِدَ وَدَبَ الظَّهْرُ
تَدْسُ إلى العِطَّارِ سِلْمَةَ بَيْتِهَا وهلْ يُصْلِحُ العِطَّارُ ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ

(قال أبو الحسن وزادني غير أبي العباس في شعر هذا الأعرابي :

وما عَرَّني إِلَّا خِضَابُ بِكْفِهَا وكَحْلُ بَعِينَيْهَا وَأَثْوَابُ الصُّرُ
وجاءوا بها قبلَ المُحَاق^(١) بليلة فكانَ مُحَاقًا كَلَّهُ ذلكَ الشَّهْرُ)

قال فقالت له امرأته :

ألم تَرَ أنَّ النَّابَ تُحَلِّبُ عُلبَةً وَيُتْرِكُ ثَلْبَ لاضِرَابٍ وَلَا ظَهْرُ

قال ثم استغاثت بالنساء ، وطلبت الرجال ، فإذا هم خلوف^(٢) فاجتمع النساء

عليه فضرَبنه ، وقوله : قد حُبَّ الجَنَّبَانِ ، يقول قلَّ لهما ، يقال بعير مَلحوبٌ

وقد حُبَّ مثل عُرِقَ ، وقوله : تَدْسُ إلى العِطَّارِ سِلْمَةَ بَيْتِهَا ، يريد السويق^(٣)

والدقيق ، وما أشبه ذلك ، وكل عَرَضٍ^(٤) فالعرب تقول له سِلْمَةَ ، أنشدني

عمارة بن عقيل شعراً يمدح به خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني وَيَذْمُ تميم

أبن خزيمة بن حازم النهشلي :

أَأْتُرُكُ إن قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زيارَتُهُ إِنِّي إِذَا لِلثَّمِيمِ

وَقَدْ يُسْلِعُ المَرءَ اللِّيمَ أَصْطِنَاعُهُ وَيَعْتَلُّ تَقْدُ المَرءِ وَهُوَ كَرِيمُ

(١) المحاق مثلث الميم ، وهو آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره .

(٢) أي غائبون عن المحي .

(٣) طعام يتخذ من الحنطة والشعير .

(٤) هو ما سوى الدرهم والدنانير والجمع عروض ، وقيل : العروض الأمتعة التي لا يدخلها كيل

ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا .

(مَنْ رَفَعَ الْمَرْءَ نَصَبَ اصْطِنَاعِهِ ، وَمَنْ نَصَبَ الْمَرْءَ رَفَعَ اصْطِنَاعَهُ ، وَأَمَّا عَلَى تَفْسِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ فَيَنْصَبُ اصْطِنَاعَهُ لِأَخِيرِ :

فَتَى وَاسِطٌ^(١) فِي أُنْبَى نِزَارٍ مُحِبِّبٌ إِلَى أُنْبَى نِزَارٍ فِي الْخُطُوبِ عَمِيمٌ
فَلَيْتَ بِبُرْدِيَّةٍ لَنَا كَانَ خَالِدٌ وَكَانَ لِبَكْرِ فِي الثَّرَاءِ تَمِيمٌ
فِيضٌ بِسَبْحٍ فِينَا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ أَعْرَثٌ وَفِي بَكْرِ أَعْمٌ بِبِهِمٌ

قوله: وقد يُسَلِّعُ الْمَرْءَ اللَّيْمَ اصْطِنَاعَهُ. أَي يُكْثِرُ سِلْعَتَهُ لِاصْطِنَاعِهِ، وَقَوْلُهُ: أَعْمٌ بِبِهِمٌ، فَالْعَمُّ كَثْرَةُ شَعْرِ الْوَجْهِ وَالْقَفَا، قَالَ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ الْعُدْرِيُّ:

فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَعْمَ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

وَالْعَرَبُ تَكْرَهُ الْعَمَّ، وَالبِهِمُ: الَّذِي لَا يَخْلِطُ لَوْنُهُ غَيْرُهُ مِنْ أَى لَوْنٍ كَانَ، وَقَوْلُهَا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّابَ تَحْلِبُ عَلْبَةً، تَقُولُ فِيهَا مَنْعَمَةٌ عَلَى حَالٍ، وَالْعَلْبَةُ: إِنَاءٌ لَهُمْ مِنْ جُلُودٍ يَحْلِبُونَ فِيهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

لَمْ تَتَقَنَّعْ بِفَضْلِ مِزْرَهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُغْدَ دَعْدٌ بِالْعَلْبِ

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: قَدْ تُحْلِبُ الضَّجُورُ الْعَلْبَةَ، يَضْرِبُونَ ذَلِكَ لِلرَّجْلِ الْبَخِيلِ الَّذِي لَا يَزَالُ يُنَالُ مِنْهُ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ، وَالضَّجُورُ: النَّاقَةُ السَّيِّئَةُ الْخَلْقِ إِنَّمَا تُحْلِبُ حِينَ تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فَتَطْيِبُ نَفْسَهَا، وَالثَّلْبُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى فِي السَّنِّ مِنَ الْأَبْلِ، وَقَالَ آخِرُ:

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَالِ أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِامْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ وَلَمْ أَرْ ذُلًّا مِثْلَ نَائِي عَنِ الْأَصْلِ

وَلَمْ أَرِ مِنْ عُدْمِ أَضْرِّ عَلَى امْرِئٍ
إِذَاعَاشٍ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ
وقال آخر :

لَعَمْرِي لِقَوْمِ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً
مِنَ الْجَانِبِ الْأَفْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغِيً
(وَإِنْ خَبَرْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًّا لَسْتَ مِنْهُمْ)
عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلُّ مَرْكَبٍ
جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجْرَبٍ
عَلَى مَاحَوَاتِ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذَّبِ)
فَكُلُّ مَا عَلِفْتَ مِنْ خَيْبٍ وَطَيْبٍ

العِدَّا الغريباء في هذا الموضع ، ويقال للأعداء عِدًّا ، والمُعداة الأعداء لا غير ،
وقال أعرابي من باهلة :

سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْفِيَنِي
غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَمَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا
عَلَى الْمَرْءِ ذِي الْعَلْيَاءِ مَسُّهُ هَوَانٍ
مَتَى يَتَّكَلَّمُ يُلَبِّغُ حُكْمَ مَقَالِهِ
وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بِيَانٍ
كَأَنَّ النِّغْيَ فِي أَهْلِهِ بُورِكَ النِّغْيِ
بَغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به في أمر حارثة بن بدر الغداني ، فإننا حدثنا عن
حارثة بن بدر ، وكان رجلاً بنى تميم في وقته ، وكان قد غلب على زياد ،
وكان الشراب قد غلب عليه ، فقبل لزياد إن هذا قد غلب عليك وهو
مُسْتَهْتَرٌ^(١) بالشراب ، فقال زياد : كيف لي باطراح رجل هو يُسَايِرُنِي مُنْذُ
دخلتُ العِراقَ لم يَصْصِكَ رِكَابِي رِكَابُهُ ، ولا تَقَدَّمَنِي فَنظَرْتُ إِلَى قَفَاهُ ،
ولا تَأَخَّرَ عَنِّي فَالَوَيْتُ عُتْقِي إِلَيْهِ ، ولا أَخَذَ عَلَيَّ الشَّمْسَ فِي شِتَاءِ قَطْ ، ولا

(١) مستهتر : مولع .

الروح في سيف قط ، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لم يُحسِن غيره . فلما مات زيادُ جفاه عبيدالله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة^(١) ، فقال له عبيدالله : إن أبا المغيرة كان قد برع برُوعاً لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدثٌ وإنما أنسبُ إلى مَنْ يغلبُ عليّ ، وأنت رجل تديم الشراب ، فتى قرأتك فظهرت رائحةُ الشراب منك لم آمن أن يُظنَّ بي ، فدع التبيذَ وكنْ أولَ داخلٍ عليّ وآخر خارجٍ عني ، فقال له حارثة : أنا لا أدعُه لمن يملك ضرِّي ونفعي ، أفأدعه للحال عندك ؟ قال فاختره من عملي ما شئت ، قال ثوليني رامَ هرْمَزَ ، فإنها أرض عذاة^(٢) وسرقت فين بها شراباً ووصف لي ، فولاهُ إياهما ، فلما خرج شيعته الناس ، فقال أنسُ ابن أبي أنيس :

أحارِبَنَّ بَدْرٍ قَدْ وَلَيْتَ إِمَارَةً فَكُنْ جُرْذًا فِيهَا تُخُونُ وَتَسْرِقُ^(٣)
وَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارِثُ شَيْئًا وَجَدْتَهُ فَحَظُّكَ مِنَ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرِقُ
وَبَاهٍ تَمِيمًا بِالْغِنَى إِنَّ لِلْغِنَى لِسَانَآ بِهِ الْمَرْءِ الْهَيُوبَةَ يَنْطِقُ
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَامًا مُكَذِّبُ يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَامًا مُصَدِّقُ
يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

ورثني حارثة بن بدر زيادا ، وكان زياد مات^(٤) بالكوفة ، ودفن بالشوية فقال :
صَلَّى إِلَاهُ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْنِي فَوْقَهُ الْمُورُ

(١) أبو المغيرة كنية زياد . (٢) عذاة : طيبة التربة .

(٣) الجرذ : هو الذكر من الفأر ، أو هو الكبير منه .

(٤) سنة ثلاث وخمسين وهو والى العراق لمعاوية .

زَفَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيْدَهَا فَمَّ كُلُّ الشَّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ
أَبَا الْمَغِيرَةِ وَالْذُنْيَا مُفَجَّعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِيرُ
وَكَنتَ تُعْشَى وَتُعْطَى الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ يَتُّكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليباً ، وكان كليب إذا جلس لم يرفع
بحضرتة صوت ، ولم يستب بفنائيه اثنان :

ذَهَبَ اخْيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ ^(١) وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
وَتَقَاوَلُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا

قول حارثة : الثَّوِيَّةُ ، فهي بناحية الكوفة ، ومن قال الثَّوِيَّةُ : فهو تصغير
الثَّوِيَّةِ ، وكل ياء أتصلت بها ياء أخرى فوعدت مُعْتَلَّةً طَرَفًا في التصغير
فوليتها ياء التصغير ^(٢) فهي محذوفة ، وذلك قولك في عطاء عطى ، وكان
الأصل عَطِي ^(٣) كما تقول في سحاب سَحِيْبٌ ، ولكنها تحذف لاعتلالها ،
واجتماع ياءين معها ، وتقول في تصغير أخوى أْحَى في قول من قال في
أسودَ أُسَيْدٌ ، وهو الوجه الجيد ، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو
متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والأصل أيوأم ، وكذلك سيد والأصل

(١) رواية أبي تمام : أنبت أن النار بعدك أوقدت .

(٢) الضواب : فوليت ياء التصغير .

(٣) بثلاث ياءات : الأولى ياء التصغير والثانية ياء العوض من الألف الزائدة والثالثة ياء العوض

من لام الكلمة فتحذف الثالثة ويجعل الاعراب على الثانية .

سَيَوْدُ، ومن قال في تصغير أسود أُسَيَوْدُ ، فهو جائز وليس كالأول ، قال في تصغير أَحْوَى أَحْيَوُ يَأْفَتِي ، فتثبت الياء لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياءات ، ومن قال أُسَيَوْدُ ، فإنما أظهر الواو لأنها كانت في التكبير متحركة ، ولا تقول في عَجُوزٍ إِلَّا عَجِيزٌ لأنها ساكنة ، وإنما يجوز هذا على بُعدٍ إذا كانت الواو في موضع العين من الفعل ، أو ملحقة بالعين نحو واو جَدُولٍ ، وإنما استجازوا إظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ، ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجَدَاول ، فهذا على التشبيه بهذا ، فإن كانت الواو في موضع اللام كانت منقابلة على كل حال ، تقول في غَزْوَةٍ غَزِيَّةٌ ، وفي عُرْوَةٍ عُرِيَّةٌ ، فهذا شرح صالح في هذا الموضع ، وهو مُسْتَقْصَى في الكتاب المقتضب .

وقوله : يسنى فوقه المور ، فمعناه أن الريح تَسْفِيهِ ، وجعل الفعل للمور وهو التراب ، وتقول سَقَاكَ اللهُ العَيْثَ ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث ، فتقول : سَقَاكَ العَيْثُ يَأْفَتِي ، وقال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ :

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَيٍّ وَعَارِضٌ تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ العَشِيِّ جَنُوبُ

وقوله : زفت إليه قريش نعش سيدها ، يقال : زَفَقْتُ السَّرِيرَ ، وزَفَقْتُ العَرُوسَ ، وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني الزبدي قال سمعت قوما من العرب يقولون : أَرَزَقْتُ العروس وهي لغة ، وقوله : نَعَشَ سيدها يريد موضعه من النَّسَبِ لأنه نَسَبَهُ إلى أبي سُفْيَانَ^(١) ، وكان رئيس قريش قبل

(١) أى أن سيادته إنما كانت من انتسابه لأبي سفيان .

مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ
الصَّيْدِ فِي بَطْنِ الْفَرَا . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَقْرَأُ فِرَاشًا فِي
بَيْتِهِ فِي وَقْتِ خِلاَفَتِهِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَيَقُولُ : هَذَا عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا
شَيْخُ قَرِيشٍ . وكان حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ رَئِيسَ قَرِيشٍ يَوْمَ الْفِجَارِ ، فَكَانَ آلُ
حَرْبٍ إِذَا رَكَبُوا فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ قَدَّمُوا فِي الْمَوَاقِبِ ، وَأَخْلَتْ لَهُمْ
صُدُورُ الْمَجَالِسِ ، إِلَّا رَهْطَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ
بِعَثْمَانَ . وكان أَبُو سَفْيَانَ صَاحِبَ الْعَيْرِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَصَاحِبَ الْجَيْشِ يَوْمَ أُحُدٍ ،
وَفِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ ، وَإِلَيْهِ كَانَتْ تَنْظَرُ قَرِيشٌ فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَجَعَلَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْ دَخَلَ فِي دَارِهِ فَهُوَ آمِنٌ فِي حَدِيثٍ
مَشْهُورٍ . وَقَوْلُهُ : كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعْيُورُ ، هَذَا مَثَلٌ ، وَإِنَّمَا يَرَادُ خَفَةَ
الْحُلُومِ . وَالْإِعْصَارُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو عَيْبَةَ : رِيحٌ تَهْبُؤُ بِشِدَّةِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا ، يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ
يَكُونُ جَلْدًا فَيُضَادِفُ مَنْ هُوَ أَجْلَدُ مِنْهُ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَأَصَابَهَا
إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ » .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُلُّ الصَّيْدِ فِي بَطْنِ الْفَرَا ، يَعْنِي
الْحَمَارَ الْوَحْشِيَّ . وَذَلِكَ أَنَّ أَجَلَ شَيْءٍ يَصِيدُهُ الصَّائِدُ الْحَمَارُ الْوَحْشِيَّ ، فَإِذَا
ظَفَرَ بِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِجَمَلَةِ الصَّيْدِ ، وَالْعَرَبُ تَخْتَلِفُ فِيهِ فَبَعْضُهُمْ يَهْمِزُهُ
فَيَقُولُ هَذَا قَرَأْتُ كَمَا تَرَى وَهُوَ الْأَكْثَرُ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَهْمِزُهُ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ :

أُنْكَحْنَا الْفَرَا فَسَنَرِي : أَيْ زَوَّجْنَا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَسَنَعْلَمُ كَيْفَ الْعَاقِبَةُ ،
وَجَمْعُهُ فِي الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا فِرَاةً كَمَا تَرَى ، وَنَظِيرُهُ : جَمَلٌ ، وَجِبَالٌ ، وَجَبَلٌ ،
وَجِبَالٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

بِضَرْبِ كَأَنَّ الْفِرَاءَ فُضُولُهُ وَطَعْنِ كَأَنَّ الْإِزَاعَ الْمَخَاضِ تَبُورُهَا
الْإِزَاعُ : دَفْعُ النَّاقَةِ بِيُولِهَا ، يُقَالُ : أَوْزَعْتُ بِهِ إِزَاعًا ، وَأَزَعَلْتُ بِهِ إِزْعَالًا ،
وَذَلِكَ حِينَ تَلْقَحُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهَا : خَلْفَةٌ ، وَلِلْجَمِيعِ الْمَخَاضُ وَقَدْرٌ
هَذَا ، وَالْبُورُ : أَنْ تُعْرَضَ عَلَى الْفَحْلِ لِيُعْلَمَ أَهِيَ حَامِلٌ أَمْ حَائِلٌ ؟ وَقَالَ ضَابِيُّ
ابْنِ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيُّ (مِنْ السَّجْنِ) :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارًا بِهَا لَغَرِيبُ
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا وَلَا عَن رَيْشِنٍ يَخِيبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُؤْتِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوُبُ

قوله: فَإِنِّي وَقِيَارًا بِهَا لَغَرِيبُ ، أَرَادَ فَإِنِّي لَغَرِيبٌ بِهَا وَقِيَارًا ، وَلَوْ رَفَعَ لَكَانَ
جَيِّدًا ، تَقُولُ إِنْ زِيدًا مَنْطِقٌ وَعَمْرًا وَعَمْرُو ، فَمِنْ قَالَ عَمْرًا فَإِنَّمَا رَدَّهُ عَلَى
زَيْدٍ ، وَمَنْ قَالَ عَمْرًا وَفَلَهُ وَجِهَانٌ مِنَ الْأَعْرَابِ : أَحَدُهُمَا جَيِّدٌ ، وَالْآخَرُ جَائِرٌ ،
فَأَمَّا الْجَيِّدُ فَأَنْ تَحْمَلَ عَمْرًا عَلَى الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ إِنْ زِيدًا مَنْطِقٌ فَمَعْنَاهُ
زَيْدٌ مَنْطِقٌ فَرَدَّدْتَهُ عَلَى الْمَوْضِعِ ، وَمِثْلُ هَذَا لَسْتُ بِقَائِمٍ وَلَا قَاعِدًا ، وَالْبَاءُ
زَائِدَةٌ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى لَسْتُ قَائِمًا وَلَا قَاعِدًا ، وَيَقْرَأُ عَلَى وَجْهِهِ « إِنْ اللَّهُ
بِرِيٍّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » وَرَسُولُهُ وَالْوَجْهُ الْآخِرُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا

على المضمر في الخبر ، فإن قلت إن زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته ، كما قال الله تعالى : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا . وَأَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » وإنما قبح العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكِنًا في الفعل بغير علامة ، أو في الاسم الذي يجري مجرى الفعل ، نحو إن زيدا ذهب وإن زيدا ذهب فلا علامة له ، أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربت ، سَكَنْتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد ^(١) ، ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ، ويحسن بلا تأكيد ، لأنه لا يُغَيَّرُ الفعل إذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه ، نحو ضربتك زيدا ، فأما قول الله عز وجل : « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا » ، فإنما يحسن بغير تأكيد لأن (لا) صارت عوضاً والشاعر إذا احتاج أجراه بلا تأكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن في الكلام ، قال عمر بن أبي ربيعة :

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتَ وَزُهْرٌ ^(٢) تَهَادَى كِنَعِاجِ الْمَلَا تَعَسَّفَنَ رَمَلًا

وقال جرير :

وَرَجَا الْأَخِيظِلُّ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ ^(٣) لَهُ لَيْنًا

(١) قال الشيخ المرصفي : يريد أن الضمير المتصل المرفوع إنما قبح العطف عليه لأنه كالجزم من الكلمة لا ينفك عنها فلو عطف عليه كان مثل العطف على جزء الكلمة .
 (٢) جمع زهراء ، والمذكر أزهر ، والزهراء : المرأة المشرقة البياض .
 (٣) عطف «أب» على الضمير المستتر في (يكن) كما عطف (زهرة) على الضمير المستتر في (أقبلت) .

فهذا كثير . فأما النعت إذا قلت إن زيدا يقومُ العاقلُ فأنت خير إن شئت
 قلت العاقلُ فجعلته نعتاً لزيد ، أو نصبته على المدح وهو باضمار أعنى ، وإن
 شئت رفعت على أن تُبدلهُ من المضمَر في الفعل ، وإن شئت كان على قطع
 وابتداء ، كأنك قلت إن زيدا قام ، فقل من هو ؟ فقلت : العاقلُ ، كما قال
 الله عز وجل : « قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ » أى هو النارُ
 والآية تُقرأ على وجهين على ما فسرنا : « قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَافٌ
 الْغُيُوبِ » وَعَلَافٌ الْغُيُوبِ .

وقوله : * وَمَا عَاجَلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا * يقول إذا
 لم تعجل له طيرٌ سائحةٌ فليس ذلك بمبعِدٍ خيراً عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ،
 فعاجلها لا يأتيه بخير ، وآجلها لا يدفعه عنه ، إنما له ما قُدِّر له ، والعرب
 تزجرُ على السائح^(١) وتتبركُ به ، وتكرهُ البارحَ وتتشاءم به ،
 والسائحُ : ما أراك ميسرهُ فأمكن الصائد ، والبارحُ : ما أراك ميامنه فلم
 يمكن الصائد إلا أن ينحرف له ، وقد قال الشاعر :

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْلًا مَا يُصَبِّحُهُ إِلَّا كَوَازِبَ مِمَّا يُخْبِرُ الْفَالَّ
 وَالْفَالُ وَالزَّجْرُ وَالْكُهَانُ كُلُّهُمْ مُضَلَّلُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله :

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ صَيْرَةٌ وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبٌ^(٢)
 فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ ضَارَهُ يَضِيرُهُ صَيْرَةٌ ، وَلَا ضَيْرَ عَلَيْهِ ، وَضَرَهُ يَضُرُّهُ ، وَلَا

(١) فعل زجر يتعدى بنفسه ، فتعديته يعلى خروج على الأصل .

(٢) الخشاة مصدر خشي . (٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه .

ضَرَرَ عَلَيْهِ ، وَيُقَالُ : أَصَابَهُ ضُرٌّ ، وَأَصَابَهُ ضَرْبٌ بِمَعْنَى ، وَالضَّرُّ مُصَدَّرٌ ،
وَالضَّرُّ^(١) اسْمٌ ، وَقَدْ يَكُونُ الضَّرُّ مِنَ الْمَرَضِ ، وَالضَّرُّ عَامًّا ، وَهَذَا مَعْنَى
حَسَنٍ^(٢) ، وَقَدْ قَالَ أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ ، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»
وَقَالَ رَجُلٌ لِمَعَاوِيَةَ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَايَعْتُكَ وَأَنَا كَارِهِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : قَدْ جَعَلَ
اللَّهُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا .

وقوله :

وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
نظيره قول كثير :

أَقُولُ لَهَا^(٣) يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وكان عبد الملك بن مروان يقول : لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب
لكان أشعر الناس .

وحكى عن بعض الصالحين أن ابنا له مات فلم ير به جزع ، فقيل له في
ذلك ، فقال : هذا أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم نُنكره .

(١) أوهما لغتان ، كما قيل شهد بالفتح وشهد بالضم .

(٢) يريد معنى البيت . (٣) الرواية : فقلت لها .

باب

قال أبو العباس: وجّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجليّ إلى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له، فقال له: إن حوّلني من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، ولكنني اخترتُك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك: خيرُ ذِي يَمِينٍ، أنتِ معاويةَ فخذهُ بالبيعة، فقال جريرٌ: والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئاً، وما أطعمُ لك في معاوية، فقال علي رضي الله عنه: إنما قصدي حجة أقيمها عليه، فلما أتاه جريرٌ دافعه معاوية، فقال له جريرٌ: إن المناق لا يُصلى حتى لا يجِد من الصلاة بدءاً، ولا أحسبُك تُبايعُ حتى لا تجِد من البيعة بدءاً! فقال له معاوية إنها ليست بخدعة الصبي عن اللب (١) إنه أمر له ما بعده، فأبلغني ريق، فناظرَ عمرًا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير، فقال له معاوية: ألقاك بالفصل في أول مجلسٍ إن شاء الله تعالى، ثم كتب لعمر و بمصر طعمة (٢)، وكتب عليه: ولا ينقضُ شرطُ طاعة (٣)، فقال عمرو يا غلام اكتب: ولا تنقضُ طاعة شرطاً (٤)، فلما اجتمع له أمرُهُ رفعَ عقيرته (٥) يُشدُّ لِيسْمِعَ جريراً:

(١) أي منعه عن اللب بشيء يتلوه به . (٢) يريد أنه ولاء مصر .
 (٣) معنى ذلك أنه إذا أراد معاوية أن يرجع عن إعطائه مصر لم يكن لعمر أن يرجع عن طاعته
 (٤) يريد بذلك منعه من أن يغير به .
 (٥) العقيرة: الصوت، ويقال إن الأصل فيها أن رجلاً عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته، فقبل لسلك من رفع صوته رفع عقيرته .

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَأَعْتَرَتْنِي وَسَاوِسِي
أَتَانِي جَرِيرٌ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
أَكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
إِنْ الشَّامُ أُعْطَتْ طَاعَةً يَمْنِيَّةً
فَإِنْ يَفْعَلُوا أَسْذِمَ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ
لَاتٍ أَتَى بِالْتَرَهَاتِ (١) الْبَسَابِسِ (٢)
بِتِلْكَ الَّتِي فِيهَا اجْتِدَاعُ الْمَعَاطِسِ
وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّيْنِ بِلَابِسِ
تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِي الْمَجَالِسِ
تَفْتُ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ

(الجبهة جماعة الخيل)

وَإِنِّي لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَأَى نَائِلٌ
وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِيَابِسِ

وكتب إلى علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب، أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكن أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير. لأنهما بايعاك ولم أباعك، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام. وأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قریش فلست أدفعه. ثم كتب إليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل، وهو:

(١) الترهات: الأباطيل. (٢) البسابس الففار، وهو يصف الأباطيل بالاتساع.

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا
وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدِنَانَهُمْ مِثْلَ مَا يَقْرَضُونَا
فَقَالُوا عَلِيُّ إِمَامٌ لَنَا فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا نَرَى أَنَّ تَدِينُوا لَهُ فَقُلْنَا أَلَا لَا نَرَى أَنَّ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطُ الْقَتَادِ وَضَرْبُ وَطْعَنُ يَقْرَأُ الْعِيُونَا

وأحسن الروایتین : يَفُضُّ الشَّوْءُونَ ، وفي آخر هذا الشعر ذمُّ لعليِّ بن
أبي طالب رضی الله عنه أمسكنا عن ذكره .

قوله : **وَأَكْبَنَكَ أَغْرَيْتَ** بعتان المهاجرين ، فهو من الإغراء وهو
التحضيض عليه ، يقال أغرَيْتُهُ به ، وآسَدْتُهُ عليه ، وآسَدْتُ الكلبَ على
الصيد أوسدُهُ إيساداً ، ومن قال أشلَيْتُ الكلبَ في معنى أغْرَيْتُ فقد
أخطأ ، إنما أشلَيْتُهُ دعوتُهُ إِلَى ، وآسَدْتُهُ أَغْرَيْتُهُ ، وقول ابن جَعِيلٍ : وأهلَ
العراق لهم كارهينا ، محمول على أرى ، ومن قال وأهلُ العراق لهم كارهونا
فالرفع من وجهين : أحدهما قطعُ وابتداء ، ثم عَطَفَ جَمَلَةً عَلَى جَمَلَةٍ بِالوَاوِ ، ولم
يحمله على أرى ، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً وعمروٌ منطلقٌ الساعةً ،
خَبَّرْتَ بِنَجْبٍ بعد خبر ، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا ، فيكون
معناها إذ ، كما تقول رأيت زيدا قائماً وعمرو منطلق تريد إذ عمرو منطلق ،
وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى ، وهو قول الله عزَّ وجل : « يَعْشَى طَائِفَةٌ
مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » ، والمعنى والله أعلم : إذ طائفةٌ في هذه

الحال ، وكذلك قراءة من قرأ : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ » ، أى والبحر هذه حاله ، ومن قرأ
والبخر فعلى أن . وقوله : ودناهم مثل ما يقرضونا ، يقول جزيناهم ، وقال
المفسرون فى قوله عز وجل : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » . قالوا يومُ الجزاء
والحساب ، ومن أمثال العرب : كما تدينُ تُدانُ ، وأنشد أبو عبيدة (الشعر
لزيد بن الصعق الكلابى وله خبر^(١)) :

وَأَعْلَمَ وَأَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمَ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ
وللدين مواضع منها ما ذكرنا ، ومنها الطاعة ودين الإسلام ، من ذلك
يقال فلان فى دين فلان : أى فى طاعته ، ويقال كانت مكة بلداً لقاها : أى
لم يكونوا فى دين ملك ، وقال زهير :

لَسِنٌ حَلَّتْ بِجَوْىِ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ يَبْنِنَا فَدَاكُ
فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند ، والدينُ العادة ، يقال ما زال هذا ديني
وذا بى وعادتي وديدي وإجري بى ، قال المثقب العبدى :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَصِيْنِي أَهْـذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِي
أَكُلُ الدَّهْرِ حَالٌ وَأَزْتِحَالٌ أَمَا تُبْقِي عَلَىَّ وَمَا تَقِيْنِي
وقال الكميى بن زيد :

عَلَى ذَاكَ إِجْرِي بَى^(٢) وَهَى ضَرِيْبَتِي وَإِنْ أَجْلَبُوا^(٣) طُرّاً عَلَىَّ وَأَجْلَبُوا^(٤)

(١) المراد أن لهذا البيت قصة طواها المؤلف .

(٢) الإجريا والإجريا : العادة . (٣) أجلبوا : صاحوا .

(٤) أجلبوا : اجتمعوا وتألّبوا ، وهذا البيت من قصيدة طويلة يجد الفارنى هدها وتحليلها فى

كتاب (المدائح النبوية) .

وقوله : فقلنا رضينا ابن هند رضينا ، يعنى معاوية بن أبى سفيان ، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وقوله : أن تدينوا له ، أى أن تطيعوه وتدخلوا فى دينه . أى فى طاعته :
وقوله : ومن دون ذلك خرط القتاد ، فهذا مثل من أمثال العرب ، والقتاد : شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك ، فلذلك يضرب خرطه مثلاً فى الأمر الشديد ، لأنه غاية الجهد ، ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق ، تقول فضضت عليه المال ، والشؤون واحدها شأن ، وهى مواصل قبائل الرأس ، وذلك أن للرأس أربع قبائل : أى قطع مشعوب بعضها إلى بعض ، فوضع شعبها يقال له الشؤون واحدها شأن ، وزعم الأصمى قال يقال إن مجارى الدموع منها ، فلذلك يقال استهلكت شؤونه ، وأنشد قول أوس ابن حجر :

لا تحزني بالفراق فإني لا تسهل من الفراق شؤوني

ومن قال يقر العيون ، ففيه قولان أحدهما للأصمى وكان يقول لا يجوز غيره ، يقال قررت عينه وأقرها الله ، وقال إنما هو بردت من القر ، وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول قررت هدأت ، وأقرها الله أهدأها الله ، وهذا قول حسن جميل ، والأول أغرب وأطرف .
فكتب إليه^(١) أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب إلى معاوية

(١) رجع المؤلف إلى الحديث بعد أن انتهى من شرح خطاب معاوية .

ابن صَخْرٍ ، أما بعد ، فإنه أتاني منك كتابٌ امرئٍ ليس له بصَرٌ يَهْدِيهِ ،
ولا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، دعاه الهوى فأجابه ، وقادَهُ فَاتَّبَعَهُ^(١) زَعَمْتَ أَنْكَ إِنَّمَا
أَفْسَدَ عَلَيْكَ يَبْعَتِي خَطِيئَتِي فِي عَثْمَانَ ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ أَوْزَدْتُ كَمَا أوردوا ، وَأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ
عَلَى ضَلَالٍ ، وَلَا لِيَضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى ، وَبَعْدَ فَمَا أَنْتَ وَعَثْمَانُ^(٢) إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَبَنُو عَثْمَانَ أَوْلَى بِمُطَالَبَةِ دَمِهِ ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنْكَ أَقْوَى عَلَيَّ
ذَلِكَ ، فَادْخُلْ فِي مَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ . وَأَمَا تَمَيِّزُكَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَلَعَمْرِي مَا الْأَمْرُ
فِيهَا هُنَاكَ إِلَّا سَوَاءٌ ، لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ شَامِلَةٌ ، لَا يُسْتَنْثَى فِيهَا الْخِيَارُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ
فِيهَا النَّظَرُ ، وَأَمَا شَرَفِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَمَوْضِعِي مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَعَمْرِي لَوْ اسْتَطَعْتَ دَفْعَةَ لَدَفْعَتَهُ .

ثم دعا النجاشي^(٣) أحد بني الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جُمَيْلٍ
شاعرُ أهلِ الشَّامِ ، وَأَنْتَ شَاعِرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَجِبِ الرَّجُلَ ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْمِعْنِي قَوْلَهُ ، قَالَ : إِذَا أَسْمِعَكَ شِعْرَ شَاعِرٍ ، فَقَالَ
النجاشي يجيبه :

دَعَا يَا مُعَاوِيَةَ مَا لَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْدَرُونَا
أَتَاكُمْ عَلِيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا
وبعد هذا ما تُنْسِكُ عَنْهُ .

(١) الرواية : وقاده الضلال فاتبه . (٢) سيتكلم المؤلف عن وجه الرفع في عثمان .

(٣) اسمه : قيس بن عمرو .

قوله : ليس له بصَّرٌ يهديه ، فمعناه يقوده ، والهادى : هو الذى يتقدم
فَيَدُلُّ ، والحادى : الذى يتأخر فيسوق ، والعُنُقُ يُسَمَّى الهادى لتقدمه ،
قال الأعشى :

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلَاءِ دِ صَدَرَ الْقِنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا
يصف أنه قد صمى وإنما تهديه عصاً ، ألا تراه يقول :

وَهَابَ الْمِثَارَ إِذَا مَا مَشَى وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعَثَا وَعُورَا
وقال القطامي :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي
وقال أيضاً :

قَرَّبَنَ يَقْضُونَ مِنْ مُزَلِّ مَحْيَسَةٍ وَمِنْ عَرَابِ بَعِيدَاتِ مِنَ الْحَادِي

وقوله : ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ ، قد أبان به الأول ، وقوله : دعاه الهوى ، فالهوى
من هَوَيْتُ مقصور ، وتقديره فَعَلْتُ ، فانتقلت الياء ألفاً ، فلذلك كان
مقصوراً ، وإنما كان كذلك لأنك تقول هَوَى يَهْوَى ، كما تقول فَرَقَ
يَفْرِقُ وهو هَوَى ، كما تقول هُوَ فَرَقٌ كما ترى ، وكان المصدر على فَعَلٍ
بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطْرِ ، لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل ،
فأما الهواؤه من الجَوْ فمدود ، يَدُلُّكَ على ذلك جمعه إذا قلت أهْوِيَةٌ ، لأن
أَفْعَلَةً إنما تكون جمع : فَعَالٍ وَفِعَالٍ وَفَعُولٍ وَفَعِيلٍ ، كما تقول قَدَالٌ
وَأَقْدَالَةٌ وحمار وأحمرَةٌ فهواؤه كذلك ، والمقصور جمعه أهواؤه فاعلم ، لأنه
على فَعَلٍ وجمع فَعَلٍ أفعالٌ ، كما تقول : جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ وَقَتَبٌ وَأَقْتَابٌ ، قال

الله عز وجل : « وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ » ، وقوله هذا هَوَايَ يافتي في صفة
الرجل إنما هو ذمٌ ، يقول لا قلب له ، قال الله عز وجل : « وَأَفْنَدْتَهُمْ
هَوَايَ » أى خالية ، وقال زهيرٌ :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنْ الظُّلْمَانِ جَوْجُوهُ هَوَايَ
وهذا من هَوَاءِ الْجَوِّ . قال الهذلي :

هَوَايَ مِثْلُ بَعْلِكَ مُسْتَمِيَتْ عَلَى مَا فِي وَعَائِكَ كَالْحِيَالِ

وكل واو مكسورة وقعت أولاً فهزها جازئ يُنشدُ على ما في إِعَائِكَ ، ويقال
وِسَادَةٌ وَإِسَادَةٌ ، ووشاحٌ وإِشاحٌ .

وأما قوله : فما أنتَ وعثمانُ ، فالرفع فيه الوجه لأنه عطفَ أسماءٍ ظاهراً
على اسمٍ مضمرةٍ منفصلةٍ وأجراه مُجْرَاهُ وليس ههنا فِعْلٌ فَيَحْمَلُ على
المفعول ، فكأنه قال : فما أنتَ وما عثمانُ ، هذا تقديره في العربية ،
ومعناه لَسْتُ منه في شيء ، قد ذكر سيديويه رحمه الله النصب وجوزّه
جوازاً حسناً وَجَعَلَهُ مفعولاً معه وأضمر كان من أجلِ الأستفهام ،
فتقديره عنده ما كنتَ وفلاناً ، وهذا الشعر كما أَصِفُ لَكَ يُنشدُ :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَأَهْلُنَا تَهَامٍ وَمَا النَّجْدِيُّ وَالْمُتَعَوِّرُ
وكذلك قوله (هو زيادُ الأعجم)^(١) .

تُكَلِّفُنِي سَوِيْقَ الْكَرْمِ جَرْمٌ وَمَا جَرْمٌ وَمَا ذَاكَ السَّوِيْقُ^(٢)

(١) هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى قيس ، وكان ينزل باصطخر فغلبت العجمة على لسانه فلقب
بالأعجم . وهو شاعر أموي .

(٢) سويق الكرم : هو الخمر ، وهو يستكثر شربه على قبيلة جرم .

فإن كان الأول مضمراً متصلاً كان النصب لئلاً يُحْمَلَ ظاهر على مضمراً ،
تقول مالكٌ وزيداً ، وذلك أنه أَضْمَرَ الفِعْلَ ، فكأنه قال في التقدير
ومُلاَبَسَتِكَ زيداً ، وفي النحو تقديره مع زيد ، وإنما صَلَحَ الإِضْمَارُ لأن
المعنى عليه إذا قلتَ مالكٌ وزيداً ، فإِنَّمَا تنهَاهُ عن ملابسته ، إذ لم يجوز زيدٌ^(١)
وَأَضْمَرْتَهُ لأن حروف الأستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان
على غير إضمار ، نحو قولك ما زِلْتُ وَعَبَدْتُ اللهَ حتى فَعَلْتَهُ ، لأنه ليس يريد
ما زِلْتُ وما زال عبداً لله ، ولكنه أراد ما زِلْتُ بعبد الله ، فكان المفعول
مخفوضاً بالباء ، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفِعْلُ إليه فنصبه ، كما قال تعالى
« واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رجلاً » فالواو في معنى مع ، وليست
بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ (هو
لمسكين الدارمي^(٢)) .

فَمَالِكَ وَالتَّلْدُدُ^(٣) حَوْلَ نَجْدٍ وَقَدْ غَصَّتْ^(٤) تِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ
ولو قلتَ ما شأنك وزيداً ، لاختير النصب لأن زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأن
المعطوف على الشيء أبداً في مِثْلِ حاله ، ولو قلتَ ما شأنك وشأن زيد
لرفعت ، لأن الشأن يمطف على الشأن ، وهذه الآية تُفَسِّرُ على وجهين من
الإعراب : أحدهما هذا ، وهو الأجود فيها ، وهو قوله عز وجل « فَأَجْمِعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » فالمعنى والله أعلم مع شركائكم ، لأنك تقول

(١) لأن عطفه على المضمرة المحرور بدون إعادة الجارة قبيح .

(٢) هو ربيعة بن عاصم بن أنيف - بالتصغير - شاعر أموي ، ومسكين لقب غلب عليه .

(٣) التلدد : هو التلفت في حيرة . (٤) ضاقت .

جَمَعْتُ قَوْمِي ، وَأَجْمَعْتُ أُمْرِي ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا أُدْخِلَ الشَّرْكَاءَ مَعَ
الْأَمْرِ سَمَلَهُ عَلَى مِثْلِ لَفْظِهِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ ، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ
(هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِيِّ) :

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

وقال آخر :

* شَرَابُ الْبَانِ وَتَمْرٍ وَأَقِطُ *

وهذا يبين .



ويروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا ، فقال : يا أخي
لقد هممتُ اليومَ أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئس والله
ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين ، ووليَّ عهدِ المسلمين ، فقال : إن خيلي
مرَّتْ به فعَبِثَ بها وَأَصْغَرَنِي ، فقال له خالد : أنا أكتفيك ، فدخل خالد
على عبد الملك والوليد عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الوليدُ ابن أمير
المؤمنين ، ووليَّ عهدِ المسلمين ، مرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد
فَعَبِثَ بها وَأَصْغَرَهُ ، وعبدُ الملكِ مُطْرَقُ ، فرفع رأسه ، فقال : « إِنَّ الْمُلُوكَ
إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » ،
فقال خالد : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا^(٢) مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا^(٣) فِيهَا

(١) أي ومتقلدا ربحا .

(٢) أي أمرناهم بالطاعة وفعل الخير . (٣) أي خالفوا أمر الله وخرجوا عن طاعته .

فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا» ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله
تُكَلِّمُنِي ؟ والله لقد دَخَلَ عَلَيَّ فَمَا أَقَامَ لِسَانَهُ حُنَانًا ! فقال له خالد : أَفَعَلَى
الوليد تُعَوَّلُ ؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليدُ يَلْحَنُ فَإِنَّ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ ،
فقال له خالد : وإن كان عبد الله يَلْحَنُ فَإِنَّ أَخَاهُ خَالِدَ ، فقال له الوليد :
أَسْكُتُ يَا خَالِدَ ، فوالله ما تُعَدُّ فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فقال خالد : أَسْمَعُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : وَيْحَكَ فَمَنْ الْعَيْرُ وَالنَّفِيرُ غَيْرِي ؟
جَدِّي أَبُو سُفْيَانَ صَاحِبُ الْعَيْرِ ، وَجَدِّي عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ صَاحِبُ النَّفِيرِ ،
وَلَكِنْ لَوْ قُلْتَ : غُنَيْمَاتٌ ، وَحُبَيْلَاتٌ ، وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ
لَقُلْنَا صَدَقْتَ !

أما قوله : فِي الْعَيْرِ فَهِيَ عَيْرُ قُرَيْشٍ الَّتِي أَقْبَلَ بِهَا أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الشَّامِ
فَنَهَدَ^(١) إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَدَبَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ :
لَعَلَّ اللَّهُ يُنْفِلُكُمْوهَا ؛ فَكَانَتْ وَقْعَةً بَدْرٍ ، وَسَاحِلَ^(٢) أَبُو سُفْيَانَ بِالْعَيْرِ ،
فَكَانَتْ الْغَنِيمَةُ بَدْرٍ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى
الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ »
أَيَّ غَيْرِ الْحَرْبِ ، فَمَا ظَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ بَدْرٍ ، قَالَ
الْمُسْلِمُونَ : أَنْهَدَ بِنَا يَارَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعَيْرِ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّمَا وَعَدَكُمْ
اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ .

وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاءوا فكانت وقعة

(١) نهى : نهض . (٢) ساحل : أتى بالعير ساحل البحر .

بَدْرٍ، وكان شيخُ القومِ عُتْبَةُ بنَ رَبيعةَ بنِ عبدِ شمسٍ، وهو جدُّ خالدٍ من قِبَلِ
جَدَّتِهِ هِنْدٍ أُمِّ معاويةَ بنتِ عُتْبَةَ، ومن أمثال العرب :

لَسْتُ فِي العِيرِ يَوْمَ يَحْدُونَ بِالعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ يَوْمَ النَّفِيرِ
ثم اتَّسَعَ هذا المَثَلُ حتى صار يقال لِمَنْ لَا يَصْلِحُ لخيرٍ وَلَا لشرٍ وَلَا يُحْفَلُ بِهِ :
لَا فِي العِيرِ، وَلَا فِي النَّفِيرِ .

وقوله : غنيات ، وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أُطْرِدَ الحَكَمَ بنَ أَبِي العاصي بنِ أُمَيَّةَ (١) ، وهو جدُّ عبدِ الملكِ
أبنِ مَرْوَانَ جَاءَ إلى الطائف ، فكان يَرَعَى غُنِيَّاتٍ وَيَأْوِي إلى حُبَيْلَةٍ ،
وهي الكَرَمَةُ .

وقوله : رحم الله عثمان : أي لِرَدِّهِ إِيَّاهُ ، وقولنا أُطْرِدَهُ : أي جعله
طَرِيداً ، وطْرَدَهُ : نَحَّاهُ ، كما تقول حَمِدْتُهُ : أي شكرته ، وَأَحْمَدْتُهُ : أي
صادفته محموداً ، وكان عثمان رحمه الله أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رَدِّهِ متى أَفْضَى الأمرُ إليه ، رَوَى ذلك الفقهاء .

(١) يروى أنه كان يستغنى ويتسمع أسرار رسول الله إلى أصحابه فيفشيها إلى كبار المشركين
ورؤساء المنافقين .

باب

قال أبو العباس : قال رجلٌ من بني أسد بن خزيمَةَ يدح يحيى بن حيان أخا النَّخَعِ^(١) بن عمرو بن عُلَّة بن جلد بن مذحج ، وهو مالكٌ :

أَلَا جَعَلَ اللهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُمْ فِدَى لِفَتَى الْفَتِيَانِ يَحْيَى بْنِ حِيَانٍ
وَلَوْ لَا عُرَيْقٌ فِي مَنِ عَصَبِيَّةٍ لَقُلْتُ وَالْفَأْ مِنْ مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ
وَلَكِنْ نَفْسِي لَمْ تَطْبُ بِعَشِيرَتِي وَطَابَتْ لَهُ نَفْسِي بِأَبْنَاءِ قَحْطَانَ

وهذا من التَّعَصُّبِ الْمُفْرِطِ . وحدثني شيخ من الأزدِ ثقةٌ عن رجلٍ منهم أنه كان يطوف بالبيت ، وهو يدعو لأبيه ، ف قيل له : ألا تدعو لأمك ؟ فقال : إنها تميميةٌ .

وسمع رجلٌ يطوف بالبيت ، وهو يدعو لأُمِّه ، ولا يذكر أباه فعوتب ، فقال : هذه ضعيفةٌ ، وأبى رجلٌ يحتال لنفسه .

وحدثني المازني عن حدثه قال : رأيت رجلاً يطوف بالبيت ، وأُمُّه على عُنُقِهِ ، وهو يقول :

أَحْمِلُ أُمَّيْ وَهِيَ الْحَمَالَةُ تَرْضَعُنِي الدَّرَّةَ وَالْعَمَلَةَ
* وَلَا يُجَازِي وَالِدُ فَعَالَهُ *
* وَلَا يُجَازِي وَالِدُ فَعَالَهُ *

قوله : الدرَّة ، فهو أسمٌ ما يدُرُّ من نَدْيِهَا ، ابتداءً كان ذلك ، أو غير ذلك ،

(١) لقب تلقب به يوم انتزع عن قومه وبعد عن أرضهم .

والعلالة لا تكون إلا بعدُ ، يقال عَلَّهُ يَعْلُهُ وَيَعْلُهُ عَلًّا ، والاسم العلالةُ ،
وكلُّ شيءٍ كان على فعلتُ من المدغم ، فمضارعه إذا كان متعدِّياً إلى مفعول
يكون على يَفْعَلُ ، نَحْوَ رَدَّه يَرُدُّه ، وَسَجَّه يَسْجُجُهُ ، وَفَرَّه يَفْرُهُ ، فإذا قلتُ
فَرَّه يَفْرُهُ ، فإنما ذلك لأنه غير مُتَعَدِّ إلى مفعول ، ولكن تقول : فَرَّتُ
الدابةَ أَفْرُهُ ، وجاءَ فَعَلَ يَفْعَلُ من المتعدِّى في ثلاثة أحرف ^(١) يقال : عَلَّهُ
يَعْلُهُ وَيَعْلُهُ ، وَهَرَّه يَهْرُهُ وَيَهْرُهُ : إذا كرهه ، ويقال : أَحَبَّهُ يُحِبُّهُ ، وجاءَ
حَبَّهُ يُحِبُّهُ ، ولا يكون فيه يَفْعَلُ ، قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَطِلَابَ مِصْرٍ لَكَ لَمْزُودٍ مِمَّا حَبَّ بَعْدًا
وقال آخر :

وَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ
وقرأ أبو رجاء العطاردي ^(٢) « فَاتَّبِعُونِي يَحِبُّكُمْ اللَّهُ » ففعل في هذا شيئين
أحدهما أنه جاء به من حَبَبْتُ ، والآخر أنه أدغم في موضع الجزم ، وهو
مذهب تميم ، وقيس ، وأسدي . وَجَمَاعَةٌ من العرب يقولون : رُدُّ يافتي
يدغمون ، ويُحَرِّ كَوْنَ الدال الثانية لالتقاء الساكنين فَيُتَّبِعُونَ الضمة
الضمة ، ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين ، فيقول : رُدُّ ، يافتي ، لأن الفتح
أخف الحركات ، ومنهم من يقول رُدُّ يافتي فيكسر لأن حق التقاء
الساكنين الكسر ، فإذا كان الفعل مكسوراً فنيه وجهان ، تقول : فَرَّ

(١) قال الشيخ الرصفي : يزداد عليه : بث الخير بيته ، وثه بيته ، وتم الحديث ينه ، وبث الجبل

بيته ، وشده يشده ، وشج رأسه يشجه .

(٢) اسمه عمران بن عبد الله أو ابن ملحان - بكسر فسكون .

يافى للاتباع وللأصل فى التقاء الساكنين ، وتفتح لأن الفتح أخف الحركات ، وإذا كان مفتوحا فالتفتح للاتباع ، ولأنه أخف الحركات ، والكسر على أصل التقاء الساكنين ، نحو عَضَّ يافى وعَضَّ يافى ، فإذا لقيته ألف ولام فالأجود الكسر من أجل ما بعده ، وهى لام المعرفة ، نحو .

فَعَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنِيرٍ (فلا كعبا بلفت ولا كلابا)

ومنها من يُجْرِيهِ مُجْرَى الْأَوَّلِ فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأول فيقول (هو جرير) :

ذُمُّ الْمَنَارِلِ بَعْدَ مَنزَلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَثِكَ الْأَيَّامِ

ومن كان من شأنه أن يتبع أو يكسر فعلى ذلك ، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل « وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى ، فيقولون : أَرْدُدْ وَاغْضُضْ ، ويقولون : أفرز من زيد وعضض ، لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان ، وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطَرِّدٌ بَيْنٌ ، وقد شرحناه فى الكتاب المُقْتَضَبِ على حقيقة الشرح .



وقال الآخر :

وَإِنْ هَوَّنتَ مَا قَدَّ عَزَّهَانَا	إِذَا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضَاقَ جَدًّا
فَكَمْ أَمْرٍ تَصَعَّبَ شِمَ لَنَا	فَلَا تَهْلِكُ لَشَيْءٍ فَاتٍ يَا سَا
عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهَوَانَا	سَاصِبِرُ مِنْ رَفِيقِي إِنْ جَفَانِي

فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خَلَاءِ وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يَهَانَا

وقال آخر أَحْسِبُهُ مِنْ لُصُوصِ بَنِي سَعْدِ (قال أبو الحسن هو عُيَيْدُ
أَبْنِ أَيُّوبَ الْعَنْبَرِيِّ^(١)) ، وأنشد هذا الشعر ثعلب) :

فَإِنِّي وَتَرَكِي الْإِنْسَ مِنْ بَعْدِ حُبِّهِمْ وَصَبْرِي عَمَّنْ كُنْتُ مَا إِنْ أَزَايِلُهُ

لِكَالصِّقْرِ جَلِي بَعْدَ مَا صَادَ قَنِيةً قَدِيرًا وَمَشْوِيًا عَيْطًا خَرَادِلُهُ

أَهَابُوا بِهِ فَازْدَادَ بُعْدًا وَصَدَّهُ عَنِ الْقُرْبِ مِنْهُمْ ضَوْءُ بَرْقٍ وَوَابِلُهُ

أَلَمْ تَرَنِي صَاحِبَتُ صَفْرَاءَ نَبْعَةٍ لَهَا رَبْدِي لَمْ تُفَلِّحْ مَعَابِلُهُ

وَطَالَ احْتِضَانِي السِّيفَ حَتَّى كَانَمَا يَلَاطُ بِكَشْحِي جَفْنُهُ وَحَمَائِلُهُ

أَخْوَفَاوَاتِ صَاحِبِ الْجِنِّ وَانْتَحَى عَنِ الْإِنْسِ حَتَّى قَد تَقَضَّتْ وَسَائِلُهُ

لَهُ نَسَبُ الْإِنْسِيِّ يُعْرِفُ نَجْرُهُ وَاللَّجِنُّ مِنْهُ شَكْلُهُ وَشَمَائِلُهُ

قوله : وَصَبْرِي عَمَّنْ كُنْتُ مَا إِنْ أَزَايِلُهُ ، إن زائدة ، وهي تُرَادُ مُعَيَّرَةٌ
لِلْإِعْرَابِ ، وَتُرَادُ تَوَكِيدًا ، وَهَذَا مَوْضِعُ ذَلِكَ ، فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُعَيَّرُ فِيهِ
الْإِعْرَابُ هُوَ وَقُوعُهَا بَعْدَ مَا الْحِجَازِيَّةُ ، تَقُولُ مَا زِيدُهُ أَخَاكَ ، وَمَا هَذَا بَشَرًا ،
فَإِذَا أَدْخَلْتَ إِنْ هَذِهِ بَطَلَ النِّصْبَ بِدُخُولِهَا ، فَقُلْتَ : مَا إِنْ زِيدُهُ مَنْطَلِقُ ،
قَالَ الشَّاعِرُ (هُوَ فَرَوَةٌ بِنِ مَسِيكٍ الْمُرَادِيُّ) :

وَمَا إِنْ طِبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ آخِرِينَا

فَزَعَمَ سَيْبُويَه أَنَّهَا مَنَعَتْ (مَا) الْعَمَلَ كَمَا مَنَعَتْ مَا إِنْ الثَّقِيلَةَ أَنْ تَنْصِبَ ،
تَقُولُ إِنْ زِيدًا مَنْطَلِقُ ، فَإِذَا أَدْخَلْتَ (مَا) صَارَتْ مِنْ حُرُوفِ الْإِبْتِدَاءِ ،

(١) نسبة إلى العنبر بن عمرو بن نعيم .

ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال ، نحو إنما زيد أخوك « وإنما يخشى الله من عباده العلماء » ولولا (ما) لم يقع الفعل بعد إن لأن إن بمنزلة العمل ، ولا يلي فعلٌ فعلاً لأنه لا يعملُ فيه ، فأما كان يقوم زيدٌ ، وكاد تزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ففي كان وكاد فاعلان مكثبان^(١) .

(و) (ما) تُراد على ضربين ، فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كإلغائها ، نحو « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ » أي بفرحة ، وكذلك : « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا » . وكذلك : « مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ » . وَتَدْخُلُ لِتَغْيِيرِ اللَّفْظِ ، فَتُوجِبُ فِي الشَّيْءِ مَا لَوْلَا هِيَ لَمْ يَقْع ، نَحْوُ رُبَّمَا يَنْطَلِقُ زَيْدٌ وَرُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا » ولولا ما لم تقع رب على الأفعال لأنها من عوامل الأسماء ، وكذلك جئتُ بعد ما قام زيد ، كما قال المرارُ (هو المرار^(٢) الفقعسي) :

أَعْلَاقَةٌ^(٣) أُمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَغَامِ الْمُخْلِسِ
فلولا (ما) لم يقع بعدها إلا اسم واحد ، وكان مخفوضاً بإضافة بعد إليه ، تقول جئتُك بعد زيدٍ .

وقوله : كَالصَّقْرِ جَلِيٌّ ، تأويل التجلي أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فَيَتَشَوَّفُ
إليه ، فهذا معنى جَلِيٌّ ، قال العجاج :

* تَجَلَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ *

أى نظَرَ ، ويقال تجلَّى فلانٌ فلانةً تجلياً ، واجتلاها اجتلاءً ، أى نظَرَ
إليها وتأملها ، والأصل واحد .

(١) يعبر عنهما بضمير الشأن . (٢) على وزن شداد ، واسمه سعيد بن حبيب .

(٣) الهمزة للانكار ، والعلاقة بالفتح : الحب .

وقوله: قَدِيرًا، هو ما يُطْبَخُ فِي الْقَدْرِ، يُقَالُ قَدِيرٌ وَمَقْدُورٌ كَقَوْلِكَ:
قَتِيلٌ وَمَقْتُولٌ، وَقَوْلُهُ عَيْطًا خَرَادِلُهُ، فَالْعَيْطُ الطَّرِيُّ^(١) يُقَالُ لَحْمٌ عَيْطٌ
إِذَا كَانَ طَرِيًّا، وَكَذَلِكَ دَمٌ عَيْطٌ، وَيُقَالُ اعْتَبَطَ فُلَانٌ بِكَرْتِهِ إِذَا نَحَرَهَا
شَابَةً مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، وَكَذَلِكَ اعْتَبَطَ فُلَانٌ إِذَا مَاتَ شَابًا، قَالَ أُمَيَّةُ (بْنُ أَبِي
الصَّلْتِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ):

مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِمَوْتِ كَأْسٍ فَلَرَهُ ذَائِقُهَا

وحدثنى الزُّيَادِيُّ إِبرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ تَحَدَّثَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ نَزَلْتُ بِرَجُلٍ مِنْ
طَيْبِيٍّ، فَنَحَرَ لِي نَاقَةً فَأَكَلْتُ مِنْهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ نَحَرَ أُخْرَى، فَقُلْتُ:
إِنَّ عِنْدَكَ مِنَ اللَّحْمِ مَا يُغْنِي وَيَكْفِي، فَقَالَ: إِنْ وَاللَّهِ لَا أُطْعِمُ ضَيْفِي إِلَّا لَحْمًا
عَيْطًا، قَالَ وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ آكَلَ شَيْئًا،
وَيَأْكُلُ الطَّائِيُّ أَكْلَ جَمَاعَةٍ، ثُمَّ نُؤْتَى بِاللَّبَنِ فَأَشْرَبُ شَيْئًا، وَيَشْرَبُ
حَامَّةَ الْوَطْبِ^(٢)، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ارْتَقَبْتُ عُفْلَتَهُ فَاصْطَجَعُ،
فَلَمَّا اتَّلَا نَوْمًا اسْتَقَّتْ قَطِيعًا مِنْ إِبِلِهِ فَأَقْبَلْتُهُ الْفَجْجَ^(٣) فَانْتَبَهَ، وَاخْتَصَرَ
عَلَى الطَّرِيقِ حَتَّى وَقَفَ لِي فِي مَضِيْقٍ مِنْهُ، فَأَلْقَمَ وَتَرَهُ فُوقَ سَهْمِهِ، ثُمَّ
نَادَى بِي: لِتَطْبِ نَفْسِكَ عَنْهَا! قُلْتُ أَرْنِي آيَةً، فَقَالَ: انظُرْ إِلَى ذَلِكَ
الضَّبِّ، فَإِنِّي وَاصِعٌ سَهْمِي فِي مَعْرِزِ ذَنْبِهِ، فَرَمَاهُ فَأَنْدَرَ ذَنْبَهُ^(٤)، فَقُلْتُ:

(١) غير النضيج .

(٢) الوطْب: سقاء اللبن يتخذ من الجلد .

(٣) الفجج: طريق واسع بين جبلين، أو هو كل طريق بعد، والجمع الفجاج .

(٤) أندر ذنبه: أسقطه .

زِدْنِي، فقال: انظر إلى أعلى فقَارِهِ، فرماه فَأَثْبَتَ سهمه في الموضع، ثم قال لي
الثالثةُ وألله في كَبِدِكَ! قال فقلت: شَأْنُكَ يَا بَلِيكَ! فقال: كَلَّا حتى تَسَوْفَهَا
إلى حَيْثُ كَانَتْ، قال: فلما انتهيت بها قال: فَكَّرْتُ فِيكَ، فلم أجد لي
عندك تِرَةً تُطَالِبُنِي بها، وما أَحْسِبُ الَّذِي حَمَلَك على أَخْذِ إِبِلِي إِلَّا الْحَاجَةَ،
قال: قلتُ هو وألله ذاك، قال فاعمِدْ إلى عشرين من خِيَارِهَا فَخُذْهَا، فقلت
إِذَا وَألله لأفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ، وألله ما رأيتُ رجلاً أكرمَ ضِيَاةً،
ولا أهْدَى لسبيلٍ، ولا أَرْحَى كَفًّا، وَلَا أَوْسَعَ صَدْرًا، وَلَا أَرْغَبُ^(١)
جَوْفًا، وَلَا أكرمَ عَفْوًا منك. قال: فاستحيا فَصَرَفَ وجهه عني، ثم
قال: انصَرَفَ بِالْقَطِيعِ مُبَارَكًا لَكَ فِيهِ.

وقوله: خِرَادِلُهُ^(٢) يعني قِطْعَهُ، يقال ضربه ضرباً خِرْدَلَهُ، وتأويله قِطْعَهُ

كما قال:

* وَالضَّرْبُ يَمْضِي بَيْنَنَا خِرَادِلًا *

وقوله: أهابوا به، يقول، دَعَوُهُ يقال: أَيْهَ بِهِ، وَأَهَابَ بِهِ: أى ناداه،
قال القُرَشِيُّ:

أَهَابَ بِأَحْزَانِ الْفُؤَادِ مُهَيَّبٌ وَمَاتَتْ نُفُوسٌ لِلْهَوَىٰ وَقُلُوبٌ

وقوله: ضَوْءٌ بَرَقَ ووابله، أراد صَدَّهُ عنهم ضَوْءٌ بَرَقَ ووابله، فأضاف
الوابل من المطر إلى البرق، وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين،

(١) من الرغب بالضم، وهو سعة البطن.

(٢) الأصل: خِرَادِلُهُ، حذف الياء للتخفيف، والواحدة خردولة على وزن عصفورة، وهي العضو الوافر من اللحم، وخردل اللحم: قطعه قطعا صغيرة.

ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه ، فالذي هو غيره
غلامٌ زيدٌ ، ودارٌ عمروٌ ، والذي هو بعضه ثوبٌ خزٌّ ، وخاتمٌ حديدٌ ،
وإنما أضاف الوايل إلى البرق ، وليس هو له كما قلت : دار زيد على جهة
المجاورة ، وأنهما راجعان إلى السحابة ، وقد يضاف ما كان كذا على السعة ،
كما قال الشاعر :

حتى أَنَحْتُ قَلُوصِي فِي دِيَارِكُمْ بخير مَنْ يَحْتَدِي نَعْلًا وَحَافِيهَا
فأضاف الحافي إلى النعل ، والتقدير حافٍ منها . وقوله : ألم ترني صاحب
صفراء نَبْعَةً ، فالنَّبْعُ خير الشجر للقسي ، ويقال إن النَّبْعَ والشَوْحَطَ
والشَّرِيَانَ شجرةٌ واحدة ، ولكنها تختلف أسماؤها وَتَكْرُمٌ وَتَحْسُنُ
بمنابتها ، فما كَانَ فِي قُلَّةِ الجبل منها فهو النَّبْعُ ، وما كَانَ فِي سَفْحِهِ فهو
الشَوْحَطُ ، وما كَانَ فِي الحَضِيضِ فهو الشَّرِيَانُ . وقوله لها رَبْدِيٌّ ، يريد
وترًا شديد الحركة عند دفع السهم ، يقال رجل رَبْدٌ اليد إذا كَانَ يكثر
التحريك ليديه والعَبَثُ بهما ، ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه ،
وَكَانَ الأَصْلُ رَبْدِيًّا^(١) لأنه رَبْدٌ ، ولكن ما كَانَ مِنْ فَعَلٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِ
فتح موضع العين منه استنقالاتًا لاجتماع ياء النسب وكسرة اللام ، لأن ياء
النسب تَكْسِرَانِ ما تَلِيَانِهِ ، فلم يَدْعُوا مع ذلك العَيْنَ مَكْسُورَةً ، تقول في
النسب إلى النَمِرِ بن قَاسِطٍ نَمْرِيٌّ ، وإلى الحَبِطَاتِ حَبْطِيٌّ ، وإلى شَقْرَةَ وهو
الحرث بن تميم بن مُرِّ شَقْرِيٌّ ، وفي النسب إلى عَمِّهِ عَمَوِيٌّ يَافِي .

(١) لأن الباء مكسورة في المنسوب إليه .

وقوله : لم تُقَلِّدْ مَعَايِلَهُ ، يريد لم ينكسر حَدُّهَا من الفُلُول . ويروى أن
عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ سَأَلَ عبدَ المَلِكِ أن يَرُدَّ عَلَيْهِ سِيفَ أَخِيهِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ
فَأَخْرَجَهُ إِلَيْهِ فِي سِيفٍ مُنْتَضَاةٍ ، فَأَخَذَهُ عُرْوَةُ مِنْ بَيْنِهَا ، فَقَالَ لَهُ عبدُ المَلِكِ :
بِمَ عَرَفْتَهُ ؟ فَقَالَ : بِمَا قَالَ النَابِغَةُ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيفَهُمْ
وَالْمِعْبَلَةُ : وَاحِدَةُ المَعَابِلِ ، وَهِيَ سَهْمٌ خَفِيفٌ ، قَالَ عَنَتَرَةُ :

وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهُمْ أَجْرَزَتْ رُمْحِي ^(١) وَفِي البَحْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيْعُ
بِاسْكَانِ الجَيْمِ لِأَعْيَرٍ ^(٢) (قَالَ أَبُو الحَسَنِ : بِجَيْلَةٍ ^(٣) قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي الهُجَيْمِ مِنْ
الْيَمَنِ) .

(١) يريد أجزرته رمحي ، وذلك إذا طمنه وترك الرمح فيه يجره .
(٢) أي إسكان الجيم في البجلي لأنه منسوب إلى بجلة بسكون الجيم فلم تغير في النسب .
(٣) هذا التعليق غير واضح ، لأن بجيلة غير بجلة .

باب

قال أبو العباس : تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هنَّ شَرَفٌ مِنْ هُنَّ
 منه^(١) منهنَّ أمُّ كَلْثُومٍ بنت عبد الله بن جَعْفَرِ بن أبي طالب ، وآمنة بنت
 سعيد بن العاصي بن أمية ، ورَمْلَةُ بنت الزُّبَيْرِ بن العَوَّامِ بن خُوَيْلِدِ بن أسد
 ابن عبد العزى بن قُصَيٍّ ، ففي ذلك يقول بعض الشعراء^(٢) يُحَرِّضُ عليه
 عبد الملك :

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ فِي خَالِدٍ عَمَّا تُحِبُّ صُدُودُ
 إِذَا مَا نَظَرْنَا فِي مَنْا كَيْحِ خَالِدٍ عَرَفْنَا الَّذِي يَنْوِي وَأَيْنَ يُرِيدُ

فَطَلَّقَ آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ففي ذلك يقول خالد :
 فَتَاةٌ أَبُوهَا ذُو الْعِصَابَةِ وَابْنُهُ وَعِثْمَانُ مَا أَكْفَاؤُهَا بِكَثِيرِ^(٣)
 فَإِنْ تَفْتَلْتَهَا وَالْخِلَافَةَ تَنْقَلِبُ بِأَكْرَمِ عَلِيٍّ مِنْبَرٍ وَسَرِيرِ
 قوله : أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاص بن أمية ، وذلك أن قومه يدكرون
 أنه كان إذا اعتم لم يعتم قرشيًا إعظامًا له ، وينشدون :

أَبُو أَحِيحَةَ مَنْ يَعْتَمُّ عِمَّتَهُ يُضْرَبُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَاعَدَدِ

ويزعم الزُّبَيْرِيُّونَ أن هذا البيت باطل موضوع ، وقوله : فان تفتلتها ، يقول
 تأخذها فجاءةً ، ومن ذلك قول الشاعر :

مَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامَ بَعْدَ صُبَيْرَةَ الْقُرَشِيِّ مَا تَا

(١) يريد أنهم شرفين من ينسب إليهم من الآباء والأهبات لما اشتملوا عليه من روعة الجمال وكرم
 العفاف . (٢) هو سعيد بن شداد القرشي . (٣) وفي رواية أخرى :
 فتاة أبوها ذو العمامة وابنه أخوها فما أكفاؤها بكثير

سَبَقَتْ مَنِئْتُهُ الْمَشِيبَ وَكَانَ مَنِئْتُهُ افْتِلَاتَا
(صبيرة بالصاد مهملة في الرواية المشهورة ، وبالضاد معجمة ، رواية عاصم
على الشرط^(١) وكسر النون لالتقاء الساكنين ، ورواية ابن سراج برفع يأمن
على الاستفهام) . وفي الحديث أن رجلاً قال : يا رسول الله إن أُمِّي افْتُلِتَتْ ،
أى ماتت فُجَاءَةً .



ويروى أن آمنة لَبِثَتْ عند الْوَلِيدِ ، فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَمَى بِهَا
سَاعٍ إِلَى الْوَلِيدِ ، قال أبو العباس : وبلغني أنها سَعَتْ بِهَا إِحْدَى ضَرَّائِهَا إِلَى
الْوَلِيدِ بِأَنَّهَا لَمْ تَبْكِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ كَمَا بَكَى نَظَائِرُهَا ، فقال لها الوليد في
ذلك ، فقالت : صَدَقَ الْقَائِلُ ، أَكُنْتُ قَائِلَةً ؟ ماذا أقول ، يالَيْتَهُ كَانَ بَقِيَ
حَتَّى يَقْتُلَ أَخًا لِي آخِرَ كَعْمَرِ بْنِ سَعِيدٍ ! وفي رَمَلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالد :
تَجُولُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى لِرَمَلَةَ خَلْخَالَ يَجُولُ وَلَا قَلْبًا^(٢)
فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الْمَلَامَ فَإِنِّي تَخَيَّرْتُمُهَا مِنْهُمْ زُبَيْرِيَّةً قَلْبًا^(٣)
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طَرًّا حُبًّا وَمَنْ أَجْلَهَا أَحْبَبْتُ أَخَوَاهَا كَلْبًا
وَزَيْدَ فِيهَا :

فَإِنْ تُسَلِّمِي أُسَلِّمُ وَإِنْ تَنْصَرِي يُعَلِّقُ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

(١) أى بجزم الفعل . (٢) القلب بالضم : السوار .

(٣) امرأة قلب بفتح القاف وضمها : خالصة النسب .

فيروي أن عبد الملك ذكّر له هذا البيت ، فقال له : يا خالد أتروي هذا البيت ؟ فقال يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله !

وذكر العشي أن الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجته ابنته استأجله في نقلها سنة ، ففكر عبد الله بن جعفر في الانفكاك منه فالتقى في روعه خالد بن يزيد ، فكتب إليه يعلمه ذلك ، وكان الحجاج تزوجها بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابه ليلاً فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل له : أفي هذا الوقت ؟ فقال إنه أمر لا يؤخر ، فأعلم عبد الملك بذلك فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال له عبد الملك : فيم السرى يا أبا هاشم ؟ قال : أمر جليل لم آمن أن أؤخره ، فتحدثت على حادثة فلا أكون فضيت حق بيعتك ، قال : وما هو ؟ قال : أتعلم أنه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟ قال لا ، قال : فإن تروى إلى آل الزبير حلال ما كان لهم في قلبي ، فإهل بيت أحب إلي منهم ، قال فإن ذلك ليكون ، قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ، ويقال فيهم ، والحجاج من سلطانك بحيث علمت ؟ قال فجزأه خيراً ، وكتب إلى الحجاج بعزيمة أن يطلقها فطلقها ، فغدا الناس عليه يعزونه عنها ، فكان فيمن أتاها عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد ، فقال : كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه ، فقال له عمرو ابن عتبة : لا تقل ذا أيها الأمير ، فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لم يغلب

عليه ، ولو طلب الأمر لطلبه بجدِّ وجدِّ ، ولكنه علمَ علماً ، فسلمَ العلمَ إلى أهله ، فقال الحجاج : يا آل أبي سفيان ، أتم تجبون أن تخمؤوا ولا يكون الحلمُ إلا عن غضب ، فنحن نُغضِبُكُمْ في العاجل ابتغاءَ مَرْضَاتِكُمْ في الآجلِ ، ثم قال الحجاج : والله لأتزوَّجنَّ مَنْ هو أَمْسُّ به رَجَمًا ، ثم لا يُمكنُهُ فيه شيء ، فتزوَّج أم الجَلاسِ بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

أما قوله : ألقى في رُوعه ، فإن العرب تقول ألقى في رُوعي ، وفي قلبي وفي جحيفي ، وفي تاموري كذا كذا ، ومعناه كذا واحد إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعي » فالرُوع والجحيفُ غير مختلفين ، والعرب تقول : أذْهَبَ اللهُ قَلْبَهُ ، ولا قلب له . ولا تقول : لا رُوعَ له ، فَكَأَنَّ الرُوعَ هو متصل بالقلب ، وعنه يكون الفهم خاصة ، ويقال : رأيت قلبَ الطائرِ ، ولا يقال : رأيت رُوعَ الطائرِ ، والتامورُ عند العرب بقبة النفسِ عند الموت ، وبعضهم يُفصِحُ عنه ، فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للإنسان ما بقي ، يقال ضَعُفَ في تامورك ، وفي قلبك ، وفي رُوعك ، وفي جحيفك ، والذمَاءُ ممدودٌ مثلُ التامورِ سِوَاها ، تقول العرب : ليس في الحيوان أطولُ ذمَاءً من الضَّبِّ ، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطْرَحُ في النار بعد أن ظُنَّ أنه قد بردَ فربما سَعَى من النار .



وقال رجل لا إبراهيم بن أدْهَمَ : عِظْنِي ، فقال : اتَّخِذِ اللهُ صَاحِبًا وَذِرِ النَّاسَ جَانِبًا .

قال سعيد بن المسيَّب : كنت بين القبر والمِنْبَرِ مُفَكِّرًا ، فسمعت قائلاً يقول ولم أره : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلًا بَارًا ، وَرِزْقًا دَارًا ، وَعَيْشًا قَارًا^(١) .
قال سعيد فلزم مُتْمَنُّنٌ فلم أر إلا خيرا .

وقال الأَصْمَعِيُّ : كان من دعاء أبي المِحْجِبِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا قَارَبَ أَجَلِي .

قال وكان يقول في دعائه : اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَنَضِيعَ .

قال وحدثني أبو عثمان المازنيُّ قال حدثني أبو زيد قال : وقف علينا أعرابي في حَلَقَةِ يونس النحوى ، فقال : الحمد لله كما هو أهله ، وأعوذ بالله أن أذكَّرَ به وأنساه ، خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أَخْرَجَتْهُ الْحَاجَةُ ، وَحُمِلَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، لَا يُمَرِّضُونَ مَرِيضَهُمْ ، وَلَا يَدْفِنُونَ مَيِّتَهُمْ ، وَلَا يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ ، وَإِنْ كَرِهَهُ ، وَاللَّهِ يَا قَوْمَ لَقَدْ جُعْتُ حَتَّى أَكَلْتُ النَّوَى الْمُحْرَقَ ، وَلَقَدْ مَشَيْتُ حَتَّى انْتَعَلْتُ الدَّمَ^(٢) ، وَحَتَّى خَرَجَ مِنْ قَدَمِيَّ بِخَصِّ وَحَمٍ كَثِيرٍ ، أَفَلَا رَجُلٌ يَرْحَمُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَفَلَّ طَرِيقٍ ، وَنِضْوَ سَفَرٍ ، فَإِنَّهُ لَا قَلِيلَ مِنَ الْأَجْرِ ، وَلَا غِنَى عَنِ ثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا عَمَلٍ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

(١) أى مستقرا لا ينقطع .

(٢) يريد أن دم قدميه لكثرة المشى صار كالنعل .

فِيضَاعِفَهُ لَهُ « مَلِيٌّ ^(١) ، وَفِي مَا جِدُّهُ وَاجِدٌ جَوَادٌ ، لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ ،
ولكنه يَبْلُو الْأَخْيَارَ ، قال : فبلغني أنه لم يَبْرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً .

قوله : بَخْصٌ ، يريد اللحم الذي يَرَكِبُ الْقَدَمَ ، هذا قول الأصمعي ،
وقال غيره : هو لحم يَخْلِطُهُ بِيَاضٍ من فساد يَحُلُّ فِيهِ ، ويقال : بَخَصْتُ
عَيْنَهُ بِالصَّادِ ، ولا يجوز إلا ذلك ، ويقال بَخَسْتُهُ حَقَّهُ بالسَّيْنِ إذا ظلمته
وَنَقَصْتَهُ ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : « وَلَا تَبَخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ » ، وفي
الْمَثَلِ : تَحْسِبُهَا حَمَقَاءَ وَهِيَ بَاحِسٌ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اللَّحْمُ الَّذِي قَدْ خَالَطَهُ
الْفَسَادُ قَوْلُ الرَّاجِزِ : (قال أبو الحسن عليُّ بن سليمان الأُخْفَشِيُّ الرَّاجِزِيُّ هو
أبو شُرَاعَةَ ^(٢)) .

يَا قَدَمِيَّ لَا أَرَى لِي مَخْلَصًا مِمَّا أَرَاهُ أَوْ تَعُوذًا بِخَصَا ^(٣)

وقوله فَلَيْ ، فالفَلُّ في أكثر كلامهم المنهزم الناهب .

وفي خبر كَعْبِ ^(٤) بن مَعْدَانَ الْأَشْعَرِيِّ (الْأَشْقَرِيُّ بِالْقَافِ لِأَخِي) :
إِنَّا آثَرْنَا الْحَدَّ عَلَى الْفَلِّ ، يعني مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرِ ^(٥) لأنه كان مُقْبِلًا
على حربهم وَتَرَكَهُمْ قَطْرِيًّا لأنه كان منهنزما .

(١) أصله مهموز ، وشددت ياءه للزواجة مع كلمة (وفي) وهو من الملاة مصدر ملؤ الرجل
يملؤ إذا كان غنيا . (٢) اسمه أحمد بن محمد .

(٣) أي : ذواتي بخص .

(٤) يريد حديثه مع الحجاج بن يوسف ، وكان قد وجهه المهلب ابن أبي صفرة يبشره بمناهدة الحوارج
وفراغه من قتالهم . قال في حديثه له : كيف أفلتكم قطري ؟ فقال كعب : كدناه ببعض ما كادنا به
فصرنا منه إلى الذي نحب . قال : فهلا اتبتموه ؟ فقال كان المد عندنا آثر من الفل .

(٥) هذا الوصف للاستخفاف وإنما اسمه عبد ربه الكبير .

وفي حديث الحجاج بن علاط السلمي ، وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر في أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وكانت له هناك أموال متفرقة ، وهو غريب بينهم إنما هو أحد بني سليم بن منصور ، ثم أحد بني بهز ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني أحتاج أن أقول ، قال : فقل ، قال أبو العباس : وهذا كلام حسن ومعنى حسن ، يقول أقول على جهة الاحتياط غير الحق ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد ، وأكثر ما يقال في هذا المعنى تقول ، كما قال الله عز وجل : « أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ » فصار إلى مكة فقالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر ، قال : فقولوا ، فقالوا : بلغنا أن القاطع ^(١) قد خرج إلى أهل خيبر ، فقال الحجاج نعم ، فقتلوا أصحابه قتلًا لم يُسمع بمثله وأخذوه أسيرًا ، وقالوا : نرى أن نكارم به قريشًا ، فنذفَعَهُ إليهم ، فلا تزال لنا هذه اليد في رقابهم ، وإنما بادرتُ بجمع مالي لعلِّي أصيبُ به من فلٍّ محمدٍ وأصحابه قبل أن يسبقني إليه التجارُ ويتصل بهم الحديثُ ، قال : فاجتهدوا في أن جمعوا إليَّ مالي أسرع جمعٍ ، وسرُّوا أكثر الشرور ، وقالوا بلا رَغْمٍ ^(٢) ، وأتاني العباس وهو كالمرأة الواله ^(٣) ، فقال : وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول قال فقلتُ أ كَاتِمٌ أنت على خبري ؟ فقال : إِي وَاللَّهِ ! قال فقلتُ : فالبتُّ على شيئًا حتى يخفَّ موضعي ، قال فسرتُ

(١) يصفون رسول الله كذبا بقطع الأرحام .

(٢) أي بلا رَغْم . (٣) الحزينة .

إليه ، فقلت : الخبرُ واللهِ على خلاف ما قلتُ لهم ، خَلَفْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : وقد فَتَحَ خَيْبَرَ ، وَخَلَفْتُهُ وَاللهُ مُعْرِسًا بِابْنَةِ مَلِكِهِمْ ، وما جَمَعْتُكَ إِلَّا مُسْلِمًا فَاطُوا الْخَبْرَ ثَلَاثًا^(١) حتى أُعْجِزَ الْقَوْمَ ، ثم أَشِعُّهُ ، فإنه وَاللهُ الْحَقُّ ، فقال : العباس^(٢) : وَيُحَكُّ أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟ قلتُ إِي وَاللهُ ! قال : فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ الْعَبَّاسُ ، وَأَخَذَ عِصَاهُ وَخَرَجَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا وَاللهُ التَّجَلُّدُ حِرًّا الْمَصِيبَةُ ! فقال كَلًّا ، وَمَنْ حَلَفْتُمْ بِهِ ! لقد فَتَحَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَعْرَسَ بِابْنَةِ مَلِكِهِمْ ! فقالوا مَنْ أَتَاكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ؟ فقال : الذي أَتَاكُمْ بِخِلَافِهِ ، ولقد جاءنا مُسْلِمًا ، ثم أَتَتْ الْأَخْبَارُ مِنَ النُّوَاحِي بِذَلِكَ ، فقالوا : أَفَلَتَنَا الْخَبِيثُ ، أَوْ لِي لَهُ^(٣) .

وَأَصْلُ الْفَلِّ مَأْخُودٌ مِنْ فَالَّتِ الْحَدِيدَةُ^(٤) إِذَا كَسَرْتَ حَدَّهَا ، وَالنِّضْوُ : الْبَالِيُّ الْمَجْهُودُ ، وَيُقَالُ نَاقَةٌ نِضْوٌ : إِذَا جَهَدَهَا السَّيْرُ وَجَمَعَهُ أَنْضَاءٌ ، وَفُلَانٌ نِضْوٌ مِنَ الْمَرَضِ .

وقوله لا يستقرض من عَوَزٍ ، فَالْعَوَزُ : تَعَذُّرُ الْمَطْلُوبِ ، يُقَالُ أَعْوَزَ فُلَانٌ فَهُوَ مُعْوَزٌ إِذَا لَمْ يَجِدْ ، وَالْمَعَاوِزُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : الثِّيَابُ الَّتِي تُبْتَدَلُ لِيُصَانَ بِهَا غَيْرُهَا .

وقوله : ولكن ليبلوا الأخيار ، يُقَالُ : اللهُ يَبْلُوهُمْ وَيَبْتَلِيهِمْ وَيُخْتَبِرُهُمْ

(١) أي ثلاث ليال . (٢) ابن عبد المطب .

(٣) أولى له : كلمة توعده وتهديد ، غلبت في الدعاء بالمرء وقرب الهلاك .

(٤) المراد حديدة السيف .

في معنى ، وتأويله يمتحنهم ، وهو العالم عز وجل بما يكون كماله بما كان ،
قال الله جل ثناؤه : « لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » .

قال وحدثني أبو عثمان المازني قال رأيت أبا فرعون العَدَوِيَّ ومعه ابنتاه

وهو في سكة العطارين بالبصرة يقول :

بُنَيْتِي صَابِرًا أَبَا كَمَا إِنَّكُمْ بَعَيْنِ مَنْ يَرَا كَمَا
اللَّهُ رَبِّي سَيِّدِي مَوْلَا كَمَا وَلَوْ يَشَاءُ عَنْهُمْ أَغْنَا كَمَا

وكان أبو فرعون ، وهو من بني عَدِيِّ الرَّبَابِ بن عبد مناة بن أدِّ ، وقال اليزيد
هو مولاهم ، وكان فصيحًا ، وقَدِمَ قوم من الأعراب البصرة من أهله ، فقيل
له تعرَّضْ لمعرفهم ، فقال :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الْأَعْرَابِ شَيْئًا حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِي



وروى الأَسَدِيُّ أنه افتقر رجل من الصَّيَّارِفَةِ بِالْحَاحِ النَّاسِ فِي أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ
الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهِ ، وَتَعَدَّرَ أَمْوَالَهُ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ ، فَسَأَلَ جَمَاعَةً
مِنَ الْجِيرَانِ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِّنْ قَرِيشٍ ^(١) كَانَ مُوسِرًا مِنْ أَوْلَادِ
أَجْوَادِهِمْ لِيَسُدَّ مِنْ خَلَّتِهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ ، فَجَلَسُوا فِي الصَّخْنِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ
يَحْطَرُّ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، حَتَّى تَنَى وَسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرُوا حَاجَتَهُمْ
وَخَلَّةَ صَاحِبِهِمْ ، مَعَ قَدِيمِ نِعْمَتِهِ وَقَرِيبِ جَوَارِهِ ، فَخَطَرَ بِالْقَضِيبِ ، ثُمَّ
قَالَ مُتَمَثِّلًا (الشعر لنُصَيْبِ ، وَقِيلَ لِكَثِيرٍ ، وَالْأَوَّلُ أَثْبَتُ) :

(١) هو ابن عمران الطلحي .

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه ، صَنِيمَةٌ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تَوَامِقُهُ (١)
 بَخِلْتِ وَبَعْضُ الْبُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلََمْ يَفْتَلِذْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ (٢)
 ثم أقبل على القوم ، فقال : إنا والله ما نَجْمُدُ عن الحق ، ولا نَتَدَفَّقُ في الباطل ،
 وإنَّ لنا حقوقًا تَشْغُلُ فُضُولَ أَمْوَالِنَا ، وما كُلُّ مَنْ أَفْلَسَ مِنَ الصَّيَارِفَةِ
 احْتَلَنَّا جَبْرَهُ ، قوموا رحمكم الله ! قال فابتدَرَ القومُ الأبوابَ .

قوله : فلم يفتلذك المال ، يقول لم يقطع منك ، يقال فلذ له من العطاء :
 أي قطع له ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ حين قال
 الغلامان (٣) : في القوم عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم
 ابن هشام ، وأمِّيَّة بن خلف وفلان وفلان ، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : هذه مكة قد ألتقت إليكم أفلاذ كبديها .

وقال أبو فحافة أعشى ياهلةً يعني المنتشر بن وهب الباهلي :
 تَكْفِيهِ فَلَذَةُ كَبِدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبَهُ الْعُمُرُ



قال عبد الملك بن مُمَيَّرٍ : استعمل عُتْبَةُ بن أبي سُفْيَانَ رجلاً من آلِه
 على الطائف فظلم رجلاً من أزدِ شنوءة ، فأتى الأزدِيُّ عُتْبَةَ ، فمثل بين
 يديه ، فقال :

أَمَرْتِ مَنْ كَانَ مَظْلُومًا لِيَأْتِيَكُمْ فَقَدْ آتَاكُمْ غَرِيبُ الدَّارِ مَظْلُومٌ

(١) توامقه : تحبه ، من الوثق والثقة : أي الحب ، والفعل وثق وحق يثق ، مثل وثق وثق .
 (٢) جمع حقيقة ، وهو ما يجب عليك دفعه .
 (٣) هما غلامان رأهما فريق من أصحاب الرسول فأتوه بهما فسألهما عن حال الأعداء .

ثم ذكر ظلامته، فقال له عتبة: إني أراك أعرابيا جافيا، والله ما أحسبك
تدري كم تصلي في كل يوم وليلة! فقال: رأيت إن أنباتك ذلك أتجمل
لي عليك مسألة؟ قال نعم، فقال الأعرابي:

إِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ ثُمَّ ثَلَاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعٌ

* ثُمَّ صَلَاةُ الْفَجْرِ لَا تُضَيِّعُ *

فقال صدقت فاسأل! فقال: كم فقارٌ ظهرَكَ؟ فقال: لا أدري! فقال:
أفتحكُم بين الناس وأنت تجهلُ هذا من نفسك؟ قال رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ.

قوله: فقار، إنما هو جمع فقارة، ويقال فقرة، فمن قال في الواحد
فقرة قال في الجميع فقارٌ كقولك كسرة وكسر، ومن قال للواحدة
فقارة، قال للجميع فقارٌ، كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمائم.

وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه، فقال له معاوية كذبت!

فقال الأعرابي الكاذب والله مُتَرَمِّلٌ في ثيابك! فقال معاوية - وتبسّم -
هذا جزاء من يجبل.



قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوزي عن
أبي عبيدة مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيِّ، قال: كانت السَّوَاقِطُ تَرِدُ الْيَمَامَةَ فِي
الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ لَطَلْبِ التَّمْرِ، فَإِنْ وافقت ذلك، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه،
ثم تخرج منه في شهر حرام، فكان الرجل منهم إذا قدم يأتي رجلا من
بنى حنيفة، وهم أهل اليمامة، أعنى بنى حنيفة بن جليم بن صعيب بن علي بن بكر

أَبْنُ وَائِلِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنَبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَيْعَةَ
أَبْنِ نِزَارٍ ، فَيَكْتَبُ لَهُ عَلَى سَهْمٍ أَوْ غَيْرِهِ : فَلَانِ جَارِ فَلَانَ ، وَالسَّوَاقِطِ : مَنْ
وَرَدَ الْيَمَامَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَقَدْ كَانَ الثُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَرَادَ أَنْ يُحْلِيَهُمْ مِنْهَا ،
فَأَجَارَهُمْ مُرَارَةُ بْنُ سُئْمِيِّ الْحَنْفِيِّ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ الدُّوَلِ بْنِ حَنِيفَةَ
فَسَوَّغَهُ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرَ يُحْضُ الثُّعْمَانَ عَلَيْهِ :

زَعَمَ أَبُو سُئْمِيِّ مُرَارَةُ أَنَّهُ مَوْلَى السَّوَاقِطِ دُونَ آلِ الْمُنْذِرِ
مَنْعَ الْيَمَامَةَ حَزَنَهَا وَسَهْوَهَا مِنْ كُلِّ ذِي تَاجٍ كَرِيمٍ الْمَفْخَرِ
وَذَكَرَ أَبُو عَيْدَةَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ السَّوَاقِطِ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ قَدِيمِ
الْيَمَامَةِ ، وَمَعَهُ أَخٌ لَهُ ، فَكَتَبَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سُئْمِيِّ أَنَّهُ لَهُ جَارٌ ، وَكَانَ أَخُو
هَذَا الْكِلَابِيِّ جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ قَرِينُ أَخُو عُمَيْرٍ لَا تَرِدَنَّ آيَاتِنَا بِأَخِيكَ هَذَا ،
فَرَأَاهُ بَعْدُ بَيْنَ آيَاتِهِمْ ، فَقَتَلَهُ .

قَالَ أَبُو عَيْدَةَ ، وَأَمَّا الْمَوْلَى (١) فَذَكَرَ أَنَّ (٢) قَرِينًا أَخَا عُمَيْرٍ كَانَ
يَتَحَدَّثُ إِلَى امْرَأَةٍ أَخَى الْكِلَابِيِّ فَعَثَرَ عَلَيْهِ زَوْجُهَا نَخَافَهُ قَرِينُ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُ ،
وَكَانَ عُمَيْرُ غَائِبًا ، فَأَتَى الْكِلَابِيُّ قَبْرَ سُئْمِيِّ أَبِي عُمَيْرٍ وَقَرِينُ فَاسْتَجَارَ بِهِ ،
وَقَالَ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَرِينُ ، وَوَجَدْتَهُ بِخَطِّ
دِمَازٍ صَاحِبِ أَبِي عَيْدَةَ قَرِينُ) :

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ الْيَمَامَةِ فَاسْتَجِرْ زَيْدَ بْنَ يَرْبُوعٍ وَآلَ مُجْمَعٍ
وَأَتَيْتُ سُئْمِيًّا فَعُدْتُ بِقَبْرِهِ وَأَخُو الزَّمَانَةُ عَائِدٌ بِالْأَمْنَعِ

(١) يريد القدي أجاره عمير . (٢) أي حدث الناس بحديث من عنده سترًا للحقيقة .

أقرينُ إنك لورأيتَ فوارسيَ بمَعَايَتَيْنِ^(١) إلى جَوَانِبِ ضَلْفَعِ^(٢)
 حَدَّثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلًّا الْإِضْبَعِ
 فَلَجَأَ قَرِينُ إِلَى قَتَادَةَ بْنِ مَسْلَمَةَ بْنِ عُيَيْدِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الدُّوَلِ
 ابْنِ حَنِيفَةَ ، فحمل قَتَادَةُ إِلَى الكِلَابِيِّ دِيَاتِ مِضَاعَفَةً ، وفعلت وُجُوهُ بَنِي
 حَنِيفَةَ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَبَى الكِلَابِيُّ أَنْ يَقْبَلَ ، فلما قَدِمَ عميرُ قالت له أُمُّهُ
 وهى أم قرين : لا تَقْتُلْ أَخَاكَ ، وسُقِ إِلَى الكِلَابِيِّ جَمِيعَ مَالِهِ ، فَأَبَى الكِلَابِيُّ
 أَنْ يَقْبَلَ ، وقد لجأَ قَرِينُ إِلَى خَالِهِ السَّمِينِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فلم يَمْنَعْ عميراً مِنْهُ ،
 فأخذه مُمَيْرٌ فَمَضَى بِهِ حَتَّى قَطَعَ الْوَادِيَّ فَرَبَطَهُ إِلَى نَخْلَةٍ ، وقال للكِلَابِيِّ :
 أما إِذْ أُبَيِّتَ إِلَّا قَتَلَهُ فَأَمْهَلْ حَتَّى أَقْطَعَ الْوَادِيَّ ، وَارْتَحِلْ عَنِ جِوَارِي
 فلا خير لك فيه ، فقتله الكِلَابِيُّ ، ففي ذلك يقول عمير :

قَتَلْنَا أَخَانَا لِلْوَفَاءِ بِجَارِنَا وَكَانَ أَبُوْنَا قَدْ تُجِيرُ مَقَابِرُهُ

وقالت أم عمير :

تَعُدُّ مَعَاذِرًا لَا عُذْرَ فِيهَا وَمَنْ يَقْتُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا

قوله : ولم تكن للغدر خائنةً ، ولم يقل خائناً ، فإنما وَضَعَ هَذَا فِي مَوْضِعِ
 الْمَصْدَرِ^(٣) ، والتقدير ولم تكن ذا خيانة ، وقوله للغدر : أى من أجل الغدر ،
 وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عزَّ وجلَّ : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ
 لَشَدِيدٌ » : أى لشديده من أجل حب الخير ، والخير ههنا المال من قوله
 تعالى : « إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ » . وقوله لشديدٌ : أى لبخيل ، والتقدير والله

(١) اسم مكان . (٢) موضع باليمن .

(٣) وهو الحيانة .

أعلم : إنه لبخيل من أجل حبه للمال ، تقول العرب فلان شديد ومُتَشَدِّدٌ :
أى بخيل ، قال طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
وَقَلَّمَا يَجِيءُ الْمَعْدِرَ عَلَى فَاعِلٍ ، فَمَا جَاءَ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ قَوْلُهُمْ عَوْفِي عَافِيَةٌ ،
وَفُلَيْجٌ فَالِجًا ، وَتُمْ قَائِمًا : أَيْ تُمْ قِيَامًا ، وَكَمَا قَالَ :

* وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورِ كَلَامٍ *

أى وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذَا .

وَالْمُعِلُّ الَّذِي عِنْدَهُ غُلُولٌ ، وَهُوَ مَا يُخْتَانُ وَيُخْتَجَنُ ، وَيَسْتَعْمَلُ مُسْتَعَارًا
فِي غَيْرِ الْمَالِ ، يُقَالُ غَلَّ يَغْلُ كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَيُقَالُ أَغْلَّ فَهُوَ مُغِلٌّ إِذَا صُوِّدَ يَغْلُ ، أَوْ نُسِبَ
إِلَيْهِ ، وَمَنْ قَرَأَ : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلُ » فَتَأْوِيلُهُ أَنْ يَأْخُذَ^(١) وَيَسْتَأْثِرَ ،
وَمَنْ قَرَأَ يَغْلُ فَتَأْوِيلُهُ عَلَى ضَرِيئِينَ يَكُونُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِيهِ ، وَيَكُونُ وَهُوَ
الَّذِي نَخْتَارُ أَنْ يُخَوَّنَ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ كَيْفَ يَكُونُ التَّقْدِيرُ ، وَقَدْ قَالَ مَا كَانَ
لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلَ فَيَغْلُ غَيْرُهُ ، وَأَنْتَ لَا تَقُولُ مَا كَانَ لَزَيْدٍ أَنْ يَقُومَ عَمْرُو ؟
فَالْجَوَابُ أَنَّهُ فِي التَّقْدِيرِ عَلَى مَعْنَى مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يُخَوَّنَ ، كَمَا قَالَ :
« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » . وَلَوْ قُلْتَ مَا كَانَ لَزَيْدٍ أَنْ يَقُومَ
عَمْرُو إِلَيْهِ لَكَانَ جَيِّدًا لِلرَّاجِعِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ جَيِّدًا عَلَى تَقْدِيرِكَ مَا كَانَ زَيْدٌ
لِيَقُومَ عَمْرُو إِلَيْهِ ، كَمَا قُلْنَا فِي الْآيَةِ . وَالْإِصْبَعُ أَفْصَحُ مَا يُقَالُ ، وَقَدْ يُقَالُ

(١) يَرِيدُ بِأَخْذٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ خَفِيَّةً .

أَصْبَعٌ وَإِصْبَعٌ وَأَصْبِعٌ ، وموضعها ههنا موضع اليد ، يقال لفلان عليك يَدٌ ولفلان عليك إِصْبَعٌ ، وكلُّ جَيِّدٌ ، وإنما يَعْنِي ههنا النعمة .

وأما قوله: قتلنا أخانا للوفاء بجارنا ، فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَمَ نفسه وعظماها ، فذكرها باللفظ الذي يُدْكَرُ الجميع به ، والعرب تفعل هذا وَيُعَدُّ كِبْرًا ، ولا ينبغي على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملًا إلا عن الله عز وجل لأنه ذوالكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَإِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » . وكل صفات الله أعلى الصفات وَأَجْلَاهَا ، فما اسْتَعْمِلَ في المخلوقين على تلك الألفاظ وإن خالفت في الحكم فَحَسَنٌ جميل ، كقولك فلان عالم ، وفلان قادرٌ ، وفلان رحيم ، وفلان ودودٌ ، إلا ما وصفنا قَبْلُ من ذكر التَكْبِيرِ ، فإنك إذا قلت فلان جَبَّارٌ أو متكبر كان عليه عيبًا وتقصًا ، وذلك لمخالفة هاتين السفتين الحق وبُعْدِهما من الصواب ، لأنهما للمُبْدِيِّ المَعِيدِ الخالق البارئ ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجَوْعَةُ ، وتُطْفِئُهُ السَّبْعَةُ ، وَتَقْصُهُ اللَّحْظَةُ ، وهو في كل أموره مُدَبِّرٌ . وأما القول الآخر في البيت وهو قتلنا أخانا ، فعناه أنه له ولمن شايعة من عشيرته ، وأما قولها: ومن يقتل أخاه فقد ألما ، تقول أتى ما يُلامُّ عليه ، يقال ألما الرجل إذا تعرَّضَ لِأَن يُلامَّ .

باب

قال أبو العباس أنشدني السعدي أبو محمّد :

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا فَخِيَارُهُمْ مَنْ كَانَ أَفْضَلَهُمْ أَبُوهُ الْأَوَّلُ
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ وَتَبَخَّلَتْ أَبْنَاءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضا :

لَطَلْحَةَ بْنِ حَبِيبٍ حِينَ تَسَأَلُهُ أَنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فِنْدِ بْنِ هَطَّالٍ
وَبَيْتُ طَلْحَةَ فِي عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ^(١)
الْأَفْتَى مِنْ بَنِي ذِيانَ يَحْمِلُنِي^(٢) وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ
فَقُلْتُ طَلْحَةَ أَوْلَى مِنْ عَمَدَتُ لَهُ وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ
مُسْتَتِقِنًا أَنْ حَبْلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ
فِي رَأْسِ ذِيالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذِيَالٍ وَبَيْتُ فِنْدٍ إِلَى رَبِيقٍ وَأَحْمَالٍ

قوله: إلى ربيع^(٣) وأحمال ، إنما أراد جمع حمل على القياس ، كما تقول في جميع باب فعلٍ حملٌ وأحمالٌ ، وصنمٌ وأصنامٌ .

وقوله : الأفتى من بني ذيان يحملني ، يعني ذيان بن بغيض بن ريث

ابن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، وأنشد بعضهم :

* وليس حاملي إلا ابن حمّال *

(١) جمع حمل بالتحريك ، وهو الحروف . يريد أن بيت طلحة مملوء من خيل وهي عز لأهلها ، وبيت فند مملوء من الغنم وهي ذل وهوان لأهلها .

(٢) أي يعطيه ما يحمله من الدواب . (٣) الربيق بالكسر : جبل فيه عدة عرى تشد به الصغار من أولاد الغنم والمز ، والجمع أرباق ورباق .

وهذا لا يجوز في الكلام ، لأنه إذا نُونَ الأسمُ لم يتصل به المضمَر ، لأن المضمَر لا يقوم بنفسه ، فإنما يقع معاقباً للتونين ، تقول هذا ضاربٌ زيداً غداً ، وهذا ضاربك غداً ، ولا يقع التونين ههنا ، لأنه لو وقع لانفصل المضمَر ، وعلى هذا قول الله تعالى : « إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ » . وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة ، وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المفتشين يُجيزُ مثل هذا في الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية^(١) ، والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ الْقَائِلُونَ الْخَيْرَ وَالْأَمْرُونَ^(٢) إِذَا مَا خَشُوا يَوْمًا مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا^(٣)
وَأَنشَد :

وَلَمْ يَرْتَفِقْ^(٤) وَالنَّاسُ مُخْتَصِرُونَ^(٥) جَمِيعًا وَأَيْدِي الْمُعْتَفِينَ^(٦) رَوَاهِقُهُ^(٧)
وإنما جاز أن تُبينَ الحركة إذا وَقَفْتَ في نون الاثنين والجمع لأنه لا يلتبس بالمضمَر ، تقول هما رَجُلَانِيَهْ وهُم ضاربونَهْ إذا وَقَفْتَ ، لأنه لا يلتبس بالمضمَر إذ كان لا يقع هذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربته ، وأنت تريد ضَرَبْتُ ، والهاء لبيان الحركة ، لأن المفعول يقع في هذا الموضع ، فيكون لَبَسًا ، فأما قولهم: ازِمِهْ واغزُهْ ، فتلحِقُ الهاء لبيان الحركة ، فإنما جاز ذلك لما حَذَفْتَ من أصل الفعل ، ولا يكون في غير المحذوف .

وقوله : في رأس ذبالة ، يعني فرساً أنثى ، أو حصاناً ، والذِبَالُ : الطويل

(١) هي علامة المضمَر ، وأول من استعملها في ذلك سيبويه .

(٢) أنشده سيبويه : إذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً .

(٣) أي لم يركب على مرفق يده . (٤) المعتفون طلاب المروف .

(٥) أي دانية منه .

الذَّنبِ ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ مِنْهُ طَوْلُ شَعْرِ الذَّنبِ ، وَقِصْرُ الْعَسِيبِ ^(١) ، وَأَمَّا الطَّوِيلُ الْعَسِيبِ فَمَذْمُومٌ ، وَيُقَالُ ذَلِكَ لِلثَّوْرِ أَيْضًا أَعْنَى ذِيَالًا ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :
بِحَالِ الصُّوَارِ ^(٢) وَاتَّقَيْنَ بَقْرَهُبٍ ^(٣) طَوِيلِ الْقِرَا ^(٤) وَالرُّوقِ ^(٥) أَحْسَنَ ذِيَالٍ
ويقال أيضاً للرجل ذيال إذا كان يجرُّ ذيله اختيالاً ، ويقال له : فَضْفَاضٌ
في ذلك المعنى .



ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤدِّبه : كيف كانت طاعتي
إياك وأنت تؤدِّبني ؟ فقال : أَحْسَنَ طَاعَةٍ . قال : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ
أَطِئُكَ إِذْ ذَاكَ ، خُذْ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُو شَفْتَاكَ ، وَمِنْ ثُوبِكَ حَتَّى
تَبْدُو عَقِبَاكَ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ الْإِزَارِ فِي النَّارِ .
وقال آخر ^(٦) :

مَا لِدِدٍ مَا لِدِدٍ مَا لَهُ يَبْكِي وَقَدْ أَنْعَمْتُ مَا بَالَهُ
مَا لِي أَرَاهُ مُطْرَقًا سَامِيًا ذَا سِنَةٍ يُوعِدُ أَخُوَالَهُ
وَذَاكَ مِنْهُ خُلُقٌ عَادَةٌ أَنْ يَفْعَلَ الْأَمْرَ الَّذِي قَالَهُ
إِنَّ ابْنَ بَيْضَاءَ وَتَرَكَ النَّدَى كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ أَجْمَالَهُ

(١) هو مستدق عظم الذنب .

(٢) الصوار بكسر الصاد وضمها : القطيع من بقر الوحش ، والجمع أصورة وصيران .

(٣) هو الثور المسن الضخم . (٤) القرا : الظهر .

(٥) الروق : القرن . (٦) هو سلعة بن ذهل النسي .

آلَيْتُ لَا أَدْفِنُ قَتْلَاكُمْ فَدَخُّوا الْمَرْءَ وَسِرِّبَالَهُ
وَالدَّرْعُ لَا أَبْغِي بِهَا ثَرَةً كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مَالَهُ
وَالرَّمْحُ لَا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَرْوَالَهُ

قوله: مالدد، يعني رجلا، وَدَدَّ فِي الْأَصْلِ هُوَ اللَّهْمُ^(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لست من دَدٍ وَلَا دَدَدٍ^(٢) مني، وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذا من العادة، وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمرة، والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر، تقول إن هذا لزيد، فيعلم أنه شيء في ملك زيد، فإن قلت إن هذا لزيد في الوقف، علم قبل الإذراج أنه زيد^(٣)، ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر في الوقف، وأما المضمرة فبين فيه، لأن علامة المحفوض غير علامة المرفوع، تقول إن هذا لك وإن هذا لأنت.

وقوله: وقد أنعمت ما باله، فما زائدة، والبال ههنا الحال، واللبال موضع آخر وحقيقته الفِكرُ، تقول ما خطر هذا على بالي، وقوله مطرقا سامياً، فالسامي الرافع رأسه، يقال سما يسمو إذا ارتفع، والمطرق: الساكت المفكر المنكسر رأسه، وإنما أراد سامياً بنفسه، وقوله: ذا سنّة، يقول: كأنه لطول إطراقه في نعسة، وقوله: كاعبد إذ قيد أجماله،

(١) وفيه ثلاث لغات: دد على وزن يد، وددا، على وزن عصا، وددن، على وزن بدن، ومن الأخير قول عدى بن زيد:

أيها القلب تعمل بدن ان همي في سماع وأذن

(٢) الرواية: ولا الدد مني، بتعريف الثاني بلام العهد.

(٣) يريد علم أنه مرفوع غير مجرور.

يريد أنه غير مُكْتَرَبٍ لِأَكْتِسَابِ الْمَجْدِ وَالْفَضْلِ ، وذلك أن العبد الراعي
إِذَا قَيَّدَ أَجْمَالَهُ لَفَّ رَأْسَهُ وَنَامَ حَجْرَةً^(١) ، وهذا شبيهه بقوله :

* واقعدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي *
*

وقوله : فدخلوا المرء وسرباله ، يروى أنه طَعَنَ فارساً منهم فَأَحَدَتْ ، فقال :
نَظَّفُوهُ فَإِنِّي لَا أَدْفِنُ الْقَتِيلَ مِنْكُمْ إِلَّا طَاهِراً ، وقوله : والدرع لأبغى بها ثرة^(٢)
فَالثَّرَةُ : الدرْعُ السابِغَةُ ، يقول : دِرْعِي هَذِهِ تَكْفِينِي ، وقوله : كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ
مَالَهُ : أَي مُسْتَرْهَنٌ بِأَجَلِهِ ، وهو كقول الأَعشى :

كُنْتُ الْمُقَدَّمُ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِمًا أَبْطَالَهَا
وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا مَا كَانَ خَالِقَهَا الْفَضِيلُ قَضَى لَهَا

وقوله : الرمح لا أملاً كفى به ، يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أحدهما أَنَّ الرِّمْحَ لَا يَمْلَأُ
كُفْيَ وَحْدَهُ ، أَنَا أَقَاتِلُ بِالسَّيْفِ وَبِالرَّمْحِ وَبِالْقَوْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . والقول
الآخر أَنِّي لَا أَمْلَأُ كُفْيَ بِهِ ، إِنَّمَا أَخْتَلِسُ بِهِ اخْتِلَاسًا ، كما قال الشاعر :

وَمُدَجَّبِجٍ سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ تَحْتَ الْعُبَارِ بِطَعْنَةٍ خَلَسِ
وقوله : واللبد لا أتبع تزواله ، يقول إن انْحَلَّ الْحِزَامُ فَالِاللَّبْدُ لَمْ أَمِلْ مَعَهُ ،
أَي أَنَا فَارِسٌ مَبْتُ .

وقال الفَرَزْدَقُ ، ونزل به ذئبٌ فأضافه :

وَأَطْلَسَ عَسَالِيٍّ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي

(١) حجرة : ناحية . (٢) في رواية أخرى : لأبغى بها ثروة .

فَلَمَّا دَنَا قَلْتُ أَدْنُ دُونَكَ إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْ شَتْرِكَانِ
فَبِتُّ أَقْدُ الزَادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ
وَقَلْتُ لَهُ لِمَا تَكَشَّرَ صَاحِكَا وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذُبُ يَصْطَجِبَانِ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَأْذِبُ وَالْعَدْرُ كُتْمَا أُخْيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلْبَانِ
وَلَوْ غَيْرَنَا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى رِمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةٍ سِنَانِ

قوله : وأطلس عسال ، فالأطلس الأغر ، وحدثني مسعود بن بشر قال
أنشدني طاهر بن علي الهاشمي قال : سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين
ينشد في صفة الذئب :

بِهِمْ^(١) نَبِيٌّ مُحَارِبٌ مَزَّةُ دَارِهِ^(٢) أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ

* فِي سِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ *

قوله : يخفي شخصه غباره ، يقول : هو في لون الغبار ، فليس يتبين فيه ،
وقوله عسال ، فإنما نسبه إلى مشيته ، يقال : مرَّ الذئبُ يعسِلُ ، وهو مشى
خفيف كالمرولة ، قال الشاعر (هو ساعدة) يَصِفُ رِمَا :

لَدُنْ بَهْرٍ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنَهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وقال لبيد :

(١) الهمم : واحدها بهمة ، وهي الصغيرة من أولاد الغم ، يقال للذكر والأنثى .
(٢) قال الشيخ المرصفي : مزداره اسم فاعل ازداره ، على بناء افتعل من الزيارة . وهذا سهو من
الشيخ المرصفي رحمه الله ، والصواب أنها اسم مفعول .

عَسَلَانَ الذَّبَّ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلُ
 قال أبو عبيدة : نَسَلَ فِي مَعْنَى عَسَلَ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَإِذَا هُمْ مِنَ
 الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » . وَخَفَضَ بِهِذِهِ الْوَاوُ (١) لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى رَبِّ ،
 وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُخَفِّضَ بِهَا لَوْ قَوَعَهَا فِي مَعْنَى رَبِّ لِأَنَّهَا حَرْفُ خَفَضَ ، وَهِيَ
 أَعْنَى الْوَاوِ تَكُونُ بَدَلًا مِنَ الْبَاءِ فِي التَّقْسِمِ لِأَنَّ مَخْرَجَهَا فِي مَخْرَجِ الْبَاءِ مِنَ
 الشَّفَةِ ، فَإِذَا قُلْتَ : وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ ، فَمَعْنَاهُ أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ ، فَإِنْ حَذَفْتَهَا
 قُلْتَ : اللَّهُ لَأَفْعَلَنَّ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَقَعُ عَلَى الْاسْمِ فَيَنْصِبُهُ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى الْبَاءِ كَمَا
 قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِقَاتِنَا » وَصَلَّ
 الْفِعْلُ فَعْمِلَ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى مِنْ لِأَنَّهَا لِلتَّبْعِيضِ ، فَقَدْ صَارَتْ الْوَاوُ تَعْمَلُ
 بِلَفْظِهَا عَمَلَ الْبَاءِ ، وَتَكُونُ فِي مَعْنَاهَا ، وَتَعْمَلُ عَمَلَ رَبِّ لِاجْتِمَاعِهَا فِي الْمَعْنَى
 لِلشَّرَاكِ فِي الْمَخْرَجِ .

وقوله : رفعتُ لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رفعتُ له نارى ،
 والكلام إذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار ، قال الله عز وجل :
 « وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ » والعصبةُ
 تنوءُ بالمفاتيح : أى تستقل بها فى ثقل ، ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء
 بها عجيزتها ، والمعنى لتنوء بعجيزتها ، وأنشد أبو عبيدة للأخطل :

أَمَّا كَلَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهَا عِنْدَ التَّفَاخُرِ إِيْرَادٌ وَلَا صَدْرُ
 مُخْلَفُونَ وَيَقْضَى النَّاسُ أَمْرَهُمْ وَهُمْ بِغَيْبٍ وَفِي عَمِيَاءٍ مَا شَعَرُوا
 مِثْلُ الْقَنَا فِذِهِ هَدًا جُونٌ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِهِمْ هَجْرُ

فجعل الفعل للبلدين على السعة .

(١) يريد الواو في قول الفرزدق : وأطلس عسال .

ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائي : كيف
تُنشِدُ بيتَ الفرزدقِ ؟ فأنشده :

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابنَ أَصْرَمَ طَعْنَةً حُصَيْنِ عَيْبَاتِ السَّدَائِفِ وَالْحَمْرُ^(١)

فقال الكسائي لما قال : غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عيبات
السدائف : تمَّ الكلام ، فَحَمَلَ الحَمْرَ على المعنى ، أراد وَحَلَّتْ له الحَمْرُ ، فقال له :
يونس : ما أَحْسَنَ ما قلتَ ! ولكن الفرزدق أنشدنيهِ على القَلْبِ فنصب
الطعنةَ ورفع العيباتِ والحمرَ على ما وصفنا من القَلْبِ ، والذي ذهب إليه
الكسائي أحسن في محضِ العربية ، وإن كان إنشاد الفرزدق جيِّداً .

وقوله : فمسا دنا قلتُ أدنُ دونك ، أمرٌ بعد أمرٍ ، وحسنٌ ذلك لأن
قوله أدنُ للتقريب ، وفي قوله : دونك ، أمره بالأكل كما قال جرير لعياش
ابن الزبرقان :

أَعْيَاشُ قَدْ ذَاقَ القُيُومُ مَوَاسِمِي^(٢) وَأَوْقَدْتُ نَارِي فَادُّنْ دُونَكَ فَاصْطَلِ

(جمع ميسم ، وهو حديدة يصنعُ بها البيطارُ)^(٣) ، وقوله : على ضوءِ نارٍ
مرة ودخان ، يكون على وجهين أحدهما على ضوءِ نارٍ وعلى دخانٍ : أى على
هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبَّتْ ، وجاز أن يعطفَ الدخان على النار ،
وإن لم يكن للدخان ضياءٌ ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر :

(١) كان حصين بن أصرم نذر أن لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرا حتى يقتل ابن الجون الكندي ،
والسدائف : جمع سديف وهو السنام . والعيبات : الطرية ، والمعنى أن الطعنة شفته من أعدائه وأحلته
من نذره فأكل الطيبات وشرب الصهباء .

(٢) يريد آثار مواسمي . (٣) هو الذي يعالج الدواب .

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدَ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
لأن معناهما الحَمْلُ ، وكما قال :

* شَرَابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطٌ *

فَادْخَلَ التَّمْرَ فِي الْمَشْرُوبِ لِاشْتِرَاكِ الْمَاءِ كَوَلِ وَالْمَشْرُوبِ فِي الْحَلِيقِ ، وَهَذِهِ
الآيَةُ تُحْمَلُ عَلَى هَذَا : « يُرْسَلُ عَلَيْكَ شُورَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ .
وَالشُّورَاظُ : اللَّهَبُ لِادْخَانِ لَهُ ، وَالنُّحَاسُ : الدِّخَانُ ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى النَّارِ ،
وَهِيَ مَخْفُوضَةٌ بِالشُّورَاظِ لِمَا ذَكَرْتُ لَكَ ، قَالَ النَّابِغَةُ الْجَمْدِيُّ :

تُضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الدُّبَابِ لِمَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا
أَي دَخَانًا .

وقوله : نكن مثل من ياذئب يصطحبان (من يجوز أن تكون
نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان ، وأن تكون بمعنى الذي ويصطحبان
صلته) : فَمَنْ تَقَعَ لِلوَاحِدِ وَالْأَتْنِينَ وَالْجَمِيعِ وَالْمُؤَنَّثِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ ، فَإِنْ
شَتَّتَ حَمَلْتَ خَبَرَهَا عَلَى لَفْظِهَا فَقَلَّتْ : مَنْ فِي الدَّارِ يُحِبُّكَ ، عَنَيْتَ جَمِيعًا
أَوْ أَتْنِينَ أَوْ وَاحِدًا أَوْ مُؤَنَّثًا ، وَإِنْ شَتَّتَ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَعْنَى فَقَلَّتْ : يُحِبُّكَ ،
وَتُحِبُّكَ إِذَا عَنَيْتَ امْرَأَةً ، وَيُحِبُّونَكَ إِذَا عَنَيْتَ جَمِيعًا ، كُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ
جَيِّدٌ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي » وَقَالَ فَحَمَلَ عَلَى الْمَعْنَى : « وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْكَ » . وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو : « وَمَنْ يَقْنُتُ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعْمَلْ صَالِحًا » فَحَمَلَ الْأَوَّلَ عَلَى اللَّفْظِ وَالثَّانِي عَلَى الْمَعْنَى ، وَفِي الْقُرْآنِ :

« بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ » فهذا كله على اللفظ ، ثم قال : « وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » على المعنى .
وقوله : أو شباة سنان ، فالشبا والشباة واحد وهو الحدُّ .



ومما يُسْتَحْسَنُ في وصف الجود والْحَثُّ على المبادرة به ، وتعريف حمد العاقبة فيه ، قول النمر بن تَوَلِّبِ العُكَلِيِّ أحد بني عُكَلٍ بن عبد مَنَاة بن أَدِّ ابن طابِحَةَ بن إلياس بن مُضَرَ (قال ابن سراج رحمه الله : من رواه إلياس فقد أخطأ ، إنما هو ابن إلياس بوصل الألف وكسر السين والألف واللام للتعريف ، والاسم يَأْسٌ مشتق من يَنَسْتُ) :

أَعَاذِلْ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بَقْفَرَةٍ بَعِيداً نَأْنِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي
تَرَى أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لِمَا كَرَبْتَهُ وَأَنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُ كَانَ نَصِيبِي
وَذِي إِبِلٍ يَسْتَعِي وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبِي فِي رَعِيهَا وَذُؤُوبِ
غَدَتْ وَغَدَارَبٌ سِوَاهُ يَقُودُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلْبِي .
قوله : إن يصبح صدای بقفرة ، فالصدی على ستة أوجه : أحدها ما ذكرنا (١) ، وهو ما يبق من الميت في قبره ، والصدی الذَّكْرُ من البوم . قال ابن مُفَرِّغ (اسمه ربيعةٌ وسمى مفرغاً لأنه شرب سقاءين فقَرَغَهُمَا) :

وَشَرَيْتُ (٢) . بُرْدًا لِيَتْنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ

(١) أي ما أرادته الشاعر . (٢) شريت : معناها بيت .

هَتَافَةً تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ وَالْيَامَةِ

ويقال فلان هامة اليوم أو غدي : أي يموت في يومه أو في غده ، ويقال ذلك للشيخ إذا أسن ، والمريض إذا طالت علته ، والمحتقر لمدة الآجال^(١) (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويضم الخبر ، فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ، ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) . وفي الحديث أن حسلاً أبا حذيفة بن حسيل ابن اليمان قال لشيخ آخر تخلف معي في غزوة أُحُدٍ : أنهنض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنا نحن هامة اليوم أو غدي ، وكأنا قد أسننا (حسلاً أبو حذيفة : هو حسيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة ابن اليمان ، والشيخ الذي تخلف معه : ثابت بن وقش الأنصاري) . والصدى : حشوة الرأس ، يقال لذلك الهامة والصدى ، وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتِلَ فلم يُدْرِكْ به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة ، والذكر الصدى ، فيصيح على قبره : اسقوني اسقوني ! فإن قُتِلَ قاتله كف ذلك الطائر . قال ذو الإصبع العدوانيُّ أحدُ بني عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر (هو حرثان بن محرت ، سمي بذي الإصبع لأنه كان له إصبع زائدة ، وقيل لأن حية عضته في إصبغه) :

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي

(١) أي الذي لا يبالي الموت .

وَالصَّدَى مَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّوْتِ إِذَا كُنْتَ بِمَسْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ،
أَوْ بَقْرَبِ جَبَلٍ ، كَمَا قَالَ :

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِسَارِي وَمَعْسَرَتِي أَدْعُو حُنَيْفًا كَمَا تُدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ
يعنى الصَّدَى ، وتأويله أنه يجيئني في سرعة إجابة الصَّدَى ، وقال آخر :

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي مُكَيْمٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمْ الْجِبَالَا
وَالصَّدَاُ مَهْمُوزٌ : صَدَاُ الْحَدِيدِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، قَالَ النَّابِغَةُ الذُّيَّانِي :

سَهَكِينَ^(١) مِنْ صَدَاِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهَمْ تَحْتِ السَّنَوْرِ^(٢) جِنَّةُ الْبَقَارِ^(٣)
وَقَالَ الْأَعَشَى :

فَأَمَّا إِذَا رَكَبُوا فَالْوُجُوهُ فِي الرَّوْعِ مِنْ صَدَاِ الْبَيْضِ حُمٌ^(٤)
وَالصَّدَى مَصْدَرُ الصَّدَى ، وَهُوَ الْعَطْشَانُ ، يُقَالُ صَدِيَ يَصْدَى صَدَى ،
وَهُوَ صَدٌّ ، قَالَ طَرَفَةُ :

* سَتَعْلَمُ إِنِّ مِتْنَا صَدَى أَيُّنَا الصَّدَى *

(وَيُرْوَى صَدَى أَيُّنَا بِخَفْضِ أَيُّنَا عَلَى الْإِضَافَةِ ، فَصَدَى عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ
يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ وَالصَّدَى الْخَبْرُ) . وَقَالَ الْقُطَامِي :

فَهَنْ يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبَنَّ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي
تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : نَأْنِي ، يَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ ، يَكُونُ أَبْعَدَنِي ، وَأَحْسَنُ ذَلِكَ أَنْ
يَقُولُ أَنَا نِي ، وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ اللَّغَةُ الْأُخْرَى ، وَليست بِالْحَسَنَةِ ،

(١) مِنَ السَّهَكِ - بِالْتَحْرِيكِ - وَهُوَ رِيحٌ كَرِيهَةٌ مِنْ عَرَقِ أَوْ صَدَاِ حَدِيدٍ .

(٢) السَّنُورُ : الدَّرُوعُ . (٣) جِنَّةُ الْبَقَارِ : مَوْضِعٌ بِرَمْلٍ عَالِجٌ تَسْكُنُهُ الْجَنُّ فَيَا يَرْصُمُونَ .

(٤) جَمْعُ أَحْمٍ ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ .

وإنما جاءت في حروف : يقال غاضَ الماءَ وغِضْتُهُ ، ونَزَحَتِ البئرُ ونَزَحَتْهَا ، وهَبَطَ الشئُ وهَبَطْتُهُ ، وبنو تميم يقولون : أهْبَطْتُهُ ، وأحْرَفُ سوى هذه يسيرة ، والوجه في فَعَلَ أَفْعَلْتُهُ ، نحو دَخَلَ وَأَدْخَلْتُهُ ، ومات وأماتَهُ اللهُ ، فهذا الباب المَطْرِدُ ، ويكون نَأَى في موضع نَأَى عنى كما قال الله عزَّ وجلَّ : « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » أى كالوا لهم أو وزنوا لهم . وقوله : ودُوُوبٍ ، يقول وَإِلْحَاحٍ عليه ، تقول : دَأَبْتُ عَلَى الشئِ ، قال الشاعر (هو الراعى) :

دَأَبْتُ إِلَى أَنْ يَنْبَتَ الظِّلُّ بَعْدَ مَا تَقَاصَرَ حَتَّى كَادَ فِي الآلِ يَمْصَحُ
وقوله جلَّ ثناؤه : « كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ » يقول : كعادتهم وَسَدَّتِهِمْ ، ومثله الدِّينُ والدِّيدَنُ ، وقد مرَّ هذا .

وقوله : وَبُدِّلَ أَحْجاراً وَجَالَ قَلِيبٍ ، فالجاءُ الناحية ، يقال لكل ناحية من البئرِ والقبرِ وما أشبه ذلك : جالَ وَجُولٌ ، وقال مُهَلِّبٌ :
كَانَ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ^(١) بئرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورٍ^(٢)
ويقال رجل ليس له جُولٌ : أى ليس له عقل ، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي :

أَمْأَوِيَّ إِن يَصْبِحَ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ من الأَرْضِ لَأَمَاءِ لَدَيَّ وَلَا خَمْرُ
تَرَى أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ لَمْ أَكُ رَبَّهُ وَإِنَّ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ

(١) جمع شطن ، وهو الحبل الشديد القتل .

(٢) جرور نعت للبئر وهي التي يبعد عمقها حتى يجرّ دلوها على شفيرها .



وقال الحرث بن حنيفة اليشكري في هذا المعنى :

قُلْتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَرْسَلْتَهُ وَقَدْ خَبَا مِنْ دُونِنَا عَالِجُ
لَا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ
وَأَصْبَبَ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإِنَّ شَرَّ أَلْبَنِ الْوَالِجِ

قوله : لا تكسع الشول بأغبارها ، فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التي في بطونها ، والغبر : بقية اللبن في الضرع ، فيقول : لا تبقى ذلك اللبن لسمن الأولاد ، فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت ، فتكون للوارث أو يعار عليها .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول ابن آدم مالي مالي ! مالك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت .

ويروى عن بعضهم أنه قال : إني أحب البقاء ، وكالبقاء عندي حسنُ الشاء ، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثُوا وَمِنَ الْحَدِيثِ مَتَالِفٌ وَخُلُودُ
وَأَنْشُد :

فَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا أَبَا لَأَيِّكُمْ بِأَفْعَالِنَا إِنَّ الشَّاءَ هُوَ الْخُلْدُ



وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس : ما كان جدك قيس بن

مَعْدِي كَرِبَ أَعْطَى الْأَعْشَى ؟ فقال أعطاه مالا ، وظَهْرًا ، وَرَقِيْقًا ،
وَأَشْيَاءَ أَنْسَيْتَهَا ، فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى !
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبنة هَرَمِ بن سِنَانِ المُرِّي :
مَا وَهَبَ أَبُوكَ لَزُهَيْرٍ ؟ فقالت : أعطاه مالا وأناثا أفناه الدهر ! فقال عمر :
لكن ما أعطاكموه لا يُفْنِيهِ الدَّهْرُ .

وقال المفسرون فى قول الله عزّ وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه :
« وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ » : أى ثناءً حسنًا ، وفى قوله تعالى :
« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ » : أى يقال له هذا فى
الآخِرِينَ ، والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناءً عنه ، قال الله
عزّ وجلّ : « فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » . أى
فيقال لهم ، ومثله : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » : أى يقولون ، وكذلك : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ
كُلِّ بَابٍ سَلَامًا عَلَيْكُمْ » .

(حدثنا يموت^(١) بن المزرع البصرى قال حدثنا رافع بن سلمة
المنبج^(٢) بماذا قال : حدثنا أبو عبيدة قال : قال الحجاج يوما لعمارة^(٣)
العرب وهم فى مجلسه : ما أحسبُ هذا المزونى^(٤) يَنَاصِحُنَا فى حَرْبِنَا - يعنى

(١) قال الشيخ المصنف : هذه الحاشية من وضع من تأخر من رواية الكامل .

(٢) أى الملقب من النبز وهو التلقب ، وأكثر ما يستعمل فى النتم .

(٣) جمع عمارة بفتح الهمزة وتكسر ، وهى أصغر من القبيلة .

(٤) نسبة إلى المزون ، وهو اسم لأرض عمان .

المُهَلَّب - والرأى مشتركٌ ، فقالوا : الرأى للأمير أصلحه الله أن يكتبَ إلى
أبن الفُجاءة بإطعامه بعضَ الأَرْضِينِ ، فإذا هو نَحَعَ بطاعته وأظهرَ الدهوة
له سَهَلَتِ الحيلةُ فيه ، فقال : وفقكم اللهُ ! وكتبَ إلى أبن الفُجاءة ، وأنفذه
على يد الغَضبانِ بن القَبْعَثَرِيِّ الشيباني - نسخة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من الحجاج بن يوسف إلى قطريِّ بن الفُجاءة ،
سلامٌ عليك ، المُوَحَّدُ اللهُ ، والمُصَلَّى عليه محمدٌ عليه السلام ، أما بعد فإنك
كنتَ أعرابياً بدوياً تَسْتَطْعِمُ الكِسْرَةَ ، وَتَحِفُّ إلى التَّمْرَةِ ، ثم خَرَجْتَ
تُحَاوِلُ ما ليس لك بحق ، وأعتزنتَ على كتابِ الله ، ومَرَقْتَ من سُنَّةِ
رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فَارْجِعْ عما أنتَ عليه بما زِيَّنَ لك ، وأدعني
فقد آن لك . »

فما أوصلَ الغَضبانُ الكتابَ إلى قطريِّ قال : يا غلام ، ازبُرْهُ (١)
هذه الصحيفة ، فتلا عليه ما فيها فتنهَّدَ قطريُّ الصُّعْدَاءَ ، فقال : يا غَضبانِ
أَلْفَيْتَنِي محزوناً ، وأنشأ يقول :

فيا كَبِداً من غير جوع ولا ظمأ	ويا كَبِداً من وَجْدِ أمِّ حكيم
فلو شهدتني يومَ دُولابٍ (٢) أبصرت	طِمانَ فتى في الحرب غير لثيم
غداة طفتَ علماء (٣) بكرُبنٍ وائلٍ	ومُجنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تميم
وكان بعبد القيس أولُ حَدها	وآب عميدُ الأزدِ غيرَ دَمِيم

(١) أى اقرأ ، وأكثر ما تستعمل في الكتابة .

(٢) دُولاب - بفتح الدال وتضم - قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

(٣) على الماء .

يعني المهلب . وأم حكيم^(١) هذه امرأة من الخوارج قُتِلت بين يديه ، ثم قال : يا غلام ، اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قَطَرِي بن الفُجاءة إلى الحجاج
ابن يوسف ، سلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى ، ذكرتَ في كتابك أني كنتُ
بدويًا أستطعم الكِسرة ، وأبذرُ إلى التمرة ، وبالله لقد قلتَ زورًا ، بل الله
بَصَّرَنِي من دينه ما أعماك عنه ، إذ أنتَ سائحٌ في الضلالة ، غرقٌ في غمراتِ
الكُفْرِ ، ذكرتَ أن الضرورة طالتُ بي ، فهلاً برزَ لي من جزبك من
نال الشيعَ ، واتكأ فاتدع ؟ أما والله لئن أبرزَ الله صفحتك ، وأظهرَ لي
صلعتك ، لتنكرنَّ شيعك ، ولتعلمنَّ أن مقارعة الأبطال ، ليس
كنسطين الأمثال . »

(١) كانت من الشجاعة بمكان ، وكانت تحمل على الناس وهي ترتجز :
أجل رأساً قد سئمت حمله وقد ملئت دهنه وغسله
* ألافني يحمل عنى ثقله *

باب

قال أبو العباس : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه في خطبة له :
أيها الناس ، اتقوا الله الذى إن قلمت سميع ، وإن أضمرت علم ، وبادروا الموت
الذى إن هربتم منه أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم .

قال : وحدثني التوزي في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير
اللثي ، قال : بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ
ذو حال حسنة ، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى
آت فقال : هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق ! فإذا به قد دخل
المسجد ممتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً^(١) ، متكباً
قوساً^(٢) ، يومئذ المنبر ، فقام الناس نحوه ، حتى صعد المنبر ، فكث ساعة
لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية حيث تستعمل
مثل هذا على العراق ! حتى قال عمير بن ضابي البرجمي : ألا أحصيه لكم ؟
فقالوا : أمهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه
ونفض فقال (هو لسحيم بن وثيل الرياحي^(٣)) :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

(١) تقلد السيف : حمله . (٢) تنكب القوس : حملها على منكبه .

(٣) لا موجب لهذه الكلمة لأن المبرد سينسب البيت إلى سحيم .

ثم قال : يا أهل الكوفة ، إني لأرى رءوساً قد أئبعت وحن قِطافها ، وإني
لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحى ، ثم قال (الشعر
لرؤيشد بن رُمَيْض العنبري) :

هذا أو أن الشد فاشتد زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم

ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي أروع خراج من الدوى
* مهاجر ليس بأعرابي *

وقال :

قد شممت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد
* لا بد مما ليس منه بد *

إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشنان ، ولا يغمز جاني كتغماز التين ،
ولقد هُررت عن ذكاء ، وفُتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين -
أطال الله بقاءه - نثر كِنانته بين يديه فَعَجَمَ عِيدانها فوجدني أمرها
عوداً ، وأصلبها مكسراً ، فرماكم بي ، لأنكم طال ما أوضعتكم في الفتنة ،
واضطجعتكم في مرأيد الضلال ، والله لأخزمتكم حزم السامة ، ولأضربنكم
ضرب غرائب الإبل ، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رعداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول إلا وقيت ، ولا أهم

إِلَّا أَمْضَيْتُ ، وَلَا أُخْلِقُ إِلَّا فَرَيْتُ ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي
بِإِعْطَائِكُمْ أُعْطِيَاكُمْ ، وَأَنْ أَوْجَهَكُمْ لِحَارِبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْمُهَلَّبِ
ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُجِدُّ رَجُلًا تَخَلَّفَ بَعْدَ أَخْذِ عَطَائِهِ
بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُقُقَهُ ! يَا غِلَامُ أَقْرَأْ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَقَرَأَ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْمَسَامِينِ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا ، فَقَالَ
الْحِجَابُ : أَوْ كَفَّفُ يَا غِلَامُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمْ تَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا ؟ هَذَا أَدَبُ ابْنِ نَهْيَةَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا أُودِّبَنَّكُمْ
غَيْرَ هَذَا الْأَدَبِ أَوْ لَتَسْتَقِيمَنَّ ! أَقْرَأْ يَا غِلَامُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا
بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » لَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ : وَعَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ السَّلَامُ ! (زَعَمَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنَّ ابْنَ نَهْيَةَ رَجُلٌ كَانَ عَلَى الشَّرْطَةِ
بِالْبَصْرَةِ قَبْلَ الْحِجَابِ) .

ثُمَّ نَزَلَ فَوَضَعَ لِلنَّاسِ أُعْطِيَاتِهِمْ لِيَجْعَلُوا يَأْخُذُونَ حَتَّى آتَاهُ شَيْخُ يَرْعَشُ
كِبَرًا ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي مِنَ الضَّعْفِ عَلَى مَا تَرَى ، وَوَلِي ابْنٌ هُوَ
أَقْوَى عَلَى الْأَسْفَارِ مِنِّي فَتَقَبَّلْهُ بَدَلًا مِنِّي ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ : تَفْعَلُ أَيُّهَا
الشَّيْخُ ، فَلَمَّا وَدَّ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَتَدْرِي مِنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ :
هَذَا عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيُّ الَّذِي يَقُولُ أَبُوهُ :

هَمَّمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عِمَّانِ تَبْكِي حَلَالَهُ

وَدَخَلَ هَذَا الشَّيْخُ عَلَى عِمَّانِ مَقْتُولًا فَوَطِيءَ بَطْنَهُ فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ

أَصْلَاعِهِ ، فقال : رُدُّوهُ ! فلما رُدَّ ، قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بَعَثْتَ
إلى أمير المؤمنين عثمانَ بدلاً يوم الدار ! إن في قتلِكَ أيها الشيخ لَصَلَاحًا
للمسلمين ، يا حَرَسِيُّ أَضْرِبْ بِنَ عِنَقِهِ . فجعل الرجل يَضِيقُ عَلَيْهِ أمره فيرتحل ،
ويأمر وليه أن يَلْحَقَهُ بزاده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأَسَدِيُّ
(الأَسَدِيُّ أُسْدُ خُزَيْمَةَ ، وَلَيْسَ مِنْ أُسْدِ قُرَيْشٍ) :

تَجَهَّزْ فَإِذَا أَنْ تَرُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ مُعْمِرًا وَإِذَا أَنْ تَرُورَ الْمُهَلْبَا
هَمَاخُطْنَا خَسْفٍ نَجَاوُكَ مِنْهُمَا رُكُوبِكَ حَوْلِيَا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا
فَأَضْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ الشُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

(دونه الهاء عائدة على المهلب ، وأقربا ظرف ، وقيل مفعول ثان). قوله :
أنا ابن جلا ، إنما يريد المنكشف الأمر ، ولم يصرف « جلا » لأنه أراد
الفعل ^(١) فحكي ، والفعل إذا كان فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلا حكاية
كقولك : تَأَبَّطَ شَرًّا ، وكما قال الشاعر :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّنَّتِ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا ^(٢) بَنِي شَابٍ قَرَنَاهَا ^(٣) تَصْرُ ^(٤) وَتَحْلُبُ
وتقول : قرأت « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ » لأنك حكيت ،
وكذلك الابتداء والخبر تقول : قرأت « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .
وقال الشاعر :

وَاللَّهِ مَا زَيْدٌ بِنَامٍ صَاحِبُهُ (وَلَا مُخَالِطٍ اللَّيَانِ جَانِبُهُ)

(١) الصواب : أراد الفعل والفاعل . (٢) رواية سيويه : لا تنكحونها .

(٣) القرنان : الضفيران .

(٤) تصر : تربط ضرع الحلوبة بالصرار حين ترسلها إلى المرعى .

وقوله : * أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّنَايَا *
لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً ، وقوله : وَطَلَّاعُ الشَّنَايَا ،
الشَّنَايَا : جمع ثَنِيَّةٍ ، والثَّنِيَّةُ الطريقُ في الجبل ، والطريقُ في الرمل يقال له الخَلُّ ،
وإنما أراد به أنه جَلَدٌ يَطَّلَعُ الشَّنَايَا في ارتفاعها وصُعوبتها ، كما قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ
يعني أخاه عبد الله :

كَمَيْشِ الْإِزَارِ^(١) خَارِجِ نِصْفِ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ السَّوَاتِ^(٢) طَلَّاعُ الْبُجْدِ
وَالنَّجْدِ : ما ارتفع من الأرض ، وقد مضى تفسير هذا .

وقوله : إِنِّي لَأَرَى رءُوسًا قَدْ أَيْنَعَتْ ، يَرِيدُ أَدْرَكَتْ ، يُقَالُ أَيْنَعَتْ
الثَّمَرَةُ إِينَاعًا وَبَيْنَعَتْ بَيْنَعًا وَيُنَعًا ، وَيُقْرَأُ « أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أُنْمِرَ وَيُنَعِهِ »
وَيُنَعِهِ ، كلاهما جازئ .

قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُخْتَلَفُ فِيهِ فبَعْضُهُمْ يَنْسِبُهُ إِلَى الْأَخْوَصِ
وَبَعْضُهُمْ يَنْسِبُهُ إِلَى يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ (قال أبو الحسن الصحيح أنه ليزيد
يصف جارية) وهو :

وَلَهَا بِالْمَاطِرِينَ^(٣) إِذَا أَكَلَ التَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خُرْفَةً حَسْتِي إِذَا رَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقٍ بِيَعَا
فِي قِيَابِ حَوْلِ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

(١) مشمره ، كناية عن المضاء .

(٢) رواية الأصبغى : صبور على العزاء - والعزاء : الشدة .

(٣) اسم موضع بالشام قرب دمشق . وأعرب انراب الجمع كما كان قبل التسمية .

(قال أبو الحسن : أول هذه الآيات :

طال هذا الهمُّ فَاكْتَتَعَا وَأَمَرَ النُّومُ فَاثْمَنَعَا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ، ويروى بالمطرون الرواية المشهورة بفتح النون^(١) ويروى بكسرهما) .

قال أبو العباس وقوله : هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدَّى زيم^(٢) ، يعني فرسًا أو ناقة ، والشعر للحُطَمِ القَيْسِي^(٣) . وقوله : قد لفَّها الليلُ بسوَّاقِ حُطَمٍ ، فهو الذي لا يُبْقِي من السير شيئًا ، ويقال رجل حُطَمٌ للذي يأتي على الزاد لشدة أكله ، ويقال للنار التي لا تُبْقِي حُطَمَةً ، وقوله : على ظهرِ وَضَمٍ فالوَضَمُ : كل ما قُطِعَ عليه اللحم . قال الشاعر (هو عمرُ بن أبي ربيعة) :

وَفَتِيَانِ صِدْقِ حِسَانِ الْوُجُوهِ لَا يَجِدُونَ لِشَيْءٍ أَلَمَ
مِنْ آلِ الْمُغِيرَةِ لَا يَشْهَدُونَ عِنْدَ الْمَجَازِرِ لَحْمَ الْوَضَمِ

وقوله : قد لفَّها الليلُ بِعَصَلْبِي : أي شديد ، وَأَرْوَع : أي ذكي ، وقوله : خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ ، يقول خَرَّاجٌ من كل نَمَاءٍ شديدة : (نَمَاءٌ مقصورٌ رواية عاصم) ، ويقال للصَّخْرَاءِ دَوِيَّةٌ ، وهي التي لا تُكَادُ تَنْقَضِي ، وهي منسوبة إلى الدَّوِّ ، والدَّوُّ : صَخْرَاءٌ مَلْسَاءٌ لَا عِلْمَ بِهَا وَلَا أَمَارَةَ ، قال الحُطَيْئَةُ (يصف خيالها وأنت على معنى المرأة) :

وَأَنِّي أَهْتَدَتِ الدَّوِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَاخِلْتُ سَارِي اللَّيْلِ بِالدَّوِيَّةِ تَهْدِي
وَالدَّوِيَّةُ : المتسعة التي تَسْمَعُ لها دَوِيًّا بالليل ، وإنما ذلك الدَّوِيُّ من

(١) مع لزوم الواو . (٢) يزيد . يازيم ، غذف حرف النداء .

(٣) سبقت نسبه إلى رويشد بن رميض .

أَخْفَافِ الْإِبِلِ تَنْفَسِحُ أَصْوَاتِهَا فِيهَا ، وَتَقُولُ جَهْلَةً الْأَعْرَابِ : إِنْ ذَلِكَ عَزِيفُ الْجِنِّ ، وَقَوْلُهُ : وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَهُ عُرْدُ ، فَهُوَ الشَّدِيدُ ، وَيُقَالُ عُرْنَدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

وقوله : إني والله ما يُقَعِّعُ لي بالسِّنَّانِ ، واحدها سَنٌّ ، وهو الجِلْدُ اليابس ، فَإِذَا قُعِّعَ (١) بِهِ نَقَرَتِ الْإِبِلُ مِنْهُ ، فَضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِنَفْسِهِ (٢) ، وَقَالَ النَّابِغَةُ الذُّيَّانِيُّ :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَعِّعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِسَنٍّ
(أَقْيَشٌ : حَيٌّ مِنْ عُكْلٍ) وَقَوْلُهُ : وَلَقَدْ فُرِرْتُ (٣) عَنْ ذَكَاءٍ ، يَعْنِي تَمَامَ السِّنِّ (٤) ، وَالذَّكَاءُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَحَدُهُمَا تَمَامُ السِّنِّ ، وَالْآخَرُ الْحِدَّةُ حِدَّةُ الْقَلْبِ ، فَمَا جَاءَ فِي تَمَامِ السِّنِّ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ : جَرَى الْمَذْكِيَاتِ (٥) غِلَابٌ : (وَيُرْوَى غِلَابًا) . وَقَالَ زُهَيْرٌ :

يُفْضَلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ
وقوله : فَعَجِمَ عِيدَانِهَا ، يَقُولُ : مَضَعَهَا لِيَنْظُرَ أَيُّهَا أَصْلَبُ ، يَقَالُ عَجَمْتُ الْعُودَ : إِذَا مَضَعْتَهُ ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

فَظَلَّ يَعْجِمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقِ غَيْرِذِي أَوْدٍ

(١) القمعة : حكاية أصوات الجلود اليابسة وهي أيضا حكاية أصوات السلاح .

(٢) يعني أنه لا ينجذ ولا يروّع .

(٣) مستعار من فررت أسنان الدابة : إذا كشفت عن أسنانها لتنظر ماسنها .

(٤) أي بلوغ السن التي ينضج فيها العقل .

(٥) المذكيات الخيل التي أسنت .

والمصدر العَجْمُ ، يقال عَجَّمْتُهُ عَجْمًا ، ويقال لنَوَى كُلِّ شَيْءٍ عَجْمٌ ^(١) مفتوح

ومن أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعشى :

(غَزَاتِكَ بِأَخْيَلِ أَرْضِ الْعَدُوِّ) وَجُدَّعَانِهَا كَلْقِيَطِ الْعَجْمِ

وقوله : طال ما أوضعتم في الفتنة ، الإيضاعُ : ضَرَبُ مِنَ السَّيْرِ ، وقوله :

* فَأَضَحَى وَلَوْ كَانَتْ خِرَاسَانُ دُونَهُ *

يعنى دون السفر ^(٢) رآها مكان السوق للخوف والطاعة .



وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحرث البرهمي وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب ، وذلك أنه كان استعمار من قوم كلبا فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه ، وكان فحاشا فرمى أمهم به ، فقال في بعض كلامه :

وَأُمَّكُمْ لَا تَرْتَرُ كَوْهَا وَكَلْبَكُمْ فَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ
فَاضْطَعَنْ عَلَى عِثْمَانَ مَا فَعَلَ بِهِ ، فَلَمَّا دُعِيَ بِهِ لِيُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّينًا فِي سَاقِهِ
ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه ، ففي ذلك يقول :

وَقَائِلَةٌ إِنْ مَاتَ فِي السِّجْنِ ضَابِئٌ لَنِعَمَ الْفَتَى تَخَلَّوْا بِهِ وَتَوَاصِلِهِ
وَقَائِلَةٌ لَا يَبْعَدَنَّ ذَلِكَ الْفَتَى وَلَا تَبْعَدَنَّ أَخْلَاقَهُ وَشِمَائِلُهُ
وَقَائِلَةٌ لَا يَبْعَدُ اللَّهُ ضَابِئًا إِذِ الْكَبْشُ لَمْ يَوْجِدْ لَهُ مَنْ يَنَازِلُهُ
وَقَائِلَةٌ لَا يَبْعَدُ اللَّهُ ضَابِئًا إِذِ الْخَلْصُ لَمْ يَوْجِدْ لَهُ مَنْ يُقَاوِلُهُ

(١) والواحدة عجمة . (٢) أى قرية من موضع سفره .

فلا تُتبعيني إن هلكت ملامةً فليس بعارٍ قتلُ مَنْ لا أقاتله (١)
هممتُ ولم أفعَلْ وَكِدْتُ وليتني تَرَكْتُ على عُثْمَانَ تَبَكِّي حَلَالُهُ
وما الفَتْكُ ما أَمَرْتُ فِيهِ (٢) ولا الذي تُخَبِّرُ مَنْ لا قَيْتَ أَنْكَ فاعِلُهُ



قال أبو العباس : وشبهه بقوله ما حدثنا به عن أبي شجرة السلمي ،
وكان من فتاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء ،
وقال الطبري : اسمه سليم بن عبد العزى) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله
يَسْتَحْمِلُهُ (٣) ، فقال له عمر : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمي ،
فقال له عمر : أي عدي نفسيه ، ألسنت القائل حيث ارتددت (٤) :

وَرَوَيْتُ رُحْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعْمَرَ
(ويروى أن أعمر بكسر الميم ، ومعناه أن أفعال ذلك بكتيبة عمر) :

وعارَضْتُهَا شَهْبَاءَ تَحْطِرُ بِالْقَنَا تَرَى الْبَيْضَ فِي حَافَتِهَا وَالسَّنَوْرَا
ثم انحنى عليه عمر بالدرّة فسعى إلى ناقته فحلّ عقالها وأقبلها حرّة بنى سليم
بأحثّ السير هرباً من الدرّة ، وهو يقول :

قَدْ ضَنَّ عَنْهَا أَبُو حَفْصٍ بِنَائِلِهِ وَكُلُّ مُخْتَبِطٍ يَوْمًا لَهُ وَرَقٌ
ما زال يضرّ بني حتى خذيت له وحال من دون بعض الرغبة الشفق (٥)

(١) أي من لا أقدر على قتاله .

(٢) أي ماشاورت فيه . (٣) يسأله أن يجعله على ركوبة .

(٤) مع من ارتد من بني سليم أيام أبي بكر ثم أسلم بعد ذلك .

(٥) الشفق : الخوف .

ثم التفت إليها وهي حانية^(١) مثل الرّجاج إذا ما لَزَّه الغلق^(٢)
 أقبلتها الخلل^(٣) من شوران مجتهداً^(٤) إني لأزري عليها وهي تنطلق
 ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الرّدة فلا يُعْنِي شيئاً ، فجعل يقول :
 ها إنَّ رَمِي عَنْهُمْ لِمَعْبُولٍ فلا صريح اليوم إلا المصقول
 وقوله : وكل محتبط يوماً له ورق ، أصل هذا في الشجرة أن يختبطها الراعي ،
 وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها ، فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله ،
 وقال زهير :

وليس مانع ذى قرْبى وذى نسبٍ يوماً ولا مُعْدِمٍ من خابطٍ ورَقاً
 (قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء في مانع ، ومثله ما أنشده^(٥) :
 مشائيمٌ ليسوا مُصلِحِينَ عَشيرةً ولا ناعِبٍ إلا بيِّنٍ غرابها
 على توهم الباء في مصلحين ، ومن في خابط زائدة) وقوله حتى خذيت له ،
 يقول خضعت له ، وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول
 استخذيت له ، وزعم الأصمعي أنه شك فيها ، وأنه أحب أن يستثبت أهي

(١) حانية: لاوية عنقها .

(٢) الغلق : اسم لما يغلق به الباب . والرّجاج : الباب الكبير ، واللز : الشد والإلصاق .

(٣) الخلل : الطريق النافذ بين رمال متراكمة ، سمي بذلك لأنه تخلل بين الرمال .

(٤) شوران : جبل مرتفع قرب عقيق المدينة .

(٥) أنشده سيبويه للأخوص اليربوعي ، وهو من أبيات قالها يوم اقتتل ذو يربوع بن حنظلة وبنو دارم
 ابن مالك فقتل رجل من بني يربوع فأقسموا لا يرمون مكانهم حتى يثأروا به ، فقاتت بنو مالك ما عرف
 قاتله فاحلفوا أيمان القسامة نعظكم حنظلة فحلف منهم خمسون رجلاً إلا واحداً إن الذي قتله عبيد
 ابن زرعة ، فقام ضرار بن القعقاع وشيبان بن حنظلة فقالا : نحن نكفله ، فلما جن الليل أطلقاه فهرب
 ثم قالت بنو دارم : هذه الدية فاقبلوها من اخوتكم ولا تكونوا كمن جدد أنفه ، فقال الأخوص :
 وليست يربوع إلى العقل حاجة سوى دنس يسود منها ثيابها إلى آخر ما قال .

مهموزة أم غير مهموزة ، قال : فقلت لأعرابي : أتقول استخذيت أم استخذأت ، قال : لا أقولهما ، قلت ولم ؟ فقال لأن العرب لا تستخذي^(١) وهذا غير مهموز ، واشتقاقه من قولهم : أذن خذواه ويشمة خذواه : أى مسترخية^(٢) : (قال أبو الحسن : الينمة نبت مسترخ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثر عنه ألبانها) . قال الأصمعي : وقلت لأعرابي أتهمز الفارة ؟ قال : تهمزها الهرة ! وقوله : إني لأزري عليها ، يقول أستحيتها ، يقال زرى عليه : أى عاب عليه ، وأزرى به أى قصر به ، فيقول إنها لمتهددة ، وإني لأزري عليها : أى أعيب عليها لطلبي النجاء والسرعة ، وقال الأخطل :

فَظَلَّ يُفَدِّيهَا وَظَلَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ دَعَاها جُنْحٌ لَيْلٍ إِلَى وَكْرٍ

وقوله : ها إن رمي عنهم لمبول ، يقول محبول^(٣) مردود ، والصريمح المحض الخالص ، يقال ذلك اللبن إذا لم يشبه ماء ، ويقال عربى صريمح ومولى صريمح : أى خالص .



قال وحدثني محمد بن إبراهيم الهاشمي في إسناد ذكره قال : بلغ عمر ابن الخطاب رحمه الله أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله ، فوثب مغضباً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر : إنه لما

(١) أى لا تخضع لمن يقهرها . (٢) أى لينة .

(٣) محبول : ممنوع .

تُوِّفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَمَنْعَتْ شَاتِمَهَا
وَبَعِيرَهَا فَأَجْمَعَ رَأْيُنَا كَلْنَا أَصْحَابَ (١) مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ قَلْنَاهُ يَا خَلِيفَةَ
رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَاتِلُ الْعَرَبَ بِالْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ
يُعِدُّهُ اللَّهُ بِهِمْ ، وَقَدْ انْقَطَعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَالزَّمْ يَتَكَ وَمَسْجِدَكَ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ
لَكَ بِقِتَالِ الْعَرَبِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : أَوْ كَلُّكُمْ رَأْيُهُ عَلَى هَذَا ؟ قَلْنَا
نَعَمْ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ أُخْرِجَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ يَكُونَ هَذَا رَأْيِي ! ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا
قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ كَثُرَ
أَعْدَاؤُكُمْ ، وَقَلَّ عَدَدُكُمْ ، رَكِبَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ هَذَا الْمَرْكَبَ ، وَاللَّهُ لِيُظْهِرَنَّ
اللَّهُ هَذَا الدِّينَ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ
الصِّدْقُ ، بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ
أَفْرَدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ لْجَاهِدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أُبْلِيَ بِنَفْسِي عُذْرًا (٢)
أَوْ أُقْتَلَ قَتْلًا . وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا لْجَاهِدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ
عَلَيْهِمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرٌ مُعِينٌ .

ثم نزل بجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنتم العرب بالحق .

قوله : كم من فتنه فهي الجماعة ، وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا

(١) منصوب على الاختصاص وسيشرحه المؤلف .

(٢) أي حتى بين وجه العذر لأزيل عن اللوم .

الموضع أن تُقَلَّبَ الهمزةُ ياءً ، وإن كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قَلَبَتْهَا وَاوًا
نحو جُوْنٍ تقول جُوْنٌ (الجُوْنَةُ الحُقَّةُ يجعل فيها الحَلِي) وقوله : لو منعوني
عقلا لجاهدتهم عليه على خلاف ماتأوله العامة ، ولقول العامة وَجْهٌ قَدِيحٌ يَجُوزُ
فَأَمَّا الصَّحِيحُ فَإِنَّ المَصْدُقَ^(١) إِذَا أَخَذَ مِنَ الصَّدَقَةِ مَا فِيهَا وَلَمْ يَأْخُذْ بِمَنْهَا قِيلَ
أَخَذَ عَقْلًا ، وَإِذَا أَخَذَ الثَّمَنَ قِيلَ أَخَذَ تَقْدًا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَتَانَا أَبُو الخَطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ فَرُدَّ وَلَمْ يَأْخُذْ عَقْلًا وَلَا تَقْدًا
(كانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تَضْرِبُ الطُّبُولَ) والذي تقوله
العامة تأويله لو منعوني ما يساوى عقلاً فضلاً عن غيره وهذا وجه ، والأول
هو الصحيح لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلَبُهُ فيُمنَعُهُ ، ولكن
مجازه في قول العامة ما ذكرنا . ومن كلام العرب^(٢) أَتَانَا بِحَفْنَةٍ يَقَعُدُ عَلَيْهَا
ثَلَاثَةٌ ، أَى لو قعد عليها ثلاثة لَصَلَحَ . وكان ارتدادُ من ارتدَّ من العرب أن
قالوا : نُقيمُ الصَّلَاةَ وَلَا نُؤْتِي الزَّكَاةَ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الحُطَيْئَةِ .

أَلَا كُلُّ أَرْمَاحٍ قِصَارٍ أَذَلَّةٌ فِدَائِي لِأَرْمَاحِ نُصْبِنَ عَلَى العَمْرِ^(٣)
فَبَاسْتِ بَنِي عَبْسٍ وَأَسْتَاهِ طَيْيٍّ وَبَاسْتِ بَنِي دُوْدَانَ حَاشَا بَنِي نَضْرٍ
أَبُو غَيْرٍ ضَرَبَ يُجْسِمُ الهَامَ وَقَمَهُ وَطَعَنَ كَأَفْوَاهِ المَزْفَتَةِ الحُمْرِ
(المَزْفَتَةُ : المَطْلِيَّةُ بِالزَّفْتِ وَهُوَ القَطْرَانُ ، يَعْنِي الإِبِلَ ، وَهُوَ أَشْبَهَ بِكَلَامِ العَرَبِ
وَمَعْنَاهُ وَقِيلَ الزَّقَاقُ)

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ يَدِينَنَا فَيَا لَهْفَتَا مَا بَالُ دِينَ أَبِي بَكْرٍ

(١) الذي يأخذ حقوق الزكاة . (٢) أى ماجاء من مجاز الخذف في كلامهم .

(٣) اهدر : اسم ماء .

أَيُورِثُهَا بَكَرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ^(١) فَتِلْكَ وَبَيَّتِ اللَّهُ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ
فَقُومُوا وَلَا تُعْطُوا اللَّئَامَ مَقَادَةَ وَقُومُوا وَلَوْ كَانَ الْقِيَامُ عَلَى الْجَمْرِ
فِدَى لِبَنِي نَصْرِ طَرِيبِي وَتَالِدِي عَشِيَّةَ ذَادُوا بِالرَّمَا حِ ابْنِ بَكَرٍ
(قوله : ذادوا بالرماح أبا بكر، كَذِبٌ، إنما خرجوا على الإبلِ ففَعَقُوا
لها بالشنانِ فنَفَرَتِ وَفَرَّتِ) قوله : يَجْمُ الهام وقعهُ ، إنما هو مَثَلٌ ، يقال
جَمَّ الطائرُ كما يقال بَرَكَ الجملُ ، وَرَبَضَ البعيرُ .

وكان قيسُ بن عاصمِ بن سنانِ بن خالدِ بن منقَرٍ عاملاً على صدقاتِ بني
سَعْدٍ فقَسَمَ ما كان في يده من أموالِ الصدقاتِ على بني منقَرٍ ، وقال :
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا مُحَكَّمَاتُ الْوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بِمَا صَدَّقْتُ فِي الْعَامِ مِنْقَرًا وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسِ طَامِعِ
قوله : فأجمع رأينا كلنا أصحابَ محمد ، فإنما خَفَضَ كُلاً على أنه توكيد
لأسمائهم المضمرة ، والظاهرةُ لا تكون بدلا من المضمرة الذي يَعْنِي به
المتكلمُ نَفْسَهُ ، أو يَعْنِي به المُخَاطَبَ ، لا يجوز أن تقول مررتُ بِي زيدٍ
لأن هذه الياء لا يَشْرُكُهُ فيها شريكٌ فتحتاج إلى التبيين ، وكذلك لا يجوز
ضربتُكَ زيدا لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف ، فأما الهاء نحو مررتُ به
عبد الله ، فيجوز لأننا نحتاج إلى أن يُعْرَفَنَا مُبَيَّنًا مَنْ صاحبُ الهاء ؛ لأنها
ليست للذي يخاطبه فلا يُنكِرُ نفسه ، وإنما يُحَدِّثُ به عن غائبٍ فيحتاج

(١) قال الشيخ المرصني : كأن الحطيئة ظن أن أبا بكر له ولد اسمه بكر وليس كما ظن . قال
صاحب البدائع : وليس الأمر كما افترض الشيخ المرصني رحمه الله ، وإنما هي عبارة تهكم واستهزاء

إلى البيان ، وقوله: أصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر، وهو أعنى،
ليبين من هؤلاء الجماعة كما يُنشدُ :

* نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ *

أراد: نحن أصحاب الجمل ، ثم بيّن من هم ، لأن هذا قد كان يقع على من
دون بني ضبّة معه ، وعلى من فوقها إلى مُضَرَ ونزار ومعدٍ ومن بعدهم ،
وكذلك: نحن العرب أقرى الناس لضيف ، ونحن الصعاليك لاطاقة بنا على
المروءة ، ويُختارُ في هذا الشعر (هو لعمر بن الأَهمم) :

إنا بني منقرٍ قومٌ ذوو حسَبِ فينا سراةُ بني سعدٍ وناديها
وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم .

باب

قال أبو العباس : هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمةً
مُسْتَحْسَنَةً يُحْتَاجُ إِلَيْهَا لِلتَّمَثُّلِ ، لأنها أشكلٌ بالدهر^(١) ، ويُستعارُ من
ألفاظها في المخاطبات وَالْحُطْبِ وَالكِتَبِ . قال عبد الصّمد بن المعدّل^(٢) :
تُكَلِّفُنِي إِذْلالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وهانَ عليها أنْ أهانَ لِتُكْرَمَا
تَقولُ سَلِ المَعروفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمِ فقلتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بنَ أَكْثَمِ^(٣)
(بالثاء مثلثة لاغير ، وكذلك أَكْثَمُ بنَ صَيْفِيٍّ ، ويقال إن يَحْيَى بنَ أَكْثَمِ
من ولد أَكْثَمِ بنَ صَيْفِيٍّ) .

وقال بشار بن بُرْدٍ يذكر عُبيدَ الله بنَ قَزَعَةَ ، وهو أبو المُغيرة أخو
المَلَوِيِّ المتكلم قال ، وقال المازني : لم أر أعلمَ من المَلَوِيِّ بالكلام ، وكان
من أصحاب إبراهيم النّظامِ :

خَلِيلِيَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَا كَمَا على دَهْرِهِ إِنَّ الكَرِيمَ مُعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزَعَةَ إِنَّهُ خَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبيدَ اللهِ لم يَلقَ ما جِدًّا ولم يَدْرِ أَنَّ المَكْرُمَاتِ تَكُونُ

(١) أي أشبه بمجواذه .

(٢) من شعراء الدولة العباسية ، وكان خبيث اللسان ، روى له الحمصري في (زهر الآداب)
طائفة من الأشعار .

(٣) كان هذا الشاعر يفتى مجلس القاضي يحيى بن أَكْثَمِ ، وكان يجد أحيانا مشقة ومذلة في الوصول
إليه فاقطع عن زيارته فلامته امرأته فقال هذين البيتين .

فقل لأبي يحيى متى تُدرِكُ العلى وفي كلِّ معروفٍ عليك يمين
إذا جئتُ في حاجةٍ سدَّ بابهُ فلم تلقهُ إلا وأنتَ كمين
نظيرُ قوله :

* وفي كل معروف عليك يمين *

قول جرير :

وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ عَلَيْهِ أَلِيَّةٌ وَلَا فِي يَمِينٍ عُوِّدَتْ بِالْمَأْتِمِ
وقال إسماعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية) :
أَطْعِمِ اللَّهَ بِجِهْدِكَ عَامِدًا أَوْ دُونَ جِهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطْلُبُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ
وقال محمود^(١) :

تَمَصَّى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
وقال أيضاً :

إِنِّي شَكَرْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عَمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَى يَدَا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حَلْمِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِي فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالْإِيمِ
فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

(١) محمود بن حسن الوراق ، مات في عهد المعتصم .

ما زال يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ
مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ أَوْ غَيْرِهِمْ يَشْتَمُونَكَ شَتْمًا رَسِخَتْكَ مِنْهُ ، قَالَ
أَفَسَمِعْتَنِي أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَأَرْحَمِهِمْ .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له لأشتمتك شتماً يدخل
معك في قبرك ، قال معك والله يدخل لا معي !!
وقال ابن مسعود : إن الرجل ليظلمني فأرحمه .

وقال رجل للشعبي كلاماً أفدع له فيه ، فقال له الشعبي : إن كنت
صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .
ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوماً يفتابونه فأخذ بعضهم
الباب ، ثم قال :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال : دخلت المدينة فرأيت رجلاً
راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابةً منه ، فقال قلبي
إليه ، فسألت عنه فقبل لي : هذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهما ، فامتلاً قلبي له بعضاً ، وحسدتُ علياً أن يكون له ابن مثله ، فصرتُ
إليه ، فقلتُ له : أأنت ابن أبي طالب ؟ فقال أنا ابن ابنه ، فقلت فبِكَ
وبأبيك أسبهُما ، فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريباً ، قلت : أجلُ

قال فَلَ بِنَا ، فَإِنْ اِحْتَجَّتْ إِلَى مَنْزَلِ أَنْزَلْنَاكَ ، أَوْ إِلَى مَالِ آسَيْنَاكَ ، أَوْ إِلَى حَاجَةِ عَاوَنَّاكَ . قَالَ فَانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ .

وقال محمود الوراق :

يا ناظِرًا يَرُونُ بَعَيْنِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدِ
مَنَيْتَ نَفْسَكَ ضَلَّةً وَأَبْجَتَهَا طُرُقَ الرَّجَاءِ وَهَنْ غَيْرُ قَوَاصِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوَزَ الْعَابِدِ
وَلَسَيْتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ
وقال الحكمي (هو أبو نواس الحسن بن هاني وهو منسوب إلى حكم
قبيلة من مذحج) للفضل بن الربيع :

مَا مِنْ يَدٍ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٍ كَيْدِ أَبُو الْعَبَّاسِ مَوْلَاهَا
نَامَ الْكِرَامُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَرَى إِلَى نَفْسِي فَأَحْيَاهَا
قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ^(١) ثُمَّ أَمَّنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوً مُقْتَدِرٍ حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا
وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة لدى اليميني^(٢) (سمي ذا اليمينين لأنه
ضَرَبَ إِنْسَانًا فَجَعَلَهُ قَسَمِينَ) :

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَاعِدًا مُسْتَقْبِلًا أَيَقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
فَارْفِضْ بِهَا^(٣) وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ
مَالًا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَأَنْ سَيَكُونُ

(١) يريد : كان خاف أن يذكره بسوء عند الأمين .

(٢) هو طاهر بن الحسين . (٣) أي ارفضها ، والباء زائدة .

يَسْعَى الدَّكِيُّ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَهَيْبِينَ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَأَنَّ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَعَبٌ مَحْزُونٌ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَى يَهُونٍ
وقال صالح بن عبد القدوس : (صلبه عبد الملك بن مروان^(١) على الزندقة
أعنى صالحا) :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبتُ جَلِيلًا فَذَهَابُ الْعِزَاءِ فِيهِ أَجَلٌ
كُلُّ آتٍ لِأَشْكَ آتٍ وَذُو الْجَهْلِ لِمُعْتَى وَالنِّعَمُ وَالْحُزْنُ فَضْلٌ



وَأَنشُدْ مُنْشِدُ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْفَرِدَةِ الْقَائِمَةِ بِأَنفُسِهَا (لهشام
ابن عبد الملك) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهُوَى قَادَكَ الْهُوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ
ومنها قول ابن أبي وهيب^(٢) :

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ
وقال آخر :

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّما تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
وقال أشجع السلمي :

(١) قال الشيخ المرصني : هذا غلط بين ، وإنما الذي عاقه يبعد بعد ماضيه بالسيف فقد ه
نصفين أمير المؤمنين المهدي .

(٢) قال الشيخ المرصني : صوابه محمد بن وهيب ، وهو القائل في العصم :
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والفمر

رَأَى سَرَى وَعُيُونَ النَّاسِ رَاقِدَةٌ مَا آخَرَ الْحَزَمَ رَأَى قَدَّمَ الْحَذَرَ
وقال آخر:

فَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْبَطَالَةَ جَانِبٌ
وقال آخر:

فَلَوْ عَابَ نَفْسِي غَيْرُ نَفْسِي لَسُوْتُهُ فَكَيْفَ وَنَفْسِي قَدَأْتَمَ مَا يَعِينُهَا
وقال آخر:

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيِ مُقْبِلٌ كَأَنَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدٍ
وقال عبد الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدَلِ:

أَمْنٌ عَلَى الْمُجْتَدِي (١) وَمَا أَتْبَعُ الْمَنَّ مِنْ (٢)
كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ
أَرَى النَّاسَ أَحْدُوْتَةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا
وقال أيضاً:

زَعَمْتُ عَادِلَتِي أَنِّي لِمَا حَفِظَ الْبُخْلُ مِنَ الْمَالِ مُضِيعٌ
كَفَلْتَنِي عِذْرَةَ (٣) الْبَاخِلِ إِذْ طَرَقَ الطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُوعٌ
لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ
وقال الحسن بن هانئ الحكيم:

(١) المجتدي: طالب العروف.

(٢) المن الأول: الاحسان، والمن الثاني: الفخر بالاحسان وهو مذموم.

(٣) العذرة بكسر العين: الاسم من الاعتذار.

إِلَيْكَ غَدَتُ بِي حَاجَةٌ لَمْ أُبْحِ بِهَا
 فَأَرْخِ عَلَيْنَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي
 أَخَافُ عَلَيْهَا شَامِتًا فَأَذَارِي
 سَتَرْتُ بِهِ قِدَمًا عَلَى عَوَارِي^(١)
 وَقَالَ أَيْضًا :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا
 أَنْتَ أَمْرٌ وَجَلَلْتَنِي نِعْمًا
 مِنْ ضَعْفِ شُكْرِي بِهِ وَمُعْتَرِفًا
 أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
 لَا قِتْكَ بِالتَّضَرِّيحِ مُنْكَشِفَا
 فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِمَةَ
 لَا تُحَدِّثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً^(٢)
 حَسْبِي أَقْوَمُ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا



وَقَالَ دِعْبَلُ^(٣) بِنِ عَالِي الْخَزَاعِي :
 أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمْ
 دَعْنِي أَصِلْ رَجْمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا
 قَالُوا تَعْصَبْتَ جَهْلًا قَوْلَ ذِي بَهْتِ
 لَا بَدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّلَاةِ
 حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَّةِ
 قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ
 وَآلُ كِنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عُلَّةِ
 بُدْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سَلْتِ حَفَاظَهُمْ
 سَأَلُوا السُّيُوفَ فَأَرَدُوا كُلَّ ذِي عَنَتِ
 لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْجٍ لِأَمْرِي طَبِنِ^(٤)
 مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
 فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْجِ جَارِيَةٍ
 مَشْمُومَةٍ لَمْ يُرْدِ إِتْمَاؤُهَا نَمْتِ
 وَإِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ
 وَمَنْ يَقَالَ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتِ

(١) العوار بفتح العين : العيب . (٢) هي المعروف .

(٣) للشاعر دعبل نفسية معقدة ، وقد درست نفسه أعمق في كتاب (المدائح النبوية) .

(٤) الطبن بكسر الباء : العطن الحاذق .

وقال أيضاً :

نَعُونِي وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ وَغَيْرُ عَدُوٍّ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
يَقُولُونَ إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ وَهَيْهَاتَ عُمُرُ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ (١)
سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ
(البیت الآخر لیس لدعبل ، وإنما هو مُضَمَّنٌ .)



وقال اسماعيل بن القاسم :

يَا مَنْ يَعْيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعَّبٌ كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ
لَهُ دَرَكٌ كَيْفَ أَنْتَ وَغَايَةٌ يَدْعُوكَ رَبُّكَ عِنْدَهَا فَتُجِيبُ
وقال أيضاً :

يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ بَانَ مِنِّي صَاحِبُ جَلٍّ فَقَدُهُ يَوْمَ بِنْتَا
يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ أَيْنَ أَتْنَا أَنْتَ بَيْنَ الْقُبُورِ حَيْثُ دُفِنْنَا
قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ تَ وَحَرَّ كَتَنِي لَهَا وَسَكَنَتَا
وقال أيضاً :

صَاحِبُ كَانَ لِي هَلَكٌ وَالسَّبِيلُ الَّتِي سَلَكَتُ
(والسبيل التي سلك: ابتداء وخبر ، ومن قال غير هذا فقد أخطأ) :

يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ

(١) أي طالت مدة عمره .

كُلُّ حَيٍّ مَمْلُوكٍ سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكَ

وقال أيضاً :

طَوَّتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَاكَ خُطوبُهُ نَشْرًا وَطِيًّا
فَلَوْ نَشَرْتَ قُورًا لِي الْمَنَايَا شَكَّوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَّا
بَكِيَّتِكَ يَا أَخِيَّ بَدَمَعَ عَيْنِي فَلَمْ يُعْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
كَفَى حَزَنًا بَدْفُنِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخْلِ شعره مما تقدم من الأخبار والآثار
فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب مُتَنَاوَلٍ وَيَسْرِقُهُ أَخْفَى سَرِيقَةٍ (١)
فقوله : وأنت اليوم أوعظ منك حيا ، إنما أخذه من قول الموبد لِقُبَاذِ الْمَلِكِ
حيث مات فانه قال في ذلك الوقت : كان الملكُ أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ،
وهو اليوم أوعظُ مِنْهُ أَمْسٍ .

وأخذ قوله :

قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكَتِي لَهَا وَسَكْنَتَا
مِنْ قَوْلِ نَادِبِ الْإِسْكَندَرِ فَانَهُ لَمَّا مَاتَ بَكَى مَنْ بَحْضَرْتَهُ فَقَالَ نَادِبُهُ :
حَرَكَتَنَا بَسُكُونِهِ .

وقال إسماعيل بن القاسم (وهو أبو القتاهية) :

يَا عَجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا

(١) تجرد تفصيل القول عن زهديات أبي القتاهية في الجزء الأول من كتاب (التصوف الاسلامي)

وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ^(١)
(معبّر بفتح الميم وكسرهما لأبن سراج ، وفتح الميم لاغير رواية عاصم) :
الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشْرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ الثَّقَى غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَرُ
لِيَعْمَأَمَنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ
عَجِبْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي فَخْرِهِ وَهُوَ غَدًا فِي قَبْرِهِ يُقْبَرُ
مَا بَالُ مَنْ أَوْلَاهُ نُظْفَةً وَجِيْفَةً آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ
أما قوله :

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا
فأخوذ من قولهم : الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ، ومن قول
لقمان لابنه : يا بني لا ينبغي لعاقل أن يُخْلِى نفسه من أربعة أوقات : فوقت^١
منها يناجى فيه ربه ، ووقت يُحاسب فيه نفسه ، ووقت يَكْسِبُ فيه
لمعاشه ، ووقت يُخْلِى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على
سائر الأوقات .

وقوله :

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبرٌ

(١) العبر : اسم للشط المهيأ للعبور

مأخوذ من قول الحسن : اجْعَلِ الدُّنْيَا كَالْقَنْطَرَةِ تَجُوزُ عَلَيْهَا وَلَا تَعْمُرُهَا .
وقوله :

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر
مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ بَكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ
مَرَجَتْ عُهْوُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ ، وصار الناس هكذا ، وشبك بين أصابعه ،
فقلتُ مُرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : خُذْ مَا عَرَفْتَ ، وَدَعْ مَا أَنْكَرْتَ ،
وعليك بحؤيصة نفسك ، وإياك وعوامها .

قوله صلى الله عليه وسلم : فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، أَمَا الْحُثَالَةُ فَهِيَ مَا يَبْتَقِي
فِي الْإِنَاءِ مِنْ رَدَى الطَّعَامِ ، وَضَرْبِهِ مَثَلًا ، وَقَوْلُهُ : مَرَجَتْ عُهْوُهُمْ ، يَقُولُ
اِخْتَلَطَتْ وَذَهَبَتْ بِهِمْ كُلُّ مَذْهَبٍ ، يَقَالُ مَرَجَ الْمَاءُ إِذَا سَالَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ
مَانِعٌ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ » .
وقوله :

لِيَعْمَانَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُدْخَرُ
مأخوذ من قول أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِذَا حُشِرَ
النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ نَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ الْعَرْشِ : لِيَعْمَانَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ
أَهْلُ الْكَرَمِ الْيَوْمَ ؟ لِيَقُمَ الْمُتَّقُونَ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

وقوله :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : وما ابن آدم والفخر؟
وإنما أوله نُظْفَةٌ وآخره جيفةٌ لا يرزقُ نفسه ولا يدفعُ حنْفَهُ .



وقال ابن أبي عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا ابْتَكْرًا
وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فِي الذَّهْرِ فَاَنْصَرَمَتْ
إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فِيهِ إِنْ اِعْتَبَرَا
حَتَّى تُؤَثَّرَ فِي قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا
(فانصرفت أشبه للمطابقة، والمشهور انصرفت)

إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ أَنْفُسَهَا
عَنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَكْتُمِ الْخَبْرَا^(١)
فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال :
عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنِّهُ
لِمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ
فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبي عيينة شيئاً طريفاً، وهكذا يفعل
الحاذق بالكلام ، ولو قال قائل : إن أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية :
لِيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقِيَّ
وَالْبَرَّ كَأَنَّا خَيْرٌ مَا يُدْخَرُ
من قول الخليل بن أحمد^(٢) (قال أبو الحسن : زعم النسابون أنهم لا يعرفون
منذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذي ولد فيه أحمد أبو الخليل
أحدًا سُمِّيَ بأحمد غيره) :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدُّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

(١) أى ان الأيام لا تزال تحدث الناس بما تظهره من الحوادث .

(٢) الصحيح أن البيت الآتى للأخطل وبعده :

والناس همهم الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خبال

لكان قد قال قولاً .

وقال العباس بن الفرَج :

أَمَلِي مِنْ دُونِهِ أَجَلِي فَتَى أَفْضَى إِلَى أَمَلِي



وقال الخليل بن أحمد وكان نظر في النجوم فأبعد ثم لم يرَ ضَها فقال :

أَبْلَغَاءَ عَنِّي الْمُنْجَمِ أَنِّي كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَاهُ الْكَوَاكِبُ
عَالِمٌ أَنْ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ نَبِحْتُمْ مِنَ الْمُهَيَّمِنِ وَاجِبُ

وقال محمد بن بشير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشي :

يَا سَائِلِي عَنْ مَقَالَةِ الشَّيْعِ وَعَنْ صُنُوفِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ
دَعْ مَنْ يَقُودُ الْكَلَامَ نَاحِيَةً فَمَا يَقُودُ الْكَلَامَ ذُو وَرَعِ
كُلُّ أَنَاسٍ بَدِيهِمْ حَسَنٌ ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدَ لِلشُّعِ
أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ لَمْ يَكُ فِي قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

وأنشدني الرياشي لغيره :

قَدْ نَقَرَ^(١) النَّاسُ حَتَّى أَحَدُوا بَدْعًا فِي الدِّينِ بِالرَّأْيِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ
حَتَّى اسْتَحَفَّ بِحَقِّ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ وَفِي الذِّمِّيِّ مَحْمُولًا مِنْ حَقِّهِ شُغْلُ

وقال محمد بن بشير :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
يَا حَسْرَتَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ

(١) من التنقيح وهو البحث .

من طال في الدنيا به عُمرُهُ وعاشَ فلموتُ قُصارُهُ
كَأَنَّهُ قد قِيلَ في مَجْلِسِ قد كنتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ
صارَ البَشِيرِيُّ إلى ربِّه يَرَحْمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ *
وقال أيضاً :

أَيْ صَفْوٍ إِلَّا إلى تَكْدِيرِ ونَعِيمٍ إِلَّا إلى تَغْيِيرِ
وَسُرُورٍ وِلْدَةٍ وَحُبُورٍ ليس رَهْنًا لنا بيومٍ عَسِيرِ
عَجْبَالِي ومن رَضَى بدنيا أنا فيها على شَفَا تَغْيِيرِ
عالمٌ لا أَشْكُ أَنِّي إلى اللهُ إِذَا مِتُّ أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ
ثمَّ أَهْوَوُ لَسْتُ أَذْرِي إلى أَيِّهِمَا بَعْدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي
أَيْ يَوْمٍ عَلَى أَفْطَحٍ من يَوْمٍ به تُبْرِزُ النُّعَاةُ سَرِيرِي
كَلِمًا مَرَّ بِي على أَهْلِ نَادٍ كُنْتُ حِينًا بِهِم كَثِيرَ المُرُورِ
قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ المَنَايَا قِيلَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرِ

وقال الحَكَمِيُّ أَبُو نُؤَاسٍ :
أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْتَقِي كَأَنَّكَ لا تَظُنُّ المَوْتَ حَقًّا
أَلَا يَا ابْنَ الذِّينِ فَتَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبَقِي
وَمَا أَحَدٌ بَزَادِكَ مِنْكَ أَحْظَى وَمَا أَحَدٌ بَزَادِكَ مِنْكَ أَشَقِي
وَلَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللهُ زَادٌ إِذَا جَعَلْتَ إلى اللّهُوَاتِ تَرَفِّي

ومما يستحسن من شعره قوله :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

فثل هذا لو تقدم لكان في صدور الأمثال ، وكذلك قوله أيضاً :

فَامُضٍ لَا تَمُنُّ عَلَى يَدَا مَنَّاكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ

وكان يقول : ذَكَرُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمُنْعِمِ إِفْسَادُ لَهُ ، وَكِتْمَانُهُ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ

كَفْرُهُ لَهُ ، وَفِي هَذَا الشَّعْرِ آيَاتٌ مَخْتَارَةٌ ، فَهِيَ :

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا^(١) وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ

رَاحَ فِي ثَنِيٍّ مُفَاصَّتِهِ^(٢) أَسَدٌ يَدْعِي شَبَابَ طُفْرِهِ

تَتَأَيُّ^(٣) الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَّةً بِالشَّبَّعِ مِنْ جَزَرِهِ

فَاسْئَلُ عَنْ نَوْءٍ تَوَمَّلُهُ حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ

لَا تَقْطِي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ بِرَبِّهَا وَادٍ وَلَا تَحْمِرُهُ

ذُلَّتْ تِلْكَ الْفِجَاجُ لَهُ فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ

وقد عابوا عليه قوله :

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ

وهو لعمري كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوع في غير موضعه ، لأن حق رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن يُضَافَ إليه ، ولا يُضَافُ إلى غيره ، ولو اتسع متسع

فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه عَسِرٌ موضوع في غير

موضعه ، وباب الاحتيال فيه أن تقول : قد يقول القائل من بني هاشم لغيره

مِنْ أَفْنَاءِ قَرِيشٍ : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَقٌّ هَذَا أَنَّهُ مِنَ الْقَبِيلِ

(١) العلق بالتحريك : الدم . (٢) المفاضة : الدرع .

(٣) تتأني : تقصد وتعمد .

الذي أنا منه، فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القرشي لسائر العرب، كما قال حسان بن ثابت :

وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمٌ عِزٌّ لِأَثْرَامٍ وَمَفْخَرٌ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَأَبْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
فَقَالَ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ هَذَا مِنْ نَفَرِهِ ، أَرَادَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ الْعَبَّاسُ هَذَا
المدوح منهم .

وأما قول حسان : منهم جعفر وأبن أمه علي ، ومنهم أحمد المتخير ،
فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَمَتْ وأخرت ، قال الله تبارك وتعالى :
« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ » وقال : « يَامَعْشَرَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ » وقال : « أَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » ولو كان بتم
أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم ، ثم الذي يليه واحداً فواحداً .
وأما قوله في هذا الشعر :

وَكَرِيمٌ الْخَالُ مِنْ يَمِينٍ وَكَرِيمٌ الْعَمَّ مِنْ مُضَرِّهِ
فأضاف مُضَرَ إليه ، فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع ، قال علي بن أبي
طالب رضى الله تعالى عنه يوم اجل للأشتر ، وهو مالك بن الحرث أحد
التخع بن عمرو بن علة بن جلد ، وكان على الميمنة : أحمِل ، فَحَمَلَ فِي أَصْحَابِهِ
فَكَشَفَ مَنْ بَازَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَاثِمِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَحَدِ بَنِي زُهْرَةَ
أَبْنِ كَلَابِ ، وَكَانَ عَلَى الْمَيْسَرَةِ : ائْمَلْ ، فَحَمَلَ فِي الْمُضَرِّيَّةِ فَكَشَفَ مَنْ
بِإِزَائِهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ مُضَرِيَّ وَيَمِينِي !
فأضاف القبيلتين إلى نفسه . قال جرير :

إِن الَّذِينَ ابْتَنَوْا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً تِلْكَمُ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول إسحاق بن خلف البهزاني، ونسبه في
 بنى حنيفة لسبأ وقع عليه، يقوله لعل بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعري
 المعروف بالقمي (منسوب إلى قمة^(١))، وهي بلدة أو قرية من خراسان):

وَالْكَرْدُ مِنْكَ إِذَا زُرْتَهُمْ بِكَيْدِكَ يَوْمَ كِيَوْمِ الْجَمَلِ

وَمَا زَالَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى لَهُ مَوَاهِبُ غَيْرُ النِّطَافِ الْمُكَلِّ^(٢)

لَسَلَّ السُّيُوفُ وَشَقَّ الصُّفُوفُ لِنَقْضِ التَّرَاتِ وَضَرْبِ الثَّقَلِ^(٣)

وَلُبْسُ الْعَجَاجَةِ وَالخَافِقَاتِ تُرِيكَ الْمَنَا بَرءِ وَسِ الْأَسَلِ

وَقَدْ كَشَّرَتْ عَنْ شَبَابِهَا عَرُوسُ الْمَيْتَةِ بَيْنَ الشُّعْلِ

وَجَاءَتْ تَهَادَى وَأَبْنَاؤُهَا كَانُوا عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَلِ

خَرُوسٌ نَطُوقٌ إِذَا اسْتَنْطِقَتْ جَهَوْلٌ تَطْلِيشٌ عَلَى مَنْ جَهَلِ

إِذَا حُطِبَتْ أَخَذَتْ مَهْرَهَا رُءُوسًا تَحَادَرُ قَبْلَ النَّفْلِ

أَلَذُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمَعَاتِ وَحَتَّ الْكُوْؤُوسَةِ فِي يَوْمِ طَلِّ

وَشُرْبِ الْمُدَامِ وَمَنْ يَشْتَهِيهِ مُعَاطٍ لَهُ بِمِزَاجِ الْقَبْلِ

بَعَثْنَا النَّوَاعِجَ تَحْتَ الرَّحَالِ تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الْجُدْلِ

إِذَا مَا حُودِينَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاطِ الْمِحْتِ الْعَجِزِ

(من كسر الميم فهو من حث، ومن ضم الميم جعله من أحث، يقال حث

(١) الصواب: قم .

(٢) المسك بضمين: جمع مكول على وزن صبور، وهي البئر، قل ماؤها أو أكثر، فهي من الأضداد

(٣) جمع قله بالضم وهي الرأس .

وأحث على فَعَلَ وعلى أَفْعَلَ لفتان) قوله: تريك المنايا، يريد المنايا، وهذه كلمة
تَخَفُّ على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعي أنه سمع العرب تقول: دَرَسَ
المنا، يريدون المنازل، وجاء في التخفيف أعجبُ من هذا: حدثنا بعض أصحابنا
عن الأصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله ولكن الأصمعي
قال: كَانَ أَخَوَانِ مَتَجَاوِرَانِ لَا يَكَلِمُ كُلُّ وَاحِدٍ مَنِمَا صَاحِبَهُ سَائِرُ سُنَّتِهِ حَتَّى
يَأْتِي وَقْتُ الرَّعْيِ، فيقول أحدهما لصاحبه: أَلَاتَا، فيقول الآخر بلى فإ، يريد
أَلَا تنهض؟ فيقول الآخر: بلى فأنهض، وحكى سيبويه في هذا الباب:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ^(١) وَإِنْ شَرَّافًا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأَ

يريد وإن شرافش، ولا أريد الشر إلا أن تريد (قال ش: قول أبي العباس
إِلَّا أَنْ تَرِيدَ وَهَمٌّ، وإنما هو إلا أن تشاء، ولو كان كما قال أبو العباس كانت
التاء مضمومة).



وهذا^(٢) خلاف ما تستعمله الحكماء، فإنه يقال: إن اللسان إذا كثرت
حركته رَقَّتْ عَذْبَتُهُ.

وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي محمد بن الجهم: لما كانت أيامُ
الزُّطِّ أَدَمَنْتُ الفِكْرَ، وأمسكت عن القول، فأصابني حُبْسَةٌ في لساني.
وقال رجل من الأعراب يذكر آخرَ منهم:

(١) يريد: أجزى بالخير خيرات.

(٢) أي هذا الاختصار في القول، وهو يورث حبسة اللسان.

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْيِيْسٍ وَهَمِّ وَأَرْقٍ
وقال رجل لخالد بن صفوان : إنك لتكثيرُ ، فقال أ كثرُ لضريرين :
أحدهما فيما لا تُعْنِي فيه القلةُ ، والآخر لتمرير اللسان ، فإن حبسه يورث العقلة .
وكان خالد يقول : لا تكون بليفاً حتى تُسكِّمَ أمتك السوداء ، في
الليلة الظَّماء ، في الحاجة المِهْمَّة ، بما تتكلم به في نادى قومك ، فإنما اللسان
عُضْوٌ إِذَا مَرَّتْهُ مَرْنٌ ، وَإِذَا أَهْمَلْتَهُ خَارَ ، كاليد التي تُحْسِنُهَا بالممارسة ، والبدن
الذي تُقَوِّيه برفع الحجر ، وما أشبهه ، والرجل إذا عُوِّدَتِ المشى مشت .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تزالون أصحاء ما نزلتكم ونزوتكم .
فنزعتكم في القسي ، ونزوتكم على ظهور الخيل .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِى نفسه من ثلاثٍ في غير
إفراطٍ : الأكلُ ، والمشى ، والجماعُ ، فأما الأكل فإن الأمتعاء تضيق لتركه ،
وكان ابن الزبير رحمه الله يواصلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ،
ثم يفطرُ على سمنٍ وصبرٍ ليفتق أمتعاه ، قال أبو العباس قال الأول (١) . والمشى
إن لم تتعهده أو شكت أن تطابه فلا تجده ، والجماعُ كالبر إن تُرحتُ حجتُ ،
وإن تُركتُ تحيّر ماؤها .
وحق هذا كله القصدُ .

وقوله : * كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَلِ * يريد تألق الحديد
كأنه شمس طالعة عليهم ، وإن لم تكن شمس ، وأحسن من هذا قول سلامة
ابن جندل :

(١) وهو بعين الحكماء .

كَأَنَّ النَّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الْحَدِيدِ جَوَاحِمُ
(أى مُتَقَدِّةٌ) فهذا التشبيه المصيب ، وأما قوله :

* أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْمَعَاتِ * فقد قال مثله القاسم بن عيسى
ابن إدريس أبو ذُلف العجلي :

يَوْمَئِذَا يَوْمٌ فِي أَوَانِسِ كَالذَّمَى لَهْوَى وَيَوْمٌ فِي قِتَالِ الدَّيْلَمِ
هَذَا حَلِيفُ غَلَابِلٍ مَكْسُوءَةٍ مَسْكَأً وَصَافِيَةً كَنَضْحِ العَنْدَمِ
وَلِذَلِكَ خَالِصَةُ الدَّرُوعِ وَضَمْرُهُ يَكْسُونَنَا رَهَجَ العُبَارِ الأَقْتَمِ
وَلِيَوْمِهِنَّ الفُضْلُ لَوْلَا لَذَّةٌ سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِيِّ المَعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو :

طَوَاهُ الهَوَى فَطَوَى مَنْ عَدَلَ وَحَالَفَ ذَا الصَّبُورَةِ المُخْتَبِلِ

وأما قوله * تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِي الجُدُلِ * فتسافه من السفه ، وإنما يصفها
بالمَرَح ، وأنها تميل كذا مرة ، وكذا مرة ، كما قال رؤبة :

* يَمْشِي العَرِضَى فِي الحَدِيدِ المُنْقَنِ * وكما قال الآخر :

إِذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الهَيْدَبَى وَيَتَّقِي الأَرْضَ بِمُعْجِ رِقَاقِ

(الهيدبي بالذال مهملة ومعجمة ، وقوله : بمعج رقاق ، يريد قليلة اللحم) وكما

قال الحطيئة :

وَإِنْ آتَيْتَ حِسَامِينَ السَّوْطِ عَارَضَتْ بِي الجُورَ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضَحَى العَدِ

والجدل : جمع جدل وهو الزمام المجدول كما تقول قتيل ومنقول ، وأدنى العدد
أجدلة ، كقولك قضيب وقضب وأقضية ، وكذلك كثيب ورغيف

وَجَرِيْبٌ ، وَفُعْلَانٌ كَفْعُلٍ فِي الْكَثِيْر ، يُقَالُ قُضِبَانٌ وَرُعْفَانٌ وَجُرْبَانٌ ،
وَمِثْلُ قَوْلِهِ : * تَسَافَهُ أَشْدَاقُهُمَا فِي الْجُدُلِ *

قَوْلُ حَبِيْبِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِيِّ :

سَفِيْهِ الرُّمْحِ جَاهِلُهُ إِذَا مَا بَدَأَ فَضْلُ السَّفِيْهِ عَلَى الْحَلِيْمِ



وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ شِعْرِ إِسْحَقَ هَذَا قَوْلُهُ فِي الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ :

بَابُ الْأَمِيْرِ عَرَاهُ مَا بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُوهُ وَوَاضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قَالَتْ وَقَدْ أَمَلْتُ مَا كُنْتُ أَمَلُهُ هَذَا الْأَمِيْرُ ابْنُ سَهْلٍ حَاتِمُ الْيَمَنِ
كَفَيْتُكَ النَّاسَ لَا تَلْقَى أَخَا طَلَبٍ بِنِيٍّ دَارِكَ يَسْتَعْدِي عَلَى الزَّمَنِ
إِنَّ الرَّجَاءَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَمَلُهُ وَضَعْتُهُ وَرَجَاءَ النَّاسِ فِي كَفَنِ
فِي اللَّهِ مِنْهُ وَجَدَوِي كَفَّهُ خَلْفٌ لَيْسَ السَّدَى وَالنَّدَى فِي رَاحَةِ الْحَسَنِ (١)

وَإِسْحَقُ هَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي صِفَةِ السَّيْفِ :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمَتَاحِ
وَكَأَنَّهَا ذَرَّةُ الْهَبَاءِ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ

وَإِسْحَقُ هَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ الْعَرَبِيَّةِ :

النَّحْوُ يَنْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَحْسَبُهُ أَخَذَ قَوْلَهُ : * وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ *

(١) السدى : ندى الليل ، والندى : ندى النهار .

من حديث حَدَّثَنَا أَبُو عَثَانَ الْخُزَاعِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ كَانَ يُقَالُ : ثَلَاثَةٌ يُحْكَمُ لَهُمْ بِالنَّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هُمْ ، وَهُمْ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ رَاكِبًا ، أَوْ سَمِعْتَهُ يُعْرَبُ ، أَوْ سَمِعْتَهُ مِنْهُ طَبِيبًا ، وَثَلَاثَةٌ يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِصْفَارِ حَتَّى يَدْرَى مَنْ هُمْ ، وَهُمْ رَجُلٌ سَمِعْتَهُ مِنْهُ رَاوِحَةً تَبِيدُ فِي مَحْفَلٍ أَوْ سَمِعْتَهُ فِي مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يَتَكَلَّمُ بِالْفَارْسِيَّةِ ، أَوْ رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ يَنَازِعُ فِي الْقَدْرِ .



قال أبو العباس أنشدني أحد الأمراء لشاعر من أهل الرِّيّ يُكْنَى أبا يزيد شيئاً يقوله لعبد الله بن طاهر أحسن فيه وأصاب الفص^(١) ، وقصد بالمدح إلى معدنه واختاره لأهله :

إِشْرَبْ هَيْنِئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا^(٢) فِي شَادِمِهِرٍ^(٣) وَدَعْ غَمْدَانَ لِلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمَلِكِ تَلْبَسُهُ مِنْ هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَأَبْنِ ذِي يَزَنِ
فَأَحْسَنَ التَّرْتِيبِ جَدًّا ، وَإِنْ كَانَتْ الْمُلُوكُ كُلُّهَا تَلْبَسُ التَّاجَ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِ ،
وَإِنَّمَا ذَكَرَ أَبُو ذِي يَزَنِ لِقَوْلِ أُمَيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :
إِشْرَبْ هَيْنِئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا فِي رَأْسِ غَمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحْلَا لَا
وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ فِي هُوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوْدَةَ مَلِكًا :
مَنْ يَرَهُ هُوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّبِعٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

(١) المراد من الفص باب المعنى .

(٢) متكى على مرفقة ، والمرفقة تشبه الوسادة .

(٣) مدينة أو موضع بنيسابور .

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَأْقُوتِ فَصَلَّهَا صَوَّغَهَا لَا تَرَى عَيْنًا وَلَا طَبَعًا^(١)
قال أبو العباس : وحدثني التَّوَزِيُّ : قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي
عمرو قال لَمْ يَتَّوَجَّحْ مَعْدَى قَطْ ، وإنما كانت التيجان لليمن ، فسألته
عن هُوْدَةَ بنِ علي الحنفي ، فقال : إنما كانت خَرَزَاتُ تُنْظَمُ لَهُ . قال أبو
العباس : وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هُوْدَةَ بنِ علي يدعوه
كما كتب إلى الملوك ، وكان يُجِيرُ لَطِيمَةَ كِسْرَى فِي الْبَرِّ بِجِنَبَاتِ الْيَمَامَةِ .
وَاللَّطِيمَةُ : الْإِبِلُ تَحْمِلُ الطَّيِّبَ وَالْبُرَّ ، وَوَفَدَ هُوْدَةُ بنِ عَلِيٍّ عَلَى كِسْرَى
بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عَدَدًا فقال : أيهم أحبُّ إليك ؟
فقال : الصغير حتى يكبر ، والغائب حتى يقدم ، والمريض حتى يصح ،
فقال له كِسْرَى مَا غِذَاؤُكَ فِي بَلَدِكَ ؟ فقال الخُبْرُ ، فقال كِسْرَى جُلَسَائِهِ
هَذَا عَقْلُ الْخُبْرِ ؛ يُفَضِّلُهُ عَلَى عَقُولِ أَهْلِ الْبُوَادِي الَّذِينَ يَغْتَدُونَ اللَّبَنَ وَالتَّمْرَ .
وقد رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ
هَدِيَّةً ، وَيُرْوَى أَنْ لَا أَتَّهَبَ هِبَةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ ،
وروى بعضهم أَوْ دَوْسِيٍّ ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فنن بها ، فذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادي .



وقال عبد الله بن محمد بن أبي عُبَيْدَةَ يَعَاتِبُ رَجُلًا مِنَ الْأَشْرَافِ :
أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقِّ . فَحَالَ السُّرُّ دُونَكَ وَالْحِجَابُ

وَعِنْدَكَ مَعَشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِي
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فِي قَدْرِ قَوْمٍ
وَرَأَى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاهٍ
بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ
كَانَ إِخَاءُهُ الْآلُ السَّرَابُ
وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ

وقال أيضاً :

كُنَّا مُلُوكًا إِذْ كَانَ أَوْلَانَا
كَانُوا جِبَالًا عِزًّا يُلَاذِبُهَا
كَانُوا بِهِمْ تُرْسَلُ السَّمَاءُ عَلَى
لَا يَرْتَقُ الرَّاثِقُونَ إِنْ فَتَقُوا
لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالْعُلَى خُلِقُوا
وَرَأْحَاتٍ ^(١) بِالْوَبْلِ تَتَّبَعُ ^(٢)
أَرْضٍ غِيَاثًا وَيُشْرِقُ الْأَفُقُ
فَتَقَا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا
فَمَا بَهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَتَقُ
لَيْسُوا كَمِعْزَى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ

(الثلثُ البلل)

وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ
هَذَا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ
تَنْوِيهِمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَرَقُ
ظَهَرَ لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
الْأَسَدُ فِيهِ عَلَى بَرَاثِنِهَا ^(٣) مُسْتَأْخِرَاتُ تَكَادُ تَمَزِقُ

وكان سببُ قوله هذا الشعر أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي
ابن عبد الله بن العباس كان له صديقاً ، وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة
من رؤساء مَنْ أخذ البصرةَ للمأمون في أيام المخلوع ^(٤) ، وكان معاصداً
لظاهر بن الحسين في حروبه ، وكان إسماعيل بن جعفر جليل القدر مطاعاً
في مواليه وأهله ، وكانت الحال بينهما أطفَحَ حال ، فوصله ابن أبي عيينة

(١) جمع راحة وهي السحابة تطر بالعمى .

(٢) تنفتح خروقتها وتسيل بشدة . (٣) جمع برثن وهو مخلب الأسد .

(٤) المخلوع هو الأمين ، خلعه أهل مكة والمدينة وكثير من عماله وباعوا المأمون وهو بخراسان .

بذى اليمينين فَوَلَّاهُ البصرة ، وَوَلَّى ابْنَ أَبِي عَيْنَةَ اليمامةَ وَالبَحْرَيْنِ وَغَوْصَ البحرِ ، فلما رجعا إلى البصرة تَنَكَّرَ إِسْمَاعِيلُ لِابْنِ أَبِي عَيْنَةَ فَهاجَ بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ، ثم عَزَلَ ابْنَ أَبِي عَيْنَةَ فلم يزل يهجو إِسْمَاعِيلَ ، وسأل ذا اليمينين عَزَلَهُ فدافعه ، وَضَنَّ بالرجل ، فكان يهجو مَنْ أَهْلَهُ مَنْ يُواصِلُ إِسْمَاعِيلَ ، وكان أَكْبَرَ أَهْلِهِ قَدْرًا في ذلك الوقت يزيدُ بنُ المُنْجَبِ ، وكان أعور قائم العينِ لم يُطَلِّعْ على عِلَّتِهِ إلا بشعر ابْنِ أَبِي عَيْنَةَ ، وكان منهم - وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمين - مُحَمَّدُ بنُ عَبَّادِ ابْنِ عبادِ بنِ حبيبِ بنِ المُهَلَّبِ ، ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب ابْنِ مُحَمَّدِ بنِ المهلبِ بنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وكان قصيراً ، وكان ابْنُ عَبَّادِ أَحْوَلَ ، فذلك حيث يقول ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ في هذا الشعر الذي أمْليناه :

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجَتَانِ وَالبَرَقُ^(١) في زمنِ سَرُو^(٢) أَهْلِهِ المَلَقُ^(٣)
عُورٌ وَحَوْلٌ وَثَالِثٌ لَهُمُ كَأَنَّهُ بَيْنَ أُسْطُرٍ حَاقُ^(٤)

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم وقد روا به يريدون اسماعيل بن جعفر :
أَلَا قُلْ لِرَهْطِ خَمْسَةٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ يُعَدُّونَ مِنْ أَبْنَاءِ آلِ المُهَلَّبِ
عَلَى بَابِ إِسْمَاعِيلِ رُوْحُوا وَبَكَرُوا دَجَّاجِ القُرَى مَبْثُوثَةٌ حَوْلَ نَعْلَبِ
وَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُسِرُّ لَكُمْ حُبًّا هُوَ الحُبُّ وَاقْلِبِ^(٥)
يَلِينُ لَكُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ مُوَارِبًا وَيَخْلُفُكُمْ مِنْهُ بِنَابٍ وَنَحْلَبِ

(١) البرق: الحروف ، والجمع أبراق ، وبرقان - بضم الباء وكسرهما - .

(٢) السرو: الصرف . (٣) الملق: زيادة التودد والتضرع .

(٤) اللحق: اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ، والجمع ألقاق .

(٥) أي حول الكلام عن وجهه ، يريد أن حبه هو البغض .

وَلَوْلَا الَّذِي تُولُونَهُ لَتَكَشَفْتُمْ
 أَبْعَدَ بَلَائِي عِنْدَهُ إِذْ وَجَدْتُهُ
 * بِهِ صَدًا قَدْ عَابَهُ فَجَاوَنَهُ
 وَرَكِبْتُهُ فِي خُوطٍ (٣) نَبَعٍ وَرِشْتِهِ (٤)
 فَمَا إِنْ أَتَانِي مِنْهُ إِلَّا مُبَوًّا
 فَفَلَلْتُ مِنْهُ حَدَّهُ وَتَرَكَتُهُ
 رَضِيئْتُمْ بِأَخْلَاقِ الدِّينِيِّ وَعِظْمْتُمْ
 وَفِي هَذَا يَقُولُ لَطَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ :
 مَالِي رَأَيْتُكَ مُدْنِي كُلَّ مُتَتَكِّثٍ (٧)
 إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْغَدْرِ قَابِلَهَا
 وَمَنْ يَجِيءُ عَلَى التَّقْرِيْبِ مِنْكَ لَهُ
 أَحْلَاكَ اللَّهُ مِنْ فَحْطَانٍ مَنزِلَةً
 فَلَا تُضِيعْ حَقَّ فَحْطَانٍ فَتُغْضِبَهَا
 أَعْطِ الرَّجَالَ عَلَى مَقْدَارِ أَنْفُسِهِمْ
 وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
 سَرِيرَتُهُ عَنِ بَغِضَةٍ وَتَعْصَبٍ
 طَرِيحًا كَنْصَلِ الْقِدْحِ (١) لَمَّا يَرْكَبُ (٢)
 بِكَفِّي حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبٍ
 بِقَادِمَتِي نَسْرٍ وَمَتْنٍ (٥) مُعَقَّبٍ
 إِلَيَّ بِنِصْلِ كَالْحَرِيْقِ مُذْرَبٍ
 كَهُدْبَةٍ ثَوْبٍ الْخَزَّ لَمَّا يَهْدُبُ (٦)
 خَلَائِقَ مَا ضِيكُمُ مِنَ الْعَمِّ وَالْأَبِ
 إِذَا تَغَيَّبَ مُلْتَاثٌ (٨) إِذَا حَضَرَ
 حَتَّى إِذَا نَفَخَتْ فِي أَنْفِهِ غَدْرًا
 وَأَنْتَ تَعْرِفُ فِيهِ الْمَيْلَ وَالصَّعْرَ (٩)
 فِي الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصْرَ
 وَلَا رَيْبَةَ كَلًّا لَا وَلَا مُضْرًا
 وَأَوَّلِ كَلًّا بِمَا أَوْلَى وَمَا صَبْرًا
 لَا تَمَحِّقِ التَّيْرِينَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ (١٠)

(١) القدح : العود . (٢) أي لم يركب فيه النصل .

(٣) الخوط : الغصن الناعم .

(٤) راسه : ألزق فيه الريش ليخف جريه . (٥) المتن : هو الوتر .

(٦) يهدب : يقطع . (٧) المتكث هو في الأصل : البعير الذي كان صميما فهزل .

(٨) اللثات البطي . (٩) الصعر : الميل عن تكبر .

(١٠) يريد أبويه .

ويقول له في أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَالرِّضَا
إِذَا نَحْنُ أَبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسِ
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِتْمَانًا
هِيَ الْأَنْفُسُ الْكُبْرَى الَّتِي إِنْ تَقَدَّمتْ
سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَدَاوَتِي
لَهُ رِيْقُ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا

ولما حمل إسماعيل مُقَيِّدًا ، ومعه أبناء أحدهما في سلسلة مقرونا معه ، وكان
الذي تولى ذلك أحمد بن أبي خالد في قصة كانت لإسماعيل أيام الخُضْرَةِ (١) ،
فقال ابن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك :

مَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَابْنَا هُ مَعًا فِي الْأَسْرَاءِ
جَالِسًا فِي مَحْمَلٍ صَنَعْتِ عَلَى غَيْرِ وِطَاءِ
يَتَغَنَّى الْقَيْدُ فِي رِجْلَيْهِ الْوَانَ الْغِنَاءِ
بَاكِيًا لَارْقَاتٍ عَيْنَاهُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ
يَا عُقَابَ الدَّجْنِ فِي الْأَمْنِ وَفِي الْخَوْفِ ابْنَ مَاءِ (٢)

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به ، فمن ذلك قوله :

لَا تَعْدَمِ الْعَزَلَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَلَا هُزْلًا فِي دَوْلَةِ السَّمَنِ
وَلَا انْتِقَالَ مِنْ دَارِ عَافِيَةٍ إِلَى دِيَارِ الْبَلَاءِ وَالْفِتَنِ

(١) هي الأيام التي أمر المأمون فيها خدمه وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد ، وأن تلبس
الخضرة في أفيئتهم وقلانسهم يوم أن جعل علي بن موسى ولي عهد السهبن والخليفة من بعده وسماه
الرضا من آل محمد فغضب بنو العباس .

(٢) طائر يألف الماء ، جملة مثلا في الضعف .

وَلَا خُرُوجًا إِلَى الْفِقَارِ مِنَ الْأَرْضِ وَتَرَكَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَ ^(١)
 كَمْ رَوْحَةٍ فِيكَ لِي مُهَجَّرَةٍ وَدُجَلَةٍ فِي بَقِيَّةِ الْوَسَنِ
 فِي الْحَرِّ وَالْقُرِّ كَيْ تُوَلَّى عَلَى الْبَصْرَةِ عَيْنِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ
 إِنِّي أَحَاجِيكَ ^(٢) يَا أَبَا حَسَنِ مَا صُورَةٌ صُوِّرَتْ فَلَمْ تَكُنْ
 وَمَا بَهِيٌّ فِي الْعَيْنِ مَنْظَرُهُ لَوْ وَزَنُوهُ بِالزَّفِّ ^(٣) لَمْ يَزِنْ
 ظَاهِرُهُ رَائِعٌ وَبَاطِنُهُ مَلَانٌ مِنْ سَوَآةٍ وَمِنْ دَرَنِ ^(٤)

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل، مولى بني مازن بن مالك بن عمرو
 ابن تميم، وكان منقطعاً إلى إسماعيل وولده، وكان لا يبلغ ابن أبي عيينة
 في الشعر ولا يدانيه، ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله :

إِنِّي أَحَاجِيكَ مَا حَنِيفٌ عَلَى الْفِطْرَةِ بَاعَ الرَّبَاحَ بِالْعَبَنِ
 وَمَا شَيْخٌ مِنْ تَحْتِ سِدْرَتِهِ مُعَلَّقٌ نَعْلَهُ عَلَى الْغُصْنِ
 وَمَا سُيُوفٌ مُحْرَمٌ مُصْقَلَةٌ قَدَّعَرِيَتْ مِنْ مَقَابِضِ السَّفَنِ ^(٥)
 وَمَا سِهَامٌ صُفْرٌ مُجَوَّفَةٌ ^(٦) تُحْشَى خِيُوطَ الْكُتَّانِ وَالْقُطُنِ
 وَمَا ابْنٌ مَاءٌ إِنْ يُخْرِجُوهُ إِلَى الْأَرْضِ تَسِلُ نَفْسُهُ مِنَ الْأُذُنِ
 وَمَا عَقَابٌ زَوْرَاهُ تُلْجِمُ مِنْ خَلْفٍ فَتَهْوَى قَصْداً عَلَى سَنَنِ

(١) بعد هذا البيت :

أنا الذي إن كفرت نعمته أذاب مافي جنبك من عكن

والعكن : أطواء البطن من السمن ، والمفرد عكنة .

(٢) من الأحجية بضم الهمزة وتشديد الياء ، وهي اللغز .

(٣) الزف : صنار ريش النعام . (٤) الدر : الدنس .

(٥) السفن بالتحريك : جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف ، وهو يكتن عن الأيور الطبيعية .

(٦) كناية عن الأيور الصناعية .

لَهَا جَنَاحَانِ يَحْفِزَانِ بِهَا نَيْطًا إِلَيْهَا بِجِدْوَتِي رَسَنٍ^(١)
يَاذَا الْيَمِينِينَ أَضْرِبُ عِلَاوَتَهُ^(٢) يُدْفَعُ وَمَانِي فِي النَّارِ فِي قَرْنٍ

(قيل السفينة وقيل الراية ، وهو أصح لأن جدّه حبّسَ رايةَ طاهر بن الحسين
ثلاثة أعوام . وقوله «وماني في النار في قرن» ماني أسم علم ، وكان رأسا من
رءوس الزنادقة) .

فأجابه إبراهيم السّواقُ مولى آلِ المهلبِ ، وكان مُقدِّمًا في الشعر
بأبيات لا أحفظ أكثرها منها :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ فِي أَبِي حَسَنِ فَانْتَجِرُوا فِي تَطَاوُلِ الزَّمَنِ
وهذا السّواق هو الذي يقول لبُسر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة
أبن المهلب :

سَمَاؤُكَ تُمْطِرُ الذَّهَبَا وَحَرَبُكَ تَلْتَطِي لَهَبَا
وَأَيْ كَتِيبَةٍ لَأَقْتُكَ لَمْ تَسْتَحْسِنِ الْهَرَبَا

ومن شعره السائر :

هَبِينِي يَا مَعْدِيَّتِي أَسَأْتُ وَبِالْهَجْرَانِ قَبْلَكُمْ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكَ فَدَنَّاكَ نَفْسِي عَلَى إِذَا أَسَأْتُ كَمَا أَسَأْتُ

ولأبن أبي عُيَيْنَةَ في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذى اليمينين
وهجاء إسماعيل وغيره سنذكرها بعد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .
ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله
أبن العباس ، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص

(١) الرسن: ما كان من الأزمة على أنف البعير .

(٢) العلاوة : الرأس .

هَزَارَ مَرَدَدَ (وقعت الرواية كما في الأصل وصوابه هَزَادَ مَرَدَ بِالزَايِ وَالذَّالِ
مُعْجَمَةً، وَلَاخِلَافَ فِي الزَايِ) وَهُوَ مِنْ وَلَدِ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَلَمْ يَلِدْهُ
الْمُهَلَّبُ، وَكَانَ يُقَالُ لِأَبِي صُفْرَةَ ظَالِمٌ بِنِ سَرَّاقٍ :

أَفَاطِمٌ قَدْ زُوِّجْتَ عَيْسَى فَأَيُّنِي	بِذُلِّ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ
فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجْتَ عَنْ غَيْرِ خَيْرَةٍ	فَقِيٍّ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ
فَإِنْ قُلْتِ مِنْ رَهْطِ التِّيِّ فَإِنَّهُ	وَإِنْ كَانَ حُرًّا الْأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فَقَدْ ظَفَرْتَ كَفَاءَهُ مِنْكَ بِطَائِلِ	وَمَا ظَفَرْتَ كَفَاكَ مِنْهُ بِطَائِلِ
وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ (١)	أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلِ
وَمَا قُلْتِ مَا قَالَا لِأَنَّكَ أُخْتُنَا	وَفِي السَّرِّ مَنَا وَالذُّرَا وَالْكَوَاهِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتَهُ فِي نِصَابِهِ (٢)	بَانَ صِرْتِ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلَائِلِ
إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَبَادَرُوا (٣)	عُرَا الْمَجْدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ
رَأَيْتِ أَبَا الْعَبَّاسِ (٤) يَسْمُو بِنَفْسِهِ	إِلَى يَبِيعَ يَبَاحَاتِهِ (٥) وَالْمَبَاقِلِ (٦)
يُرْخَمُ بِيضَ الْعَامِ تَحْتَ دَبَاجِهِ	لِيُخْرِجَ بِيضًا مِنْ فَرَارِيحِ قَابِلِ

(١) هما أخوا عيسى بن سليمان ، وقد أكثر في وصفه بالبخل .

(٢) أى أنزلته منزلة الرفعة والشرف . (٣) وروى : تنازعوا .

(٤) كنية عيسى .

(٥) جمع يباحة بتشديد الياء ، وهى شبكة تحبس الرياح - بكسر الباء - وتخفيف الياء - وهو نوع من

السلك طوله شبر .

(٦) جمع مبقلة ، وهو موضع بيع البقل . وكانت للمهجو محابس يجس فيها الرياح وبيعه ، وكانت له

ضبعة تعرف بدالية عيسى يبيع فيها البقول والرياحين ، وهو أول من جمع السباد بالبصرة وباعه ، وفيه
يقول ابن أبي عيينة :

رَأَيْتِ النَّاسَ مَهْمَ الْمَالِ وَعَيْسَى مَهْمَ جَمْعِ السَّادِ

وَرَزَقَ الْعَالِينَ بِكَفِّ رِبِي وَعَيْسَى رَزَقَهُ اسْتِ الْعِبَادِ

قال أبو العباس : وَوَلَدَ عَيْسَى مِنْ فَاطِمَةَ هَذِهِ لَهُمْ شَجَاعَةٌ وَنَجْدَةٌ وَشِدَّةٌ
أَبْدَانٍ ؛ وَفَاطِمَةُ الَّتِي ذَكَرْتَهَا هِيَ الَّتِي كَانَ يَنْسِبُ بِهَا أَبُو عَيْيَةَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ
وَيَكْنِي عَنْهَا « بَدُنِيَا » ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَهَا :

دَعَا مُصْرِحَ بَادِي السَّرَارِ دَعَوْتُكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
وَمُحْتَرِقُ عَيْنِكَ بِغَيْرِ نَارِ لِأَنِّي عَنْكَ مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِي
عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ وَأَنْتِ تَوْقَرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
تُدَارِينَ الْعَيُْونَ وَلَا أَدَارِي فَأَنْتِ لِأَنَّ مَا بَكَ دُونَ مَا بِي
جَمَحْتَ إِلَى خَالِعَةِ الْعِدَارِ وَلَوْ وَاللَّهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةٌ عِنْدِي عَنِ الْإِنْشَادِ^(١)
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ
وَأَظُنُّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَيْبَةً سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثِقَلِهِ طَوْذٌ مِنَ الْأَطْوَادِ
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وَتُمْضِي غَيْرَهُ فِي سَاعَةِ الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا مِنْ ضَيْقِ ذَاتِ يَدٍ وَضَيْقِ بِلَادِ
لَكِنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لَكَ رَاجِيًا بِكَ رُتْبَةَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
قَدْ كَانَ لِي بِالْمِصْرِ يَوْمٌ جَامِعٌ^(٢) لَكَ مُصْلِحٌ فِيهِ لِكُلِّ فَسَادِ

(١) يعني أنها محبوسة في صدره .

(٢) يريد تكبير طاهر بما كان من دعائه أمراء البصرة ووجوهها لمبايعة المأمون وخلع الأمين .

وَدَعَوْتُ مُنْصُورًا^(١) فَأَعْلَنَ بَيْعَةً
بَارَتْ مُسَارَعَتِي إِلَيْكَ بِطَاعَتِي
فِي الْأَرْضِ مُنْفَسِحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ
وَقَالَ أَيضًا يَمَاتِبُهُ :

أَيَاذَا الْيَمِينَيْنِ إِنَّ الْعِتَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنْ تَرَكَ الْعِتَا
إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ بَانَ قَدْ ظَنَنْتَ
فَأُضْمَرَتِ النَّفْسُ فِي وَهْمِهَا
وَلَا بُدَّ لِلْمَاءِ فِي مِرْجَلِي
وَمَنْ أَشْرِبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنَى
عَلَامٌ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِي
أَلَمْ أَكُ بِالْمِصْرِ أَدْعُو الْبُعِيدَ
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَاكَ
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِي مَا قَطِ^(٢) الْ
* فَفِيمَ تَقْدِمُ جَفَالَةً^(٣) إِلَيْكَ أَمَامِي وَأَدْعَى أَخِيرًا
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْحَمِي^(٤) إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرًا
* فَقَدِمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيرًا

(١) هو ابن المهدي عامل البصرة .

(٢) الرزق: مسالك رجل الراكب . والمأقط: المضيق في الحرب ، والمراد أنه كان يلزمه في حروبه

(٣) كثير الجفول وهو الإسراع في الذهاب . (٤) الفيور .

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَزُورَا
 وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْهُوسَى وَالْمَدَى أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدُّبُورَا
 وَلَكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرَمَ بِي مُهِمًّا تَجِدُ كَوْكَبِي مُسْتَنِيرَا
 فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيَاً فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غُنْمًا كَبِيرَا
 وَكَانَ لَكَ اللَّهُ فِيمَا ابْتَعَثَ لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
 * وَلَا جَعَلَ اللَّهُ فِي دَوْلَةٍ سَبَقَتْ إِلَيْهَا وَرِيحٌ فَتُورَا
 * فَإِنَّ وَرَائِي لِي مَذْهَبًا بَعِيدًا مِنَ الْأَرْضِ قَاعًا وَقُورَا
 بِهِ الضَّبُّ تَحْسِبُهُ بِالْفَلَاةِ إِذَا خَفَقَ الْآلُ فِيهَا بَعِيرَا
 وَمَالًا وَمِصْرًا عَلَى أَهْلِهِ يَدُ اللَّهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
 * وَإِنِّي لِمَنْ خَيْرُ سُكَّانِهِ وَأَكْثَرِهِمْ بِنْفِيرِي نَفِيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم ، وكان دعاه إلى نصرته حين ظهرت المبيضة^(١) فلم يجبه فتوعده على ، فقال عبد الله :

أَعْلَى إِنَّكَ جَاهِلٌ مَعْرُورٌ لَاطِمَةٌ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُورٌ^(٢)
 أَكْتَبْتُ تُوْعِدُنِي إِذَا اسْتَبَطَأْتَنِي إِنِّي بِحِرِّ بَاكَ مَا حَيِّتُ جَدِيرٌ
 فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَارٌّ أَطِينُ أَجْنَحَةَ الْبَعُوضِ يَضِيرُ
 وَإِذَا ارْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلْأَلَى أَبَوَاهُمْ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ
 نَبَتَتْ عَلَيْهِ حُومُنَا وَدِمَاؤُنَا وَعَلَيْهِ قُدَّرَ سَمِينَا الْمَشْكُورُ

(١) هم قوم من أعداء الدولة العباسية ، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بني العباس من لبس السواد . (٢) لاطمة له ولا نور : لا ضرر فيه ولا نفع .

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل
بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد :

أَفْنَى تَمِيماً سَعْدَهَا وَرَبَابَهَا بِالسُّنْدِ قَتْلُ مُغِيرَةَ بْنِ يَزِيدِ
صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ صَعَقَةٌ عَتَكِيَّةٌ^(١) جَعَلَتْ لَهُمْ يَوْمًا كَيَوْمِ ثُمُودِ
ذَاقَتْ تَمِيمٌ عَرَكَتَيْنِ^(٢) عَذَابَنَا بِالسُّنْدِ مِنْ عُمَرِ وَمِنْ دَاوُدِ
قُدْنَا الْجِيَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَيْهِمْ مِثْلَ الْقَطَا مُسْتَنَّةً لُورُودِ^(٣)
يَحْمِلُنَ مِنْ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ عُصْبَةً خُلِقَتْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبَ أُسُودِ

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة :

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ فِرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادِقِينَ أَجْدَلًا^(٤)
وَمَا نَيْلَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ بِحَاصِبِ^(٥) مِنَ النَّبْلِ وَالنُّشَابِ حَتَّى تَجَدَّلًا^(٦)
وَإِنِّي لَمُنِّي بِالذِّي كَانَ أَهْلَهُ أَبُو حَاتِمٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلَا
فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِي مِنَ الدَّمِ أَنْ يَرَى لَهُ مُخْرَجًا يَوْمًا عَلَيْهِ وَمَدْخَلَا
وَكَانَ يَظُنُّ الْمَوْتَ عَارًا عَلَى الْفَتَى يَدِ الدَّهْرِ^(٧) إِلَّا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلَا
مَنِيَّةُ أَبْنَاءِ الْمُهَلَّبِ إِنَّهُمْ يَرُونَ بِهَا حَتْمًا كِتَابًا مَعْجَلَا
وَقَدْ أَطْلَقَ اللَّهُ اللِّسَانَ بِقَتْلِ مَنْ قَتَلْنَا بِهِ مِنْهُمْ وَمَنْ وَأَفْضَلَا

(١) منسوبة إلى جده الأكبر عتيك على وزن أمير .

(٢) أي مرتين ، تقول : لقيته عركة وعركتين وعركات كما تقول : لقيته مرة ومرتين ومرات ، لا تستعمل إلا ظرفا .

(٣) مستنة : مسرعة . (٤) الأجدل : الصفر .

(٥) الحاصب في الأصل : ماتناثر من برد وثلج .

(٦) وقع على الجدالة ، وهي الأرض .

(٧) يد الدهر : مدة الدهر .

أَنَاخَ بِهِمْ دَاوُدُ يَصْرِفُ نَابَهُ وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلَامٍ كُلَّ كَلَاةٍ
يُقْتَلُهُمْ جُوعًا إِذَا مَا تَحَصَّنُوا وَتَقْرِيهِمْ هُوجَ الْمَجَانِقِ ^(١) جَنْدَلًا

وهذا شعر عييب من شعره ، وفي هذه القصة يقول :

أَبْتُ ^(٢) إِلَّا بُكَاءً وَانْتِجَابًا وَذِكْرًا لِلْمُعِيرَةِ وَاكْتِسَابًا
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الْقَتْلَ وَرِذْءًا لَنَا كَالْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
وَقُلْتُ لَهَا: قِرِّي وَرِثِي بِقَوْلِي كَأَنَّكَ قَدْ قَرَأْتَ بِهِ كِتَابًا
فَقَدْ جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ فَقُولِي أَلَا لَا تَعْدَمِ الرَّأْيَ الصَّوَابَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَعْدَادِ شُعْنًا عَوَابِسَ تَحْمِلُ الْأَسَدَ الْغِضَابَا
بِكُلِّ فَسْتَى أَغْرَ مُهْلَبِي تَخَالَ بِضَوْءِ صُورَتِهِ شِهَابَا
وَمِنْ قَحْطَانَ كُلِّ أَخِي حِفَاطِي إِذَا يُدْعَى لِنَائِبَةِ أَجَابَا
فَمَا بَلَغْتَ قُرَى كَرْمَانَ حَتَّى تَخَدَّدَ لِحْمَهَا عَنْهَا فِدَابَا
وَكَانَ لَهْنٌ فِي كَرْمَانَ يَوْمٌ أَمَرَ عَلَى الشَّرَاةِ ^(٣) بِهَا الشَّرَابَا
وَإِنَّا تَارِكُونَ غَدًا حَدِيثًا بِأَرْضِ السُّنْدِ سَعْدًا وَالرَّبَابَا
تُفَاخِرُ بِابْنِ أَحْوَزِهَا ^(٤) تَمِيمٌ لَقَدْ حَانَ الْمَفَاخِرُ لِي وَخَابَا

وفي مثل هذا البيت الأخير يقول أخوه أبو عيينة :

أَعَاذِلُ صَهَ لَسْتُ مِنْ شِيَمَتِي وَإِنْ كُنْتُ لِي نَاصِحًا مُشْفِقًا
* أَرَاكَ تُفَرِّقُنِي ^(٥) دَائِبًا وَمَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَفْرَقَا

(١) جمع منجنيق - بفتح الميم وتكسر - وهو آلة ترمى بها الحجارة .

(٢) يريد نفسه . (٣) الشراة : طائفة من الخوارج .

(٤) هو هلال بن أحوز ، وكانت له وقعة بالسند على آل المهلب .

(٥) تخوفني .

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَادَ لِي مَنْصِبًا وَكَانَ السَّمَكَ إِذَا حَلَقًا^(١)
قَرِيعُ الْعِرَاقِ^(٢) وَبَطْرِيْقُهُمْ وَعَزَّهُمُ الْمُرْتَجَى الْمُتَقَى
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَا مَازَهَبَتْ أَنْطِقُ فِي الْمَجْدِ أَنْ يَنْطِقَا
أَنَا ابْنُ الْمُهَلَّبِ مَا فَوْقَ ذَا لِعَالٍ إِلَى شَرَفٍ مُرْتَقَى
فَدَعَنِي أُغْلِي ثِيَابَ الصَّبَا بِجِدَّتِهَا قَبْلَ أَنْ تَحْلُقَا

قال أبو الحسن : وهذا شعر حسن أوله :

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَعْشَقَا وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقُ لَوْلَا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النَّهَى وَشَمَّكَ رِيحَانِ أَهْلِ النَّقَا
عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَاشِقِينَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا

ثم قال : * أَعَاذِلُ صَهَ لَسْتُ مِنْ شِيْمَتِي * :

ثم قال بعد قوله : * فَدَعَنِي أُغْلِي ثِيَابَ الصَّبَا * :

« أَدْنِيَايَ ! » مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خُذِي يَدِي قَبْلَ أَنْ أُغْرَقَا
أَنَا لَكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَقَا

قال أبو الحسن : قوله أنا لك عبد بالالف فهذا إنما يجوز في الضرورة ، والألف
تثبت في الوقف لبيان الحركة فلم يُحتج إلى الألف^(٣) ، ومن أثبتتها في الوصل
قاسه على الوقف للضرورة كقوله :

فَإِنْ يَكُ غَنًّا أَوْ سَمِينًا فَإِنِّي سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا^(٤)

(١) ارتفع . (٢) قريع العراق : ههنا . (٣) يريد لم يحتج إليها في الوصل .

(٤) مقنع : شاهد عدل .

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الماءِ وَحَدَّهَا فَأَجْرَى الوصل على الوقف^(١)، وأنشدوا
قول الأعشى :

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالُ القَوَا فِي^(٢) بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا

والرواية الجيدة :

فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحَالُ القَوَا فِي بَعْدِ المَشِيبِ .

سَقَى اللهُ « دُنْيَا » عَلَى نَائِيهَا مِنْ القَطْرِ مُنْبَعِقًا^(٣) رَيْقًا^(٤)

أَلَمْ أَخْدَعِ النَّاسَ عَنْ حُبِّهَا وَقَدْ يَخْدَعُ الكَيْسُ الأَحْمَقَا

بِـلِي وَسَبَقْتُهُمْ إِنِّي أَحِبُّ إِلَى المَجْدِ أَنْ أُسْبِقَا

وَيَوْمَ الجِنَازَةِ إِذْ أُرْسِلَتْ عَلَى رِقْبَةٍ أَنْ جِيءَ الخَنْدِفَا

إِلَى السَّالِّ فَاخْتَرْنَا لَنَا مَجْلِسَا قَرِيبًا وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُقَا

هذا مما يغلطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة يقولون: السال بالتخفيف، وإنما هو السالُّ

يا هذا! وجمعه سَلَانٌ، وهو الغالُّ وجمعه غُلَانٌ، وهو الشَّقُّ الخَفِيُّ في الوادي

فَكُنَّا كغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ رَطِيبَيْنِ حِدْمَانِ مَا أَوْرَقَا

فَقَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا أَسْتَشْدِيدِهِ مِنْ شِعْرِهِ الحَسَنِ المُتَّقَى

فَقُلْتُ : أُمِرْتُ بِكُتْمَانِهِ وَحُدِّرْتُ إِنْ شَاعَ أَنْ يُسْرَقَا

فَقَالَتْ بِعَيْشِكَ ! قَوْلِي لَهُ تَمَتَّعْ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْفَقَا

(١) فلم يأت بمدة الماء في الوصل .

(٢) قال الشيخ المرصفي : الصواب القواف ، بحذف الياء الأخيرة والاجتزاء بالكسرة .

(٣) انبعق المطر وتبعق : افتتح بشدة .

(٤) الريق بتشديد الياء وتخفيف : أول كل شيء وأفضله .

قوله « لعلك أن تنفقا » اضطرار وحة لعلك تنفق لأن لعل من أخوات إن
فأجريت مجراها ، ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى ، كما قال متمم بن نويرة :
لعلك يوماً أن تليماً مليمه عليك من اللاتي يدعنك أجدا
وهو كثير .

قال أبو العباس : وزعم أبو معاذ النعميري أنه كان يعتاد عبد الله بن محمد
ابن أبي عيينة ، ويكثر المقام عنده وكان راوية لشعره ، وأم ابن أبي عيينة
ابن المهلب يقال لها خيرة ، وهي من بني سلمة الخير بن قشير بن كعب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأبطأت عليه أياما فكتب إلى :

تمادي في الجفاء أبو معاذٍ وراوغني ولاذ بلا ملاذٍ
ولو لا حق أخوالي قشيرٍ أتنه قصائد غير اللذاذٍ
كما راح الهلالي بن حربٍ به سمة^(١) على عنقٍ وحاذٍ^(٢)

يعني محمد بن حرب بن قبيصة بن مخارق الهلالي ، وكان من أقعد الناس^(٣) .
ولقيصة بن المخارق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سار إليه
فأكرمه وبسط له رداءه ، وقال : مرحباً بخالي ! فقال : يا رسول الله ، رقب
جلدي ، ودق عظمي ، وقلم مالي ، وهنت على أهلي ! فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء .

(١) من الوسم وهو الكي . (٢) الحاذ : الظهر . (٣) أقربهم إلى جده الأكبر .

ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات ، وكان على شرطة
جعفر بن سليمان على المدينة ، وكان كثير الأدب غزيره ، فأغضب ابن أبي
عيننة في حكمه جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى - وكان على شرطته إذ
ذاك - في ذلك يقول عبد الله بن أبي عيننة :

بأخوالي وأعمامي أقامت قریشٌ ملكها وبها ثهابُ
مَتَى مَا أَدْعُ أَخَوَالِي لِحَرْبِ وَأَعْمَامِي لِنَائِبَةٍ أَجَابُوا
أَنَا ابْنُ أَبِي عَيْنِنَةَ فَرَعُ قَوْمِي وَكَعْبُ وَالِدِي وَأَبِي كِلَابُ
خَلَا ابْنُ عُكَّابَةَ الظَّرْبَانِ سَهْلٍ لَهُ فَسَوْهُ تُصَادُ بِهِ الضَّبَابُ
وَأَخْرَ مِنْ هِلَالٍ قَدْ تَدَاعَى فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

باب

قال أبو العباس : كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سحابةٌ
ثم تنقشع .

وكان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ،
وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو كان الصبر والشكر بعيرين
ما باليت أيهما ركبت .

وقال العنبي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات :

أُصْحَتْ بِحُدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومٌ أَسْفَا عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُؤُومٌ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

قال أبو العباس : وأحسب أن حبيباً الطائي^(١) سمع هذا فاستترقه في بيتين أحدهما قوله في إدريس بن بدر الشامي :

دُمُوعُ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحَزَنِ هُمُوعُ تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابِسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

والآخر قوله :

قَالُوا الرَّحِيلُ! مَا شَكَكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلاً
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنْ تَلْدَا فِي الْحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلاً
وقال سابق البربري :

وَإِنْ جَاءَ مَا لَا تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَأَصْبِرَا
وقال آخر أيضاً :

أَصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ الْمَجْلُوبِ وَأَرْضَ بِهِ وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِي الْقَدْرُ
(فَمَا صَفَا لِأَمْرِي عَيْشٌ يُسْرُهُ بِهِ إِلَّا سَيَتَّبِعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدْرُ)

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثني أحاديث الخلفاء ، وتلحن لحن السقاآت ! قال التوزي : فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب وكف بصره فكان إذا مرَّ به موكب بلال يقول ما هذا ؟ فيقال له : الأمير ! فيقول خالد * سحابة صيف عن قليل تقشع * فتيل ذلك لبلال ، فأجلس معه من يأتيه بخبره ، ثم مرَّ به بلال ، فقال خالد كما كان يقول ،

فَقِيلَ ذَلِكَ لِبَلالٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَى خالِدٍ فَقَالَ : لَا تَقْشَعُ وَاللَّهِ حَتَّى تُصِيبَكَ مِنْهَا
بِشَوْبُوبٍ بَرْدٍ ! فَضْرَبَهُ مِائَتِي سَوْطٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ أَمَرَ بِهِ فَدَلِيسَ بَطْنُهُ .
قَوْلُهُ : بِشَوْبُوبٍ ، مَهْمُوزٌ ، وَهُوَ الدُّفْعَةُ مِنَ المَطْرِ بِشِدَّةٍ ، وَجَمْعُهُ شَائِبٌ .

قال النابغة يخاطب القبيلة :

وَلَا تُلَاقِي كَمَا لَاقَتْ بَنُو أُسْدٍ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مِنْهَا بِشَوْبُوبٍ

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم ، وضرب الشؤبوب مثلًا للغارة ،
والغارة تُضْرَبُ لذلك مثلًا كما يقال شَنَّ عليهم الغارة : أى صبها عليهم ،
قال ابن هرمة :

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَّأَتْ لِبَتِّهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَلٍ

يريد ما وجأها به من حديدة ، يقول : لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم ،
فكانه قال بسنانٍ مُسْتَهْلٍ الشُّؤْبُوبِ ، أو ما أشبه ذلك .



وكان خالد بن صفوان أحد من إذا عرض له القول قال ، فيقال إن
سليمان بن علي سأل عن ابنيه جعفر ومحمد ، فقال : كيف إجمادك جوارهما
يا أبا صفوان^(١) ! فقال :

أَبُو مَالِكٍ جَارُهَا وَأَبْنُ بُرْئِنٍ فَيَأْلَكَ جَارِي ذَلَّةٍ وَصَغَارِ

(ش قوله : أبو مالك ، صوابه أبو نافع ، وهو مولى لعبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضى الله عنه) فأعرض عنه سليمان ، وكان سليمان من أحلم الناس

(١) المعنى : هل حمدت جوارهما .

وأكرمهم ، وهو في الوقت الذي أَعْرَضَ فيه عنه وإلى البَصْرَةِ وعمَّ الخليفة المنصور ، والشعر الذي تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغِ الحُمَيْرِيِّ . قال :

سَقَى اللهُ دَارًا لِي وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا إِلَى جَنْبِ دَارِي مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَأَبْنُ بُرَيْثٍ فَيَالِكَ جَارِي ذِلَّةٍ وَصَغَارِ

وكان الحسن يقول : لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فإن عَرَضَ له القولُ نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القولُ أَمْسَكَ ، ولسانُ الأحمق أَمَامَ قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أو له .

وخالد لم يكن يقول الشعر ، ويُروى أنه وَعَدَ الفرزدقَ شيئًا فأخره عنه ، وكان خالد أحدَ البُخلاء ، فربه الفرزدقُ فهدَّدهُ فأمسك عنه حتى جاز الفرزدقُ ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن هذا قد جعلَ إحدَى يَدَيْهِ سَطْحًا ، وملاً الأخرى سَلْحًا ، وقال إن عمرُتمُ سَطْحِي ، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسَلْحِي !

وقال إياسُ بن معاوية المُرَيْثِيُّ أبو وائلة ، وكان أحدَ العقلاء الدُّهامة الفضلاء لخالد : لا ينبغي أن نجتمع في مجلس ، فقال له خالد : وكيف يا أبا وائلة ؟ فقال : لأنك لا تحب أن تسكت ، وأنا لا أحب أن أسمع !

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلا في دِينٍ وهو قاضي البصرة فَطَلَبَ منه البيعة ، فلم يأتَه بِمَقْنَعٍ ، فقبل للطالب : اسْتَجِرْ وَكَيْعِ بْنِ أَبِي سُودٍ حَتَّى يَشْهَدَ لَكَ ، فَإِنْ إِيَّاسًا لَا يَحْتَرِي عَلَى رَدِّ شَهَادَتِهِ ، ففعل ، فقال وَكَيْعُ : وَاللَّهِ لَا شَهِدَنَّ لَكَ ، فَإِنْ رَدَّ شَهَادَتِي لِأَعْمَمَنَةَ السَّيْفِ ! فلما طَلَعَ وَكَيْعُ فَهَمَّ إِيَّاسٌ عَنْهُ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : جِئْتُ شَاهِدًا ، فَقَالَ لَهُ :

يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم؛ أنت تجل عن هذا! فقال إذن
والله لا أشهد، فقيل لو كعب بعد إنما خدعك، فقال: أولى لابن اللخناء!

وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده، فشكا الرجل ذلك إلى
الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا وائلة لم رددت شهادة فلان؟ فقال يا أبا سعيد
إن الله تعالى يقول: «مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» وليس فلان ممن أَرْضَى.
واختلف نصراني إلى أبي دلامة مولى بني أسد يتطبب لابن له، فوعده
إن برأ على يديه أن يعطيه ألف درهم، فبرأ ابنه، فقال للمتطبب: إن الدراهم
ليست عندي، ولكن والله لأوصلنّها إليك، ادع على جاري فلان هذه
الدراهم فإنه مؤسر، وأنا وابني نشهد لك فليس دون أخذها شيء، فصار
النصراني بالجار إلى ابن شبرمة، فسأله البيعة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم
القاضي، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة:

إِن النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُونِي كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِثُ
(وَإِنْ حَضَرُوا بِي حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تَلَكِ الثَّبَائِثُ)

فقال ابن شبرمة: من ذا الذي يبحثك يا أبا دلامة؟ ثم قال للمدعي: قد عرفت
شاهدك! نخل عن خصمك، وروح العشيّة إلى، فراح إليه فغرمها من ماله.
وشهد أبو عبيدة^(١) عند عبيد الله بن الحسن العنبري على شهادة ورجل
عدل. فقال عبيد الله للمدعي: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فردني شاهداً، وكان
عبيد الله أحد الأدياء الفقهاء الصلحاء. وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة

(١) معمر بن النخعي .

في شيء قال فلقيني يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم ، وأنا أخرج
فقلت مُعَرِّضًا بِهِ (للبعيث) :

طَمِعْتُ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ الْمَطَامِعِ
فَأَنْشَدَنِي مُعَرِّضًا تَارِكًا لِمَا قَصَدْتُ لَهُ :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَيَّ لَيْلَى عُدُولٌ مَقَارِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عَنْهُ حَدِيثًا عَجِيبًا ، ثُمَّ عُرِفَ مَخْرَجُ ذَلِكَ الْحَدِيثِ .

ذَكَرَ ابْنُ عَائِشَةَ ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ جَمَاعَةٌ لَا أَحْصِيهِمْ كَثْرَةً : أَنَّ عَيْدَ اللَّهِ

ابْنِ الْحَسَنِ شَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ عَلَى أَمْرِ أَحْسَبِهِ دَيْنًا فَقَالَ لَهُ :

أَتُرَوِي قَوْلَ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرٍ * نَأَمَ الْخَلِيُّ فَمَا أَحْسَبُ رَقَادِي * فَقَالَ

لَهُ الرَّجُلُ : لَا ! فَرَدَّ شَهَادَتَهُ وَقَالَ : لَوْ كَانَ فِي هَذَا خَيْرٌ لَرَوَى شَرَفَ أَهْلِهِ .

فَخَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الْأَزْدِ حَدِيثًا ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْدَ اللَّهِ إِيَّاهُ قَصَدَ ، قَالَ : تَقَدَّمَ رَجُلٌ

إِلَى سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - وَسَوَّارُ ابْنُ عَمِّ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ - يَدْعَى دَارًا ،

وَأَمْرَأَةً تُدَافِعُهُ وَتَقُولُ لِسَوَّارٍ : إِنَّهَا وَاللَّهِ خِطَّةٌ مَاقِعٌ فِيهَا كِتَابٌ قَطُّ . فَأَتَى

الْمُدْعَى بِشَاهِدَيْنِ يَعْرِفُهُمَا سَوَّارٌ فَشَهِدَا لَهُ بِالْدارِ ، وَجَمَلَتِ الْمَرْأَةُ تَنْكُرًا إِنْكَارًا

يَعْضُدُهُ التَّصْدِيقَ ، ثُمَّ قَالَتْ : سَلْ عَنِ الشُّهُودِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَتَغَيَّرُونَ ، فَرَدَّ

الْمَسْأَلَةَ فَحَمِدَ الشَّاهِدَانِ . فَلَمْ يَزَلْ يُرِيْتُ أُمُورَهُمْ ، وَيَسْأَلُ الْجِيرَانَ فَكُلُّ

يُصَدِّقُ الْمَرْأَةَ ، وَالشَّاهِدَانِ قَدْ ثَبَتَا ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى عَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ عَيْدِ اللَّهِ :

أَنَا أَحْضَرُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ مَعَكَ فَأَتَيْكَ بِالْجَلِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لِلشَّاهِدَيْنِ

لَيْسَ لِلْقَاضِي أَنْ يَسْأَلَ كَيْفَ شَهِدْتُمَا وَلَكِنْ أَنَا أَسْأَلُكُمْ . قَالَ فَقَالَا : أَرَادَ

هَذَا أَنْ يَحْجُبَ فَأَدَارَنَا عَلَى حُدُودِ الدَّارِ مِنْ خَارِجٍ وَقَالَ هَذِهِ دَارِي ، فَإِنْ حَدَثَ

بى حادث فَلْتَبِعْ وَلْتَقَسِّمْ عَلَى سَبِيلِ كَذَا ، قال : أفعدكما غيرُ هذه الشهادة ؟
قالا : لا ! فقال : الله أكبر ! وكذا لو أدركتكما على دار سوّار وقلت لكما مثل
هذه المقالة أكتما تشهدان بهالى ؟ فَفَهَمَا أَنَّهُمَا قَدْ اغْتَرَا ، فكان سوار إذا
سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِعُ الْمَسْأَلَةَ أَنْ يَقُولَ : أَجْازَ الْعَدَالَةَ هُوَ ؟ فظننت
أن عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاخبره بهذا وما أشبهه .

وحدثنى أحد أصحابنا أن رجلا من الأعراب تقدم إلى سوّار فى أمر فلم
يصادف عنده ما يُحِبُّ فَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَطْفُرْ بِحَاجَتِهِ ، قال فقال الأعرابى وكانت
فى يده عَصًا :

رَأَيْتُ رُؤْيَا تُمْ عَبْرَتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَخْلَامِ عَبَّارًا
بِأَنَّيَ أَخْبَطُ فى لَيْلَتِي كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارًا

ثم انحنى على سوّار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ مِنْهُ ، قال فما عاقبه سوّارُ بِشَيْءٍ
قال : وَحَدَّثْتُ أَنْ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ سَارَ إِلَى سَوَّارٍ فَقَالَ : إِنْ أَبَى
مَاتَ وَتَرَكَنِي وَأَخَالَى وَخَطَّ خَطَيْنِ فى الْأَرْضِ ، ثم قال وَهَجِينًا وَخَطَّ خَطًّا
نَاحِيَةً ، فكيف تقسم المال ؟ فقال أهنا وراثٌ غيركم ؟ قال : لا ، قال :
المال بينكم أثلاثًا ، فقال لا أَحْسِبُكَ فَهَمَّتْ عَنى ! إنه تركنى وأخى وهجينا
لنا ، فقال سوّار : المال بينكم أثلاثًا ، قال فقال الأعرابى : أياخذ المهجين كما
أخذ ، وكما يأخذ أخى ؟ قال أجل ! ففضب الأعرابى ، قال ثم أقبل على
سوّار فقال : تَعَلَّمْ وَاللَّهِ إِنَّكَ قَلِيلُ الْخَالَاتِ بِاللَّهْنَا ، فقال سوار إذا لا يَضِيرُنِي
ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا (قيل انه ليس بالدهنائة ، وإنما كان فيها الحرائر) .

وكان عَقِيلُ بنُ عُلْفَةَ مِنَ الْغَيْرَةِ وَالْأَنْفَةِ عَلَى مَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَلِمَاهُ

نخطب اليه عبدُ الملك بن مروان ابنته على أحد بنيهِ، وكانت لعقيلِ اليه حاجاتٌ
فقال: أما إذ كنتَ فاعلا فحُبِّبني هُجْناءَكَ^(١). وخطبَ اليه ابنته ابراهيمُ بن
هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، وهو خال هشام بن عبد الملك
ووالي المدينة، وكان أبيض شديد البياض فردّه عقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صَحِيفَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا أَبَتْ أَعْرَافُهُ إِلَّا أَحْمَرَارًا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد ميتة
عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن علي
ابن أبي طالب، وأحدهم ابراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عمران إذا
دخل إلى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ
أَجِبْكَ أَنْ تَزِلْتَ جِبَالَ حِسْمِي وَأَنْ نَأْسَبْتَ بِنْتَهُ مِنْ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العُدْرِيّ، فأما جميل بن معمر الجُمَحِيُّ
فلا نسبَ بينه وبين معمر: أي ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له صُحْبَةٌ،
وكان خاصًّا بمعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن

الخطاب رحمه الله فسمعته يُنشدُ بالرُّكْبَانِيَّةِ^(٢):

وَكَيْفَ ثَوَّائِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ

فأما استأذنتُ عليه قال لي: أسمعْتَ ما قلتُ؛ فقلتُ نَعَمْ! فقال: إنا إذا حَلَوْنَا قلنا

(١) يريد أبناء الإمام . والهجنة في الناس والحيل انما تكون من قبل الأم ، والفرقة من قبل الأب ، وذلك الفرق بين المهجين والمقرف . (٢) الركبانية غناء للعرب فيه مد وتعطيط .

ما يقول الناس في بيوتهم (قال ش : وَهَمَّ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا وَإِنَّمَا الْقِصَّةُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُنْسِدُ) وَكَانَ حَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْجَمْحِيِّ قَتَلَ أَخَا لَأَبِي خِرَاشِ الْهُذَلِيِّ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَأَتَاهُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ مُوثِقٌ فَضْرَبَهُ فِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو خِرَاشِ :

فَأَقْسِمُ لَوْ لَأَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثِقٍ لَأَبَاكَ بِالْعَرَجِ الضَّبَاعُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ حَمِيلُ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرَةً وَلَكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا مَلِكِ وَلَكِنَّ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَاتِلِ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَازِلُ
قوله : أسوأ الناس صرعةً ، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول : جلست جلستةً
وركبت ركبةً ، وهو حسنُ الجلستةِ والركبةِ : أى الهيئة التى يجلسُ عليها
ويَرْكَبُ عليها ، وكذلك القعدةُ والنيمةُ ، وقوله : لأباك ، أى لعادتك ، وأصل هذا
من الإيابِ والرَّجوعِ ، قال الله تبارك وتعالى « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ » وقال عبيدُ
ابن الأبرصِ :

وَكَلُّ ذِي غِيَّةٍ يَثُوبُ (وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَثُوبُ)
وقوله : بالعرج ، فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان
فسمى العرجيَّ ، ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش :
هذا وهمُّ من أبى العباس رحمه الله ، وأما صوابه فعبد الله بن عمرو بن عبد الله
ابن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) . والنَّوَاهِلُ فيه قولان : أحدهما
العطاشُ ، وليس بشيء ، والآخر الذى قد شَرِبَ شَرَبَةً فَمِ يَرَوُ فَاحْتِاجَ إِلَى
أَنْ يَعْلَ ، كما قال امرؤ القيسِ :

إِذْهَنْ أَقْسَاطُ^(١) كَرَجَلِ الدَّبِي^(٢) أَوْ كَقَطًّا كَأْظِمَةَ النَّاهِلِ
وقوله. أحاطت بالرقاب السلاسل، يتول: جاء الإسلام فنع من الطلب بالأوتار
إلا على وجهها ، وكان يقال إن أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم
بلال بن أبي بردة ، وكان أمير البصرة وقاضيا ، وفي ذلك يقول رؤبة :
وَأَنْتَ يَا بِنِ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِي (مُعْتَرِّمٌ عَلَى الطَّرِيقِ مَاضِي)
وكان بلال يقول : إن الرجلين ليتقدَّما إلى فأجد أحدهما على قلبي أخفَّ
فأقضى له ، ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخنصرة^(٣) فسَدِكَ
(ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلِّي إليها ويديم الصلاة ،
فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار : إِنْ يَكُنْ سِرُّ هَذَا
كَعَلَانِيَّتِهِ فَهُوَ رَجُلٌ أَهْلُ الْعِرَاقِ غَيْرِ مُدَافِعٍ ، فقال العلاء : أنا آتيك بخبره
فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء ، فقال اشْفَعْ صَلَاتِكَ فَان لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ
ففعل ، فقال له العلاء : قد عرفت حالي من أمير المؤمنين ، فان أنا أشرتُ
بِكَ عَلَى وَلايَةِ الْعِرَاقِ فَمَا تَجْعَلُ لِي ؟ قَالَ لَكَ عُمَّالِي سَنَةً ! وَكَانَ مَبْلَغُهَا
عَشْرِينَ أَلْفَ دَرْهَمٍ (العُمَالَةُ بضم العين : أجرة العامل) قال : فاكتب
لي بذلك ، قال فارتدَّ (معناه أسرع) بلالٌ إلى منزله ، فأتى بدواة وصحيفة
فكتب له بذلك ، فأتى العلاء مُهْرًا بالكتاب فلما رآه كتب إلى عبد الحميد
ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وكان والي الكوفة ، أما بعد :
فإن بلالا غرنا بالله ، فكدنا نغترَّ فسببكناه ، فوجدناه خبثا كله
والسلام . ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد : إذا وردَ عليك كتابي هذا فلا

(١) أقساط : قطع . (٢) الدبي : جماعة الجراد .

(٣) بليدة من أعمال حلب .

تَسْتَعِينُ عَلَى عَمَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى . قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَ بِلَالٍ
دَاهِيَةً لَقِنَا أَدِيًّا ، وَيُقَالُ : إِنْ ذَا الرُّمَّةَ لِمَا أَنْشَدَهُ :

سَمِعْتُ النَّاسَ يُنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدِحَ انْتَجِعِي بِلَالًا
تُنَاحِي عِنْدَ خَيْرِ فِتْيَانِ إِذَا النُّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَ

فلما سمع قوله * فَقُلْتُ لِصَيْدِحَ انْتَجِعِي بِلَالًا * قال : يا غلامُ مرُّ لها
بِقَتِّ وَنَوَى !! أَرَادَ أَنْ ذَا الرُّمَّةَ لَا يُحْسِنُ الْمَدْحَ ، قَوْلُهُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يُنْتَجِعُونَ
حِكَايَةً ، وَالْمَعْنَى إِذَا حُقِّقَ إِنَّمَا هُوَ سَمِعْتُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ : أَي قَائِلًا يَقُولُ « النَّاسُ
يُنْتَجِعُونَ غَيْثًا » وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقُّ الْخَيْلِ بِالرَّكْضِ الْمَعَارِ
فَعْنَاهُ وَجَدْنَا هَذِهِ اللَّفْظَةَ مَكْتُوبَةً ، فَقَوْلُهُ : أَحَقُّ الْخَيْلِ ابْتِدَاءً ، وَالْمَعَارُ خَبْرُهُ ،
وَكَذَلِكَ النَّاسُ ابْتِدَاءً ، وَيُنْتَجِعُونَ خَبْرَهُ ، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْكَلَامِ قَرَأْتُ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِنَّمَا حَكَيْتَ مَا قَرَأْتُ ، وَكَذَلِكَ قَرَأْتُ عَلَى خَاتَمِهِ « اللَّهُ
أَكْبَرُ » يَا فِتْيَ ! فَهَذَا لَا يَجُوزُ سِوَاهُ .

وقوله : « إِذَا النُّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالَ » فَإِنَّ الرِّيَّاحَ أَرْبَعٌ ، وَنُكْبَاءُهَا أَرْبَعٌ
وَهِيَ الرِّيْحُ الَّتِي تَأْتِي مِنْ بَيْنِ رِيْحَيْنِ فَتَكُونُ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالصَّبَا ، أَوِ الشَّمَالِ
وَالدُّبُورِ ، أَوِ الْجَنُوبِ وَالذُّبُورِ ، أَوِ الْجَنُوبِ وَالصَّبَا ، فَإِذَا كَانَتْ النُّكْبَاءُ تُنَاوِحُ
الشَّمَالَ ، فَهِيَ آيَةُ الشِّتَاءِ ، وَمَعْنَى تُنَاوِحُ : تُقَابِلُ ، يُقَالُ تُنَاوَحَ الشَّجَرُ إِذَا
قَابَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَزَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ النَّائِمَةَ بِهَذَا سُمِّيَتْ ؛ لِأَنَّهَا تُقَابِلُ صَاحِبَتَهَا .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ الحِمَيْرِيُّ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَمْدَحْ أَحَدًا قَطُّ :
فَلَوْ كُنْتُ مُمْتَدِّحًا لِلنَّوَالِ فَتَى لَأَمْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلَالًا

وَلَكِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يُرِيدُ بِمَدْحِ الرَّجَالِ الْكِرَامِ الشُّوْءَ الْآ
سَيَكْفِي الْكَرِيمَ إِغَاءَهُ الْكَرِيمَ وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالًا
ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلاؤه قوله :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحًا عَلَى يَتِيمًا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِضْرَامِ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامِ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا ! إِنَّ أَهْلِي لِحَيْرَةٌ لِأَكْثِبَةِ الدَّهْنِ جَمِيعًا وَمَالِيَا

(قوله : لا ، لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لأن لا لاتقع إلا في جواب «أو»
وإنما سأله «بأم» وهي لم يستقر عندها علم)

وَمَا كُنْتُ مُذًا بَصْرَتِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبِي قَسَا أَزُورُ فِتْيَ نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ كَأَنَّهِمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرْمِينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ تَفَادَى أَسُودُ الْغَابِ مِنْهُ تَفَادِيَا
وَمَا الْخُرْقُ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَى عَلَيْهِمُ وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيَا
قوله «مدرجي» يقول مروزي ، فأما قولهم في المثل : خَيْرٌ مَنْ دَبَّ وَمَنْ دَرَجَ ،
فمعناه مَنْ حَيٍّ وَمَنْ مَاتَ ، يريدون مَنْ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَمَنْ دَرَجَ
مِنْهَا فَذَهَبَ .

وقوله «أراك لها بالبصرة العام ثاويا» فإنه يقال في هذا المعنى ثوى
الرجل فهو ثاوي يافتي إذا أقام ، وهي أكثر ، ويقال أثنوى فهو مثوى يافتي ،
وهي أقل من تلك ، قال الأعشى :
أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيَزُودَا فَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُبَيْلَةٍ مَوْعِدَا

وقوله «قَسًا» فهو موضع من بلاد بني تميم، وقوله «لَا كِشْبَةَ الدَّهْنَا» فَا كِشْبَةُ جمع كَيْسِب وهو أَقْلُ العُدَد ، والكثير كُشِبٌ وكُشْبَانٌ ، والدَّهْنَا من بلاد بني تميم، ولم أَسْمَعْ إِلَّا القَصْر من أهل العلم والعرب، وسمعت بَعْدُ من يَرَوِي مَدَّهَا وَلَا أَعْرَفَهُ ، قال ذو الرمة :

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا أُمِّي هَلَالًا عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشْدِ
يعنى هِلَال بن أَحْوَز المازنى وقال جرير: * بَازٍ يُصَعِّعُ بِالدَّهْنَا قَطًّا جُونًا *
وقوله «كأنهم الكروان أبصرن بازيا» فالكِرْوَانُ جماعة كِرْوَانٍ ، وهو طائر معروف ، وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكالهِ ولكنه على حذف الزيادة ، فالتقدير كَرَّأ وكِرْوَانٌ ، كما تقول أَخٌ وإِخْوَانٌ ، وَوَرَلٌ وَوِرْلَانٌ ، وَبَرَقٌ وَبِرْقَانٌ ، وَالبَرَقُ أَعْجَمِيٌّ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَعْرَبَ وَجَمَعَ كَمَا تُجْمَعُ العَرَبِيَّةُ ، واستعمل الكِرْوَانُ جمعاً على حذف الزيادة واستعمل في الواحد كذلك تقول العرب في مَثَلٍ من أمثالها :

أَطْرَقَ كَرًّا أَطْرَقَ كَرًّا إِنَّ النِّعَامَ فِي القُرَى

يريدون الكِرْوَانَ ، وقوله «من آل أبي موسى ترى القوم حوله» فقال ترى ولم يقل ترى ، وكانت المخاطبةُ أَوَّلًا لِأَمْرَأَةٍ أَلَا تَرَاهُ يقول:

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتَنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
ثم حَوَّلَ المَخَاطَبَةَ إِلَى رَجُلٍ ، والعرب تفعل ذلك ، قال الله عزَّ وجل «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» فَكَأَنَّ التَّقْدِيرَ - وَاللهُ أَعْلَمُ - كَانَ لِلنَّاسِ ، ثم حَوَّلَتْ المَخَاطَبَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) . قال عَنْتَرَةُ بن شَدَّاد :

(١) هذا خطأ من المبرد ، وإنما الخطاب للناس لا إلى النبي .

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسْرًا عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

وقال جرير :

مَا لِلْمَنَازِلِ لَا تُجِيبُ حَزِينًا أَصَمِّنَ أَمْ قَدَمَ الْمَدَى فَبَلَدِنَا
وَتَرَى الْعَوَازِلَ يَنْتَدِرْنَ مَلَامَتِي وَإِذَا أُرْدَنَ سِوَى هَوَاكِ عَصِينَا

قال أولاً لرجل ، ثم قال سوى هواك ، وقال آخر :

فِدَى لَكَ وَاللَّيْ وَسِرَاةُ قَوْمِي وَمَالِي إِنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي
على تحويل المخاطبة ، وقوله « مُرْمِين » يريد سُكُوتًا مُطْرِقِينَ ، يقال أَرَمَّ إِذَا
أَطْرَقَ سَاكِتًا .

وقوله « تَفَادَى أُسُودُ الْغَابِ » معناه تفتدى منه بعضها ببعض ، وفي الخبر
أن سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجاج وأُخْمَتِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ
فَتَفَادَى مِنْهُمْ ، تأويله فَدَى نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ بغيره ، وقوله :

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلَا الْخَنَى عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ هَيْبَةُ هِيَ مَا هِيَ
إِذَا رَفَعَتْ هَيْبَةً فَالْمَعْنَى وَلَكِنْ أَمْرُهُ هَيْبَةٌ ، كما قال الله عز وجل « لَمْ يَلْبَسُوا
إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ » أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل « طَاعَةٌ وَقَوْلٌ
مَعْرُوفٌ » يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعةً وقولٌ معروف ،
والوجه الآخر طاعةً وقولٌ معروف أمثل ، ومن نصب هيبة أراد المصدر
أى ولكن يُهَابُ هَيْبَةً وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

يُعْضِي حَيَاءً وَيُعْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
وقال الفرزدقُ يعنى يزيد بن المهلب :

فَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرَّقَابِ نَوَا كِيسَ الْأَبْصَارِ

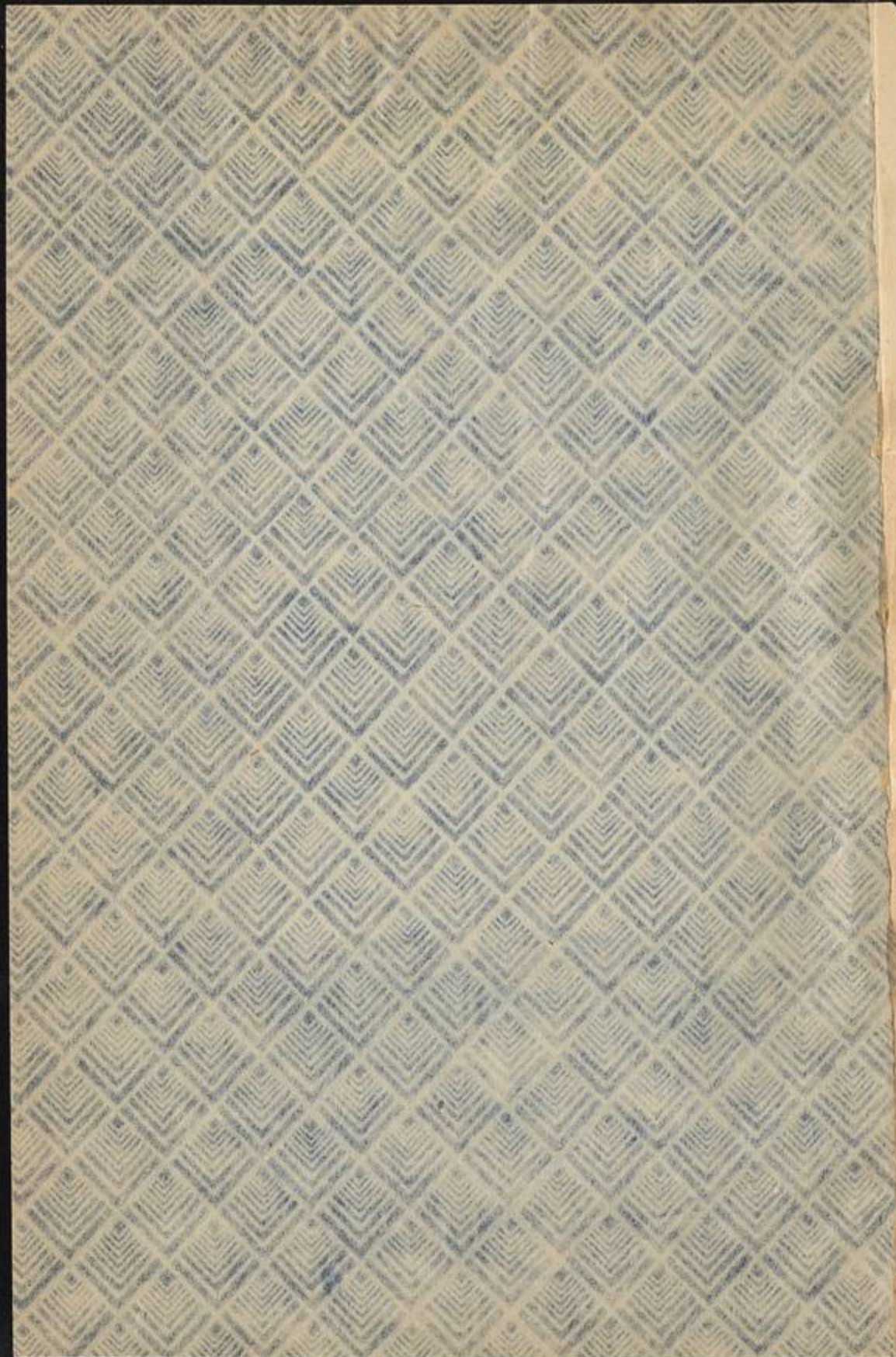
وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون ، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من
فاعل نعتاً على فَوَاعِلَ ، لثلاثا يلبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل
وقواتل ، لأنهم يقولون في جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل ، لم يأت ذلك إلا
في حرفين أحدهما في جمع فارس فَوَارِسُ ، لأن هذا مما لا يستعمل في النساء
فَأَمِنُوا الالباسَ ، ويقولون في المثل : هو هالك في الهواك ، فَأَجْرُوهُ على أصله
لكثرة الاستعمال لأنه مثلٌ فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على
أصله فقال نواكس الأبصار ولا يكون مثل هذا أبداً إلا في ضرورة .

انتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثاني

[الفهرس الكامل لجميع أجزاء الكتاب في آخر الجزء الثالث]



9098609900



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

D893.741
M8813
v. 1

D893.741 BURGESS
M8813
v. 1 Mubarrad

Al-kamil fi lughat
wa-al-adab wa-al-nahw wa-
al-tasrif

BURGESS-CARPENTER LIBRARY
ROOM 406 BUTLER LIBRARY
COLUMBIA UNIVERSITY
NEW YORK 27, N. Y.

NOV 15 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



1002001160